محمد علي حسن عيسى داود بن شيركوه بن محمد بن شيركوه بن شاذي عفا الله عنهم
عام ١١٧١

الجزء الحادي عشر من مسالك الأبصار

تاليف الشيخ الامام العالم البارع العلامه ابي العباس شهاب الدين احمد بن يحيى ابن فضل الله العمري رحمه الله

المجلد الثاني عشر من مسالك الابصار

٢٤٢٥

الجزء الثاني عشر

الحمد لله حق حمده
وقف وحبس وسبل المقر الاشرف العالي ... المالكي الظاهري ...
... جميع هذا المجلد ... من مسالك الابصار ...
... وهو ... العمري ...
...
لذلك ... البيان ... الاعظم ...
لا يخرج ذلك ... المدرسة ...
... سبع وسبعين وثمانمائة

... عبد العليم ...

بسم الله الرحمن الرحيم ٥ على الله توكلت ٥

ثم كانت وزرا وكتاب مع من سمينا وبعدهم في خدمة الخلفا والملوك
ممن لم يرض البرق شسرانه من زياده ولا العنبر الهندي مدة لمداده
طالما عدا الهلال لقلمه قلامه وكان الانق لزهر كمامه ومد الصباح
له صحيفه والقي بالرماح لتضيته في كفه خفيفه وحصل لهم من النعم ما
فاض فضله ومن النقم ما اعيت عضله وسناي منهم على العرض فمنهم
من نذكر لاشتهار اسمه ومنهم من نذكر باستحقاقه ثم هولا على قسمين
قسم اشتهر للاكثار ولا يتعدى طبقه المقبول وقسم منهم
اصحاب الغوص واكثر ما تجد ذلك للمتاخرين فقد ابدعوا في استخراج
المعاني وتوليدها وقبل ذكرهم نقول ان كتابة الانشا كانت في
المشرق في خلافة بني العباس منوطه بالوزرا وربما انفرد بها رجل وذكر
ابن عبدوس في مواضع من كتابه من ديوان السر وديوان الترسل
ثم كانت اخرونت تدافردت واستقل بها كتاب لم يبلغوا مبلغ الوزاره
وكان في المشرق يسمى كاتب الانشا ثم لما كثر عددهم سمي رييسهم رييس
ديوان الانشا ثم بقي يطلق عليه تاره صاحب ديوان الانشا وتاره
كاتب السر وهي الى احق وعندي انه وعند الناس ادل وكان في دول
السلاجقه وملوك الشرق يسمى ديوان الطغراويه وبه سمي موبد الدين
الطغراي والطغرا هي الطره وهي التي تكتب فوق البسمله بالقلم الغليظ
يتضمن القاب الملك وهي لفظه اعجميه وكانت تقوم مقام خط
السلطان بيده على المناشير والكتب ويستغني بذلك عن ان يكون
للسلطان علامه بخطه لكثرة الوثوق بصاحب هذه الرتبه واهل
المغرب يسمى رييس ديوان الانشا صاحب القلم الاعلى واهل هذه الرتبه
لم يزل لهم الاختصاص والقرب اكثر من كل عام وخاص يحتاج الامرا الى





وقف هذه النسخة السلطان الاعظم والخاقان المعظم مالك البرين والبحرين سلطان ... خادم الحرمين ... السلطان الغازي محمود ... طالع ... واعتبر ... الله ...

مدارانهم

مدارانهم وتقصر الوزرا مع علو رتبه الوزاره عن مداراتهم يجتمعون بالملك
اذا ارادوا على عدد الانفاس وهم معنى الدوله وعليهم عوله كل الناس واخر
ما كانت الملوك لا تكاتب الخلفا ببغداد الا الى هذا الديوان اعني ديوان
الانشا وكانت تسميه الديوان العزيز ولهذا كانت كتبهم تستفتح
ادام الله ايام الديوان العزيز اشارة الى ديوان الانشا لان الكتب
كانت اليه والمخاطبه له وهو المراد بقولهم فيما يوجد في التواريخ وكتب
الانشا والترسل الديوان العزيز وعليه كان يطلق هذا الاسم وله بهذا
من الشرف ما له ومن الفخر ما يجر على السما اذياله وقد آن ان نذكر
من القسمين من نذكر فاما القسم الاول فمنهم عبد الحميد
وابن العميد والصاحب ابن عباد وهم وان كانوا من مشاهير الكتاب
فانهم تعدّا من الغوص وحسن التوكيد والاختراع وقد قدمنا في
تراجمهم مع الوزرا عنوان قولهم ومبلغ طولهم واما ابو اسحق فهو
وان كان منهم وفي طبقته غير بعيد عنهم ولكنه جوال الذكر
في الكتاب مشهور شهره يوم الصحو تكلم وما تكلف وتقدم
ومن قبله تخلف جرى على سجيته في الطباع ودعى عاصي البيان
فاطاع ولم يقف مع السجع يرسف في قيوده ويكلف فكره فوق مجهوده
مجا بالعاطل بالحالي وتقدم على اهل العصر الخالي وكان حلو الجنى
عذب المشارع لا يرنق مورده ولا يطفا موقده وهو في الكتاب
بمنزله امرئ القيس في الشعرا امام القوم وحامل لوايهم وكان
يحفظ القران الكريم ويسرع منه الايات ويستشهد بها وكا
بينه وبين الشريف الرضي صداقه موكده ورثاه لما مات برثا
اسمع الخافقين وطلع في المغربين والمشرقين واوله
ارايت من حملوا على الاعواد   ارايت كيف خبا ضيا النادي

فما سمع بهذا المثوبا ما اعظمه وافخمه ولاسيما من مثل هذا الشريف
الفاضل واستدل به على ما لهذا الرجل من الفضايل عود عبق
ارجه وهو خطيب ودي رقا المنبر فضله وخطيب عقد ندسما
من دخان وادار مدامها من دنان وكسب دنه عن الملوك
البويهيه قرار با وليك الفساور وزلا النجوم وسلب الاهله
الاساور فضرب النحر بالاسداد وكابل البحر بالامداد وابدع عجبا
وابعد فسا كن عجما وجاور عربا وتوفى سنه اربع وثمانين
وثلماية **ومما قوله** له يد برعت في الجود بنانها ونظم
الدر بيانها فخاتم كاس في بطن راحتها وسحبان سنبر
بما رق فصاحتها فلها يد في كل يد ومنه في كل عنق وقرط في
كل اذن وسمط في كل مهرق لها كل يوم مزيد وعبد الحميد عبد
الحميد **وقوله** من عهد القاضي وامره ان ورد عليه امر بعضه
نصله ويشتبه عليه وحكم الحال فيه ان يرده الى كتاب الله عز وجل ويطلب
فيه سبيل المخلص منه فان وجده والا في الاثر عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم فان ادركه والا استفتى فيه من يليه من ذوي الفقه والفهم.
واهل الدرايه والعلم فما زال الايمه والحكام والسلف الصالح وطريق
السنن الواضح يستفتي واحد منهم واحدا ويسترشد بعضهم بعضا
لزوما للاجتهاد وطلبا للصواب وتحرزا من الغلط وتوقيا من
الشطط قال الله تعالى فان تنازعتم في شي فردوه الى الله والرسول
وان لا ينقض حكما حكم به من كان قبله ولا يفسخ عقدا من تقدمه وان
يعمل عليه ولا يعدل عنه ما كان داخلا في اجماع المسلمين وسايغا
في اوضاع الدين فان خرج عن الاجماع اوضح الحال فيه لمن يحضره
من الفقها والعلما حتى يصيروا مثله في انكاره ويجمعوا معه على رده وتبطيله

ينقضه

ينقضه نقضا يشيع ويذيع ويصير به الامر واجبه ويعود معه الحق الى
نصابه قال الله تعالى ومن لم يحكم بما انزل الله فاوليك هم الفاسقون
واعهدت على الصيد على من يحضرني من اولياية على قوم ابدانهم
ونشاطها ورياضه خيلهم وانبساطها والزمان ساقطه جمار صفحه
انهاره ونحن غب سحاب اقلع بعد الارتوا واتسع عند الاستغنا والربا ض
زاهيه بحمرايها وصفرايها تايهه بعوانها وعذرايها وما ترد منها حدايقه
الا استوقفتنا بضارتها واستنزلتنا عضارتها وخيلنا بشتاق
الصيد وهي لا تنطعه وتحن اليه كانها تقصه وعلى ايدينا جوارح موللة
المخالب والمناسر مذربة النصال والخناجر سابعه الاذناب كريمه
الانتساب اذ وردنا ما رزقا جما مه طاميه ارجاوه سموح باسراره
صفاوه يلوح في قراره حصباوه وافانين الطير به محدقه وغرايبه
عليه محلقه متعارض الالوان والصفات مختلفة اللغات والاصوات
فلما اقبلنا عليها ارسلنا الجوارح كانها رسل المنايا اوسهام القضا يا
فلم يسمع الا صيحا ولم نر الا مدركا وانطلقنا بعد ذلك نعتام في
الطير ونتخير ونقترح ونتحكم واختطفنا بسرائنا ما طار منه
وانتشر واخذنا بجوارحنا ما لاح منها واستتر واهتدت اليها بسند
عليها بالشميم وتهتدي اليها بالنسيم فلم يفتنا ما برز ولا سلم منا ما احترز
ثم عدلنا من مطاير الحمام الى مسارح الارام واما منا ادله فرهه يهتدون
ورود واد مهم يرشدون حتى افضينا الى اسراب كثيره العدد متصله
المدد لاهيه باطلايها راتعة في اكلايها ومعنا فهود اخطف من البروق
والقف من الليوث واحدى من الغيوث وامكر من الثعالب وادب
من العقارب وانزى من الجنادب خمص البطون رقش المتون حمر
الاحداق تعرف للاشداق غلب الرقاب كاسرة عن انياب كالحراب

فقلنا

نلحظ الظبا من ابعد غاياتها وتعرف حسها من اقصى نهاياتها فاما
من تجاه الريح عليها واعددنا المسير نحوها واليها ثم وثبنا لها الضرا
وشننا عليها الغاره الشعوا وارسلنا فهودنا وجرت خيلنا فى
اثارها كاسعة لادنا بها فالفينا كلا منها على ظبى قد افترشه وصرعه
فجعجعه واوغلنا من بعد فى اللحاق وقص اثار ما ند وبعد وقد
انتهت النوبه الى الكلاب والصقور ومعنا منها كل عريق المناسب
نجيح المكاسب حلو الشمايل نجيب المخايل اعصف الاذنين اسبل
الخدين ابى النفس ملتهب الشد لا تمس الارض لا تحليلا واثما
ولا يبطاها الا اشاره والجا وكل صقر ماض كالحسام تلاض كالحمام
مشنط فى مطالبه خفيف النهضه فى ماربه سريع الوثبه فيما
يريد ثقيل الوطاه على ما يصيد فما لبثنا ان اشرفنا على بقاع فيه
منطرفه وجاميم متعرفه فحططنا القلايد والشباقات فمرت
متوافقات مترافقات قد تسابقت فى الصور والاجناس وتالفت
فى الارشاد والالتماس فسبقت الصقور اليها ضاربة وجوهها
عاكسه روسها ولحقت الكلاب بها متشبثه فيها متدميه لها
فبادرناها مجهزين وغنمناها مايزين ثم اخذنا فى صيد ما يقرب
ويخف وتحصيل ما يلوح ويشف فلاح لنا منسر ما طلقنا عليه
يويوا فغاب عن الابصار واحتجبا عن الانظار وصار كالغيب
المرجم والظن المتوهم ثم خفطه ووقع به وهما كهيه الطاير الواحد
وعدنا فى حبا يلنا الصيد والصايد ورجعنا والشمس مصوبه للغروب
موذنه بالمغيب والجو فى اطمار مهجه فى اصايله وشفوف مورسه
من غلايله فالله ينصر مولانا فى دقيق الاغراض وجليلها ويقضى له
بالظفر فى جسيم المطالب وضيلها ما رب الناس

منزله

منزله بحسب قربها وادلاها بان يعتده الخاصه ملعبا والعامه مكسبا
الصيد الذى هو رايض الابدان وجامع الشمل الاخوان ولما كانت
الجوارح المثمنه ليست لكل الناس ممكنه بل لمن عظم شانه وجاله وجم
نشبه وماله جعلت القول مقصورا على قسى البندق التى لا يتعدد
على مكثر ولا مملق وانا الكتفى فى ترغيب من كان عنه مخرفا ويتثبت
كان لبه متشوقا بوصف موقف منه شهدته فى بعض ظواهر مدينه
السلام وهناك غيضه ذات ماء ازرق وشجر محدق مورق
فبينا انا ماثل فيها ومتنزه فى نواحيها وقد تاودت فى حلل الورد
شجراوها وتفاوحت بروايح المسك انوارها اذا قبلت رفقه
قبل الدرود والشروق وسمرت عن الادرع والسوق مقلدين
خرايط تحمل من البندق الموزون الملوم ما هو فى الصحه والاستدا ره
كاللولو المنظوم كانما خرط بالجمر فجا كسان الفهر وقد اختير طينه
وملك عجينه كانما مطاع حامليه محقق لاماال امليه ضامن لحمام
الحمام منتا ول لها من البعد مرام يعرج اليها وهو سهم نافع ٥
ويهبط اليهم وهو رزق نافع وبايديهم قسى مكسوه اعشيه
السندس مشتمله منها بافخر ملبس مثل الكماه فى جواشنها ودروعها
والجاد فى حلالها وقطوعها حتى اذا اخرجت من تلك المطارف
وانتضيت من تلك الملاحف رايت منها قدودا محطعه رشيقه
والوانا معجبه انيقه صلبه المكاسر والمعاجم نجيبه المنابت
والمناجم خطيه الانتما والمناسب سمهريه الاعتزا والمناصب
تركبت من شظايا الرماح الراعبيه وقرون الاوعال الجبليه قد نحتت
نحى النساك وصالت صيال الفتاك ظواهرها صفر وارسه ودوا خلها
سود دامسه كان شمس اصيل طلعت متونها او جنح ليل اعكر فى

بطونها او زعفران جرى فوق مناكبها او غالية جمدت على ترابها او تنى
قضبان فضة اذهب بعضها واحترق شطرا وحيات رمل اعتنقت
السود منها والصفر فلما توسطوا تلك الروضة وانتشروا على اكناف
تلك الغيضة وتبت للرمى اقدامهم وشخصت الى الطير ابصارهم وترودها
بكل وتر فوق سهمه وافوق انقض نجمه مضاعف عليها من وترين كانه برج
ذو جسدين في وسط تسرحه كسر محتوم او سره بطن مهضوم كانما
تحادر بنظر شزرا او مصع يتسع نزرا تصيب قلوب الطير بالانباض
وتصيب منها مواقع الاغراض فلم يزل القوم يرمون ويصيبون ويحوبون
ولا يخيبون حتى خلت من البندق خرائطهم وامتلات بالصيد حقائبهم
فكم عارضت الطير فكسرت اجنحتها وجناحيها واستطارت في الجو
قوادمها وخوافيها تعاجل قبل فنا دمايها ونصير ريشها كالمجاسد من
دمايها محمولة على حلم الكفار اذ يقتلون ومصيرهم الى النار تحنط
بتوابلها وابازيرها ونوارى في قدورها وتنانيرها ثم تبعث الى الخوان
متوافقين وخلان مترافقين تدنى الحواتي الطعام وتراضعوا في المدام
لا يشوبون صفوهم شايب ولا يجيب فضلهم غايب والحمد لله الذي اباحنا
لذيذ المطاعم ونهج لنا سبل المغانم.
ومن كلام ابى اسحق الصابى اقول في عهد كتبه لطفيلي
هذا ما عهد على بن احمد المعروف بعليكا الى على بن عريس الموصلى
حين استخلفه على احيا سنته واستنابه في حفظ رسومه من التطفيل
على مدينة السلام وما يتصل بها من اكنافها ويجرى معها من سوادها واطرافها
لما توسمه فيه من قلة الحيا وشدة اللقا وكثرة اللقم وجودة الهضم ورآه اهلا
له من شغله مكانه في هذه الرفاهية المهملة التي نطق لها والرتاعية المطرحة
التي امتد اليها والنعم العايدة على لابسها بملاذ الطعوم ومناعم الجسوم متوردا
على

على من اتسعت موادا ماله وتفرعت شعب حاله واقدره الله على غرايب
الماكولات واطعمه ببدايع الطيبات اخذا من كل ذلك بنصيب الشريك
المناصف وضاربا فيه بسهم الخليط المفاوض ومستعملا للمدخل
اللطيف عليه والمتولج العجيب اليه والاسباب التي يستشرح في موا ضعها
من هذا الكتاب ويستوفي الدلالة على ما فيها من رشاد وصواب
وبالله التوفيق وعليه التعويل وهو حسبنا ونعم الوكيل امره بتقوى
الله التي هي الجانب العزيز والحرز الحريز والركن المنيع والطود الرفيع
والعصمة الكالية والجنة الواقية والزاد النافع يوم المعاد يوم لا ينفع
الامثلة من الانواد وان يستشعر خيفته في سره وجهره ومراقبته
في قوله وفعله ويجعل رضاه مطلبه وثوابه ملبسه والقربة منه اربه
والزلفى لديه غرضه ولا يخالفه في مسعاه فندم ولا يتعرض عنده لعاقبته
فلم وامره ان يتامل اسم التطفيل ومعناه ويعرف مغزاه ومنحاه
بتصحيفه تصحيف الباحث عن حظه المجهود غير القابل فيه بتسليمه
وتقليده فان كثيرا من الناس قد استقبحه ممن فعله وكرهه لمن
استعمله ونسبه فيه الى الشره والنهم فمنهم من غلط في استدلاله
فاسا في مقاله ومنهم من شح على ماله فدافع عنه باحتياله وكلا
الفريقين ملوم لا يعتريان من لباس فاضح ومنهم الطائفة التي لا ترى
شركة العنان فهى تبذله اذا كان لها وتتسلى عنه اذا كان لغيرها
وترى ان المنة في المطعم للهاجم للاكل وفي المشروب للوارد والواغل فهي
احق بالحرية واخلق بالخيرية واحرى بالمروة واولى بالفتوة وقد عرفت
بالتطفيل ولا عار فيه عند ذوى التحصيل لانه مشتق من الطفل وهو وقت
المسا واوان العشا فلما كثر استعمل في صدر النهار وعجزه واوله كما
قيل للشمس والقمر واحدهما القمر ولابي بكر وعمر العمران واحدهما عمر وامره

ان يتعهد موايد الكبرا والعظما وسراياه وسمط الامرا والوزرا بسراياه
فانه يظفر منها بالغنيمه الوافره ويصل منها الى الغريبه والنادره واذا
استقراها وجد فيها من طرايف الالوان الملذه للسان وبدايع الطعوم
السايغه في الحلقوم ما لا يجد عند غيرهم ولا يناله الا لديهم وامره ان
يتتبع ما يعرض للموسرين التجار ومحتكري الامصار من وكيره والاعذار
فانهم يتوسعون على انفسهم في النوايب بحسب تضييعهم عليها في الراتب
وامره ان يصادق فيها رب الدور ومدبريها ويرافق وكلا المطابخ
وحماليها فانهم يملكون من اصحابهم ازمة مطاعمهم ومشاربهم ويضعونها
بحيث يحبون من اوقاتهم ومعارفهم واذا عدت هذه الطايفه احلام الناس من اهل
من خلانها واتخذته اخا من اخوانها سعد بمرافقتها وحظي بمصادقتها
ووصل الى محابه من جهاتها ومساربه الى جنباتها وامره ان يتعهد اسواق
المتسوقين ومواسم المتبايعين فاذا راى وظيفه تتزايد فيها والاطعمه
قد استحشد مشتريها اتبعها الى المقصد بها وشيعها الى المنازل الحاويه
لها واستعلم ميقات الدعوه ومن يحضرها من اهل اليسار والمروه
فانه لا يخلو فيهم من عارف به يراعي وقت مصيره اليها ليتبعه ويمكن له ليصحبه
ويدخل معه وان خلا من ذلك اختلط بزمر الداخلين مما هو الا ان يجاوز
عتب الابواب ويخرج من سلطان البوابين والحجاب حتى يحصل محصلا
قل ما حصله احد قبله فما ينصرف منه الا ضلعا من الطعام ترتقا من المدام
وامره ان ينصب الارصاد على منازل المغنيات والمغنين ومواطن
الاوات والمخنثين فاذا اتاه خبر لمجمع تضمهم او مادبه تجمعهم ضرب اليها
اعقاب ابله وانضا حواليها مطايا خيله وحمل عليها حمله الحوت الملتقم
والثعبان الملتهم والليث الصاهر والعقاب الكاسر وامره ان يتجنب
مجامع العوام المقلين ومحافل الرعاع المقترين وان لا ينتقل اليها قدما

ولا يتعفر لها كلها فا ولا يبلغا في عتب دورها كيسانا ولا يبعد الرحل منها
انسانا فانها عصابه يجتمع لها ضيق النفوس والاحوال وقله الاحلام
والاموال وفي التطفيل عليها اجحاف بجايزتهم وازرا بمروه المتطفل
والتجنب لها اجلا والازورار عنها ارجا وامره ان يحرز الخوان
اذا وضع والطعام اذا نقل حتى يعرف بالحدس والتقريب والبحث
والتنقير عدد الالوان في الكثره والقله واقتنانها في الطيب واللذه
فيقدر لنفسه ان يشبع مع اخرها وينتهي عند انتهايها ولا يفوته
النصيب من كثيرها وقليلها ولا يخطيه الحظ من دقيقها وجليلها ومتى
احس قله الطعام وعجزه عن الاقوام امعن في اوله امعان الكيس في
سعيه الرشيد في امره المالي لبطنه من كل حار وبارد فانه اذا فعل
ذلك سلم من عواقب الاغمار الذين يكفون تطرفا ويتقلون تادبا ويظنون
ان الماد تبلغهم الى اخرامرهم وتنتهي الى غايه شبعهم فلا يلبثون ان يخلوا
بخجله الوايق وينقلبوا بحسره الخايب اعاذنا الله من مثل مقامهم واعصمنا
من شقا جدودهم وامره ان يروض نفسه ويغالط حسه ويضرب
عن كثير مما يلحقه صفحا ويطوي دونه كشحا ويستحسن الصمم عن الفحشا
ويغمض عن اللفظه الخشنا وان اثبته الملكزه في حلقه صبر عليها في
الوصول الى حلقه وان وقعت به الصفعه في راسه اغضى عنها المراتع
اضراسه فان لقيه لاق بالجفا قابله باللطف والصفا اذ كان اذا دخل
الابواب وخالط الاسباب وجلس مع الحضور وامتزج بالجمهور
ولا بد ان يلقاه المنكر لامره والمريبه المستغرب لوجهه وان كان
حرا حييا امسك وتذمم وان كان فظا غليظا همهم وتكلم وان يجتنب
عند ذلك المخاشنه ويستعمل مع المخاطب الملاينه ليرد غيظه ويفل
حده ويلف غربه ثم اذا طال المدى تكررت الالحاظ عليه فعرف وانست

النفوس به فالف وبال من الحال المجتمع عليها منال من حشم رسال الغنا
اليها ه ولقد بلغنا ان رجلا من هذه العصابه كان ذا فهم ودرايه وعقل
وخصافه طفل على وليمه رجل ذي حال عظيمه فرمقته فيها من القوم العيون
وتصرف بهم فيه الظنون فقال له قايل منهم من يكون اعزك الله فقال انا
اول من دعي الى هذا الحق قيل له وكيف ذاك ونحن لا نعرفك فقال اذا رايت
صاحب الدار عرفني وعرفته نفسي فجي به اليه فلما راه بداه بان قال له هل
قلت لصاحبك ان يصنع طعامك زايدا على عدد الحاضرين ومقدار حاجه
المدعوين فقال نعم فقال فانما تلك الزياده لي ولامثالي وبها نستطهد
لمن جرى مجراي وهو رزق انزله الله على يدك وسببه من جهتك فقال
مرحبا بك واهلا وقربا والله لاجلسنك الامع علية الناس ووجوه الجلسا
والاناس اذ قد طرفت في قولك وتفننت في فعالك فليكن ذلك الرحل لنا
اماما نقتدي به وحاديا نحدو على مثاله ان شا الله ه وامر ان يكثر من
تعاهد الجوارشنات المنفذه للسدد المقويه للمعد المشهيه للطعام
المسهله لسبيل الانهضام فانها عماد امره وقوامه وبها انتظامه والتيامه
لانها تعين على الدعوتين وتنهض في اليوم الواحد بالاكلتين وهو في
تناولها ذا الكاتب الذي يقط اقلامه والجندي الذي يصقل حسامه والصانع
الذي يجدد الاته والماهر الذي يصلح ادواته هذا اعمد على بن احمد المعروف
المعروف بعليكا الله ورحمه عليك لم الك في ذلك ارشادا وتوقيفا
وتهذيبا وتثقيفا وبعثا وتبصيرا وحثا وتذكيرا فكن باوامره موتمرا
وبزواجره مزدجرا ولرسومه متبعا ولحفظها مضطلعا ان شا الله تعالى
والسلام عليك ورحمه الله وبركاته ه

قلت ــــــ وسيلات في تقليد لطفيلي فعملت ه

الحمد لله الذي نعم في طيبات رزقه ورزق بعض خلقه من خلقه ه
واجاز للمرء في بعض المذاهب التوصل بما قدر عليه الى اخذ حقه نحمده على
نعمه التي وسعت الولايم وتنعمت باكل كل ملايم ونشهد ان لا اله
الا الله وحده لا شريك له شهاده اول ما نبدا منها باسم الله الاكل ونهنا
بها ما يهيا من الماكل ونشهد ان سيدنا محمد عبده ورسوله لا شريك
له شهاده الذي ما عاب قط طعاما ولا دعي الى طعام الا اكل ما لم يكن
نوى صياما صلى الله عليه وعلى اله وعلى اله وصحبه صلاه تتلقها المسامع
التقاما وسلم تسليما كثيرا وبعد فلما كان الغذا هو قوام الابدان
ونظام عمارة البلدان ومواييد الطعام هي التي يجتمع عليها الاخوان وتزهي
بها صنوف الالوان وتفتح وتختم بالحمد ويمنح من اطايب المطاعم ما يجاوز
الحد ويكون فيها ما يسر العين من بدايع الالوان ويسري نجوم زيادتها
في سما الخوان وقد يحوى دون بعض البخلا من لا يدعوا الناس الى طعامه
دعوه الجفلى ويكون في ماله الممنوع حق للسايل والمحروم ومن لا يوصل
الى الحق منه الا بالتطفيل المعلوم ممن تعين الاكل من ماله بانواع الحيل
والهجوم على موايده المحجوبه من الخلل واستعمال الاقدام على عدو امثاله
لاكل طعامه واخلا الموايد من قدامه ولم يوجد لهذه العظيمه ولا يلام
صاحب كل وليمه الامر كان اذا اكل اضطلع واذا مد يده الى السماط
اقتلع او صعد الى السما دخ سعد الذابح وبلع سعد بلع ولم يزل
يزلزل الموايد وبلا وعا بطنه بزايد ولا يعرف ما يكون لبطنه ولا ما
تكفي منه اللقمه وتغني فيه اللقمه ولا يقابله صدور الاطباق الا وهي
غير مطمينه وكان فلان هو الذي طالما كشف وجه السماط وحل من
سفر المخالي الرباط وجال في جنبات الموايد حتى اخلاها وركض فيها
ركض الجواد حتى الحق اخراها باولاها وعرف في الولايم التي لم يزل
فيها مشهودا الحمله اثنا على التفضيل والجمله معروفا بكبر اللقم التي

يكاد يختنق وترك التشهي واكل ما ينفق وفوه النهمه التي لو نقمت
الصخر لسحنته او كلفت خوض البحر الى اكل لقمه واحده لاستهونته
واشتهر بطبع طبع عنى كل من يجي بعده واتعب وفرط طمع اطفا كل
طفيلي واملات الشعب وام اشعب ولم تعصم منه باب بغلق ولاستر
مطبق ولا طعام جالس على طريق ولا محروس من وراء طبق بل لو قيل
له ان اللقمه خلف جبل قاف لقام اليها يسعى او في قم الافعى لمد يده
اليها ولم يخف لسعا قد تبلط وجهه الوقاح وافنى لحوم ذوات الاربع
والجناح ولم يدع في القدور شيا عليه يدور ولا في الخافي مما هو عليه
خافي ولا نوعا من الانواع ولا مما يصلح للاكل مما يشترى ويباع او
واكل ابن ابي سفين لاشغله عن العيان او سليمان بن عبد الملك
لهلك او الملك العادل لافتقر في العاجل او عاصر بسرح النراس
للاشتغال له معه راس او عاش القايد المغربي مولى فارح لاراه في
الاكل كل قادح لا يحجبه لاجل السعي للاكل الاكل يوم اغربيل ونوره
وكل ملك اذا تغدى رفعت ستوره لا يعد فردا الامن قدم اليه قصعه
مكلله لحما مدفقه ثردا ولا يكون منازلا الا الملن قال واني لعبد الضيف
ما دام نازلا يتغدى بجمل ويتعشا بوسقه ما حمل يصرف الى الاكل
بغرانه ويحمل معدته فوق السبع كارع ولا تلقيه قدر الرغيف الا كما
ارتفع عليه قوسه حاجب ابن زراره ولا يقنعه طبخه القدر الا بجميع ما
في الكوارع يتنقل باردب ويأكل كلا سعي او دب تمالح بلد ملح وخوصع
بجمل ويتحلى بعدله تمر ويطب عسل يشرب من اللبن وطبا ويتنقل
بحال الحديقه رطبا القنطار عنده اوقيه والرطل نوابل التغذبه لا يحب
الاسم بلعام وطعمه ولا يأكل مل الطبق الا في لقمه يأكل بالبدين ويشبع
بالعين لم يعرف في طول عمره التخم ولا اخاف الوخم ولا وقع على حيف الماكل

الا وقوع الرخم ولم يأكل جاشاه في شبعه امحا وانما يدخر معه في وعا
ما قرا من الفقه الا كتاب الاطعمه ولا سيال كيف الطريق الا مال
انا ما احب الا الاشيا الحلوه الدسمه لا يعرف ما اعرف منه تبليغو الاسبا
وتحويب عرايش القنابق وقباب الكباب ما احطت به في طعام المحقه
ولا في ماكول الا وعادني لحال كان الله ما خلقه ذا قضى له تقدمه في
هذه الطايفه الطايفه ان يكتب له هذا التقليد ويزاد به طول يده
وباعه للمديد ويمن على ابناء جنسه من طايفه الشيخ ساسان ومن
ياخذ اموال الناس باليد ويأكلهم باللسان ويفعل الفعايل التي يأبطن
بها الا الان زمان الى الاكاسره عاد وينصب النصبات التي لو كان
ابو زيد السروجي حاضرها لما زاد فرسم ان يتقلد امر طايفه الطفيليه
ويعاد اليهم امورهم بالكليه وان يكونوا جميعهم تحت امره المطاع واعوانه
اذا اكل كلما على السماط وخلى الناس من بعدهم جياع ونحو ما يحتاج الى الوصايا
التي يشغله عن الابتلاع وتلهيه عن النهم الذي هو من خلق السباع
وانما نقول له على سبيل الذكرى ونكتفي بالقليل لما عنده من التجربه
فاول ما نوصيه انه لا يقف عند منهل ولا يتوقف في اي شي
تسهل ولا يتخير ليتخير ولا يتذكر اذا تقدم الى الطعام بحقد
من حقد ولا لوم من لام ولا يحسب حساب بقيه من حضر بل يأكل
الكل ولا يبقي ولا ينتظر من غاب ولو كان اسد الغاب ويهاجا
قدامه رماه بالمحاق وعاجله خوف اللحاق واذا قدمت المايده
يذكر اسم الله ليهرب الشياطين وتعفى لياكل معه الملايكه ويحيل
بكل طريق في عدم المشاركه ويجعل مهما امكنه فانه ما يعمر البلاد
وليلف الخبز والادام ولا يعف عن لحس الزبادي وقرقشه العظام
ولا يبالي في خاطر من حرد ولا يترضى ولا يدع شيا مما يطلق عليه اسم الاكل

حتى النار التي ياكل بعضها بعضا وليباكر الغدا فانه مكرمه وملازم
العشا فقد قال صلى الله عليه وسلم تعشوا ولو بكف من حشف فان
ترك العشا مهرمه وليداوم على ما يقدر عليه من هذا الامر ولا يلتفت
لقول زيد ولا عمرو وليأكل ما حضر ويحرص على الطيبات فقد كان
صلى الله عليه وسلم يأكل القثا بالرطب ويحب الحلوا والعسل ويحب الزبد
والتمر ولا اقل ان يكون فيه هذا من السنه ومن يتبع ماكل السلف
وان كان لا يريد الا زهدا كله لا مصور على خاطره ويمثل في ناظره
ثم ليتعهد المهضمات وما يقوي المعده ويزيد لهيب نيرانها المتقده
ولا يدع استعمال المسهلات لتهيئ المعده لمواقع الغذا والعشا
ومواضع الاكل في مطاوي الاحشا وليستعمل اخبار الاكلين من طوايف
الطفيليه المحتالين لما يحصل ولكن من الناس من ينهض الشهوه للاكل
والتحسي واياه والمضغ فانه يطيل المده ويقلل معه مقدار ما يوخذ
من الغذا ومهما استطاع فليحسن الماكل ويحزن صاحب الضيافه
الحزين للاكل ولتصرف شهواته الى ما لا ينصرف وما ينقف على
المعده ويتوقف وبملازم مغلظات الغذا ولا يسمع ممن قال انه
المسموم وليستكثر من لحوم الجمال والجواميس والبقر وما اشبه
هذه اللحوم وكذلك ما رزن من الحبوب ووزن بحبا اضعاف مثله في
القدر المحسوب ودابك ان تعرف موسم كل مجتمع ومكان يرجى فيه
ملء البطن والشبع وصرف اعوانك لتعرف اخبار الاعراس
التي تولم فيها الولايم وبقيه المواضع التي تنصرف عنها بشبعه الطاعم
واسمطه الامرا واكابر الوزرا ومواضع مسا صفات الفقرا والاوقات
التي تعمل الجلاسات الفقها والقرا ومضان الرهان التي توخذ فيها
الدراهم وتصرف غالبها في انواع المطاعم ودعوات الاخوان واهل

النصف ومن يكون على معاد استعده وما الابعد من هذا الوصف
ودور اهل اليسار وكبار العامه والتجار والجندي اذا جا من
الريف وحط هديته عن الحمار والدباب لصنايع الدين فمنهم من
اوى رزقه ومن لا يبلغ اجر عمله في اليوم درهمين ويسفق بعض
الايام الكثير من دينار ومواضع النزه فكثيرا ما يسمح بها مال
البخيل والسيوف التي تطلب اليها المواشط والدايات فان النفقه
منها غير قليل واتم لك رتبه على كل رتبه كل مكان يدق عليه
بالطبول ويتبع من يقدم منهم ليهنيه من يحدق له نعمه او
دفعت عنه نقمه او غير هذا مما تقتضيه الفضول ثم اقصد هذه
المواضع وانبسط بها كل البسط وتذكر ما كتب ساسان على
عصاه ولا تنس الشرط ولف الاوز والدجاج والبط واشرب
بالزبادي المرق ولو انه ملا الشط واحرق كلما قدامك ولو
كان النار والكبريت والنفط وصل صوله الفحل وكل الشهد
وابر النحل ولا تخل جني النحل ولا ما غرست فيه من الوحل
واهجم واسال ولا تنسل ولا تعوق في سد الجوعه بين الصبر
والعسل واذا رايت جماعه فاحدس انهم انما اجتمعوا لطعام
او افرادا فاحرم بانهم يفرقوا حيله للالتيام فاعمل بالحزم
واقتلعم وصمم العزم وانضم اليهم واهجم هجوم الاسد المفترس
وكل كلما بين يديهم وتنوع في الشهوات واقترح ولا تخف من
غضبهم فلا بد انك واياهم تصطلح وقل اكله تكفي سنين
واستكثر بالالاف المبين وقل بلا اكله من عاش اخبر
اهله ومن مات يلقى الله وهو بطين فان ضاقت منك عين
بخيل وان عجل عن الطعام قبل امتلا الخرطيل وبسط اليك

احد بيده ليقتلك او صفعك بالخفاف ونطلك فاحتسب مصابك
واصبر على ما اصابك ولا تهتم لما نزل عليك ولو نزل الماء الاسود
في عينيك وورم وجهك وخلف اذنيك ولا تنتظر هذا الخطب
الجليل الاحقر ولا هذا التعب اليسير البليغ الاعلى باسمى به في
الاصل توقيرا ولا يردك هذا عن فعلك في المستقبل واسمع
من هذه الوصيه واقبل ولا تستكثر حمل الف بعير ولا تستقل
حبه خردل واجمع جنودك على هذه الطاعه وان كانوا لا يجمعهم
منزل وبصرهم بشرف البشر وعودهم ان لا ياتلوا بالخمسه
والكف دون العشر وافتح فمك والتهم واوسع بطنك واضطجع
في السماط واضطرم واستند على البخيل وانتقم وانحل في هذا
محل من لا يحتشم ولا تخاف انه يبتسم وابرك في المايده وارتطم
واضرب للعجله وجهك بيديك والتطم وحافظ على هذا واستدم
واستعمل طعوم الموايد واستنتم ولو فسك بخفه البعير نزله
منزله القرص الكبير واهجم على الرغيف ولو انه الغريف وتهاجم
على الهريسه والاشل وادخل الطعام على الطعام ولو فسد دوابك
البخلا على اموالهم ولا تفكر في احد وطالب من لا لك عنده شي ولا تنحرك
من مجلس واضرب الجبن بالجبن وكل السخله والكبش والجدي
والتيس وكب جموع رسعه على مصر ولمن على قيس ولا تلح في مساعده
عدل عادل ولا يرد يدك منع بخيل ولا بذل باذل ولا تبعث على الما
لتسويغ الغصص وازداد الطعام به في القفص وعليك بالعبايم
واياك والرخص واحذر كل الحذر من الكسل والتواني والقعود عن
المواضع التي يطلب اليها القرا والمغاني فان كل هذه المظان المظان
التي يتسلط فيها السكين على الضان فما كل وقت يصح وليمه ولا اكل حين
تمضي

تمضي عزيمته والانسان الشاطر من كل اكل البهيمه وما كل وان
يتبع الاكل دار مضيف يحلها ولا يبع في جفان جفان اكلها دايم
وظلها فلا يوخر يوم سرور ينتظر له غدا ولا يستبدل العشاء من غدا
ولا يفوت دعوه كريم لضيف بديه في داره ويقول وكلا منها رغدا ومرا عواتك
فليحمدوا الله الذي اطعمهم من اموال خلقه وجعل ايديهم يعاجل يد صاحب الطعام
في سبته واوصهم بالشكر وقل لهم فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه والله تعالى
يتعهدها وهبه من بطن لا يشبع ونفس ادي من نفس اشعب الطماع والطمع
وسبيل كل واقف عليه الانتهاء الى ما يتقدم به من الامر وسلوك مسلك اصحاب
اي نعامه معد حتى ياكلوا معه الجمر ومن خالفه منهم يسقط من جريده هذا الحساب
ويوقف ورا الحجاب وادب بين الطفيليه ادبا يبقى به اعجوبه ويترك في مكان
يبصر الناس منه ياكلون ولا يصل اليهم وكفاه هذا عقوبه والاعتماد على الخط الكريم
اعلاه ٥ وعنوان قوله في النظم

ان كنت خنتك في الموده ساعه … فذممت سيف الدوله المحمودا
وزعمت ان له شريكا في العلى … وجحدته في فضله التوحيدا
قسما لو اني قد حلفت بغيرها … لغرمت دين ما اراد مزيدا

وقوله

قلم يغل الجيش وهو عرمرم … والبيض ما سلت من الاغماد
وهبت له الاجام حين نشا بها … كرم السيول وهيبه الاساد

وقوله

حملوا قلوب الاسد بين ضلوعهم … ولووا عمايمهم على الاقمار
وتقلدوا يوم الوغى هنديه … امضى اذا انتضيت من الاقدار
قوم اذا لبسوا الدروع حسبتهم … كسحاب غيث ممطر بنهار
ان خوفوك لقيت كل كريهه … او امنوك لقيت دار قرار

وقوله وقد شكا وجع المفاصل

وجع المفاصل وهو اخر ما لقيت من الاذى
ترك الذي استحسنته والناس من حظي كذا
والعمر مثل الكاس يرسب في اواخره القذى

وقوله

والنقل من فستق حديث رطب تبدا به الجفاف
زمرد صانه حرير في حق عاج له غلاف

وقوله

وللسر فيما بين جنبي مكمن خفي تضي عن مدارج انفاسي
كاني من فرط احتفاظي اضعته فبعضي له واع وبعضي له ناسي

وقوله

لقد فاوضته وسددت اني لا مانع احتراسي واحتياطي
عجبت لانه اذ فطنته لقد وضعت حزاها في القماط

وقوله

اذا لم يكن بد من الموت للفتى فاروحه الاوحى الذي هو اسرع
فكن غرضا بالعيش لا تغتبط به فحصوله خوف وعقباه مصرع

وقوله

حتى اذا داع دعاه الى الهوى اصغى اليه سامعا ومطيعا
كذبالة اخمدتها فكادنا منها الضرام تعلقته سريعا

وقوله

قد كنت طلقت الوزارة عندما زلت بها قدم وسا صنيعها
وغدت بغيرك تستحل ضرورة كيما يحل لها اذاك رجوعها
فالان عادت ثم آلت حلفة لا تبيت سواك وهو ضجيعها

وقوله

وقوله في مجمرة

وقبة ذات حدود اربعه مبنية بنا راس الصومعه
في درعها ضيق وفي الطيب سعه حالية كالعاتق المصنعه
مرفوعة لفتية مجتمعه من شاء ان يخلو بها خلت معه
صبت عليها خلع مسرجعه ملث فيها ام تعرى مسرعه

وقوله

اقبلت ثم قبلت ظهر كفي قبلة تنقع الغليل وتشفي
فعضضت اليد التي قبلتها بفم حاسد يريد التشفي

وقوله

فلا تحد لحمي غدا تشعه وتحسب جهلا ان سيمريك اكله
فقد يكسب الفيل المعظم عقرب فتقتله من بعد ذلك نعله

وقوله

ما زلت امل فتح امل مذ سيرت تلك الجحافل
لله ما نطق اللسان به وارومات الانامل
واستحكمت اسبابنا تلك العوائق والكواهل
فقطعنا بفرى الكلى وضرابنا يبري المفاصل
بل ابرد حرحر وبنا في كل صدر ذي بلابل
ابدا ترينا في الاواخر ما اقترحنا في الاوائل
فامدد يديك لما ادنى ولما نأى في الكل حاصل

وقوله وكان شيخنا ابو الثنا يستحسنه

اقول وقد جردتها من ثيابها وعانقت منها البدر في ليلة التم
وقد الصقت صدري بشدة ضمها لقد جبرت قلبي وان اوهنت عظمي

وقوله

قال لابن نصر قول من سمع الاذى منه وشتمه
يا ليت من خفر الكنيف بوسط وجمل منه ضمه

وقوله

يصف الجوزا بين الشعريين
وقد تجلت الجوزا بينهما كأنه جنة مضروبة العنق
ورام اخذ الثريا وهو يحسبها خريطة سقطت للاي من الورق

وقوله في النخل

صفرا كالورس جانبها بفوق سعاعها كالذبال بانلق
كانها في كف من اتاك بها اضحى نهار في وسطه شفق

وقوله

بين فكيك يا ابن نصر مضيق فيه بالشم للمنايا طريق
فاتق الله في الورى وتلثم اي نفس لبعض هذا تطيق

وقوله

اذا كنت قد ايقنت انك هالك فما لك مما دون ذلك تشفق
وما يشين المرء ذا الحكم انه يرى الامر حتما واقعا وهو يقلق

وقوله

بكى المطفر من افراط فرونه فكل من ابصرته عنه ضحكا
كانها اذا ابدت والابن راكبها روق يصيد عليها سالخ سمكا

وقوله

ايها النائح الذي يتصدى بقبيح بقوله لجوابي
لا تؤمل اني اقول لك اخسا لست استحق بها الكلاب

وقوله

عظمت قرون المطفر حتى اعجزت كل باطن يشتهيها

غيبت ابره فلم يبق الا نبشه منه ربما تذريها
كالسلحفاة حين تطلع راسا فاذا اوحشت تراجع فيها

وقوله

ابا الخطاب لو اني يقين بمطر الفاع ببغا في نعاتي
لا لن يمكن الوفا وصال رمسي وكف تجيز هجري في حياتي

وقوله

قال الشريف المنتمي للغدر من سرواته
شاد الالي لك منصبا فوضعت من سرفاته
والعود ليس باصله لكنه بنباته
والما يفسد ان خلطت اجاجه بفراته
والحق من نكسته بالصغر من درجاته
من مجده من غيره وسفاله من ذاته

وقوله في امام الخبز

يا من يصلي صلاة يشد يطول في اثرها قنوته
ان كنت تبغي الثواب فاسكت رب فم اجره سكوته

وقوله

والجمر اعادي بني بويه بالسيف في جملة الاضاحي
فالكل منهم دوو قرون تصلح للذبح والنطاح

وقوله في غلام له

ومحروره الاحشا تحسب انها متيمة تشكو من الحب تبريحا
تحرق فيها العود عودا وبداه فتاخذه جسما وتبعثه روحا

وقوله

قبلت منه فما مجاجته تجمع معنى المدام والشهد

برد

كان مجري سواكه برد وريقه دوب ذلك البرد

وقوله

وقالوا الخد اخرى سواها لعلها تنسيك ذكراها التي تتردد

فقلت لهم بعدا وسحقا لرايكم اقلع عيني حين تدوى وترمد

وقوله في ورده

حمرا مصفرة الاحشا ناعمة طيبا تخال به في الطيب عطارا

كان في وسطها تبرا تخالطه فيض مضوم من اوراقها نارا

وقوله العمرا

وهبت له عمر الشبيبة صحة واكرم بدى جود اذا وهب

فما الميت للزمان ملة فزعت اليه والتمست به النصرا

فصم ولم يسمع ندا ولم يجب دعا كانى به استنطق صخرا

ورقت صروف الدهر لى من صنيعه فاصبحت اشكوه واستصرخ الدهرا

وقوله

مازلت في سكرى المح كفها وذراعها بالقرص والاثار

حتى تركت اديمها عرس البنفسج منه في الجمار

وقوله

ومن طوى الخمسين من عمره لاقى اموراً فيه مستنكره

وان تخطاها راي بعدها من حادثات النقص مالم يره

وقوله

ان نحن قسناك بالغصن الرطيب فقد خفنا عليك له ظلما وعدوانا

لان احسن ما نلقاه مكتسيا وانت احسن ما نلقاك عريانا

وقوله

يا من بدت عريانه فرات كل الحسن منها

كانت

١٣

كانت ثيابك عورة فسترت بالتجريد عنها

وقوله

خضاب تقاسمناه بيني وبينها ولكن شاني فيه خالف شانها

فيا قبحه اذ حل مني مفرقي ويا حسنه اذ حل منها بنانها

وقوله في اصطرلاب اهداه

اهدى اليك بنو الاجلال واختلفوا في مهرجان جديد انت مبليه

لكن عبدك ابرهيم حين راى علو قدرك عن شئ يدانيه

لم يرض بالارض مهداه اليك فقد اهدى لك الفلك الاعلى بما فيه

وقوله

يشتهي النذل ان يكون كريما فاذا سيم ما اشتهاه اباه

فهو مثل الغنين يشتهي النيك ولا يستطيعه ان اتاه

وقوله

ومن العجايب انني هناته وانا المهنا فيه بالنعماء

وقوله

يا ذا الذي جعل القطيعة دابه ان القطيعة موضع الريب

ان كان ودك في القطيعه كاننا فاطلب صديقا عالما بالغيب

وقوله

صد عني مستعدياً بالغوالي وجفاني كعادة الاحباب

كل يوم يروع قلبي بشي من نحسه لم يكن في حسابي

وقوله

لين صرت جليس البيت خلف جداره فبالاسس مني مستعد النجايب

كذاك ابو الاشبال كم مر مرصدا ولابد من ان يعتدي وهو ايب

وقوله

توزد دمعي يا سنوي ومدامتي فمن مثل ما في الكاس عيني تسكب
فوالله ما ادري ابالخمر اسبلت جفوني ام من دمعتي كنت اشرب

وقوله

سالت عنه مجلسا قامه قد كان حلكولا له معجبا
فقال ما قولك في مدخل وجدت منه مخرجي اطيبا

واما مهذب الملك بن النافض كان سيف الدوله نكان يكتب في ما محمد بن ابي مهذب بن الفاض

ساله بل كان المعول له والمخول في كل ما ملك وكان يعجن مداده بالمسك
ولا يليق دواته الا بما الورد وكان شعلة لا تطفي وبارقة لا تخفي بذهن
متقد وفكر متقد الا ان مادته مقصوره وجادته محصوره وبدايعه كثيره
على قلتها يسيره اذا قيست اليها النجوم بجملتها ارضى سيف الدوله بن حمدان
وامضى عزايم رايه وقد نعس الفرقد ان نتقدم امام الكتاب ولواو
منصعد وعدوه ببيانه كالليل بالكوكب الدري منحور وله نثر
منه قوله وقد علم الدمستق مواقع سيوفنا منه وايامنا
الماضيه معه وانه ما تحامل الينا الا على ظلع ولا انثنى حتى رجع وها نحن
منتظره اما القطيعه واما الوقيعه والسلام ومنه قوله
وانتم احوج يا طلب الفدا لاساراكم منا اليه واجدر اذا استهمت رماح
الحملان عليه لانكم ترعون به بكثر من قتله وتعززا من رد له ولسنا كذلك
انا لا نا سف على من نقص من عدد ولا نبالي لمن امسك من مدد ثقة بما عود الله
من النصر وانى من الاجر بالصبر ومنه قوله وررنا
والارض كالدبابات الطواويس والطير زجله كاصوات النواقيس
وقد اهتز الشجر وكللا لسان المطر والطرف قد رتع كالطرف في ملك
المبادين والنسيم قد ضمخ من شذا تلك البساتين فلم تكن لنا امنيه الا ان
زال ونثري ملقابك سقى ثراك ومنه قوله وقد اطلتنا يومين

وهذا

وهذا انا لك واعطتني عهدين وكنت الناكث فهل ابتدعت ما ابتدعت اوكان لك
عليه باعث فيا قسيم روحي ويا نسيم صبوحي ها قد آن العتوق الا انه يقرقف
من شفيك وكاس عينيك ووالله لا شربت الا على آس عذارك وورد خديك فابرد قسمي
ورد الجواب من فمك الى فمي وسياتي ذكر ابيه في
الشعرا وبه كانت لابنه هذه المكانه من سيف الدوله وكلاهما اغنى هذا واباه
ذو تيه وصلف وكلاهما من صاحبه خلف

واما الحريري ابو محمد القاسم بن علي بن محمد بن عثمان صاحب المقامات
فانه فيما سواها ما قاربها ولا داناها حتى عجز عند الامتحان عن كتابة كتاب
اسر به على ما وسع من تلك المقامات ووسع من تلك المقالات
وبرع في ذلك المذهب وعرف له من الحريري المذهب هذا والدهر من رواته
والناس سواء في عدم مساواته وهو ماله اهل الادب والذي ينسلون
اليه من كل حدب الا انه لم يقدر ان يكون مكلفا ولا استطاع ان يكون لغير
امالي خاطره متلقفا وهذا مذهب غير مذهب كتاب الانشا المكلفين
اتباع غرض غيرهم حتى يقسروا خواطرهم على ذلك على ان الرجل فضله
عظيم ومثاله الدهر به عقيم وقدره جليل ونظيره قليل منبع الفضايل ونبعتها
وصيت الفواضل وسمعتها يوقنه الاعدا سماما والاوليا سهاما وكان
معدن مايل وموطن كل طايل باري عرف ريش وبري وحش ولست خاطره
وبحري امر ما لم يستطعه الاوايل واحرز قصبات السبق على كل وايل وكان سبب
وضعه للمقامات ما حكاه ولده ابو القاسم عبد الله قال كان ابي جالسا
في مسجده بني حرام فدخل عليه شيخ ذو طمرين عليه اهبة السفر رث الحال
فصيح الكلام حسن العباره فسالته الجماعه من اين الشيخ فقال من سروج
فاستخبروه عن كنيته فقال ابو زيد فعمل ابي المقامه المعروفه بالحراميه
وهي الثامنه والاربعون وعزاها الى ابي زيد المذكور واشتهرت فبلغ خبرها

الوزير شرف الدين ابو نصر انوشروان بن خالد القاشاني وزير المسترشد فلما
وقف عليها اعجبته واشار اليه ان يضم اليها غيرها فاتمها خمسين مقامة
والى الوزير المذكور اشار الحريري في الخطبة فاشار من اشارته حكم
وطاعته غنم الي ان انشي مقامات اتلو فيها تلو البديع قال ابن
خلكان ورايت في سنة ست وسبعين وستمايه بالقاهرة نسخة مقامات
بخط الحريري وقد كتب ايضا بخطه على ظهرها انه صنفها للوزير جلال
الدين عميد الدولة بن صدقة وزير المسترشد ايضا قال ابن خلكان
ولا شك ان هذا اصح من الرواية الاولى لكونه بخط المصنف والله اعلم
واما تسمية الراوي بالحرث بن همام فانما عنى نفسه وهو ماخوذ من
قوله صلى الله عليه وسلم كلكم حارث وكلكم همام فالحرث الكاسب والهمام
الكثير الاهتمام وما من شخص الا وهو حارث وهمام لان كل احد كاسب ومهتم باموره
وكان الحريري قد عمل من المقامات اربعين مقامة وحملها الى بغداد وادعاها
فقال جماعة من ادبا بغداد ليست من تصنيفه بل هي لرجل مغربي مات
بالبصرة ووقعت اوراقه اليه فادعاها فاستدعاه الوزير الى الديوان وساله
عن صناعته فقال انا رجل منشي فاقترح عليه انشا رسالة في واقعة
عينها فانفرد في ناحية من الديوان واخذ الدواة والورقة ومكث زمانا
لم يفتح الله عليه بشي من ذلك فقام وهو خجلان وكان من جملة من انكر دعواه
ابو القاسم علي بن افلح فانشد شيخ لنا من ربيعة الفرس ينتف عثنونه من
الهوس انطقه الله بالمشان كما رماه وسط الديوان بالخرس وكان الحريري
يزعم انه من ربيعة الفرس وكان مولعا بنتف لحيته عند الفكر وكان يسكن
في مشان البصرة فلما رجع الى البصرة عمل عشر مقامات اخر وسيرهن
واعتذر من عيه وحصره بالديوان بما لحقه من المهابة وللحريري عدة تصانيف
طريفة لطيفة كدرة الغواص وملحة الاعراب ويقال انه عملها لجواري الخليفه

نكن

فكن تحفظها ونقرا المستحسن مما قلت وهي ما حوت من العلم سهله الماخذ كانما
شعرها غزل ولو لم يكن منه الا قوله
ولن يطيب الوصل حتى يسعدي يا هند بالوصل الذي يروي الصدي
وله نظم ونثر في غير المقامات ومنها قوله نثرا
ولما استخدم الخادم فيما اهل له انفا اعتمد في الخدمة ما تهيب قلم الافصاح
عنه وتعرف بان سعادة الديوان العزيزي التي سننت ما نسيت منه وتقدم
له الوعد بانه عند تصفح مساعيه ليمنح من المساعفة بما يرتجيه ولم يقدم قلمه
على التذكير بالوعد الشريف الا بعدما انطقه لسان التوفيق للخدمة
وكفل له بمزيد الحظوة من النعم فان اقتضا الارا العلية انجاز موعده
كان ذلك انعاما يقع عند معترف بوقعه مستنفد في الطاعة غاية
وسعه ومنه قوله لولا اخبرني بفضله السائر
وانعامه المجد الغامر لاستربت فيما يحكى ولامتريت فيما يروي ولكن
ما خلا عصر من جواد ولكل قوم هاد فانه ابقاه الله وان تصدت
الاحوال وتشعبت الاقوال كالغمام لا ينقطع سقياه ولا يستطيع
احد برد حياه وللراي الشريف مزيد علوه في الانعام بتناول ما اوضحته
والتطول بما اقترحته ومنه قوله رزي تساهم
فيه الانام واظلمت ليومه الايام واستغرب عنده الحمام وعزي
فيه الدهر بكافل ابنائه وندب فيه شقيق السحاب فاستعبر بدموع
انوائه ومنه قوله وصل من المجلس ادام الله
سعوده وكبت حسوده كتاب اتسم بالمكرمة الغرا واتسم عن النعمة
العذرا ووجدت بما احتفى من الجميل واتحف من التجميل ما كانت اطماعي
تهفو اليه وامالي تحوم حواليه اذ مازالت مذ استملت وصف المناقب
الشريفة ابعث قلمي على ان تفاتح وان نكون الراوي والمادح وهو ينكص نكوص

البوبه وينكل نكول الكهام عن الضريبه الى ان بدت وهديت ورايت كيف يحيي
الله ويميت فلم يبق بعد ان انشط العقال واستدعى المقال الا ان انقل
الثمر الى هجر والهشيم الى الشجر فاصدرتها متشحة بالخجل مرتعشة
من الوجل وانا معترف بالتقصير معتذر باللسان القصير ولكل امرئ ما
نوى وان تعفوا اقرب للتقوى ومنه قوله
ولعل الايام تسمح بمتعة الملاقاة فاجعلها عزة الاوقات واعظمها
كتعظيم حرمة الميثاق وهواذا الحقني بسطرين في كل شهرين يكون
قد امطاني رتبة تضاهي النسرين واولى نعمة تبقى على العصرين ومنه
قوله يهني بشهر رمضان
انت في الناس مثل ذا الشهر في الاشهر بل مثل ليلة القدر فيه
اسعد الله المجلس بمقدم هذا الشهر ومطلع هلاله المنيف وهذا دعا
لو سكت كفيته رسول ولله الحمد اوتيته ومنه قوله
اذا كانت المودات حرس الله عز سيدنا انفس المرام المخطوب وانفع ما
اقتني لدفع الخطوب فلا لوم على من استسنى قدمه لخطبتها واستغلق قلمه
لطلبتها لاسيما اذا كانت تعجب المتامل وتسعف المؤمل هذا وانا مع المغالاة
في الموالاة وعلى هذه الصفات من المصافاة اعترف بوجوب معاتبتي
لتصور مكاتبتي واعتذر من عظيم هفوتي لتمادي جفوتي ولولا ان
لمفاتحة حضرته وقفة المتهيب وخجلة المقطر من الصيب لما استهدف
قلبي لمرام الملالم ولا ستنكف ان يكون سكيتا في حلبة الاقلام وها هو الان
قد اقدم اقدام الواقح وتعرض للانتصاح فان رزق بالقبول تحسينا
او لمصالحة بله تزيينا فقد فاز فوزا عظيما وحل محلا كريما وان له الان
وقد عصيت من قبل فما قيل الا بما هو له اهل
ولربما استيأست ثم اقول لا ان الذي استشفعت منه كريم

ومنه

ومنه قوله ولم يزل الخادم يستملي من ابنا الكرام الطاهرة
والفضايل المتظاهرة مايود لو سعد بروايته وترف اسماعه في روايته
ويوقن معه ان الله اعلم حيث يجعل رسالاته ويخص بكرامته وفدا اقدم
الان بعد احجامه في استخدام اقلامه فان رزق من الاعجاب الشريف
ما يحقق التاميل فهو المظنون في كرمه البديع وطوله الوسيع والا
فللخادم حرمة من احرم وقصد طلب النصح فلم ينصر والله تعالى لا
يخلي المجلس من ماديه واسترقاق الاحرار بايديه ومنه قوله
سطرها الخادم وهو متمسك بالولاء الذي تمسك بحبله والدعا
الذي هو جهد مثله والثنا على صنايعه التي طالما ابكى بها واضحك
الامال وفضله ان تتعهد بعواطفه التي تحقق الامل ومجاراته على حسب
النية لا العمل ومنه قوله
اصدرت هذه الخدمة واليد تنكل عن مطاوعة القلم لهذه النازلة
التي اصم نعيها السامع وهون وقعها الفجايع
فلا قلب الا قد تبان صدعه ولا عين الا وهي تذرف بالدم
ومنه قوله
وهنا بالنجاح كلما عسنا الى ضونار وانتجع صوب امطار
وسمع اخبار كرمه فاهتدى الى قصد الكريم باخبار ومنه قوله
وحبس عليه المدائح التي حازها بالاستحقاق واستخلصها بكلمة
الانفاق ومنه قوله
وما زال متصفا من الكمال بما لا يقبل معه مزيدا ولا يستطيع خلق
ملابسه تجديدا خلقا دان الخلق لعجزانه وقصرت الافعال عن تحقيق
صفاته والله اعلم حيث يجعل رسالاته ومنه قوله
واشتاق الى تلك الالفاظ المغسولة والمعاني المشمولة التي تبل

باعطافها انشوة الفصاحة ويفتر عن محاسنه شفاه الرجاحة ولاجرم
انها قد شغلتني ان انطق بمنثور ملفق او منظوم منقح ومنه
قوله وكتب الخادم هذه الخدمة اواخر شعبان عظم الله لدى
مولانا فيها من تعتيضه وبركات تعاليه جعل الايام كلها مواسم
مساره وصحايف مباره ومعالم ماثر الحسان واثاره ومنه قوله
من شيم السادات حفظ العادات فما بال سيدنا اغلق باب الوصال
بعد فتحه واصلد زند الايناس عقيب قدحه واوردني اولاً شريعة
بر ثم اجلاني عن شاطي بحره ان كان لملل فانا انزهه منه او لزلل فاستغفر
الله منه ولعل سيدنا يعود الى عطفه الكريم ويروح قلبي بمواساته الاريج
النسيم واذا كرم عند عرض ما كسبه بما يحسن به الجلوة ويجلب به الحظوة
سكرت العارفة الحلوة ومنه قوله جعل الله الدولة
القاهرة موثقة العضا مشرقة الانار ممنوحة الاطالة ممدوحة الاياله
ولا اخلاها من ماثر تروى عنها وتوثر ومنقبة تذكر على تعاقب الازمنة وتشكر
ولا زالت معطرة الازمنة حالية بالمناقب البينة متلوة الاوصاف بجميع الالسنة
مبثوثة المدايح بكل الامكنة واسبغ على اقطار البلاد من عواطفها ما اضحك
مباسم الظنون وحل كالغيث المتون ولا برحت ايامها ممتدة الملك محفوفة
بالنهاية المستجدة واورف ظلها على الخلق واعلى كلمتها التابية بنصرة الحق
ما درت الشهب ودرت السحب وشهرت العضب ونشرت الكتب
واستهلت الاهلة واستهلت الانوا المهلة ومنه قوله
وصل الى العبد ما اهل له من مدارع التشريف الذي احيا رتبته وجلا
غمته واتخذ ذخرًا لاعقابه وذخرًا لمآبه وهو يرجو ان يقابل سوابغ
النعم بما يجب من الشكر بلسان الخدمة وسيتضح من مساعي الخادم ونصايحه
تاثير شكر جوارحه ومنه قوله

ولوان

ولو ان انفاسي اصبن بحرها اذاً كاد الحديد يذوب
ولو ان عيني اطلقت من بكايها لما كان في عام الجدوب جدوب
لي من الاشتياق الى الخدمة ما يصدع الاطواد فكيف الفواد وهوى بالجبال
فكيف البال ولولا التعلل بترجي اللقا لقيل عنه لك يا مولانا طول البقا
الا انه يستدفع الخوف بسوف ويزجر الايس بعسى وهو على جمهم اذا شاقديس
ومنه قوله المراتب تتفاضل مراقيها تتفاضل راقيها
وتتفاوت معاليها بتفاوت من يليها ولولا ما يعلمه سيدي من وظايف
الخادم في التوفر على الدعا لما سبقه الى الخدمة قدم ولا تزحزح عن تهنيته
ثم فمنح الله نعمًا وهبه من المعالي واحله من مقاماتها في المكان العالي
وبارك له في وصل عقيلتها التي تغتبط بوصله وتقول الحمد لله الذي احلنا
دار المقامة من فضله وهو اعزه الله محل قدره ان يهنى برتبة وان علت
ويرخص عنده قيمة كل خطوة وان غلت فليهن الانام ما تجدد له من المرتبة
المنيفة الذرى والمهابة التي خضعت اعناق الورى والله لا يخليه من
زيادة يستمدها وتهنية يستجدها ومنه قوله
وشكري لما اولى من مكارمه يوفي على شكر الروض للوابل لصنيع الوابل
بل شكر من اطلق من اسره وجبر بعد كسره ولو نهض بالعبد القدمان
او اسعده الزمان لقصد الباب العالي ولو على الاجفان وقام في زمرة
المداح بتلو صحف الشكر باللسان ولما قصرت به الخطوة عن هذه الحظوة
اقدم على ان اهدى الورق الى الشجر وبيض من مدايحه شعرًا كبياض الشعر
هذا على ان ذنب المعترف مغفور والمجتهد وان اخطا معذور ومنه
قوله طال ما شجع الخادم قلمه على الافصاح ولا به فنكص
الى ورايه واحجم للتهيب عن انهايه وقد اقدم الان على ان ابان فان
اسعد بجواب يبهج بتامله فقد حصل على مومله وان رجع بصفقة الخايب

وطرد طرد الغرايب فلربما منع الكرام وما به بخل ولكن ليتوحظ الطالب ولعله
يرفع الطرف ويشرف في الجواب ولو بحرف وعليه سلام الله ما خطت
اقدام وخطت اقلام ومن شعره

قال العوادل ما هذا الغرام به اما ترى الشعر في خديه قد نبتا
فقلت والله لو ان المفند لي تامل السحر في عينيه ما ثبتا
ومن اقام بارض وهي مجدبة فكيف يرحل عنها والربيع اتا

وقال وقد اتاه رجل اتاه لسمعته فلما راه استزراه

ما انت اول سارٍ غره قمر ورايد اعجبته خضرة الدمن
فاختر لنفسك غيري انني رجل مثل المعيدي فاسمع بي ولا تراني

واورد له عماد الدين الكاتب في الخريدة

كم ظبا بمحاجر فتكت بالمحاجر ونفوس نفايس حرثت بالمحاذر
وكم خاطر هاج وجد الخاطر وعذار لاجله عاذلي فيه عاذري
وشجون تضافرت عند كشف الضفاير

فهذا مقدار كاف في القسم الاول من مشاهير الكتاب الذين
عظم صيتهم ولا غوص لهم فاما هذا الرجل اعني ابا محمد
الحريري فانه على ما رايت النموذج كلامه هنا قليل الغوص خلاف
مقاماته فانه فيها كمن طاب الروض يجني زهرها وصعد السما
فاقتطف زهرها وانما تركت اختيار شي له منها لشهرتها ولانها صارت
كتابا بذاته لا تعد في سلك ترسلاته وبينهما في حسن الكون ما رايت من
هذا البون على ان ما اوردت له من هذه الرسايل هي الفرايد التي لا تقاوم
والفوايد التي تغني من يتعلم متماثلة في توفيه الاعراض مغازلة كالجفون
المراض سهلة على فهم المتناول قريبة لابناء الهايد المتطاول ٥ واما
القسم الثاني من اصحاب الغوص فسنذكرهم على ان حكم اكثر الكتاب القدما

حكم العرب كلاهما له فضيلة السبق وفتح الطريق وحكم المتاخرين منهم حكم المولدين
من الشعراء في توليد المعاني والمجي باللطايف وتدوشحوا اصناعتهم بالاستعا رات
الصحيحة والتشبيه والاستخدام والتوريه وانواع البديع وتناهوا في
التدقيق والتعميق وتباهوا في التخييل والتحبير وقيدوها بالاسجاع
والزموها كالقوافي فلم يعزها من الشعر الا الوزن فاحملوا الاوايل واعدوا
كل قايل والموا الفن وكملوه وزينوا الفضل وجملوه وهذا مكان للمغرب
فيه مع المشرق مجال وميدان له في فرسانه رجال وهو في هذا غير
ممنوع ولا مدفوع لكنه فيما تقدم المايه الرابعه لا يذكر له في هذه الفتيه فيه
ولا تظهر له هيئه ثم ما عدم في هذا الشان ما اوهن زجاج حاسده
واشرق بغصص الدمع شان معانده ولا نقول هذا على ان للمغرب
بهذا المزية على المشرق ولا انه سلم اليه في هذا الحق وانما نحن بصدد
انصاف وما بعد في ما بين الغرب والشرق في هذه الفضيله
ولا نجحدان لذمش نعده هنا وسيله والا فالمشرق من كتابه المتاخرين
من اقتطف الزهر والزهر وجرر ذنه على المجره والنهر والى بما هو
اضوع من العبير واضوا من جبهة القمر المنير واردوا غدر البلاغه
فشربوا ازرق نطافها وساموا رياض البراعه وشرعوا في قطافها
فولدوا المعاني واخترعوها وابتدوا احسن الطرق وابتدعوها
وفتنوا الالباب بكلامهم الدر ولفظهم الرقيق الحر وادعى قول نقول له
الحق ان من لدن المايه الرابعه وهلم جرا اهل المغرب في هذه الصناعه
اكثر رجالا واهل المشرق ابرع رجالا وانما اردنا بتقدم من قدمنا ذكره
من الوزرا والكتاب وان لم نكن مما نوثر عنهم مما يناسب درة كله نظم
هذا السحاب لاثبات الفضل للمشرق على المغرب في تلك المدد الطوال
والسنين الحوال فان المشرق كان معمورا لمثل هولا والمغرب فقد بباب

اكثر منه تعول له وما كنت تدري ما الكتاب على ان هولاء القدماء
وان لم يدخلوا في الغوص من هذا الباب ولا اتوا باللب اللباب فما
فاتتهم سابقه فضل في فضل ولا قصرت بهم رايه عن غايه وفي اثناء
ما ذكرناه دليل لولا الاكتفا به لبيناه مع سعه نهد المقدم و التقدم
في دول الخلفا والتقرب في خواطرهم الى محل الاصطفا وما اجري لهم
من الارزاق او جري لهم من الاموال واقلها خراين والاقطاعات
واصغرها مداين والصفقات واهونها قناطير مقنطره والعطايا
وبعضها جمل مستكثره والدوله الزاهره وكانوا طوارها والصوله
القاهره وكانوا ادارها واساد ها والخلافه وكانوا عمادها والامامه
وكانت اقلامهم سيوفها والسيوف اغمادها والمفاخر وقد جمعوا
شتيتها والماثر وقد استطابت على مطارف السحاب مبلتها
واغتنام الايام وصنايع ملكوا بها رق الاحرار والطافوا بها على
الاكباد الحرار فيا ايها المباهي للشرق بالمغرب والمباهل في
هذا الفضل المغرب ها قد قلنا لك بعض ما عندنا فقل لنا كل ما
عندك وارنا نارك ان كنت تخرق واقدح زندك ۝ فاما
ما نذكره لاصحاب الغوص قديما ونصل جناحه بالمتاخرين فنستغص
به حلوق المفاخرين ونقتدي عنهم في الاخرين ونخرهم للاذقان
على وجوههم داخرين وها هنا ذكر القسم الثاني فمنهم ابو
الفرج عبد الواحد ابن نصر بن محمد القرشي المخزومي المعروف بالببغا
فهو راس الجماعه ورئيس القوم في البضاعه ما قصر في حسن تشبيهه
عن ابن المعتز ولا في ديباجه لفظه عن البحتري ولا في احكام معانيه
عن ابي تمام ولا في كثره تنويعه عن ابي نواس علم لا يخفى وعلم لا يخفى
عرس اداب مخضل النبات مخضر الجنات راي المجد هضبه ناناف

راسها وحلبه فاجرى افراسها فطرف بطارفه التالد وشرف بطارفه
الوالد واحيا شرف مخزوم وقد فرع عمر عمرو ومات خالد توفي الببغا
سنه ثمان وتسعين وثلثمايه ۝ ومن كلامه يصف حمام
مخططه يستطيل بياضها في حلل ستطيل من اعضايها ويستدير
فيما يستدير وهذه الاثان ما خرجت عن العادات وخالفت
الموصوفات بالطافه في كمال الصنعه بافصح لسان مشتمله على غرايب
الاحسان انفس مدخر واعزب موشي والحسن مركوب والطرف
محبوب والعز موجود والبهر محدود كانما وسمها الكمال بنهايته
او لحظها الفلك بعنايته فصاغها من ليله ونهاره وحلاها بنجومه
واقماره ونقشها ببدايع اثاره ووشي روضها ببايع ازهاره
ورمقها بنواظر سعوده وجعلها بالكمال احد حدوده جامعه
شيتها بالقسمه والتركيب بين زمني التشبيه والمشيب قيد
الابصار وامد الافكار ونهايه الاعتبار بستان بسوح
وروضه لمرح منزه عن الحلي عطلها مزريه بالزهر حللها احلى جنسها
وعالم نفسها صنعه المنشي الحكيم وتقدير العزيز العليم فتبارك
الله احسن الخالقين ۝ ومن قوله
في اسطرلاب اهداه اجل الهدايا يا سيدي اطال الله بقاك
موضعا والطفها من اللطف بها موقعا ما لايم الاختيار ووافق
الايثار وكان العقل احص بفايدته والفهم احظى بيمن عايدته
ولما كنت ايدك الله ممن لا يتوصل المتوصل اليه الا بما ينفق العادة الحكمه
عليه اثرتك وفقك الله ببرهان الحكمه ونسبها ومدار الفلسفه
وقطبها ومرشد الفكر ومناره وميزان الحس ومعياره ونافي
الشك ومزيله وشاهد العلم ودليله ومصور الهندسه وممثلها

ومقسم البروج ومعدلها وموقف النجوم ومسيرها وجامع الاقاليم
ومدبرها مراه الحبك وصوره الفلك وامين الكواكب وحد
المشارق والمغارب مما اخترعت العقول تسطيحه واتقن الحساب
تصحيحه وتمارت الفطن في ترتيبه واصطلحت الحكما على تركيبه
فاوضحت باليقين تقسيمه وابانت بالكتابه قلمه ورسومه الى ان
شافهنا بالارتفاع على بعد مسافته وحصر متفرق الانوار في
مجرى عضادته واحتوى على قطري الشمال والجنوب واطلع
باللطف على جنبات الغيوب متعك الله باستخدامه واسعدك
بمواقع احكامه واغناك بالتوفيق عن ما يستمده منه وبالخير
عن الاختيارات الصادره عنه وقد انست وحشته من تجهلك
بسكنه ورددته من ذكايك الى وطنه فان رايت ان تذيله من
الانعام الصلته بصفا بصيرتك وتقره في اصح فولد ومن كنف
فطنتك فعلت ان شا الله تعالى ومنه قوله
يستهدي دواه من الابنوس بالانتها ولعل المولى ينعم بدواه يكون
للكتابه عمادا وللخواطر زنادا جدولية العطفين هلالية الطرفين
مسكيه الحلله كافوريه الحليه فسيحه الاحشا مفهفهة الاعضا
فهي من لون جلدتها وشائع حليتها
كشباب مجاور لمشيب او ظلام موضح بنهار
اضمرت لك التي هي كالقلب ومالحتويه كالافكار
تقارنها نضات من دخاير السحاب وودائع التراب كل معدل
الكعوب قويم الانبوب باسق الفروع روي الينبوع نقي الجسد
نازح العقد مختلف الشيات متفق الصفات مما اعتنت الطبيعه
بترسه وتمادت الديم في تغذيته كالجوهر المصون واللولو المكنون
ملتحف

ملتحف الاجساد بمثل حواني اجنحه الجراد اولى باليد من البنان وانس
بخفي السر من اللسان مقترن ذلك بمديه لا تفتقر الى جلب ذات غرار
ماض وذباب قاض ونسب ناري وحديد سماي وجوهر هواي
ونصاب زنجي وحد لحي معه مقط يرتفع عليه تقديرها ويحط ذو
جسد جراحها مكلوم وجلد باثارها موسوم ❁
في كل عضو له من وقعها الم وليس يجرح فيه ذلك الالم
كانه واختهان القط يزعجه انف الحسود اذا ارغمه النعم
حتى اذا احتبت غاربه واطلقت مضاربه انصاع من اصون جعفر
ذكر في اعذب غدير لا ترده عن الافهام ولا تمنح بغير ارشته
الاملام تفيض ينابيع الحكم من اقطاره وتنشا سحب البلاغه
من قراره منير مطلع شمس مغتم ❁ يجري واجراوه في الوصف جامعه
ويسهل وما لجري له مقل ❁
اذا الخواطر حامت حول مورده لم يظمها من قراه العل والنهل
كان اقلامنا فيما تحمله الى القراطيس عن اسرارنا رسل
ومنه قوله لرجل في تزويج امه واتصل بي ما كان من
امر الواجبه الحق عليك المنسوبه بعد نسل النهاالك واحسارها
من الصيانه التي تحفظ جلالتها وتحسن ايالتها وتنمي طالها وتشد
احوالها وتعين طباعها على كرمها وتقيم مهابتها على خدمها ما الولا
ان النفس تتناكر بغير طريق شرعي ولا دليل قطعي للكنت في مثله
بالرضى اولى وبالاعتداد بما جدده الله من صيانتها احرى وتمد اثر
الصله بها من تقوى بصلته قوه اليد بالساعد وتعتده عما
يحكم المجان والعم صنو الوالد وتزوجت ام زيد بن علي فلم تمنعه
عما جا به الشرع حميه النخوه وسبيل لم تزوجت ام من بعد ابيك

فقال للنبي باخر شي من الاخره وفي هذا لها اصابها الله مزيد للعفه ومزيل للكلفه والزواج يستحب للرجال والنسا وسوا في طلب تحليله سهولات للامهات والابا وقد جدع للاسلام انف الغيره وجعل فيما اختار الخيره ولا سخط اعزك الله ما رضيه موجب الشرع وحسب ادب الديانه وخلا به حاكم العقل في الصيانه فسلاح الله احق ان يتبع وهوى النفوس في الحميه اولى ان يمتنع فاياك ان يكون ممن اذا علم اختيار سخط اختيار القدر ومنه قوله في فتوح

اصدرت هذا الكتاب بالمواقع نعم الله الشامله واثار نعمه المتواصله وهوانا لما راينا السيوف متوثبة في الايدي للضرب وحادرنا هجوم الشتا على مضيق الدرب جعلنا اخر الامر اوله وركبنا من الصعب اهوله وارسلناها نتباري في الركض وتتلاعب بالارض وتتواثب كالظلمان وتتهافت كالعقبان اسرع من النجوم السايره وانفذ من السهام العابره الى ان نزلنا بطن هنزيط فكنا اسبق اليها عيون اهلها من النظر وادخل في نفوسهم من سقط الحذر ولم يمض صدر النوم الا وقد حصل جميع من فيه من المقاتله والحاميه والسبي والماشيه والغلام والجاريه تحت رق الصفاح وسلك الخيل والرماح ثم لممنا بلد مالي ولا وردناها وقد سبقنا الانذار وتقدمنا اليهم الحذار فرجعنا اليهم بالعزايم الثاقبه والكتايب العاليه فما كان باسرع من ان زلزلت بهم الاقدام وتحصنوا بالهرب من الحمام ودخلوا البلد فكاد السور يقذف مقاتلتهم والارض تخسف زلزالا بكافتهم ثم دخلنا البلد والسيف ياخذ من ادركه والطعن يحوز من استملكه ثم رجعنا على من استعصى بالكنيسه فخاطبونا بلسان الادعان وراسلونا في التماس الامان فاجبناهم الى ذلك مشترطين

ما منعهم حظ الاسلام من تقبوله فانقطعهم الطمع عن تحصيله وظنوا انهم ما نعتهم حصونهم من الله فاتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف في قلوبهم الرعب ورقيناهم مكايد النشاب ودخلت عليهم رسل الموت على اجنحه النسوه من كل باب فاستنزلناهم بحكم السيف وهم مهطعون وظهر امر الله وهم كارهون واقمنا على اعلى جدرانه الاذان ورتبنا المصلين مواضع الصلبان ثم انقلبنا باسعد منقلب واربح مكتسب وقيل الحمد لله رب العالمين ومنه قوله يصف تشريفا وفرسا وصلا الى تغلب بن حمدان من الخليفه وصل كتاب امير المومنين مطلقا الى الرشد بالتوقيف مقترنا بخصايص التكرمه والتشريف نقبلت من الملبس الشريف مواقع افضاله واعتلقت من السعد باذياله وبرزت في الخلع الموسومه بانعامه والمناطق الناطقه باكرامه متدرعا منها ثياب السكينه والهدي محتا لامن حللها فيما يروق الاوليا ويروع العدي متقلدا عضبه الذي هز النصر غراره واحسن اثاره عاليا على عنق الزمان بامتطا ما حباني به من الجواد الذي تزل الابصار عن صهواته وتتبلج غرر الفجر في ظلماته وهو مع كونه تحلى تحليه الكافر يروع كل كافر مشترك ويحقق بركضه انه الليل الذي هو مدرك والحمد لله الذي جعل صنايع امير المومنين عند من يرتبطها بعلايق شكره ويحرسها بالتوفر على جميل ذكرها في ذكره ومنه قوله فلان يطرق الدهر اذا نظر وينظر المجد اذا فخر سعى الى العليا فادركها وعاقد عليها الاراء فملكها وهي ماتدرك بغير السماح ولا تملك الا باطراف الرماح ومنه قوله والبلاغه ميدان لايدرك الا بسوابق الاذهان ولا يسلك الا ببصاير البيان وقل من يركب طريقها على التغرير واسل قطعها بالتقصير الا فضحته المطاوله وكشفت خلله

المساجله نسقط من حيث امل الرفعه ودل من حيث حاول المنعه ومنه
قولــــــــه واما هذا الفتح فاوصافه لا تدرك بالعبارات
ولا تدخل تحت العرف والعادات

فتح انار الهدى بعد الظلام له واسترجع الدين من بعد ارتهان به
تاهت باياسه الايام واعتذر الدهر الخوون اليه من نوايبه
تباشرت بورود اخباره المنابر وشهدت بفضله البواتر ووفت فيه
الخيل بعقد الضمان وناب الخوف له عن ملاقاه الاقران واذن
بالعاجل على ما ادخر لله في الاجل ومنه قولــــــــه
وقد شرفني سيدنا باعز الحملان الحامل لي على عنق الزمان نجا موفيا على
التامیل فيه مناسبًا لصنايع مهديه متقارب العدو متقارب الخطو
حديد النظر محمود الخبر عريق النسب محبور الحسب اخف من الوهم
وامرق من السهم واسرع من البارق واشهر من لاحق تحض ابتال
وجمله كمــال

ان لاح قلت ادميه ام هيكل او عن قلت اسابح ام اجدل
يتخاذل الالحاظ في ادراكه ويحار فيه الناظر المتامل
فكانه في اللطف سهم ثاقب وكانه في الحسن خط مقبل

ومنــه قولــــه
واذا كان الشكر ترجمان النيه ولسان الطويه وسببًا
الى الزياده وطريقا الى السعاده فالسن اثارها على الشاكر مع الصمت
افصح من لسانه وبيانها عند الجحود ابلغ من بيانه ومنه قولــــه
فلان يسع العالم احسانه ويستغرق الشكر امتنانه ويستخدم الدهر
عزمه ويودب الايام حزمه كعبه فضل دعمامه ونيل اللنالي بانعاله
مشرقه والاقدار من خوفه مطرقه تحمد اولياوه وتشهد له بالفضل

اعلاه

اعداوه ولا يصل الشك الى سريرته ولا يرتد عن الحق عين بصيرته كالقمر
السعد والاسد الورد

ان سار سار لوا النصر يقدمه او حل حل به الاقبال والكرم
يلقى العدى بجيوش لا بقا ومها كثر العشاير الا انها هيم

ومنه قولـــــه والحمد لله على ما وهب مولانا من عافيه تقتضي
بها شكره وعارض مرض تحنن بها صبره ليوجب له الزياده من نعماه
بالشكر ويدخر له ارفع درج الجزا بجميل الصبر

نبا المجد فقد ان يصح له امر بقا العلى والمكرمات بقاوه
يداوي من الوعك الا طبا جسمه ويحلم من وقع الرماح اتقاوه
نبا ذا الذي في رايه وحسامه اذا اعتز ما بر الزمان دواوه
رويدًا نبا الامال اعظم فانه الى غيث جود في يديك سماوه
فرفقا بجسم ان اردت بقاه فضحك للترفيه عنه شفاوه
نما جم حتى حمت الخيل قبله الصمصام بدوا استكاوه
ولا تنكرن من ذا الذوب اعلاله فحال فعد تصدى الحسام انتضاوه

ومنه قولــــه وقد ذهب رمضان عن سيدنا يشهد له عند الله
بافعاله ويثني عليه عند الله باعماله تحسد لياليه على صيامه ايامه
وتنافس صباحه على تهجد ظلامه موصوله بالطاعات ساعاته
مقرونه بالخيرات اوقاته وولي ولو ملك اختيارا انزلت شوال عن
ايامه ايامه واسعد بعيد لم يزل يهدي له بل قبل مقدمه للبشارات عامه
ومنه قولــــه كتبت اليك بيد اطلق الثقه بيانها من اعتقال
الياس وعن رغبه انصرفت الى تاميله عن جميع الناس مستظهرًا على الدهر
بالصبر الى ان عدل بي الحزم عن طريق نوايبه واجتنيت بيد التوفيق
ثمر السلامه من مصايبه وانا من المولى متوسط وعنتي وعلاه ربين شكري

وندااه مع انني كما قلت

تطول على الايام ان يسترقني مع الدهر الا للكرام المواهب
وما كل حال يكسب المال مرتضى ولكن على قدر النفوس المكاسب

ومنه قوله يشكر منعما سلك به مسلك والله لو ان تنفع
بتر عن شكر او جل انصاف عن اعتراف لا ان تنفع قدر تفضلك الذي
توالت على انواوه وسابق رجاي ابتداوه ولم تحسن حمدي على تطاوله
احسانك ولا اقدم بناني على وصف امتنانك ولكن حق لمن انتهى اليك
ان يفوت الاكفا ويبعد النظرا لا سيما من قصدك يقصد ابيك نجد ابن تحيك

فقد كان شكري ملكا لله وانت احق ببرائه

غمام انت ماوه وبدر انت ضياوه وغضب انت غراره وحق انت مناره
سعي تحث على اثره وهمت نطقت عن مفخره فكرمك فرع لرمه وهمك
نتايج همه ومنه قوله في التهاني بعام اسعد
الاعوام اطال الله بقا الامير ما القى عليه سيدنا ايده الله بالمجاورة
شعاع سعادته التي هي حلي الدهور وغرر الايام والشهور وقد اطل
هذا الحول السعيد بشرا باكمل مزيد واحسن تجديد

فلا برح الزمان بكل سعد سفيرا بين ملكك والدوام
اذا انتيت عاما منه اضحى ضمينا للبقا بالف عام
فما عرف التمام الخلق حتى ظهرت فصرت حد التمام

ومنه قوله غره الدهر وقبلة الشكر ان رفع الجيش
حماه او هز الحسام امضاه او اورد السنان ارضاه معز بخدمته الايام
وتضى لمناجاته ظلم الافهام خصم النوب وشخص الحسب

يجل عن النز عند الجلاد ويضحك في حالة المغضب
شجاعته غلة المرهفات وهيبته موكب الموكب

لا تطلع الافهام بلوغ حقه في مطاولته ولا تسمو اهمم الخواطر الى مساجلته
غاية المادح ان يرجع عن الاطالة الى الاختصار ويقتنع بالقليل من
الاكثار

يا من سطوت على الزمان تها ونا بالحادثات مذ اعتمدت عليه
لا غرو ان احرزت عنك مدائحي مدح الحسام العضب للحديد
ومتى تشابهت الشيات فانما يجري الجواد الى مدى ابويه

ذلك المقام مخاطبا على البعد الفاظك مرهوقا بالمراعاة من الحاظك
غير نازح عما الفه من عواطف الولاة وانبساط الانسة المعتاده
وان سما اوثق حسم دواعي الخلاف وادى الى دوام الايتلاف
تحقق بالمبالغة في تاكيده بالحرمه وتخويله في النعمه ومنه
قوله في هذا المعنى واما ابو النجم فقد ادى
الامانة الى متحملها وسلم الذخيرة الجليلة الى مستقبلها فحلت من محل العز
في وطنها واوت من حمى التودد الى سكنها صادرة من انبل ولاد ونسبت الى
اشرف اتصال وكيف سوى الناظر بنوره ام كيف تحض القلب على حفظ
سروره ولو لم تمت ابو النجم بغير الخدمة في هذا الامر العظيم محلا السعيد
عقدا وحلا لكان للحظوة اهلا ولرفع المنزلة اولى ان يلي فكيف واثار
نصحه في جمع الشمل لايحه ودلايل وفايه بذلك الالفه واضحه من يشرح
ايضا واما فلان فقد امنت الاعدا نكبات حسامه وبعد عهد الخيل
باسراجه والجامه ومنه قوله رياسة تزهد
المناقب في افق علايها وتتنافس الاشراف في التعلق بولايها اسبق
الى الطعن من الاسنه واحذق من زيد الخيل بتصريف الاعنه ان قال
فصل او حكم عدل او نطق صدق او سوبق سبق البيان اصغر صفاته
والبلاغة عفو خطراته مبرقع الطلعة بالخفر مسفر الوجه عن دارة
القمر ما ينفك من الكمد حاسده ولا سلم من الدهر معانده

لانطع

اقام حقوق الندى والقنا ليوم السماح ويوم الطعان
بجود يسابق نجح السوال وباس يطاعن قبل السنان

الحسام خدينه والرمح قرينه والسرج وطنه والسيف رسنه
ساير قلب وجملته لب من الدوحه التغلبيه والنبعه الحمدانيه

نسب لوان الليل البسه انثنى بضيايه لسنا الصباح يضاهي
وخلايق لو صورت لظننتها زهرًا او انبجست جرت بمياه
قوم بلوت مديحهم فوجدته احلى من الرشفات في الافواه
وطلبت مجتهدًا نهايه وصفهم فوجدته ما ليس بالمتناهي

ومنه قوله حق لمن انتمى اليك ان يعوت الاكفا
وسدا النظر لا سيما من قصد بك مقصد ابيك وغدا يرتجيك فقد توالت
على انواوه وسابق رجاي ابتداوه

وقد كان شكري ملكا له وانت احق بميراثه

غمام انت ماوه وبدر انت ضياوه وعضب انت غراره وحق انت مباه
سعى لحيث على اثره وصمت فنطقت عن مجده فكرمك فرع كرمه وهمك
نتاج همه ذهب وابقاك ونام مطمينا وقد استرعاك فلقد حلت عندي
اياديه خلقا جديدا واستصحبت لي من نعمه كرمًا موجودا ومن شعره

احبابنا هذه نفسي تودعكم اذ كان لا الصبر يسليها ولا الجزع
قد كنت اطمع في روح الحياه لها فالان اذ بنتم لم يبق لي طمع
لا عذب الله روحي بالبقا فما اظنني بعدكم بالعيش انتفع

ومنه قوله

يا مسقمي بجفون سقمها سبب الى مواصله الاسقام في جسدي
عذرت من طل في حبيك يحسدني لانه فيك معذور على حسدي

ومنه قوله يسعى به البرق الا انه فرس مر فوقه الموت الا انه رجل

يلقى الرماح بصدر منه ليس له ظهر وهادي جواد ما له كفل

ومنه قوله

وكانما نقشت حوافر خيله للناظرين اهلةً في الجلمد
وكان طرف الشمس مطروف وقد جعل الغبار له مكان الاثمد

ومنه قوله

يا غازيا آبت الاحزان غازيةً الى فوادي والاشجان حين غزا
ان بارزتك كماه الروم فارمهم بسهم عينيك تقتل كل من برزا

ومنه قوله يصف كاسًا واجاد في وصفه وتقدم السابقين
وخلا هم من خلفه

من كل جسم كانه عرض يكاد لطفا باللحظ ينتهب
لا عيب فيه سوى اذاعته السر الذي في حشاه يحتجب
كانما صاغه النفاق فما يخلص صدق منه ولا كذب
فهو يا لون ما يحاوره على اختلاف الطباع ينتسب
اذا ادعاه اللجين اكذبه بالراح في صبغ جسمه الذهب

ومنه قوله في خلعه وترس

لما تحصنت من دهري بخلعته سمت حملا به الحاظ اقبالي
وواصلني صلاة منه رحت بها اختال ما بين عز الجاه والمال ٥

ومنهم بديع الزمان الهمداني وهو نادره الدهر وباكوره الزهر
قل ان ولد الزمان مثله او لد تشكله ان الزمان بمثله لعقيم ولا عصبيه
للعظم الرميم بل هو والله البديع حقا العبقري طرقا كاد يلتهب ذكاءه
ذكا ويتنهب ذكره ذكا كانما كلمه حبر او لفظه زبر سجعه قصير ونفعه
كبير من سمع حسانه تبع احسانه ومن فهم بيانه علم ان فوق السحاب بنانه
وربما كاد يحكيه لو وهب لو كان كما قال طلق المحيا يمطر الذهب

نافح الرياض فاخذ انفاسها وسانح السحاب فنثر اكياسها بز الكواكب
ولبس لباسها وبدا المدام وسلب الحميا كاسها لجا ببحر عظيم الا انه حلال
وخمر لا لغو فيها ولا تاثيم وانها الخلال وورآه جرى الحريري لكنه نفح
على انه مما ترك البديع ولمح وذكر البديع ابو منصور الثعالبي
فقال هو ابو الفضل احمد بن الحسين الهمداني معجز همدان ونادرة
الفلك وبكر عطارد وفرد الدهر وغرة العصر ومن لم يلف نظيره
في ذكا القريحه وسرعة الخاطر وشرف الطبع وصفا الذهن
وقوة النفس ولم يدرك قرينه في ظرف النثر وملحه وغرر النظم
ونكته ولم يروا ان احدًا بلغ مبلغه من لب الادب وسره وجا بمثل اعجازه
وسحره فانه كان صاحب عجايب وبدايع وغرايب فمنها انه كان
ينشد القصيده لم يسمعها قط وهي اكثر من خمسين بيتا فيحفظها كلها
ويوردها الى اخرها لا يخرم حرفًا منها وينظر في الاربع والخمس الاوراق
من كتاب لم يعرفه ولم يره الا نظرة واحدة خفيفة ثم يهذها عن ظهر قلبه
هذًا ويسرده سردًا وكان يقترح عليه عمل قصيدة وانشا رسالة في
معنى غريب وباب بديع فيفرغ منها في الوقت والساعة والجواب
عما فيها وكان ربما يكتب الكتاب المقترح عليه فيبتدي باخر سطوره
ثم هلم جرًا الى الاول ويخرجه كاحسن شي واملحه ويوشح القصيدة
الفريدة من قبله بالرسالة الشريفة من انشايه فيقرا من النظم والنثر
ويعطي القوافي الكثيرة فيصل بها الابيات الرشيقة ويقترح عليه كل عروض
فيرتجله في اسرع من الطرف على ريق لا يبلعه ونفس لا يقطعه وكلامه
كله عفو الساعة وفيض اليد ومسارقة القلم ومجاراة الخاطر وكان مع
هذا مقبول الصورة خفيف الروح حسن العشرة ناصع الظرف
عظيم الخلق شريف النفس كريم العهد خالص الود حلو الصداقة مر العداوة

فارق

فارق همدان وهو مقتبل الشبيبه غض الحداثه وولي نيسابور فنشر
بها بزه واظهر طرزه واملى مقامات وغيرها وضمنها ما تشتهي الانفس
من لفظ انيق قريب الماخذ بعيد المرام وسجع رشيق المقطع والمنزع
كسجع الحمام ثم القى عصاه بهراه فعاش بها عيشه راضيه وحين بلغ
اشده واربى على اربعين سنه ناداه الله فلباه وفارق دنياه في سنه
ثمان وتسعين وثلثمايه فقامت نوادب الادب وانثلم حد القلم على انه ما مات
من لم يمت ذكره ولقد خلد من بقي نظمه ونثره وسيل بعض علما
الادب عن الحريري والبديع في مقاماتهما فقال لم
يبلغ الحريري ان يسمى بديع يوم فكيف يقارب بديع زمان ومن نثره
قوله وقد نظرت في المراه فوجدت الشيب
تلهب ونهب والشباب يتاهب ويذهب وما اسرع الاشهب الا
لسير واسال الله خاتمة خير ومنه قوله
ابرزت باطنه وحركت ساكنه واخرجت دفاين صدره ورفعت اذيال
سترته فلا فكيه وعيدًا ولحيته تهديدا وكان حمانا ان قلنا بعض الوعيد
يذهب في البيد فجا شقيق عارضا رمحه ان بني عمك فيهم رماح انا مفتح
الخطب ومتوسط الحرب فارضك ارضك ان يا ساس يوما ليس
فيها حلم ومتى ثبت ليث خصما صحما ينهشك قضما ويا كلك خضما
فجعل الشيطان يثقل بذلك اجفان طرفه ويقيم به شعرات انفه
وحتى ظن ان العيش نصح وخالفني كان ثلث هجرا ومنه قوله
وبينا عذرا ارجا حما خدرها وحبانا ثغرها بل شقيقه صونها كمامه
او شمس حجبتها غمامه اذا طاف بها الساقي فوردة على غصنها او شربها
فقهقهة حمامة على فمها ومنه قوله انظر الى الكلام والله
فان كان دليلا فهو الولا وان خشن وان كان عدوًا فهو البلا وان حسن

هذا صح

الاترى العرب تقول قاتله الله ولا يريدون الدم ولا ابا لك في الامر اذا تم
ومنه قوله وفايده الاعتقاد افضل في الانتقاد
والسماح يكسر الرماح والصفح يفل الصفاح والجود انصر من الجنود
فان كشف الضرعن الحر اجمل من كشف الصدف عن الدر ومن عرف
بالمنح قصد بالمدح وتدظلم من يلوم غير ملوم فالتغاضي يصحب المراضي
واللبيب يعيد البعيد قريبا والعدو حبيبا وحضرة السلطان مفزع
الراجين ومفزع اللاجين اليها يعودون وبها يعوذون وهي
المفر واليها المفر واذا عدل الملك اقصر الحايف وامن الخايف
وخير الاخوان من ليس بخوان وده ميمون وغيبه مامون
لا يخالفك ويرافقك ولا يفارقك ويوافقك ولا
ينافقك ويعاشرك ولا يكاشرك واذا حضرت حنا عليك واذا
غبت حن اليك ومنه قوله وقد كتب اليه بعض من
عزل عن ولايه حسنه ودوي بانع عصنه يستمد منه ودادا طالما
تركه وتسهيل فوادا كان يظن انه قد ملكه واذا بحوادث الايام
قد غيرت ما عهد وحسنت له بدل ما كان يضن به فلم يعد اما
بعد فقد وردت رقعتك فلم تسد على كبدي ولم تحظ بناظري ويدي
وحطت من مودتي ما لم احرك له اهلا وقلت هذا الذي تاه بحسن قده
ورمى بورد خده فالان ان نسخ الدهر ايه حسنه واقام مايل غصنه
واستصر لنا منه شعرات كشفت هلاله واكسفت باله ومسحت
جماله وغيرت حاله فمهلا مهلا وتناس ايامك اذ تكلمنا نزرا وتلحظنا
شزرا ومن لك بالعين التي كنت من اليك بها في سالف الدهر انظر
ايام كنت سلفت والاكباد تفتت وتقبل فتمنى وتعرض فتضني
وتبسم عن الحي كان منورا تحلل حر الرمل دعص له ند فاقصر الان

فانه سوق كسد ومتاع فسد ودوله اعرضت وايام انقضت ويوم صار امس
وحسن نقيت في النفس لختام تدل والام وكم تحتمل وعلام وقد بلغني
ما انت متعاطيه من لمونه بجوز بعد العشا في الغسق وسقوط على السوق
واعماوك لتلك الشعرات حتى احصا وسعا وقصا فانا من حلك وجانبك
وحبلك ملقى على غاربك ولو احسب ان اوجعك لقلت ما نفعل الله باليهود
ولا بعاد ولا ثمود ولا بفرعون او عصاه ما يفعل الشعر بالخدود
ومنه قوله كتابي الى البحر وان لم اره
فقد سمعت خبره والليث وان لم القه فقد تصورت خلقه والملك
العادل وان لم اكن لقيته فقد بلغني صيته ومن راي من السيف
اثره فقد راي اكثره وهذه الحضرة وان احتاج اليها المامون ولم
يستغن عنها قارون فان الاحب الي ان اقصدها قصد موال والرجوع
عنها بجمال احب الي من الرجوع عنها بمال قدمت التعريف وانا انتظر
الجواب الشريف ومنه قوله عافاك الله مثل
الانسان في الاحسان كمثل الاشجار في الثمار سبيله اذا اتى
بالحسنه ان يرفه من السنه الى السنه وانا كما ذكرت لا املك عضوي
من جسدي وهما فوادي ويدي اما الفواد فتعلق بالفود واما
اليد فتولع بالجود لكن هذا الخلق النفيس ليس يساعده الكيس
وهذا الطبع الكريم ليس يحتمله الغريم ولا قرابه بين الذهب والادب
لا يمكن رده في قصعه ولا صرفه في ثمن سلعه ولي مع الادب نادره
حدثت في هذه الايام بالطباخ ان يطبخ من جميع الشاخ لونا فلم يفعل
وبالقصاب ان يسمع من ادب الكاتب فلم يقبل واحتيج في البيت
الى شي من الزيت فانشدت من شعر الكميت الفا ومايتي بيت فلم تغن فما
به اغنيت ولو وقعت ارجوزه العجاج في توابل السكباج

ما عندي منها عندي لون ولا استقرضون بل لبست نتع مما اصنع
فان كنت تحسب اختلافك الى افضل علي فراحتك راحتي وراحتي
ان لا تطرق ساحتي ومنه قوله

انا لقرب دار مولاي كما طرب النشوان مالت به الخمر
ومن الارتياح الى لقائه كما انتفض العصفور بلله القطر
ومن الامتزاج بولايه كما التقت الصهباء والبارد العذب
ومن الابتهاج بمزاره كما اهتز تحت البارح الغصن الرطب

ومن شعره قوله

على الاترج العيش والقنا والبس السيل والظلما والبلبا
واترك الخود معسولا مقبلها واهجر الكاس يغدو شربها طربا
وطفلة كقضيب البان منعطفا اذا مشت وهلال الشهر منتقبا
قالت وقد علقت ذيلي تودعني والوجد يخنقها بالدمع منسكبا
كنت الشبيبه ابهى ما درجت وكنت كالورد ادكى ما اتى ذهبا
الى المقام بدار الذل لي كرم وهمه تصل التقريب والخببا
وعزمه لا تزال الدهر ضاربة دون الامير وفوق المشتري طنبا
يا سيد الامرا الخز فما ملكا لامتثال مولي والملوك ابا
اذا دعتك المعالي عرفها منها لم ترض كسرى ولا من فوقه ذنبا
ابن الذين اعدوا المال من ملك يرى الذخيرة ما اعطى وما وهبا
ما الليث مختطما والسيل مرتطما والبحر ملتطما والليل مقتربا
امضى شبا منك ادهى منك صاعقة احدى لبنا وادنى منك مطلبا
وكاد يحكيك صوب الغيث منسكبا لو كان طلق المحيا يمطر الذهبا
والدهر لو لم يخن والشمس لو نطقت والليث لو لم تصد والبحر لو عذبا
يا من تراه ملوك الارض فوقهم كما يرون على ابراجها الشهبا

ومنه قوله

ابا ملكا ادنى مناقبه العلى وايسر ما فيه السماحه والبذل
هو البدر الا انه البحر زاخرا سوى انه الضرغام لكنه الوبل
محاسن يبديها العيان كما بدا وان نحن حدثنا بها صدق العقل
وجار اكل افراد الملوك الى العلى وحققا القد اعجزتهم وكل الخصل
سيما ملك بن عمرو ويعقوب محتد كذا الاصل مخبوريه وكذا النسل

وحكى ابن ظافر قال حكى بديع الزمان الهمداني قال قال الصاحب
يوما لجلسائه وانا فيهم وقد جرى ذكر ابي فراس بن حمدان لا يقدر احد
ان يزور على ابي فراس شعرا فقلت ومن يقدر ان يزور عليه شعره
وهو الذي يقول وقلت ارتجالا

رويدك لا تصل يدها باعك ولا تغرا السباع الى رباعك
ولا تعن العدو على اني يمينك ان قطعت فمن ذراعك

فقال الصاحب صدقت فقلت ايد الله مولانا ها قد فعلت وزورت على ابي
فراس وهذا شعري فتعجب منه وحكى انه جرى ذكره في مجلس شيخه
ابي الحسين بن فارس فقال ما معناه ان بديع الزمان قد نسي حق تعليمنا
اياه وعقنا وطمح بانفه عنا فالحمد لله على فساد الزمان وتغير نوع الانسان ث
فكتب اليه بديع الزمان نعم اطال الله بقا الشيخ الامام انه الحما المسنون
وان ظنت به الظنون والناس لادم وان كان العهد قد تقادم وتركبت
الاضداد واختلاف الميلاد والشيخ يقول قد فسد الزمان افلا
يقول متى كان صالحا في الدولة العباسية فقد راينا اخرها وسمعنا
اولها ام المدة المروانية وفي اخبارها لا تكسع الشول باغبارها
ام السنين الحربية والسيف يعقد في الطلا والرمح يركز في الكلا ومبيت
حجر في الفلا وحران وكربلا ام البيعة الهاشمية برأس من بني فراس

ام الايام الاموية والنفير الى الحجاز والعيون تنظر الى الاعجاز ام
الامارة العدوية وصاحبها يقول هلم بعد النزول الى النزول ام
الخلافة التيمية وهو يقول طوبى لمن مات في نأناه الاسلام ام على
عهد الرسالة ويوم الفتح قيل اسكتي يا فلانة فقد ذهبت الامانة
ام في الجاهلية ولبيد يقول

ذهب الذين يعاش في اكنافهم وبقيت في خلف كجلد الاجرب

ام قبل ذلك واخو عاد يقول اذ الناس ناس والبلاد بلاد

ام قبل ذلك وادم فيما قيل يقول تغيرت البلاد ومن عليها

ام قبل ذلك والملائكة تقول اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدما
ما فسد الناس انما اطرد القياس ولا اظلمت الايام انما امتد الظلام
وهل يفسد الشي الا عن صلاح ويمسي المرء الا عن صباح ولعلي على توبيخ
شيخنا لفقير الى لقايه شفيق على بقايه منتسب الى ولايه شاكر
لآلايه لا ارحل حريدا عن امره ولا امل بعيدا عن قلبه وما نسيته ولا
انساه ان له على نعمه خواتمها الله نارا وعلى كل كله علمتها منارا
ولو عرفت لكتابي موقعا من قلبه لاغتنمت خدمته به ولرددت
اليه سوركاسه وفضل انفاسه ولكنني خشيت ان يقول هذه
بضاعتنا ردت الينا وله ايده الله العتبى والمودة في القربى
والمرباع وما ناله الباع وما ضمه الجلد وضمنه السمط لست رضى
ولكنها جل ما املك اشتاق ايد الله الشيخ الامام الخراسانيه ●
والانسانيه وان لم يكن خراساني الطينه فاني خراساني المدينه
والمرء من حيث يوجد لا من حيث يولد فاذا اضاف الى خراسان
ولادة همدان ارتفع القلم وسقط التكليف فالجرح جبار والجاني حمار
ولا جنة ولا نار فليلمني على هناتي ابليس صاحبها يقول

لا تلمني على ركاكة عقلي ان تيقنت انني همداني

والسلام ولـــه والعيون تنظر الى الاعجاز اشارة الى
قول احد الذين قتلوا عثمان لما دخلوا عليه فنظروا الى نايلة بنت
الفرافصة زوجة عثمان وهي تصيح فقالوا ان عجزها لكبير ●
واجتمع بديع الزمان والاستاذ ابو بكر الخوارزمي في دار السيد
ابي القسم المستوفي لمشهد من القضاة والفقها والاشراف وغيرهم من
ساير الناس فجرى بينهما من المناظرة ما نذكره ان شا الله تعالى قال
الاستاذ ابو الفضل بديع الزمان سال السيد امتع الله ببقايه
اخوانه ان املي جميع ما جرى بيننا وبين ابي بكر الخوارزمي اعزه الله
من مناظرة مرة ومنافرة اخرى وموادعة اولا ومنازعة ثانيا املا
يجعل السماع له عيانا فما تلقيته الا بالطاعة على حسب الاستطاعة
لكن القصة تتشعبنا لا يطيب الابه ومقدمات لا تحسن الامعها
وسا سوق بعون الله صدر حديثنا الى العجز كما يساق الما الى الارض
الجرز فنبتدي فيها باسم الله عز وجل والصلاة على النبي صلى الله عليه
وسلم كل خطبة لا يبتدي فيها باسم الله عز وجل فهي بترا وخطب زياد
خطبته البترا لانه لم يحمد الله عز وجل ولم يصل على رسوله صلى الله عليه
وسلم وهذا مقام نعوذ بالله منه ونسأله التوفيق للصواب برده
ونضاله ● نعم اطال الله بقا السيد وامتع ببقايه
اخوانه ان قعدنا نعتد اثاركم ونودي ماثركم نفد الحصر قبل
نفودها وفنيت الخواطر قبل ان تفنى الماثر وكيف لا وان ذكر
الشرف فانتم بنو بجدته او العلم فانتم عاقدوا ابردته او الدين فانتم
ساكنوا بلدته او الجود فانتم لابسوا جلدته او التواضع صبرتم
لشدته او الراي صلتم بنجدته وان شا تولى الله بناه ولزم الرسول

صلى الله عليه وسلم فناه واقام الوصي عليه السلام عماده وخلع جبريل
عليه السلام اهله لحقيق ان يصان عن مدح لسان قصير ونحن نعود
للقصة نسوقها **فاولها** انا وطئنا خراسان فما اخترنا الا
نيسابور دارا والا جوار السادة جوارا لاجرم انا حططنا بها الرحل
ومددنا عليها الطنب وقد كنا نسمع بحديث هذا الفاضل فنتشوقه
ونخبره على الغيب فنتعشقه ونقدر انا اذا وطئنا ارضه ووردنا
بلده يخرج لنا في العشرة عن القشرة فقد كانت لحمة الادب جمعتنا
وكلمة الغربة نظمتنا وقد قال شاعر العرب غير مدافع

اجارتنا انا غريبان ههنا وكل غريب للغريب نسيب

فاخلف ذلك الظن كل الاخلاف واختلف ذلك التقدير كل الاختلاف
وكان قد اتفق لنا في الطريق اتفاق لم يوجبه استحقاق من نزه
بزوها وفضة فضوها وذهبوا ذهبوا به ووردنا نيسابور براحة
انقى من الراحة وكيس اخلى من جوف حمار وزي اوحش من طلعة
المعلم بل طلعة الرقيب فما حللنا الا قصبة جوار ولا وطئنا
الا عتبة دار وهذا بعد رقعة كتبناها واحوال انس نظمناها
فلما اخذتنا عينه سقانا الدردي من اول دنه واجنانا سوء العشرة
من باكورة فنه من طرف نظر بشطره وقيام دفع في صدره وصديق
استهان بقدره وضيف استخف بامره لكن اقطعناه جانب اخلاقه
ووليناه خطة رايه وقاربناه اذ جانب وواصلناه اذ جاذب وشربناه
على كدره ولبسناه على خشونته ورددنا الامر في ذلك الى زي
استغثه ولباس استرثه وكنا نبيناه نستمد وداده ونستلين
قياده ونستميل فؤاده ونتمم مناه بما هذه نسخته بعد البسملة
الاستاذ ابو بكر والله يطيل بقاه ازرى بضيفه ان وجده يضرب

ابا طائلة في اطمار الغربة فاعمل في مرتبته انواع المصارفة وفي
الاهتزاز له اصناف المضايقة من ايماء بنصف الطرف واشارة
بشطر الكف ودفع في صدر القيام عن التمام ومضغ للكلام وتكلف
لرد السلام وقد قبلت تربيته صغرا واحتملته وزرا واحتضنته
بكرا وتابطته شرا ولم آله عذرا فان المرء بالمال وثياب الجمال
ولستبع هذه الحال وفي هذه الاسمال انقر رصف النعال فلو
صدقته العتاب وناقشته الحساب لقلت ان بوادرنا تاعبه
صباح وراعنه رواح وناسا يجرون المطارف ولا يمنعون المعارف

وفيهم مقامات حسان وجوههم وانديه ينتابها القول والفعل

فلو طرحت بابي بكر ايده الله طوارح الغربة بوجد مناك البشر قريبا
ومحط الرحل رحيبا ووجه المضيف خصيبا وراي الاستاذ
ابي بكر ايده الله تعالى في الوقوف على هذا العتاب الذي معناه ود
والمر الذي يتلوه شهد موفق ان شا الله

فاجاب بما هذه نسخته وصلت رقعة سيدي ورئيسي
اطال الله بقاه السكباج وعرفت ما تضمنته من خشن خطابه ومولم
عتبه وعتابه وحملت ذلك منه على الضجرة التي لا تخلو منها من مسه عسر
ونابه دهر والحمد لله الذي جعلني موضع انسه ومظنة مشتكى ما في
نفسه اما ما شكاه سيدي ورئيسي من مضايقتي اياه زعم في القيام عن
التمام فقد وفيته حقه ايده الله سلاما وقياما على قدر ما استطعت عليه
ووصلت اليه ولم ارفع عليه الا السيد ابا البركات العلوي ادام
الله عزه وما كنت لارفع احدا على من ابوه الرسول وامه البتول وشاهداه
التورية والانجيل وناصره التاويل والتنزيل والبشير به جبريل
وميكائيل فاما القوم وما وصف سيدي عنهم فكما وصف حسن عشرة

وسداد طريقه وكمال تفصيل وجمله ولقد جاورتم فا حمدت المراد ونلت المراد

فان آل قد فارقت نجداً او اهله فما عهد نجد عندنا بذميم

والله يعلم نيتي للاحرار كافه ولسيدي ادام الله عزه من بينهم خاصه فان اعانني على ما في نفسي بلغت له بعض ما في النيه وجاوزت به مسافه القدره وان قطع على طريق عزمي بالمعارضه وسوء المواخذه صرفت عناني عن طريق الاختيار

فما النفس الا نطفه في قراره اذا لم تكدر كان صفواً غديرها

وبعد فحسبنا عتاب سيدي اذا استوجبنا عتبا واقترفنا ذنبا فاما ان يسلفنا العربده فنحن نصونه عن ذلك ونصون انفسنا عن احتماله عليه ولست اسومه ان يقول استغفر لنا ذنوبنا انا كنا خاطيين ولكني اسأله ان يقول لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو ارحم الراحمين

فحين ورد الجواب وعيرا لعذر ايلاه تركناه بعين وطويناه على غره وعمدنا لذكره فسحوناه عن صحيفتنا ومحوناه وصرنا الى اسمه فاخذناه ونبذناه وسكبنا خطبته وحبينا خطته فلا طرنا به ولا طرنا اليه ومضى على ذلك الاسبوع ودرجت الليالي وتطاولت المده وتصرم الشهر وصرنا لا نغير الاسماع ذكره ولا نودع الصدر حديثه وجعل هذا الفاضل يستزيد ويستعيد بالفاظ تقطعها الاسماع من لسانه وتردها الى وكلمات تحفظها الالسنه من فمه وتعيدها على ٥ ٥

فكاتبناه بهذه نسخته انا ازد من الاستاد سيدي اطال الله بقاه شرعه وده وان لم تصف والبس خلعه وده وان لم تضف وقصاراي ان اكيله صاعاً عن مد واني وان كنت في الادب دعي النسب ضعيف السبب ضيق المطرب سيء المنقلب امت الى عشره اهله بنيقه وانزع الى خدمه اصحابه بطريقه ولكن بقي ان يكون

الخليط

الخليط منصفاً في الوداد اذا زرت زار وان عدت عاد وسيدي ايده الله نافسني في القبول اولاً وصارفني في الاقبال ثانيا فاما حديث الاستقبال وامر الانزال والانزال فنطاق الطمع ضيق عنه غير متسع لتوقعه منه وبعد فكلفه الفضل هينه وفروض الود متعينه وارض العشره لينه وطرقها بينه فلم اختار قعود التغالي مركبا وصعود التغالي مذهبا وهلا ذاد الطير عن شجر العشره وذاق الحلو من ثمرها فقد علم الله ان شوقي اليه قد كد الفواد برحا على برح ونكاه قرحا على قرح ولكنها مره مره ونفس حره لم تعد الا بالاعظام ولم تلق الا بالاجلال واذا استعفاني من معاتبتي واعفى نفسه من كلف الفضل تجشمها فليس الاغصص الشوق اتجرعها وحلل الصبر اتدرعها ولم اغره من نفسي انا لو اعرف جناحي طاير لما طرت الا اليه ولا وقعت الا عليه

احبك يا شمس الزمان وبدره وان لامني فيك السهى والفراقد

وذاك لان الفضل عندك باهر وليس لان العيش عندك بارد

فلما وردت عليه الرقعه حشر تلامذته وخدمه وزم عن الجواب قلمه وجشم للالجاب قدمه وطلع مع الفجر علينا طلوعه وبطحنا جانبيا دار الامام ابي الطيب ادام الله عزه فقلت الان حين تشرق الحشمه وتنور ويجد في العشره ويعود وقصدناه شاكرين لما اتاه وانتظرنا عاده بره وتوقعنا ماله فضله فكان خلبا شمناه والا وردناه وصرفنا الامر في باخره وباخرنا عنه الى ما قاله عبد الله ابن المعتد ٠

انا على البعاد والتفرق لنلتقي بالذكر ان لم نلتقي

وانشدناه قول ابن عصرنا ٠

احبك في البتول ولي نابسها ولكني احبك من بعيد
ونفينا نلتقي خيالا ونقنع بالذكر وصالا حتى جعلت عوالصفه
تهب وعقاربه تدب وهو لا يرضى بالتعريض حتى يصرح ولا يقنع بالنفاق
حتى يعلن وشكا الى بعض اخواننا الى خاطبته مخاطبة مجحفه ونزلته
منزله نخيفه فقال الى اوثر العربده واسلف الموجده وبرسمي
في ذلك ابدأيه وينسل نكتبنا اليه

جعلت فداك من فاضل بلغت التراقي من جوره
وفي الغيب اكثر مما رايت وابن البلوغ الى عوره
انتني الرواه بما قلته بهيشه وعلى كوره
وقولك انى طوع الشجار اصم ضلوعي على سوره
فقلت حيا لمن قد تجاوز منا مدى طوره
فيا من بدلت ودادي له فما لنت جورا على كوره
بود يلح عن نوره وقصد تفرج عن نوره
تهش كما ليس يخفى عليك بشطر الشام الى زوره
دبايعته بيمين الرضا وغض الجفون على هوره
وقلت لخنطل اخلاقه الاجبنا الارى في شوره
ولو كان ذلك من غيره طمعت بنجدي على غوره
ولاعبته بكعاب الرجوع فقامرني بيدي حوره
وكان حديثي لما رجعت حديث الفتى مع سنوره
فلم ادر فيما جفا ضيفه ولم سكن البرمن فوره
اللذين التي فوحكه ام الفلك الغث في دوره
وكاتبته استمد الوداد كملتمس الدر من نوره
مقابل صرفي لممزوجه وواجه دري ببلوره

رحشم

وحشم اقدام اقدامه يلوح التكلف في صوره
تزار وزرناه عن قصد بما ليس يخجل في زوره
هلم الى سنن المكرمات اوانبا ستنحي سوره
واما الخطاب فانت ابتدات ودونك زند المنى اوره
فلما وردت عليه الابيات ابرزت باطنه وحركت ساكنه واخرجت
دفاين صدره ورفعت ذيل ستره وملا قلبه ولحيته تهددا فكتبنا اليه
اعني يا ابا بكر على نفسه ومصدور
على ودك مطوي وعن عتبك منشور
الى سيلك مشتاق على حربك مقهور
ولا تعدل الى الظلمه عن ناحيه النور
ولا تهو الى الوهده من عاليه السور
ولا تسمح الى الاضياف لا سبل الخير
ولا تحفر لهم بيرا تقع في ذلك البير
ولا تنقل الى الغيبه اسباب المقادير
فما اكثر ما عندك من نشر العقاقير
ولا تعرف على الاخوان من هدي الاباريز
فلم اطوى لك السمع على سود المناكير
ولكم القى عليها طرفي في حلمي وتذكيري
وان تعد الى ما التصافي بذلك ير
تعد عن حبي والله مجدوف الشوابير
ولا مروان بالكوفه في غدو عاشور
ولا الكلبا في الجامع في فرو ممطور
وان احببت ان تعلم فانشط غير مامور

ولا تبطل فدتك النفس في مرد كل مديري
ولا تخلف باخلافك في العشرة تقديري

فلما وردت عليه الابيات قال لو ان بهذا البلد رجلا باخذه ارتجيه الكريم وتملكه هزة الهم يجمع بيني وبين فلان تعيسي ثم راي اذا انجلي الغبار افرس تحتي ام حمار وعلم ايما يبرز خلاله عفوا او ايما يغادر في المكر ولود فلان بوسطاه بل بيمناه لو دحلنا وقلنا في المناخ له ثم الي الكلمات تحذو هذا الحذو وتنحو هذا النحو والفاظ اثنتا من علي وكان جوابنا ان قلنا بعض الوعيد يذهب في البيد والصدق ينبي عنك لا الوعيد وقلنا ان اجرا الناس على الاسد اكثرهم رويه له وقد قال بعض اصحابنا قلت لفلان الا تناظر فلانا فانه يغلبك فقال امثلي يغلب وعندي دفتر مجلد ووجدنا عندنا دفاتر مجلده واجزا مجرده وانشدناه قول حجل بن نضله

جا شقيق عارضا رمحه ان بني عمك فيهم رماح
هل احدث الدهر بنا نكبة ام هل رقت ام شقيق سلاح

وقلنا انا نفتتح الخطب ونتوسط الحروب فنردها نجمين ونصدر بلغا

والسنا قبل النزال قصيرة ولكنها بعد النزال طوال
فارضك ارضك ان تاتنا تنم نومه ليس فيها حلم
من ظن ممن يلاقي الحروب بان لا يصاب فقد ظن عجزا

فانك متى شئت لقيت منا خصما ضخما ينهشك قضما ويأكلك خضما وحثثناه على الاخذ بكتاب الله تعالى من قوله والصلح خير وان جنحوا للسلم فاجنح لها وانشدناه قول الاول

السلم تاخذ منها ما رضيت به والحرب يكفيك من انفاسها جرع

وقلنا

وقلنا

نصحتك فالتمس يا ويل غيري طعاما ان لحمي كان مرا
الم يبلغك ما فعلت ظباه بكاظمة غداة لقيت عمرا

وجعل الشيطان يشغل بذلك اجفان طرفه ويتيم به شعرات انفه

وحتى ظن ان الغش نصحي وخالفني كاني قلت هجرا

واتفق ان السيد ابا علي ادام الله عزه نشط للجمع بيني وبينه فدعاني فاجبت ثم عرض على حضوري ابا بكر فطلبت ذلك وقلت هذه عدة لم ازل استنجزها وفرصه لا ازال انتهزها فتجشم السيد ابو الحسين مكاتبته يستدعيه واعتذر ابو بكر بعذر في التاخر فقلت لا ولا كرامه للدهر ان نقعد تحت ضيمه او نبيت خسف ظلمه ولا عزاء للعوائق ان تضيعنا ولا نضيعها او تعنينا ولا نذيقها وكاتبته انا اتحذ عربيا على البداد والوي رايه عن الاعتذار واعرفه ما في تمر ظنون تشتبه وتهم تتجه وتتناذر يختلف واعتقادات تحلف وقدنا اليه مركوبا لتكون قد الزمنا الحج واعطينا الراحلة فجانا في طبقة اف وعدد تف

كل بغيض قد اصبح وانفه تحسبه اشبار

مع ارباب غانات واصحاب حربيات لا تنال العين منهم الا حسيسا وسمجا الطرف منه ومنهم في احمق من است النمر واعطش من نقف النعر فظننا انه يريد ان يلقي كتيبة او يهزم دوسرا او يفل الانكدين اويرد الوندي ثم راينا رجالاحونا قد خلعوا اصوافا فاما المعرع ولم يخشن المصرع وقمنا له والية وجلس يحرق ارمه ويتمثل بيت لا يقتضيه الحال من انا في الحاله نستبق فتركناه على غلوايه حتى اذا نفض طائر راسه وفرغ جعبه وسواسه عطفنا عليه فقلنا عافاك الله دعوناك وغرضنا غير المهارشه واستزرناك وقصدنا غير المناوشه

فلتهدا ضلوعك وليفرح روحك يا مارسرجس لا يزيد قتالا وما اجتمعنا
الا لخير فلتسكن سورتك ولتلن فورتك ولا ترقص لغير طرب ولا تهم لغير
سبب وانما دعوناك لتملا المجلس فرايد وتذكر ابياتا شوارد واما لا فوارد
وتباحثك فنسعد بما عندك وتسا لنا فتسر بما عندنا ويقف كل منا موقفه
من صاحبه وقد لما كنت اسمع بحديثك فيحببني الى لقايك والاجتماع معك
والان اذ سهل الله ذلك فلم الى الادب ـــ سنفق يومنا عليه والى الجدل
نتجاذب طرفيه فاسمع خيرا واسمعنا مثله وبدا بالفن الذي ملكت
به زمانك وفت فيه اقرانك وملكت منه عنانك واحدث منه مكانك
وطار به اسمك بعد وقوعه وارتفع له ذكرك عقب خضوعه والحمت به
الرجال حتى اذعن العالم وتلد الجاهل وقالوا فاقول الصوفيه يا
دهشا كله بجارنا بفرسك وطاولنا بنفسك فقال وما هو قلت الحفظ
ان شيت والنظم ان اردت والنثر ان اخترت والبديه ان نشطت
فهذه ابوابك التي انت فيها ابن دعواك فلا تسامها فاك فاحجم عن الحفظ
راسا ولم يجل فيه قدحا وما لـــ ابا دهك فقلت انت وذاك فال
الى السيد ابى الحسين فنما له بيتا ليجيز فقلت يا هذا انا اكفيك
ثم تناولت جزا فيه اشعار وقلت لمن حضر هذا شعر ابى بكر الذي
كد به طبعه واسهر له جفنه واجال فيه فكره وانفق فيه عمره
واستنزف فيه يومه ودونه صحيفة ما امره وجعله ترجمان محاسنه
وعبر به عن باطنه واخذ مكانه به وهو يلتوي بيتا وسا قرن كل بيت
بوقته وانظم كل معنى الى لفقه بحيث اصيب اغراضه ولا اعيد
الفاظه وشريطتي الا اقطع النفس فان تهيا لواحد او امكن لنا يد
ممن قد حضر يريد النظر ان يميز قوله من قولي ويحكم على البيت
انه له اولى او يرجح ما انضجه بنار الرويه على ما امليته على لسان النفس

فلم

فلم بدا السبق او يكون غيرها فاعفني عن هذه المعارضه وتنحى لنا عن ارض
المماثله وتخلى لنا الطريق لمن ثنى المنار به فقال ـــ ابو بكر ما الذي يومننا
من ان يكون نظمت من قبل ما تريد انشاده الان فقلت اقترح لكل بيت قافيه
لا اسوقه الا اليها ولا اقف به الا عليها ومثال ذلك ان تقول حشر
فاقول بيتا اخره حشر ثم عشر فانظم بيتا قافيته عشر ثم هلم جرا
الى حيث يتضح الحق وينتضح الزرق ويستقر الحجه وتطرد وتستقل
الشبهه وتنطرد فيعرف الحالي من العاطل ويفرق بين الحق والباطل
فاني ابو بكر ان يشاركنا هذا العنان ومال الى السيد ابى الحسين فنما له
بيتا ليجيز فتبعنا رايه فيما راه ولم نرض الا رضاه ولم نعدل عن هواه ومبتغاه
واعمل كل منا لسانه وفمه واخذ دواته وقلمه واجزنا البيت الذي قاله
وكلما اجزناه اجازه جاري القلم فيها الطبع وباري اللسان بها السمع
وسارق الخاطر بها الناظر وسابق الجنان فيها البنان الى ان
قلنا ـــــــــ
هذا الاديب على تعسف فكره وبروكه عند القريض ببركه
متسرع في كل ما تعتاده من نظمه متباطي عن تركه
والشعر ابعد مذهبا ومصاعدا من ان يكون مطيعه في ركه
والنظم بحر والخواطر معبر فانظر الى بحر القريض وفلكه
فمتى توالى في القريض مقصر عرضت اذن الامتحان لعركه
هذا الشريف على تقدم ستة المكرمات ورفعه في سمكه
قد رام مني ان اقارن مثله وانا القرين السوء ان لم ابكه
واذا نظرت وجدت ما قد قلته يرد القبيح على حران شركه
عارضت بيتا قلته متعسفا وحطمت حاجة القريض بدكه
ود بغت منه اديمه فتركته نهج الاديم بدبغه وبدلكه

اصغوا الى الشعر الذي نظمته كالدر رصع في مجرى سلكه
لبني عجزت عن القريض بديهة فذي الحرام له اراقة سفكه

فقال ـــــــ ابوبكر ابياتا جهدنا به ان يخرجها عن اللحاف ويبرزها من الغلاف فلم يفعل دون ان طواها وجعل يفركها ويعركها فقلت يا هذا ان البيت لقائله كالولد لناجله فما لك تعق ابنك وتضيمه ابرزها للعيون وخلصها من الظنون فكره ابوبكر ايده الله ان تكون الاسماع اعقل منه لانها تحدث وتغطي فلم يستجز ان يظهرها فبسط جبينه وبسط يمينه للبديهة نفسا دون ان كتب فقال انت وذاك واقترح علينا ان نقول على وزن قول ابي الطيب المتنبي حيث يقول ـــــــ

ارق على ارق ومثلي يارق وجوى يزيد وعبرة تترقرق

وابتدر ابوبكر ايده الله الى الاجابة ولم يزل الى الغايات سباقا فقال ـــــــ

واذا ابتدهت بديهة يا سيدي فاراك عند بديهتي تتقلق
واذا ترضت الشعر في ميدانه لا شك انك يا اخي تتشقق
ان اذاقلت البديهة قلتها عجلا وطبعك عند طبعي يرفق
مالي اراك ولست مثلي عندها متموها بالترهات تمخرق
اني اجيز على البديهة مثل ما تريانه واذا نطقت اصدق
لو كنت من حراص لهاله البديهة واغتدي تتقلق
او كنت لثغا في البديهة قادرا لرويت يا مسكين دون تبرق
وبديهة قد قلتها متنفسا فقل الذي قد قلت يا ذا الاحرق

ثم وقف يعتذر ويقول ان هذا كما يجي الا كما يجب فقلت قبل الله عذرك لكني اراك بين قواف مكروهة وقافات خشنة كل قاف كجبل قاف ـــــــ منها تتقلق وتتشقق وتقلق وتمخرق وتبرق وتسرق واحمق واخرق

الى اشيا لا اكثرها العدد فخذ الان جزاء عن قرضك واوا الفرضك
وقلت ـــــــ مهلا ابابكر فزندك اضيق واخرس فان اخاك حي يرزق

دعني اعرك اذا سكت سلامة فالقول يخدني دويك ويعرق
ولعلك فتكات سوفيكم فدع الستور وراها لا تخرق
وانظر لا تسمع ما اقول وادعي اله الى اعراضكم متسلق
يا احمقا وكفاك ذلك خزية جربت نار معرتي هل تحرق

فلما اصابه حر الكلام ومسه لفح هذا النظام قطع علينا فقال يا احمق لا يجوز فان الحمق لا ينصرف فقلنا يا هذا الا انقطع فان شعرك ان لم يكن عيبه عيب فليس بطرف ظرف ولو سينا لقطعنا عليك ولوجد الطاعن سبيلا اليك واما الحمق فلا يزال يصفعك ونصفعه حتى ينصرف وتنصرف معه وعرفناه ان للشاعر ان يردما لا ينصرف الى الصرف كما ان له رايه في القصر والحذف وانشدناه حاضرا لوقته من اشعار العرب فقال يجوز للعرب ما لا يجوز لك فلم يدر كيف يجيب عن هذا الموقف وهذه الموافقة وكيف يسلم من هذه المناصفة لكنا قلنا له اخبرنا عن بيتك الاول امدحت ام ترحت وزكيت ام جرحت فيها شيا متفاوتان ومعنيان متباينان منها انك بدات فخاطبت يا سيدي والثانية انك عطفت فقلت تتقلق وهما لا يركضان في حلبة ولا يحطان في خطة ثم قلت له خذ وزنا من الشعر حتى اسكت عليك فتستوفي من القول حظك واسكت علينا حتى تستوفي حظنا ثم اني احفظ عليك انفاسك واو امقك عليها واحفظ على انفاسي وواقفني عليها فان عجزت عن اعلاتها حفظتها لك نسلني عنها بعد ذلك واخذنا بيت ابي الطيب المتنبي

اهلا بدار سباك اغيدها ابعد ما بان عنك خردها

فقلت يا نعمة لا تزال تجحدها ومنة لا تزال تكندها
فاخذ بمخنق البيت قبل تمامه ومضيق الشعر قبل نظامه فقال معنى تكندها
فقلت يا هذا كند النعمة كفرها فرفع يديه وراسه وقال معاذ الله ان يكون كند
معنى جحد وانما الكنود القليل الخير فاقبلت الجماعة عليه يوسعونه بريا وبريا
ويتلون له قول الله تعالى ان الانسان لربه لكنود فقلت ا ليس الشرط
املك والعهد بيننا ان نسكت ونسكت حتى تتم وتتم ثم نبحث ونفحص فنبذ
الادب وراء ظهره وصار الى السخف يكيلنا بصاعه ومده وينفض فيه جهده
جهده وافضى الى السفه يغرف علينا غرفا ويستقي من جرفه جرفا فقلت
له يا هذا ان الادب غير سوء الادب وللمناظرة حضرنا لا للمنافرة
فان نفضت عن هذا السخف يدك وثنيت عن هذا السفه قصدك والا
تركت مكالمتك ولو كان في باب الاستخفاف شي ابلغ من ترك
الانكار لبلغته منك فاخذ يمضي على غلوائه ويمعن في هرائه وهذا به
فاستندت الى المسند ووضعت اليد على اليد وقلت استغفر الله
من مكالمتك ونفضتها قايمة معه وسكت حتى عرف الناس وايقن الجلاس
اني املك من نفسي ما لا يملكه واسلك من طريق الحلم ما لا يسلكه ثم عطفت
عليه فقلت يا ابا بكر ان الحاضرين قد عجبوا من حلمي باضعاف ما عجبوا
من علمي وتعجبوا من عقلي اكثر مما عجبوا من فضلي وبقي الان ان يعلموا ان
هذا السكوت ليس عن عي وان تكلفي للسفه اشد استمرارا من طبعك
وعزني في السخف امتن عودا من نبعك وسنقرع باب السخف معك
ونفترع من ظهر السفه مفترعك فتكلم الان فقال انا قد كسبت بهذا
دية اهل همدان مع قلتها فما الذي افدت انت بعقلك مع غزارته فقلت
اما قولك دية اهل همدان فما اولاني بان لا اجيب عنه لكن هذا الذي
به يتمدح ويتبجح ويتشوف ويتصلف من انك سخفت فاخذته وسالت فحصلت

وكذبت

وكذبت فاقتنيت فهذا عندنا صفة ذم عافاك الله ولان يقال للرجل يا فاعل يا
صانع احب اليه من ان يقال يا شحاذ يا مكدي وقد صدقت انت في هذه
الحلبة اسبق وهذه الحرفة اعرق ولعمرك انك اشحذ وانت في الكدية
اشد وانا قريب العهد بهذه الصنعة حديث الورد لهذه الشرعة مرمدا ليدي في
هذه الرقعة فاما مالك فعندنا يهودي يسالك في مذهبه ويزنك بذهبه وهو
مع ذلك لا يطرق الا بعين الرهبة ولا يمد الى الا يد الرغبة ولو كان
الغني حظا كريما لا اخطاه مثل هذا العقل ولو كان المال غنما لما ادرك
بهذا السعي ولكن عرفني هل كنت فيما سلف من زمانك ونبت من اسنانك
الا هاربا بدمائك مضرجا بدمائك مرتهنا بقولك بين وجنة موسومة
وجوارح مهشومة ودار مهدومة وخدود ملطومة ومتى صفت مشاربك
او اخصبت مراتعك الا في هذه الايام الغذرة وستعرف غدك من بعد
وتنكر امسك من وتعلم قدرك في غد وتعرف نفسك وما اضيع وقتا قطعته
بذكرك ولسانا ادنسته باسمك وملت الى القول وهو ابو بكر احمد بن عبد الله
السادناخي فقلت اسمعنا خبرا فدفع القول وغنا ابياتا فيها

وشبهنا بنفسج عارضيه بقايا اللطم في الخد الرقيق

فقال ابو بكر يا قوم احسن ما في هذا الامر اني احفظ
هذه القصيدة وهولا يعرفها فقلت يا عافاك اعرفها وان انشدتكها
ساك مسموعها ولم يسرك مصنوعها فقال انشد فقلت انشد ولكن
رواتي تخالف هذه الرواية وانشدت

وشبهنا بنفسج عارضيه بقايا الوشم في الوجه الصفيق

فاتته السكتة واضجرته النكتة وانطفات تلك الوقدة وانحلت تلك
العقدة واطرق مليا وقال والله لاضربنك وان ضربت ولا شتمنك
وان شتمت ولتعلمن نباه بعد حين ولتعلمن اينا الضارب وانا المضروب

وقلت يا ابا بكر مهلاً فانك بين ثلاثة فصول لم تخطها من عمرك وتلك احوال
لم تعهدها في امرك وانت بي في جميع الثلاثة ظالم في وعيدك متعدٍ في تهديدك
لانك كهل وانت شاعر وكنت شابا وانت مقامر وكنت صبيًا وانت مواجر
فنطاق القدرة في الثلاثة الفصول ضيق عن هذا الوعيد لكنا نصفعك
الان وتضربنا فيما بعد فقد قيل اليوم قصف وغدا خسف وقيل اليوم
خمر وغدا امر فقال ابو بكر والله لو انك دخلت الجنة والحدت
السندس والاستبرق جنة لصفعت فقلت والله لو ان فقال غدا
في درج في حرج في برج لاخذك من النعال ما قدم وما حدث وتملك
من الصفع ما طاب وخبث وانشدت قول ابن الرومي

ان كان شيخنا سفيهًا يفوق كل سفيه
فقد اصاب شبيهًا له وفوق الشبيه

ثم لما ابت نفس العقل وزال سكر الغيظ تمثلت بقول القايل وانزلني
طول النوى دار غربة اذا شيت لاقيت امرًا لا اشاكله
احامقه حتى يقال سجية ولو كان ذا عقل لكنت اعاقله
ودفع القوال فبدا بابيات ولحن باصوات وجعل النعاس يثني الرووس
ويمنع الجلوس فقمنا عن الليل وهو بحر يعانع الدتن لنا ما وطي من مضجع
ومهد من مهجع ولم يكن النوم ملا الجفون ولا شغل العيون حتى اقبل وفد
الصباح وحصل المؤذن بالفلاح وندب بالنهوض الى المفروض واجبا
فلما قضينا الفرض فارقنا الارض فاوى الى ام مثواه واويت الى المجثم
وظني ان هذا الفاضل ياكل يده ندمًا ويبكي على ما جرى دمعًا ودمًا
فانه اذا سمع بحديث همدان قال الهاء هم والميم موت والدال دل
والالف آفة والنون ندامة وانه اذا نام هاله منا طيف واذا انتبه
راعه منا سيف واخذ الناس يتزامزون بما جرى ويتغامزون وراب

هذا الفاضل عمرًا انتم مثلما راب المريض تغامز العواد فجعل يحلف للناس بالعتق
وتحرير الرق والمكتوب في الرق انه احد قصب السبق وانه ينطق
عن الحق والناس اكياس لا يقنعهم عن المدعي يمين دون شاهدين
وسعوا بيننا بالصلح يحكون قواعده ومعاقده وعرفنا له فضل السن
فقصدناه معتذرين اليه فاوى اباه مهيضة واهتز اهتزازًا مغيظة
واشار اشارة مريضة بكف سحبها على الهوا ويد بسطها في الجو بسطا
وعلمنا ان للمقمور ان يسخف ويستهين وللقامر ان يحتمل ويلين
فقلنا ان بعد الكدر صفوا كما ان عقب المطر صحوا فهل لك في
خلوة العشرة نستانفها وطرق في الخلطة نسلكها فان ثمرة
الخلاف ما قد بلوتها فقال ظهر الوفاق اوطا كما ذكرت
والجميل اجمل كما علمت وسنشترك في هذا العنان وعرض علينا
الاقامة عنده سحابة ذلك اليوم فاعتللنا بالصوم فلم يقبل العذر
والح فقلت انت وذاك فطعمنا عنده واخذنا ديدان مرده وخرجنا
والنية على الجميل موفورة وتبعة الود مغمورة وصرنا لا نتعلل الا بحديثه
ولا نتنقل الا بذكره ولا نعتد الا بوده لا بل ملانا البلد شكرًا والاسماع
نشرًا وتبنا نحن من الحال في اعذبها شرعة ومن الثقة في اطيبها جرعة
ومن الظنون في افلجها قرعة ومن المودة في اعمرها بقعة واوسعها رقعة
حتى طرا علينا رسولان متحملان لمقالة مموديان لرسالة يذكران بان
ابا بكر يقول قد تواترت الاخبار وتظاهرت الآثار في انك تهرف
واني تهرق ولا اشك ان ذاك التواتر عنك صدر في اوايله والخبر
اذا تواتر به النقل قبله العقل ولا بد ان نجتمع في مجلس بعض الروسا
فنتناظر بمشهد الخاصة والعامة فانك متى لم تفعل ذلك لم آمن عليك تلامذتي
او نفر يحجزك وقصورك عن بلوغ امدي ومنال يدي فعجبت كل العجب

فما سمعت واجبت فقلت اما قولك قد تواتر الخبر بانك تهوت وان ذلك
عن حمتي صدر ومن لساني سمع فبالله ما اتدح بتهوك ولا اسمح بقسرك
وان لنفسك عندك لشانا ان ظننتني اقف هذا الموقف انا ان شا الله
ابعد من ذلك مرتقى همه ومصعد نفس اسال الله سترا لمتد وو جها لا يسود
فاما التواتر من الناس والتظاهر على اى تهوتك فلو قدرت على الناس
لخطت افواههم ولقبضت شفاههم فما الحيله وهل الى ذلك سبيل
فاتوسل الى ذريعه فاتوصل ثم هذا التواتر ثمره ذلك التناظر ع ذلك
التساتر فان كان سالك فاحري ان يستوك عند مجتمع الناس ومحتفل
اولي الفضل ولان نترك الامر مختلفا فيه خير لكم من ان نتفق عليه
فان احببت ان تطير هذا الواقع وتهيج هذا الساكن فرايك موفقا
فاما هذا الوعيد فقد عرضته على جوانحي وجوارحي كلها فلم تنشد
الا قول ـــــ القايل

وعيد تخدج الارام منه ويكره منه الغنم الذياب
فكم تتكوكب تلامذتك وتتعسكرون وتتحشد اصحابك وبنا جعفرون
ولست اراك الاين ممين احدهما يروح الى انثى ويغدوا الى طفل
والاخر يحب دعوه المضطر اذا دعاه بسلفات فان كان لله قد
قضى ان اقتل باخس السلاح فلا مفر من القدر المتاح رزقنا الله
عقلا به نعيش ونعوذ بالله من راي بنا يطيش وقلنا من بعد
ان رسالتك هذه وردت موردا لم نحتسبه ووصلت موقفا لم نرتقبه
فلذلك خرج الجواب عن البصل نوما وعن الجبل لوما فلما ورد
الجواب عليه وسع من الغيظ فوق مليه وحمل من الحقد فوق عتيه
وقال قد بلغ السيل الزبي وعلت الوهاد الزبي في امرك وسنري
يومك وتعرف قومك ثم مضت على ذلك ايام ونحن منتظرون لفاضل

بنشط

بنشط لهذا الفصل وينظر بيننا بالعدل فاتفقت الآرا على ان يعقد هذا
المجلس في دار الشيخ السيد ابي القسم الوزير واستدعيت فسوحت
الطرف من ذلك السيد في عالم افرع في عالم وملك في درع ملك ورجل
نظمي الى التفيل تبذلا ولى الى الترفع تواضعا ونطق فودت الاعضا لو انها
اسماع مصغيه واستمع فتمنت الجوارح لو انها السنه ناطقه فقلت الحمد لله
الذي عقد هذا المجلس في دار من يفرق بين من يحق وبين من يخرق وكنت
اول من حضر وانتظر مليا حضور من ينظر وقدوم من يناظر وطلع الامام
ابو الطيب واخذ من المجلس موضعه والامام ابو الطيب بنفسه امه ووحده
عالم ثم حضر السيد ابو الحسين ادام الله عزه وهو ابن الرساله والامامه
وعامر اراضي الوحي والمحتبي ثمار النبوه والضارب في الادب بعرقه
وفي النطق بحذقه وفي الانصاف بحسن خلقه فجشم الى المجلس قدم سبقه
وجعل يضرب عن هذا الفاضل بسيفين لا مركان قد موه عليه وحديث
كان شبه لديه وفطنت لذلك فقلت ايها السيد انا سار عنوي في
التشيع برجلين طرت بجناحين وادامت سواي في موالاه اهل
البيت بلمحه دالة توسلت بغره لائحه فان كنت ابلغت غير الواجب
فلا تحملنك على ترك الواجب ثم ان لي في ال الرسول صلى الله عليه وسلم
وعليهم قصايد قد نظمنت حاشيتي البر والبحر وركبت الافواه ووردت
المياه وسارت في البلاد ولم تسر بزاد وطارت في الافاق ولم تطر
على ساق لكني لا اتشوف بها لديكم ولا انفق بها عليكم وللاخره قلتها
لا للحاضره وللدين ادخرتها لا للدنيا وللمعاد نظمتها لا للمعاش فقال
انشدني منها فقلت

يا امه ضرب الزمان على معرسها خيامه
لله دارك من خزامى روضه عادت ثغامه

لهزيمة قامت بها للدين اشراط القيامه
لمضرج بدم النبوه ضارب بيد الامامه
متقسم بظبى السيوف مجرح منها حمامه
منع الورود وماوه منه على طرف الثمامه
نصب ابن هند راسه فوق الورى نصب العلامه
ومقبل كان النبي يلثمه يشفي غرامه
قرع ابن هند بالقضيب عذابه فرط استضامه
وشدا بنغمته عليه وصب بالفضلات جامه
والدين ابلج ساطع والعدل ذو خال وشامه
ياويح من ولي الكتاب قفاه والدنيا امامه
ليضرسن يد الندامه حيث لا يغني الندامه
وليدركن على الغرامه سوء عاقبه الغرامه
وحمي اباح بنواسيه عن طوايلهم حرامه
حتى اشتفوا من يوم بدر واستثاروا بالزعامه
لعنوا امير المومنين بمثل اعلان الاقامه
لم لم تخر باسما ولم تصب اغمامه
لم لم تزول يا جبال ولم تنشق يا نعامه
يا لعنة صارت على اعناقهم طوق الحمامه
ان الامامه لم تكن للئيم ما تحت العمامه
من سبط هند وابنها دون البتول ولا كرامه
يا عين جودي للبقيع فدمعي بدم رغامه
جودي بمخزون الدموع وانسلي بددا نظامه
جودي لمشهد كربلا فوفري مني دمامه

جودي لمكنون الجمان احد بما جاد ابن مامه

فلما انشدت ما انشدت وسردت ما سردت وكشفت له الحال فيما اعتمدت الحلت تلك العقده وصار سلما ابو سعد حليما وحضر بعد ذلك الشيخ ابو عمرو البسطامي وناهيك من حلم يفضل وباطن يعلك يسمع فيفهم ويقول فيعلم ثم حضر بعد ذلك القاضي ابو نصر والادب ادنى فضايله وايسر فواضله والعدل شيمه من شيمه والصدق مقتضى همه وحضر بعده الشيخ ابو سعد محمد بن ادريس ايده الله وهو الرجل الذي تحسبه لالاوه اولو دعيته من ان يدلك بمن وتمس الرجل بهو الفاضل الذي يخطب في حمل الكتابه ما شا ويركض في حلبه العلم ما اراد وحضر بعده ابو القسم بن حبيب وله في الادب عينه وقراره وفي العلم شعلته ونازه وحضر بعده الفقيه ابو الهيثم ورايد الفضل تقدمه وقايد العقل يخدمه وحضر بعده الشيخ ابو نصر بن المرزبان والفضل منه بدا واليه يعود وحضر بعده الشيخ ابي الطيب رحمه الله وما منهم الا اغر نجيب وحضر بعدهم اصحاب الشيخ الفاضل ابي الحسن الماسرجسي وكل اعدا الرجال مقدم وحضر بعدهم اصحاب الاستاد ابي عمرو البسطامي وهم في الفضل كاسنان المشط ومنه باعلى مناط العقده وحضر بعدهم الشيخ ابو سعد المهلبي وله في الفضل قدحه المعلى وفي الادب خطه الاعلى وحضر بعد الجماعه اصحاب الاسيله والاسوله المرسله رجال يلعن بعضهم بعضا فصاروا الى الى قلب المجلس وصدره حتى رد كيلهم في نحرهم واقيموا بالنعال الى صف النعال نقلت لمن حضر منها ولا فقالوا اصحاب الخوارزمي فلما اخذ المجلس زخرفه بمن حضر وانتظر ابو بكر فتاخر اقترحوا على قوافي ائتنوها واقتراحات كانوا يبنوها بما طنك بالحلفا اذ بينت لها الانا

من لفظ الى المعنى نسقته وبيت الى القافيه نسقته على ريق
لم ابلغه ونفس لم اقطعه وصار الحاضرون بين اعجاب بما اوردت
وتعجب مما انشدت وقال احدهم بل واحدهم وهو الامام ابو الطيب
لن نومن لك حتى نقترح القوافي ونعين المعاني وننص على بحر فان قلت
حينيذ على الروي الذي اسومه وذكرت المعنى الذي ارومه وانت حي
القلب كما عهدناك منشرح الصدر كما شاهدناك شجاع الطبع كما وجدناك
شهدنا انك قد احسنت وان لا فتى الا انت فما خرجت من عهده هذا
التكليف حتى ارتفعت الاصوات بالهيلله من جانب والحوقله من اخر
وتعجبوا الدار ثم الايام ما لم ترهم الاحلام وجادلهم العيان بما لا يحل به
السماع واخذتهم النهم ما اخلفهم الوهم ثم التفت فوجدت الاعناق تلتفت
وما شعرت الا بهذا الفاضل وقد طلع في شملته وهب نجلته باوداج ما
يسعها الوزان وعينين في راسه تزرزان ومشى الي فوق رقاب الناس
وجعل يدس نفسه بين الصدور يريد الصدر وقد اخذ المجلس اهله
فقلت يا ابا بكر تزحزح عن الصدر قليلا الي امقابله اضيك فقال لست
برب الدار فتامر على الزوار فقلت يا عافاك الله حضورك لتناظرني
والمناظره اشتقت اما من النظر واما من النظير فان كان اشتقاقها
من النظر فمن حسن النظر ان تكون مقعدنا واحدا حتى تبين الفاضل
من المفضول ثم يتطاول السابق ويتقاصر المسبوق وان كان من
النظير فانا نظيرك وانت نظيري فلم تتصدر انت وانا اجلس بين
يديك فقضت الجماعه بما قضيت وغض هذا الفاضل من تلك الحكمه
وانحط عن تلك العظمه وقابلني بوجهه فقلت اراك ايها الفاضل
حريصًا على اللقا سريعًا الى الهيجا ولو ربتك الحرب لم تزمزم
ففي اي علم تريد ان تناظر فاومى الى النحو فقلت يا هذا ان النهار قد تمتع

والوقت

والوقت قد ارتفع والظهر قد ازف وان قطعنا فرعنا باب النحو اضعنا اليوم
فيه فاذا خرج القوم وعلا هتاف الناس انهم رد الجواب هناك ما
يدري المجيب فان شيت انا اناظرك في النحو فسلم الان لي ما كنت
تدعيه من سوعه في البديهه وجوده في الرويه وقدره على الحفظ
ونفاد في الترسل ثم انا اجاريك في هذا فقال لا اسلم ذلك ولا اناظر في
غير هذا وارتفعت المضاجه واستمرت الملاجه حتى اتلع الاستاد
الفاضل ابو عمر اليه وقال ايها الاستاد انت اديب خراسان وشيخ
هذه الديار وبهذه الابواب التي قد عدها هذا الشاب كنا نعتقد
لك السبق والحذق وتثاقلك عن مجاراته فيها مما يتهم ويوهم واصطرم
الامتنان له فيها او نزول عنها ومقام فيها او اقرار بها فقال قد
سلمت الحفظ فانشدت قول القايل

وممتلىء كشفت بالرمح ذيله اقمت بعضب ذي سفاسق ميله
فجعت به في ملتقى الحي خيله تركت عتاق الطير تحجل حوله

وقلت يا ابا بكر خفف الله عنك كما خففت عنا في الحفظ
فقد كفيتنا مونة الامتحان ولم تضع وقتنا من الزمان فلو تفضلت
وسلمت البديهه ايضا مع الترسل حتى نفرغ للنحو الذي انت فيه اكبر
واللغه التي انت بها اعرف والعروض الذي انت عليه اجرا والامثال
التي لك فيها السبق والقدم والاشعار التي انت فيها تقدم فقال
ما كنت لاسلم الترسل ولا سلمت الحفظ فقلت الراجع في شيه
كالراجع في قيه لكنا نقبلك عن ذلك سماحًا فهات انشدنا خمسين
بيتًا من قبلك مرتين حتى انشدك عشرين بيتًا من قبلي خمسين مره
فعلم ان دون ذلك خرط القتاد تهاب شوكته اليد فسلمه ثانيا
كما سلمه باديا وصرنا الى البديهه فقال احد الحاضرين هاتوا على شعر

ابي الشيص في قوله
ابقى الزمان به ندوب عضاض ورمى سواد قرونه ببياض
فاخذ ابو بكر يخضد ويحصد معذراً انا نغفل عن انفاسه او نولبه
جانب وسواسه ولم يعلم ان نحفظ عليه الكلم ثم نوافقه عليها فقال
يا قاضياً ما مثله من قاض انا بالذي تقضي علينا راض
فلقد لبست صفيةً ملمومةً من نسج ذاك البارق الفضفاض
لا تغضبن اذا نظمت تنفساً ان الغضى في مثل ذاك تغاض
فلقد بليت بشاعر متقادر لا بل بليت بناب ذئب عاض
ولقد فرضت الشعر فاسمع واستمع لنشيد شعري طائعاً وقواضي
فلا علن بديهةً بتلهي ولأرمين سواده ببياض
فقلت يا ابا بكر ما معنى قولك صفيه ملمومه وما الذي اردت بالبارق
الفضفاض فانكر ان يكون قاله قافيه فوافقه على ذلك اهل
المجلس فقالوا قد قلت ثم قلت ما معنى قولك ذئب غاض فقال
هو الذي ياكل الغضا فقلت استنوق الجمل يا ابا بكر فانقلبت
القوس ركوةً وصار الذئب جملاً ياكل الغضا وما معنى قولك ان
الغضا في مثل ذلك اتغاض فان الغضا لا اعرفه بمعنى الاغضاء
فقال لم اقل الغضا فقلت فا قلت فانكر البيت جمله فقلت يا
وتحك عن اغناك عن بيت تهرب منه وهو يتبعك وتتبرا منه وهو
يلحق بك بنقل لي ما معنى قواض فلم اسمعه مصدراً من قرضت الشعر
ولكن هلا ملت كما قلت وسقت الحشو الى القافيه كما سقته فقال
هذه طريقة لم يسلكها العرب فلا اسلكها ثم دخل الرئيس ابو جعفر
والقاضي ابو بكر الحربي والشيخ ابو زكريا الحيري وطبقه من الافاضل
مع عدة من الاراذل فيهم ابو رشيد فقلت ما احوج هذه الجماعة الى
واحد

واحد يصرف عنهم عين الكمال واخذ الرئيس مكانه من الصدر والدست
وله في الفضل قدم وقدم وفي الادب هم وهمم وفي العلم قديم وحديث
فتم المجلس وطهر الحق بنظره وقال قد ادعيت عليه ابيات
انكرها فدعوني من البديهة على النفس واكتبوا ما يقولون وقولوا
على هذا الروي
برز الربيع برونق مائه فانظر لروعة ارضه وسمائه
فالترب بين ممسك ومعنبر من نوره بل مائه وروائه
والماء بين مصندل ومكفر في حسن كدرته ولون صفائه
والطير مثل المحسنات صوادح مثل المغني شادياً بغنائه
والورد ليس بممسك رياه بل يهدي لنا نفحاته من مائه
زمن الربيع جلبت ازكى متجر وجلوت للرائين خير جلائه
فكانه هذا الرئيس اذا بدا في خلقه وصفائه وعطائه
يحيي اغر محجب ويدي اغر محجل في خلقه وروائه
يعشو اليه المجتلي والمجتدي والمحتوي هو هائب لقائه
ما البحر في تزخاره والغيث في امطاره والجو في انوائه
باجل منه مواهبا ورغائبا لا زال هذا المجد حلف فنائه
والسادة الباقون سادة عصرهم متمدحون بمدحه وثنائه
فقال ابو بكر تسعه ابيات قد غابت عن حفظنا لكنه جمع فيها
بين اقوا واكفا واخطا وابطا ورددنا عليه بعد ذلك عشرين
رداً ونقدنا عليه فيها كذا نقداً ثم قلت لمن حضر من وزير ورئيس
وفقيه واديب ارايتم لو ان رجلاً حلف بالطلاق الثلاث لا انشد
شعراً قط ثم انشد هذه الابيات فقط هل كنتم تطلقون امراته
عليه فقالت الجماعه لا يقع بهذا طلاق ثم قلت القد علي فيما نظمت

ضي

فقلت

ما أغناك

واحكم عليه كما حكمت فاخذ الاساتذ وقال لا يقال نظرت لكذا وانما
يقال نظرت اليه فكفتني الجماعة اجابته ثم قال لم شبهت الطير
بالمحصنات واي شبه بينهما فقلت يا رقيع اذا جا الربيع كانت
شوادي الاطيار تحت ورق الاشجار يكن كالمخدرات تحت
الاستار ثم قال لم قلت مثل المحصنات مثل المغني فقلت هن في
الخدر كالمحصنات وكالمغني في ترجيع الاصوات ثم قال لم قلت
زمن الربيع جلبت اذكى متجر وهلا قلت اربح متجر فقلت ليس الربيع بتاجر
يجلب البضايع المربحة ثم قال ما معنى قولك الغيث في امطاره والغيث
هو المطر نفسه فكيف يكون له مطر فقلت لا سقى الغيث العداديا
لا يعرف الغيث وقلت له ان الغيث هو المطر وهو السحاب
كما ان السما هو المطر وهو السحاب وقالت الجماعة قد علمنا اي
الرجلين اشعر واي الخصمين اقدر واي البديهتين اسرع
واي الرويتين اصنع فقال ابو بكر ما سبقوني على الظفر فقالوا
كفاك ما سبقا ثم ملنا الى الترسل وقلت اقترح علي غاية ما في طوقك
ونهاية ما في وسعك واخر ما تبلغه بدرعك حتى اقترح عليك اربع مايه
صنف من الترسل فان سرت فيها برجلين ولم اطر بجناحين بل
ان احسنت الغناء بواحد من هذه الاصناف ولم يخلف كل الاخلاف
فلك يد السبق وقصبه ومثال ذلك ان اقول لك اكتب كتابا تقرا منه
جوابه هل يمكنك ان تكتب او اقول لك اكتب كتابا على المعنى الذي
اقترح لك وانظم شعرا في المعنى الذي اقترح وافرغ منهما فراغا واحدا
هل كنت تهتدي لهذا ساعدا او اقول لك اكتب كتابا في المعنى الذي اقوله
وانص عليه وانشد من القصايد ما اريد من غير تثاقل ولا تغافل حتى اذا
كتبت ذلك تري من اخره الى اوله وانتظمت معانيه اذا قرئ من اسفله

هل

هل كنت تفوق لهذا الغرض سهما او تحيل قدحا او تصيب نجحا او قلت
لك اكتب كتابا في المعنى الذي اقترح لا يوجد فيه حرف منفصل من
واو يتقدم الكلم او ذال ينفصل عن الكلم بديهة ولا تحم فيه قلملك هل
كنت تفعل او قلت لك اكتب كتابا خاليا من الالف واللام لا تصب
معانيه على قالب الفاظه ولا تخرج عن حمى اغراضه هل كنت تقف من ذلك
موقفا ممدوحا او يبعثك ربك مقاما محمودا او قلت لك اكتب كتابا
يخلو من الحروف العواطل هل كنت تحظى منه بطايل او كنت تبل لهاتك
بباطل او قلت لك اكتب كتابا اوايل صدوره كلها ميم واخره جيم على المعنى
الذي نقترح هل كنت تغلو في قوسه غلوة او تخطو في ارضه خطوة او
قلت لك اكتب كتابا اذا قرئ معوجا وسرد معوجا كان شعرا هل كنت
تقطع في ذلك شعرا بلى والله تصيب ولكن من بدنك وتقطع ولكن من
ذنبك واقول لك اكتب كتابا اذا فسر على وجه كان مدحا واذا
فسر على وجه اخر كان قدحا هل كنت تخرج عن عهدة العهدة او قلت
لك اكتب كتابا اذا كتبته تكون قد حفظته من دون ان لحظته هل
كنت تثق من نفسك به الى ما لا اطاولك بعده بل اسئل البايل اعلم فقال
ابو بكر هذه الابواب شعبذة فقلت وهذا القول طرمذة فما الذي تحسن
انت من الكتابة وفنونها حتى اباحثك على مكنونها واكاثرك بمخزونها
واناسرك فيها بقلمك واسابرك فيها بلسانك وفمك فقال الكتابة التي
تتعاطاها اهل زماننا هذا المتعارفة بين الناس فقلت اليس لا تحسن
من الكتابة الا هذه الطريقة الساذجة وهذا النوع الواحد المتداول بكل
قلم والمتناول بكل يد وفم ولا تحسن هذه الشعبذة فقال نعم فقلت
هات الآن حتى اطاولك بهذا الحبل واناضلك بهذا النبل ثم نقابس
الفاظي بالفاظك ويعارض انشائي بانشائك واقترح كتابا يكتب في

سعار
النقود وفسادها والتجارات ووقوفها والبضاعات وانقطاعها والا
وغلاءها فكتب ابو بكر الدرهم والدينار ثمن الدنيا والاخرة
بهما يتوصل الى جنات النعيم ويخلد في نار الجحيم قال الله تعالى خذ من اموالهم
صدقة تطهرهم وتزكيهم بها الاية وقد بلغنا من فساد النقود ما اكبرناه
اشد الاكبار وانكرناه اعظم الانكار لما نراه من الصلاح للعباد
وننويه من الخير للبلاد وتعرفنا في ذلك ما برح الناس في الزرع والضرع
تقدم من اليه امر النفع والضر الى كلام لم يتعلق بخاطرنا فقلت ان
الاكبار والانكار والعباد والبلاد وجنات النعيم ونار الجحيم والزرع والضرع
اسجاع قد نبتت في العهد ولم تزل في اليد وقد كنت وكنت ذا لا الطالبك
مثل ما انشات فاقرا ولك اليد وما ولته الرقعة فبقي وتسنت الجماعة ونهضت
وبهتت الكافة وقالوا لي اقرا فجعلت اقراه منكوسا واسرده معكوسا
والعيون تبرق وتحار وكان نسخه ما انشاناه
الله شا ان المحاضر صدورها وتملا المنابر ظهورها وتقرع الافانر
وجوه بها وتشق المحابر بطون لها ترشق اثارا كانت فيه امالنا
مقتضى على ايادبه في تابيده الله ادام الامير جرى واد المسلمين ظهور
عن الثقل هذا ويرفع الدين اهل عن الكل هذا خط ان فيه اليه
بتضرع ونحن واقفة والتجارات زائفة والنقود صيارفه اجمع الناس
صار فقد كربما نظرا السطر شيمه مصاب فانجعنا كرهه بارقه
وشمنا همه على امالنا ارتغاب وعلقنا اجوالنا وجوه له وكشفنا امالنا
ووفد اليه بعثنا فقد نطق جميل يتداركنا ان ونعماه تاسله وادام نعماه
الله اطال الجليل الامير راى ان وصلى الله على محمد واله الاخيار فلما
فرغت من قراتها انقطع ظهر احد الخصمين وقال الناس قد فرغنا
الترسل ايضا فملنا الى اللغة فقلت يا ابا بكر هذه اللغة التي هذبنا بها

وحدثنا

وحدثنا عنها وهذه كتبها وتلك مولفاتها وهي مولفة فخذ غريب المصنف
ان شئت واصلاح المنطق ان اردت والفاظ ابن السكيت ان نشطت
ومجمل اللغة ان اشتهيت وهو الف ورقة وادب الكتاب ان اخترت
واقترح علي اي باب شئت من هذه الكتب حتى اجعله لك نقدا واسرده
عليك سردا فقال اقرا من غريب المصنف رجل ماش خفيف على مال
مال وما اسماه فاندفعت في الباب حتى قراته فلم اتردد فيه واتيت على
الباب الذي يليه ثم قلت اقترح غيره فقال كفى ذلك فقلت له اقرا
الان باب المصادر من اختيار فصيح الكلام لا اطالبك بسواه واسالك
عما علاه فوقف حماره وخمدت ناره وقال للناس ان اللغة مسلمة لك ايضا
فهاتوا غيره فقلت يا ابا بكر هات العروض فهو احد ابواب الادب
وسردت منه خمسة ابحر بالقابها وابياتها وعللها وزحافها فقلت
هات الان فاسرده كما سردته فلما برد فحجر الناس وقاموا عن المجلس يفدو نني
بالاباء والامهات ويشيعونه باللعن والسب وقام ابو بكر فغشي
عليه وقمت اليه فقلت

يعز علي يا للناس اني قتلت مناسبي جلدا وقهرا
ولكن رمت شيئا لم يرمه سواك فلم اطق يا لتصبرا

وقبلت عينه ومسحت وجهه وقلت اشهدوا ان الغلبة له فهلا يا ابا بكر
جيتنا عن باب الخلطة وفي باب العشرة وتفرق الناس وحبسنا
للطعام مع افاضل ذلك المقام فلما عكفنا على الخوان كرعت في الجفا ن
واسرعت الى الرغفان وامعنت في الالوان وجعل هذا الفاضل يتناول
الطعام باطراف الاظفار فلا ياكل الا قضما ولا ينال الا شما وهو مع ذلك
ينطوي عن كبد حرى ويفيض عن نفس ملأى فقلت يا ابا بكر بقيت لك
منه وفيك مسكة ○

يا قوم اني ارى الاموات قد نشروا والارض تلفظ موتاكم اذا قبروا
فاخبرني يا ابا بكر لم غشي عليك فقال الحمى الطبع وحمى الغزو فقلت انى
انت عن التحجع هلا علت حمى الطبع وحمى الصقع وقال السيد
ابو القسم ايها الاستاذ دع الحديث واعزل بعينه فقلت لا تطلبوه
ولا تطعموه طعاما اصير في بطنه مغصا وفي عينه رمصا وفي جلده برصا
وفي حلقه غصصا فقال ابو بكر هذه اسجاع كنت حفظتها فقل كما اقوله
يصير في عينك قذى وفي حلقك اذى وفي صدرك شجى فقلت يا ابا بكر
على الالف ترد خذ الان يفتك البرى وعلى هامتك الثرى وقلا اطعمك
الخرا الامس وكما ترى فقالوا ايها الاستاذ السكوت اولى وما لوا
الي وقالوا ملكت فاسجح فابى ابو بكر ان يبقي لنفسه حمة لم ينفضها
او يدخر عنا كله لم يعرضها فقال والله لا تركتك من المهمات فقلت ما
معنى الميمات فقال ما بين مهزوم ومهدوم ومهشوم ومغموم ومحموم
ومرجوم فقلت واتركك بين المهمات ايضا بين الهيام والصدام والجذام
والحمام والزكام والسام والبرسام والهام والسقام وبين السينات
فقد علمتنا طريقه بين منحوس منخوس منكوس معكوس متعوس
محسوس مخروس وبين الخاءات فقد فتحت علينا بابا بين مطبوخ
مشدوخ منسوخ ممسوخ مفسوخ وبين الباءات فقد علمتني الطعن
وكنت ناسيا بين مغلوب مسلوب مرعوب مصلوب مكروب
منكوب منهوب مغصوب وان شئنا كلنا لك بهذا الصاع وطاولناك
بهذا الذراع ثم خرجت واحتجز وقد كان اجتمع الناس وعلت الكروش
فلما خرجت لم يلقوني الا بالشفاه تقبيلا وبالافواه تبجيلا وانتظروا
خروجه الى ان غابت الشمس ولم يخرج ابو بكر حتى جعل الليل جنوده وخلع
الظلام عليه فروته فهذا ما علقناه عن المجلس وادنيناه والسيد اطال الله
بقاه

بقاه يقف عليه ان شا الله وله المنه **وكتب** الى ابي العباس الفضل
ابن احمد الاسفرايني ما اظن اطال الله بقا الشيخ السيد آل سامان
الا مدعين على الله مقاطعة ارضه ومساقاة ثمارها يا هولا لا تكابروا الله في
بلاده ولا تزادوا الله عن مراده ان الارض لله يورثها من يشا من عباده
وما ارى آل سبكتكين الا معتقدين انهم ياخذون خراسان مهرا الا انها كانت
لامهم مهرا فلهم من حولها تخبيط والله من ورايهم محيط وبلغني ان صاحبهم
اسر فان كان ما بلغني صحيحا فمرحبا بالاسر ولا لعا للعاثر جثام
كفر الكافر وغدر الغادر وابو الحسين بن كثير خذله الله لا يكاد يري
الخير من اي واحد افرجوه من ابن كثير وهو الترياق المجرب لو سمه
الملك المقترب يقدم من كل جانب دحورا هذا المويد من الشما بين يدي من
نكس في بيع وهذا سنان الدولة ببركة ضميمة وقع في تخسيس ولا يزال هذا
البابيس حتى يسل الله العافية عن بدنه وحدث ما حدث هذا الجمال كان
ابليس يقسم كل صبيحة اللحى الفا فصار يقسم الوفا سلطان اتاه الله
واسطة البر وحاشية البحر وامكنه من طاغية الهند وسخر له ملوك الارض
يريد جمال مراغة يا للرجال لنازل الحدثان اني لاعجب من راس
يودع تلك الفضول فلا ينشق ومن عنق يحمل ذلك الراس فلا يندق
وما اجد لابن محمود مثلا الا ابن الراوندي اذ ذهب الى ابن الاعرابي
يسله عن قول الله تعالى فاذاقها الله لباس الجوع والخوف اتقول العرب
ذقت اللباس فقال لا باس ولا باس واذا احيا الله الناس فلا حيا ذلك
الراس هبك تتهم محمدا بان لم يكن نبيا اتتهمه بان لم يكن فصيحا عربيا وجيت
تسال ابن الاعرابي اليس الاعرابي نفسه جاهد الكلام كذلك ابن
محمود ينفض استه ويضرب مذرويه لينال الملك لا لوافر عدد ولا لكثير
عدد انا يطمع في الملك لانه ابن محمود افليس محمود نفسه بالملك احق

فالحمد لله الذي نصركم واخزاهم وثبتكم ونفاهم واركب اخدهم واولاهم ولا رحم الله
قتلاهم ولا جبر جرحاهم ولا فك اسراهم ولا ارى الامن افقاهم وان اقتتلوا فقصّ
الله فاهم ويرحم الله عبدا قال امين

وله اليه ايضا في هزيمة السامانية بباب مرو

وردت رقعة الشيخ الجليل ادام الله بسطته من على صدر اسطرها وقلب
استشعرها واني لا اغلط في قوم اميرهم صبي وولي في دولة عميدها خصي
وسنا بها حلقي ونصيرها شقي وعلاؤها نوى انى اذا القوي باقوم بلا دا
ينصرون المال عليه اعتمادهم ام جمع هو مددهم ام لعدل به اعتضادهم
ام لراي هو عمادهم هل هم الا شطر في نظور ان الله تعالى علم انهم ان
ملكوا لم يصلحوا وامرتهم اذا ان لا يفلحوا فسمعوا واطاعوا طايفة من المدابير
وتوعم بين النار والنيران اقاموا فالسيوف الهندوانية وان اهينوا
فالاتراك والخابنة وان ايسروا فجرجان والجرجانية وان استاخروا
فالعطش والبرية هو الموفق ان شا الله اخذا بالحلاقيم محيطا
بالطاعن منهم والمقيم جرجان يا مدابير جرجان ان بها شمة من
التين وموتا في الحين ونظرة في الثمار والاخرى الى التابوت
والحفار وبحار اذا راي الخراساني نحر التابوت على تدو واسلف
الحفار على لحده وعطارا يعد الحنوط وبها للغريب ثلاث نحات
للكيس اولها لكرا البيوت والثانية لابتياع القوت والثالثة
لثمن التابوت اعلانهم اسواق التجارين والحفارين والمكاريين
امين رب العالمين

وله ايضا الذي فتح بها طيه

ان الله هو العلي العظيم المعطي من شا ما شا من على الانسان
بهذا اللسان خلق ابن ادم واودع فكيه مضغة لحم يصرفها في القرون
الماضية وخبرنا عن الامم الآتية يخبر بها عما كان بعد ما خلق وعما

يكون

يكون قبل ان يخلق ينطق بالتواريخ عما وقع من خطب وجرى من حرب
وكان من يابس ورطب وينطق بالوحي عما سيكون من بعد وصدق
الله به الوعيد ثم لم ينطق التاريخ بما كان ولا الوحي بما يكون ان الله تعالى
خص احدا من عباده ليس النفيس بما خص به الامير السيد يمين الدولة
وامين الملة ودون الجاحدان مجد اخبار الدولة العباسية والملة
المروانية والسنين الحربية والبيعة الهاشمية والايام الاموية والامارة
العدوية والخلافة التيمية وعهد الرسالة وزمان الفترة ولولا الاطالة
لعددنا في عاد وثمود بطنا بطنا وفي نوح وادم قرنا قرنا ثم لم تجد
قايل مقالة الا ان ملكا وان علا امره وعظم قدره وكبر سلطانه وهب
نحته طرف الهند فاسر وطية غيبها بسطة ملك ثم خلاه وعرض الارض
فوق قلب وصبح سجستان وهي المدينة العذرا والخطة العورا والطية
العسرا فاخذ ملكها اخذ عزو عنف ثم خلاه تخلية فضل ولطف ثم لم
يلبث ان خاض البحر الى بهاطية والسيل والليل جنودها والشول
والشجر سلاحها والضح والريح طريقها والبر والبحر حصارها والجن
والانس انصارها فقتل رجالها وغنم اموالها وساق افيالها وكسر
اصنامها وهدم اعلامها كل ذلك في فسحة شتوة قبل ان يتنطس فيها
الصيف توسطها السيف وهو لله ملك الملوك يوتي الملك من يشا
وينزعه ممن يشا ثم حكمت علما الهند واتفق قول الايمة ان سيوف
الحق اربعة وسايرها للنار سيف رسول الله للمشركين وسيف ابي بكر
في المرتدين وسيف علي في الباغين وسيف القصاص من المسلمين
وسيوف الامير ايده الله في مواقفه لا تخرج عن هذه الاقسام فسيفه بظاهر
هراة فيمن عطل الحدود واتهم بانه ارتد وسيفه بظاهر غزنة سد في وجه
العقوق نوعا من الكفر وسيفه بظاهر مرو فيمن نقض بعد تغليظه ونبذ

اليمين بعد تاكيده وسيفه بظاهر سجستان فيمن نبه الحرب بعد
رقودها وخلع الطاعة بعد تبولها وسيفه الآن في ديار الهند سيف
قرنت به الفتوح واثنت عليه الملايكة والروح وذلت به الاصنام وعز به
الاسلام والنبي عليه السلام واختص بفضله الامام واشترك في خيره
الانام وارخت بذكره الايام واحفيت لشرحه الاقلام وسندكر من حديث
الهند وبلادها وغلظ اكبادها وشدة احقادها ووفور اعتقادها وصدق
جلادها وكثرة اجنادها نبذًا ليعلم السامع اي غزو غزاها الامير
السيد ادام الله علوه انها بلاد لو لم تحجبها السحاب بدرها لاهلكتها الشمس
بحرها فهي دولة بين الما والنار ونوبة بين الشمس والامطار تقدمها
صعاب الجبال وتحجبها رحاب القفار وتعصمها ملتف الغياض
وتحصنها طوامي الانهار حتى اذا خرقت هذه الحجب خلص الى عدد
الرمل والحصا رجالا وشبه الجبال افيالا وابزاع المخاض جلادا
وشبها ق الجماد طعانا واركان الجبال ثباتا ثم لا يعرفون غدرًا ولا بياتا
ولا يخافون موتا ولا حياةً ولا يبالون على اي جنبيه وقع الامر ويامون
وتختم الجمر وربما عمد احدهم لغير ضرورة داعية ولا حمية باعثة فاتخذ
لراسه اكليلا ثم قور تحته لحشاه فتيلا ثم اضرم في الفتيل نارا ولم
يتاوه والنار تخطفه عضوًا عضوًا وتاكل جزءًا جزءًا فاما محرق نفسه
ومغرقها واكل لحمه ومفصل عظمه والراي بها من شاهق فاكثر من ان
يعد واقلهم من يموت حتف انفه فاذا مات هذه الميتة احدهم سبح به
اعقابه وعظم عندهم عقابه بلاد هذه حالها وتيلة تلك اهوالها
وجبال في السما قلالها وتلال يلمع الها وغياض ضيق مجالها وانهار
كثير اوحالها وطريق طويل ثم الهند ورجالها والهند وانيره واستعمالها
زجم الامير ادام الله سلطانه بنكبه هذه الاهوال محتسبا نفسه

معتمدًا

معتمدًا انصر الله وعونه تركض اليهم بعون من الله من لا يخذل ومدد من التوفيق
لا يفتر وقلب عن الاهوال لا يجبن وجد على المطلوب لا يقصر وسيف
عن الضريبه لا ينكل فسهل الله له الصعب وكشف به الخطب ورجع
ثانيا من عنانه بالاسارى تنتظمهم الاغلال والسبايا تقلهم الجمال
والفيلة كانها الجبال والاموال ولا الرمال فتح الله دخر عن الملوك
السالفة الخالية الكفرة الطاغية الجبابرة العاتية حتى وسمه الله ببنانه
وجعله بعض اثاره فالحمد لله معز الدين واهله ومذل الشرك وحزبه
ولـــــــــه اليه ايضا رقعتي هذه اطال الله بقا الشيخ
الجليل من بعض الفلوات ولو جهلت ان الحذق لا يزيد في الرزق وان
الدعة لا تحجب السعة لعذرت نفسي في الرحل اشده والحبل امده
ولكني اعلم هذا واعارضه واصل سراي بسيري ليعلم ان الامر
لغيري والامن اخذ بالمطا في هذه الاقطار والمطار في هذه
الامصار لولا الشقا لم ياتني العز هيجا والرزق نهجا نضيجا حتى اتيه
قصدا واتكلف له زرعا وحصدا واعارضه نشأ وطبخا واعرض له
الشعاب والجبال الصعاب وانزل مناخ السوء لكن المر ييسر لما
ما يراد به لا لما يريد اما ان لهذه الاشخاص ان تتيسر منها الخلاص
بعدما سافرت وسفرت وناظرت وحضرت وحرثت وبذرت
وزرعت وعمرت حمدت الله كثيرا ورايته مغنمًا كبيرا وان لم يكن من اتمام القصة
بد فلا غنى عن نظر كريم ومهلة فيها محال وتسويغ يصلح به فاسد وقرض يتالف
به شارد وما كل يوم لي بارضك حاجة ولا كل يوم لي اليك رسول

ومنهم ابو نصر العتبي وهو من اصحاب الغوص البعيد والمعاني
البديعة واللفظ السهل والخاطر الوقاد والفكر الجوال والصوغ اللايق
والورد السايغ لا يماثل بانسان ولا يشاكل في خراسان دون كلمه سحر بابل

ونثركابل لو تشا اوهم الغواني في عقودها والاغصان في برودها وكان
حفظه مع سعه مخيلته وصفا مصورته وممثلته وحفظه احوى من نفائع
الرمل واحلي من اجتماع الشمل وفهمه ادق من مدارج النمل تشيلا وارق من
طبع صافي الما تخيلا كلمات محكمه نقوه الاسباب محكمه كنشوه الراح للالبا
فما هالها من خبر طواه امسه ومن بحر حواه رمسه ومن حر انا للوم ما طلع
حتى غابت شمسه وله كتاب اليميني في تاريخ السلطان محمود ابن
سبكتكين كانه روضه عنا وعقد منظوم وافق مكوكب بديع احكمه حسن
المجموع ومن نثره قوله قرين نصل اهداه خير
ما تقرب به الاصاغر الي الاكابر ما وافق شكل الحال وقام مقام الفال
وقد بعثت بنصل هندي ان لم يكن له في قيم الاشيا خاطر خطر
فله في نحم الاعدا اثر والنصل والنصر اخوان والاقبال والقبول
قرينان والشيح احل من ان يري ابطال حليه الابطال وبرد
اقبال مستجلب الاقبال ومنه قوله
من كتاب كتبه عن السلطان محمود ووصلنا الي السومنات
فوجدناها تخفى الرياح في مساربها وتزل الابصار بين ذوايبها
بين غياض تشكو الارام فيها ضيق المضطرب وصعوبه المنسرب
متكاثفه كاعراف الجياد متداخله كاشعار الحداد لا تستجيب
فيها الافاعي للرقاه ولا يستبينوا البدر عندها للسراه في اديال جبال
تناجي كواكب الجوزا وخلال اجام تواري وجه الارض عن عين
السما فوافينا وقد اثقل العيون كراها واتعب النجوم سراها
في مده اتصلت كعوب ايامها وتناسقت فرايد نظامها فلما حطنا
بها احاطه القلايد بالجيد والشدنه بالفريد ثم انشد الوغي
فحيلت المعركه تسما عامها مثار القساطل وبروقها بريق المناصل

ورعودها صدير السلاح ورشاشها صبيب الجراح واستقبل
المجمعه من الجنود رجال يرون الملاح ولايم والوقايع تقايع وحطت
الرماه ايديها في جعاب كخراطيم الفيول مملوه بنبال كانياب الغول
وظلت السهام تتهاوي كانها وي لوامع الشهب وتترامي ترامي نوازع
السحب والطعن يهتك ودايع الصدور ويرد مشارع الهموم والسرور
ولم تزل الملحمه حتي استقلت الشمس اكليلا علي الجبل ونفضت ورسا
علي الاصل فافترق الجمعان وضرب الليل بينهما بحران الي ان
صابح الليل صباحه ونثر النجم علي الغرب وشاحه فغادروا الي
امسهم وتداعوا من اثاره القتام الي ارمسهم وصارت الارواح تستقي
بارشيه الارماح الي ان تولي عسكر البلد هريبا نفعوه الصباح وهشيما
تذروه الرياح تتقاسمون الحرب حماما ولا يردون الما الا لماما
وعسكر السلطان في اثارهم يرميهم بالصواعق من طبي السيوف
البوارق ويتبعهم بالشهب اللوامع من شبا الرماح الشوارع
حتي صار من سلم منهم في الاطراف ضرورة اذ كانت جيوب الافاق
عليه مزرورة وما برح السلطان يتطلب ملكهم حتي حصل في معقله
وحصله في مكمن اجله فهدا من الخوف سره وختم بطابع الشقا
عمره ثم صعد السلطان المدينه ودخل بيته البد وظفر منه ومنها
باموال طالما حفظتها صدور الخزاين مكتومه وخنقتها خيوط
الاكياس مختومه مما اوهت في تعدادها انامل الحساب
واحفت بل افنت اقلام الكتاب من ذهب وفضه ما منها الا ما
يكاثر الاحجار ويستقل الامطار ومن لالي كانها صورت من الشمس
ضيا وخلقت لمضاهاه حب الغمام عدا ووصفا ومن يواقيت كالجمر
قبل الخمود والخمر بعد الجمود ومن زبرجد كاطراف الاس نضارة

اوورق الاقحوان غضاضه ومن ماس كانما اعارت بعضه السنانير
احداقها اووهبت باتيه حوا لشقايق اوراقها ومن ولدان كاللولو
المنثور ونسا خلقن انموذجا للحور ومن افيال كالاسود محطومة الارض
بالاساود السود حكت اطوادا نازعه وامواجا متدافعه بين
من وطي اطرافها وخف من ثقل اخفافها تقف كاشخاص القصور
وتندفق كامواج البحور وكانها بيوت والخراطيم رواشنها المعلقه
وكانها ليال افترست النهار فلم يبق منه الا ما على انيابها من جلوده
الممزقه يراها الراوون هضابا ثابته وجبالا نابته في ثقل اجسام
وخفه اقدام كانها صدع الجبال عند طارقه الزلزال تتناجى بصوت
التهويل والتفخيم وتفتك بالايدي والخراطيم ان استدعي بها
في الوغى ضربت بين النفوس والآجال بسود وان خفت الحروب
رانت قلوب الليوث تحت اجنحه النسور فلم يدع هذه النعمه التي
عقدت بالنجوم طفايرها وافاضت على المشرق بعضها وعلى المغرب
سايرها وانا لنرجوا امثالها مارامت العيون حافظه سوادها
والعوايق حامله نجادها ومنه قوله
المؤمن البشر لا من ورق الشجر اذا مات نقدفات وليس مما
يعود كما يورق ما عري العود ومنه قوله
وهم مرابيع الكرم ومصابيح الحكم ومصابيح الظلم وبجادح الامم ولبوث
البهم وعيوث الفحم سادة الناس وقادة الملوك يوم الندى ويوم
الباس ومنه قوله وبلغ الى حيث لم
يبلغه في الاسلام رايه لم ينل به قط سور ولا ايه في قباب تضل
في ارجايها اسراب القطا فبر وبحار في ذهابها انواع العصاير فقال
عدو الله يستنهض من كان حرا فضلا عمن يلثم القوس وترا او يحبس

بالسيف اثرا فلما قاربه في المكان ودخل بالرعب على قلبه العيان
كر راجعا على اثاره لغت المنير موهنا بنار لا زال السلطان
منصورا ما طلع يوم من حجاب امس وطهرت نفس من قرار
نفس ومنه قوله واما بنو فلان فكونهم الايام
بما يسمها ورد استيهم الليالي بمناسمها فان في قرع باب البغي تعرضا للبلا
واستبد اثنا على سو القضا لولا ان تداركهم فلان بلطف كالارى
مشارا ودها يسلخ من الليل البهيم نهارا ومنه قوله
مغربا هذه مصيبه سحت الدموع غروبا وثبرت منا الاصلاب
ابنوبا فانبوبا ونعي بها فتى الجود ومصر بعلة الثري بقيه المكارم العود
ومنه قوله ولم تكن الاصدمه واحدة حتى زلت الاقدام ام
عن مقارها وتهاوت الرقاب عن مرارها وجعلت تتساقط اشخاص
الالويه والمطارد وتترد النفوس عن ضرب السيوف البوارد ۝
وكرت عنها للسلطان فيول ارعن الجبال اوارك السحب
الثقال مغشاه بتخافيف لم يعرفها غير حدق النواظر وحد انياب
الانياب القواطر تحمل سابسها عليها لمرهفات كالبروق الخواطف
وصفا رات كالرعود القواصف وقد نشرت عليها التماثيل في
العيان المشهود كانها الاساود السود تخيل اضطراب الرياح
فيها انها ترحف للالتهام اوتنتقض لاختطاف الهام وتعالت
عليها اطراف العوامل في مبان كالمعاقل كانها اجام السواحل
تاويها شياطين الانس فرسانا وعفاريت الترك والهند مردانا
وشبانا تنص عليهم سابغات داود كصفايح الما تجلوها الشمس
في وسط السما تحت العدد الخيل تحت الليل حتى كاد لا يتنفس
الارض معه مواطي اقدامها ولا تشعر النجوم باشخاص الويتها

واعلاها ودنا الفريقان بعضهم من بعض وطلت رحى الحرب بعركهم
يثقالها وتدور عليهم باثقالها وحمل سيف الدوله بنفسه
فتداعت الزحوف وتخالطت الصفوف وخطبت على منابر الرقاب
السيوف وثارت عجاجه اخذت العيون عن الاشباح وازهقت
النفوس عن الارواح ونثرت الاعناق ثم نظمتها في سلوك
الرماح وطفقت الخيل بردي بحيث النفوس وتلعب باكر الروس
واما البقيه فانهم ولوا وما الووا وقد دب الفشل في تضاعيف
احشايهم وسرى الوهل في تفاريق اعضايهم واستطار الخوف
في مراح دمايهم فجنوب الاقطار عليهم مزروره وذيول الخذلان
عليهم مجروره ومنهم الحسين بن علي بن محمد بن عبد الصمد منهم
ابو اسمعيل مويد الدين فخر الكتاب الاصبهاني المنشي المعروف
بالطغراي الكاتب الشاعر الناظم الناثر البديع الصنعه الباهر
الادب الزاهر الفضل الطاهر المحاسن الانيق المعاني الوثيق
المباني المشهور شهره الشمس الواضح وضوح البدر كاثر بدايعه
النجوم الثواقب وتتابع قرايحه سجوم السحاب فجان عربا ادارا
وشهبا الا لج افكارا وولع بصنعه الكيميا فشب لها وصب ادبا
لا ذهبا واذهب زمانا بها في العنا وطلب الغنى من غير الغنا
فلم يجد بغيته ولم يزد على ان صفر وجهه وبيض لحيته فرد خايبا واشتعل بغيته
راسه شايبا وطالما شمر طلب الصنعه دروعه وصعد انفاسه
وقطر دموعه وكان من فيض السلطان في عمر البشير وفي خير
من الاكسير الا انه تعلق بعلم احاليه وعلو حلم الصنعه عن اكابر
وشد الاوصال واشتد لين تسمح له بالوصال فكان لو سعد به
ان اميل لمال اليه كل الميل او سمه به ابن مزيد لا كان عليه يزيد

ومع طول معاناته وبعد ثاره ومداناته لم يحصل على عمر ارتقابها
ولا ظفر من ليلى بحط نقابها فكم ضيع حاصلا وكد ولم يكن واصلا
وشعره اسير من نثره وابين في حجم قدره لانه انما عانى الشعر
في اخر عمره وقد قارب اجله الانتها وقارب الرحيل ودنت شمسه
من الافول وهو صاحب لاميه العجم التي فضلت عرى لاميه العرب
وحلت لاميها ونكبت من شفار الشنفري سهاما جما فلقلقت قوت
الشعوبيه واحتمت لعصابتهم حميه العصبيه واخذت قسرا
سحر البيان وحكمه السنه العرب وادمغه اليونان وكادت
تبتز من دوله العرب مدينه السلام ولا تبقى لهم الا عابله الملام
وعنوان قوله منها •

اريد بسطه كف استعين بها على قضا حقوق للعلى قبلي
والدهر يعكس امالي ويقنعني من الغنيمه بعد الكد بالقفل
ان العلى حدثتني وهي صادقه فيما تحدث ان العز في النقل
لو ان في شرف الماوي بلوغ منى لم تبرح الشمس يوما دارة الحمل
فقد مشي رجال كان شوطهم وراء خطوي اذا امشي على مهل
اعدى عدوك ادنى من وثقت به فحاذر الناس واصحبهم على دخل
وان علاني من دوني فلا عجب لي اسوة في انحطاط الشمس عن زحل
وانما رجل الدنيا وواحدها من لا يعول في الدنيا على رجل

وقد قال لما ولي ديوان الطغرا وكان قد كبر وافتن فتح
دكانه بعد العصر اي شي تعيشه ومن شعره قوله
وما كان الا ان تداعوا بالرحيل وقدمت لهم النياق للتحويل
واذا بقلبي قد ودعني وسار ونفر جناحه الخافق وطار فعلمت
علم الله لا استطيع منعه ولا اعقل ما جرى لي دمعه الى ان بكرت

على العاذلات وهبت الى باللوم قابلات اما لك اسوه بالمحبين
الالى فقلت لا فما زلن يقرعن جلدي ويستكن تجلدي وانا لا
اسكن الى حول ولا اطمين الى قول حتى غلبتني صرعه كرى
فتخيلت اري خيالا عاد مخبرا وخيالا من الحبيب زار مزورا فاذا
بمثال الاحباب بين يدي مصورا فقال لي ذلك الطيف الطارق
تحت ستور الليل الغاسق ما لك ولهذه الحاله الشنيعه اما كنت
ترضى بان يكون قلبك عندنا وديعه فها خذها اليك والسلام
عليك فقلت ناشدتك الله ايها الخيال الزاير والمثال الساير
الا ما تريثت ووقفت فتلبثت فما زاد على ان زال ولا احام
حتى حال ثم ولي وما ودع واشبه منشيه في الجفا وما ابدع ●
ومنه قوله وقد زار الغيث وزار الليث واضا البدر
الزاهر ودنا الصباح السافر وقدم العميد تمي مند نفقا هو والحمام
ويجري مستبقا هو والسهام فاي صدد ما ترجح لحلوله واي
تذلل ما تضال لوصوله واي بدر ما غاب واي شمس ما توارى
ضياوها الحجاب ولولا وقار العميد كادت الارض تميد ويا لله
التعجب تقدم وما نزفت البحار والا ضاقت البيد ●
ومنه قوله وكتابي هذا اليك وعندي عليك لوث
عتاب لا يحمله كتاب فان ابيت المتاب وقمتم اودورك
الاعتاب استرسلت معك في ذكره وارسلت اليك رايد سره
والا طويت الدهر على مضض الم واخليت للصلد للمه وتحاملت
على ما بي وصفحت عنك ودي وعتابي ومنه قوله
سحابه ترسل الامطار امواجا والامواج افواجا سحبت على
الارض اذيالها وعلمت افتقارها الى نفسها فجادت بها لها ●

والجود بالنفس اوصى غايه الجود لا سيما عوارف كرم ملات الوجود
ومن شعره قوله

وابيض طاعي المتن يرعد حده مخافه عزم منك امضى من النصل
عليم باسرار المنون كانما على مضربيه انزلت ايه القتل

ومنه قوله

اجيراننا بالغور كيف خلصتم نجيا واخفيتم مسيركم عني
لئن سمعت اذناي نجوى فراقكم فلا نظرت عيناي ما سمعت اذني
احدركم طوفان دمعي فيدلوا الى الزمن للسير الركايب بالسفن
ففي الحي مرهوم الارامين بالبكا واخر مرقوم العدارين بالحسن

ومنه قوله

اذا ما دجى ليل العجاجه لم يزل بابلعم جمر الى الهند منسوب
عليها سطور الضرب يعجمها القنا صحايف يغشاها من النقع تتريب

وقوله في الروض والنهر

يسقيها في وسطها جدول العذبه منكوجه
له سواقي طحن والنون تلوي الحباب مشجوجه
فهي تناج اسرعت نحوها قطعتها سلكي ومخلوجه

ومنه قوله

اني لاذكركم وقد بلغ الظما مني فاشرق بالزلال البارد
واري لعيني ان لا اسلاه منكم خطا وتلك سجيه من عاهد
ويصح لي قول الوشاه عليكم فاردكم عنكم بطن فاسد
واذا طويت هواكم عنهم تم سي وجديكم على لسان جاحد
واقول ليت احبتي لاقيتهم قبل الممات ولو بيوم واحد
واذا سيلت عن السلو اجبتهم بلسان معترف ونيه جاحد

ان لم يكن سحر هواك فانه والسحر وقدا من اديم زايد
ما زلت اجهد في موده راغب حتى ابتليت برغبه في زاهد
ولربما نال المراد مرفه لم يسع فيه خاب سعي الجاهد
هذا هو الراي الذي ضاقت به حيل الطبيب وطال ياس العايد
ولعمري ما اعرف ما اصف به هذا الشعر وهو الذي قل ان
يماثل وجل ان يقاس به وهو السحر الطاهر والرحيق المتشعشع والروض
الباسم والصباح المتالق وهكذا فليكن ومن يعد على هذا او يدانيه
وكذلك قولـــــه
بالله يا ريح ان مكنت ثانيه من صدعه فاقيمي فيه واستتري
وباكري ورد عذب من مقبله مقابل الطعم بين الطيب والخصر
وان قدرت على تشويش طرته فشوشيها ولا تبقي ولا تذر
ثم اسلكي بين برديه على عجل واستصحبي الطيب وانثني على قدر
وبشهيني دون القوم وانتفضي علي والليل في شك من السحر
لعل نفحه طيب منك ثانيه تقضي لبانه قلب عاقر الوطر
وقولـــــه
وحان على الشحنا عوج ضلوعه تسد نحو صابا المشا فص
تكاثر نصلا بالثرا توفحا دي الملال للجهال جبر النقايص
اقول له لما اشرابت لغايتي ومد اليها نظرة المتخاوص
وايقظ مني ساهرا غير نايم وحرض مني هاجما غير حايص
لعند فات قرن الشمس راحة لامس واعيا مناط النسر كفه قانص
فان حدثتك النفس انك مدرك لتساوي نظا اليها لمثل خصايصي
وعلي ما لم يخو خاطر عالم وخوضي على ما لم ينل فهم غايص
فما عهد احبابي على البعد ضايع لدي ولا ظل الوفا بقالص

ولا

ولا انا عما استودعوني بداهل ولا انا عما كاتموني بفاحص
وان اللالي رامها الحاق بغا يتي سعوا بين مهور واخر شاحص
وراموا باطراف الانامل غايه وطيه وقد اعيتهم بالاخامص
وقولـــــه
صحا عن فوادي ظل كل علاقه وظل الهوي العذري لا يتقلص
هوي ليس يسلي القرب عنه ولا النوي ولا هو في الحالين يصفو ويخلص
ففي البعد قلب بالفراق معذب وفي القرب عيش بالوشاه منغص
وان خلاصا كنت ارجوه برهة وكان يزيد الامر فيه وينقص
قطعت رجاي منه مذ قال صاحبي رمى العيون النجل لا يتخلص
وقولـــــه
يا صاحبي اعيناني على سكن اذا شكوت اليه زادني مرضا
ظبي عزيز اذا حاولت عزته ارسلت طرفي سهما وانثني غرضا
مالي وللبرق مجتازا على اضم يسري ولم يري جفوني كلما ومضا
برق يلوح بنجد والحمى وطني هفا بقلبي وبي كله ومضى
من مبلغ الحي شطت دارهم ورضوا بالكاد جارا وما ارضى بهم عوضا
ما طاب عنكم فواد طاب قبلكم عن الرضاع تقضي والشباب مضى
ان الزمان الذي كانت بشاشته للقلب والعين ملهي بان وانقرضا
فان نسيت فياسا لم يدع طمعا وان ذكرت فعرق ساكن نبضا
حكمت في مهجتي من ليس ينصفني ولست ابلغ من تحكيمه غرضا
سيان عندي وامري صار بايديه قضى لغيري بجور ام علي قضى
حام انقض حدي وهو يعتري اخاف ان لا يراني الجدان نهضا
وقولـــــه
وملحه الحركات ان زلت في الحي ساعف عقدها القرط

ثم المروط بحسنها فبدا والشمس ليس يكنها مرط
فتح الصبي في صحن وجنتها وردًا ايضًا عف حسنه اللقط
قالت وقد ولت حمولهم والعيس فوق جفوننا تخطو
كان الشباب الغض يجمعنا فمضى وشتت شملنا الوخط
غدًا لاحبه والشباب معًا فكاننا لم نصطحب قط

وقوله

في القلب من حر الفراق شواظ والدمع قد شرقت به الالحاظ
ولقد حفظت عهودكم وغدرتم شتان غدر في الهوى وحفاظ
لله اي مواقف رقت لنا فيها الرسايل والقلوب غلاظ
ومري العتاب جفوننا فتناسبت تلك المدامع فيه والالفاظ
يا دارما للركب حين وقوفنا ما ان سفال من الدموع لحاظ
ترك الغرام عقولهم مشدوهه فظننتهم رقدوا وهم ايقاظ
عهدي بظلك والشباب يزينه ايام ربعك للحسان عكاظ

فالله ما اسرى هذه البدايع وما اسرع تدفق هذه البدايه ويا لله هذا الشاعر لقد ركب هذه القافيه الصعبه فذللها وسلك هذه الطريقه الوعره فسهلها ولقد حيرالافهام في اي هذه المعاني تسارع ولانها تفضل ومن اينها تعجب هل مع هذا التركيب الشديد الاسر واللفظ الذي اقتاد اي هذه القافيه وسلسل نطف هذه الابيات الصافيه وجا بابياتها المشبهه كانها الغانيه وهذا الذي يتفاوت فيه اقدار القرايح ويظهر فيه مبلغ العلم ويعلن به باسم قايله وينفق سوق منشده واين من يقدر على مثل هذا الكلام او يتعاطى مثل هذا المدام او يصح معه هذا السحر وما اظنه الا الحرام ومن لطايف شعره قوله ايضًا يا قلب

ماكل

يا قلب مالك والهوى من بعد ما طاب السلو واقصر العشاق
او ما بدا لك في الافاقه والالى نازعتهم كاس الغرام افاقوا
مرض النسيم وصح والدا الذي يشكوه لا يرجى له افراق
وهدا خفوق البرق والقلب الذي يطوي عليه اضالعي خفاق

وقوله

اجمالبكا يا مقلتي فاننا على موعد للبين لا شك واقع
اذا جمع العشاق موعدهم غدًا فواخجلتا ان لم تعني المدامع

وجاه مولود وقد بلغ سبعًا وخمسين سنة فقال

هذا الصغير الذي وافي على كبري اقر عيني ولكن زاد في فكري
سبع وخمسون لو مرت على حجر لبان تاثيرها في صفحة الحجر

وقوله

ارى اذا اسرف تصلاً فضل تواضع ويزهو اذا اعسرت بعضي على بعضي
ارى الغصن يعرى ثم يسمو بنفسه ويوقر حملاً حين يدنو الى الارض

وقوله

وكنت اواني مقلتا شرك الهوى فقد صادني سحر العيون النوافث
فلا تعذلوني في غرامي بعد ما توطي الصبي فالعدل اول باعث
ولا تبحثوا عن سر قلبي فانه صفًا ليس يمضي فيه معول باحث
ارى صبوات الحب قد جد جدها وقد كان بدو الحب مزحه عابث

وقوله

هي العيس تودا في الازمه فتخ لمطيها من حقوق الرمل برزخ
فلين الدجى عن غرة الصبح فاعتنقت بحيث التقى منها وقوف ونوخ
عليها قطاف المشي اطول خطوها مدى البترادادي خطاهن فرسخ
بدورا لثنها خدور يحنها جناح حداري من الليل افتخ

نوتي خدود باكمال منمنم ومسك شعور بالنبات مضمخ
فيا صادحات الورق في الايك انصري فاني اذا شكو ولا لك مصرخ

وقوله

تالله ما استحسنت من بعد فرقتكم عيني سواكم ولا استمتعت بالنظر
ان كان في الارض شي غيركم حسنًا فان حكم غطى على بصري

وقوله

خبروها اني مرضت فقالت اضنى طارفا شكى ام تليدا
واشاروا بان يعودوا سادتي فانت وهي تشتهي ان تعودا
وانت في خفيه وهي تشكوا الم الوجد والمزار البعيدا
ورائي كذا لم تمالك ان مالت عطفًا وجيدا

وقوله يصف النجم

وليل ترى الشهب منقضة بها نحو مسترق سمعه
كما مد من ذهب مله على لازورديه الرقعه

ومنهم ابو علي الحسن بن عبد الصمد بن ابي الشخبا العسقلاني
صاحب الخطب المشهوره والرسايل المحبره لسان لا يكف له غرب ولا
يكل له ضرب بحس ذكي كانه زجاجه فيها نار وحدس زكي لا يطمس
له نار وبينه وبين ابن الجهيد مكاتبات ينشر منها الحلل وينظم منها
ماحوي الكلل وقفت عليها وصرفت النظر لم احده ينصرف الا
اليها وكانت عندي بالخط الفاضلي وانما ادهبته من يدي النقل
واطلقته من حاصلي لعقل وكانت بينهما من لطايف الشام ما كان
لسالف النقايض كالختام بالفاظ عذاب كانها نطف الغوادي
وطعم السلام من يد الاعادي وكان لا احس منها الا عنبر مدامه يحسوها
وعاقد راحه على شعاع راحه يكسوها وكانا عجبا ونيرين ظهرا والشمس

والثم

والثم قد عجبا ومن نثره قوله اما ما افتتحت به من ذكر
استحكام الثقه فقد عجبت من تعاطيه وصنعه لك مع العلم بوضوح دليله
والمعرفه بكثيره وقليله واني بتجاوز تلك الصفه وهو ينبوع الوفا ومنبته ومكمن
اسه ومثبته

تسكن احشاي في احفاظكم سكون اجفاني الي رقادها

واما تخلفه عن الزياره للعذر الذي نصه فقد رايت ليلتي بغيبته وكانها
قرنت بيوم الحساب الاطول او علقت نجومها السياره بامراس كتان الي
صم جندل ومنه قوله فارقني مولاي وخلفني
حلف السهاد مفترشا شوك القتاد اذكر اخلاقه تذكر المقفر غناه وابن
درج لبناه وامتد على رواق الليله المذكوره حتى كان نجومها شدت
بمناكب ابان وقمرها يسير في فلك كيوان

يئست من صبحها حتى التفت الي وجه الظلام اعزيه بفقدان

ولم تزل هذه حالي في الوحشه الي حين وصول الرقعه الاثيريه فانها
رفعت هلهلا من الجدل مخلقا وتركت داويا من المسره فصرا موثقا
ووقفت عليها فقلت اجري الطرس سطورًا ام زهرا منثورا ونظمت
البراعه الفاظا ادبيه ام سلوكا ذهبيه وانا اجيب عنها ولكن كما
يجيب ثنا باتل وتتاخر السحب المثقله جداول لما علمت انه قد عتبت
على من وجد صحيح لقيته مخفوض الجناح وقابلته بالاستغفار والاستصفاح
اذ انا احمد لله تعالى لين الكنف تحت ظلال الموده شديد في هواجر الشله

جليد على عتب الخطوب اذا التوت وليس على عتب الاخلا بالجلد

واما الفضل المختص بالحضره الساميه ووقوع الامر بحسب ما كان مولاي
ذكره فلم تزل المعيته وثقه بالراي الثاقب وتكشف له ستور العواقب
ولله المحمود على ما منح مولاي من صحه النظر الذي يتساوي فيه حاضر

من الامور غايب ومستقبل من الخطب وذاهب وحسن الالمعيه
التي عناها الاول بقولــــــه

ونصيب مرتجلا باول فكره اعراض كل مخمر ومبيت

واما الفلانيان وما تجدد بينهما في هذا الوقت من الصحبه وانتسج من الموده
فللمشابهه قضيه دايم الوجوب وللمشاكله حوادث تملك حبات
القلوب وكل نفس بعادتها صبه والى ما يلايم طباعها منصبه ولعمله
تفرح بالجنس اكثر من فرحها بالدنيه والصنوف يري القذاريه خيرًا من
اللطيمه الداريه ومولاي يخالفهما بصحه ميثاقه وكرم اخلاقه ودماثه
طبعه وصلابه نبعه وطيب اصله وفرعه فلا غرو ان يجدانه في نقض
دمرته ويرغبا عن الاختلاط بحضرته

لا ينطوي صدري ولا مقتي ما انت من حربي ولا سلمي

واما سواله عن قايل البيتين المنظومين وهما

ربقودي لوصاله خرس الهوي قلق الوشاح
ياد كالغصن النضير مثله عبث الرياح

فقد فتح في هذا السوال بابا عرفت ان مولاي قد اعطي فلانا
مقوده ومد في الامغاز لتربيه ولزم مضجعه وتوفر على الخلوات معه
فقلت خبر يحتمل الصدق والمين ووقفت حايرًا بين هذين حتي عرفت
استشهاد ذلك وان الاخ غضب منذ ايام قليله وبات في الفراقه
باسواليه فلم ادر كيف اعتب مولاي والوم ولا كيف اقعد في لاينب
له واقوم وهو الحياه الذي اذا انثلم فقد انهدم واذا تصدع فقد ذهب
اجمع والمعيشه التي من المروه حفظ موادها وصلاح فسادها
ومع ذلك فالبيتان المذكوران لعبد الصمد المعذل في كلمه يقولــــــ فيها

هتفت به نذر المشيب فغض من غرب الجماح

هيهات

هيهات ملت الي النهي واجبت داعيه الفلاح
وجعلت من ورد التقي كاس اغتباقي واصطباحي

وقد كان مولاي باستحسان هذه الابيات اليق وهي بصفته اعبق
وكاني به اذا بلغ الي هذا الفصل من الرقعه انشد قول
الحطيم بن محرز

وما لامني في حب عزه لايم من الناس الا كان عندي من العدي
ولا قال لي احسنت الا حمدته بما قال لي ثم اتخذت له يدا

ولا اعدي هذا الحد حرفا ان اجنى ذنبًا عظيما واولم قلبًا بشهاده
الله علي كذبا ومنه قولــــــه واما الفصل
الاخير فاعلم والله انه صدر عمن احتسى مع كاس المساهم وجليت لي
بوده وجوه الدهر السواهم وانا اومل بفضل الله تعالي ان يقع من غير
ارهاب ويتواصل لدي بغير حساب حفظًا للعاده التي حكم بها كرمه
ولمت معها عندي الاوه ونعمه ومن شعره قولــــــه

التي يكفي جدوه بياده والليل يخطر زهلا هل ازره
اخت النجوم تشعشعًا وولاده سرقت محاسن وصفه في سكره
نضرائها من خلقه وحياتها من ثغره ونسيمها من نشره

ومما اورد له ابن بسام قولــــــه

مازال يختال الزمان ملوكم حتي اصاب المصطفي المتخيرا
قل للاولي ساسوا الوري وتقدموا قدمًا هلموا انما هدروا المتاخرا
ان كان راي شاوروه احصفا اوكان باس نازلوه عنترا
ولقد تخوفكا لعدو بجهله لوكان يقدر ان يرد مقدرا
ان انت لم تبعث اليه ضمرًا جردًا بعثت اليه كتبا ضمرا
يسري وما حملت رجال ابيضًا فيه ولا ادرعت كماه اسمرا

خطروا اليك فخاطروا بنفوسهم وامرت سيفك فيهم ان يخطرا
عجبوا لحلمك ان تحول سطوة وزلال خلقك كيف عاد مكدرا
لا تعجبوا من رقة وقساوة فالنار تقدح في قضيب اخضرا

ومنه قوله ولما كان الثنا احسن ما تدار عليه الكوس
وتنقش له الاقلام في الطروس وجب ان يطلق في هذه الحلبه
الارسان ويستخدم في ادا فرضها اللسان

ومنهم القاضي الفاضل وليس لله بمستنكر ان يجمع العالم في واحد هو منهم لا بل هم منه وكلما قيل في محاسن من تقدم فانما هو عنه
وان جرت الالفاظ يوما بمدحة لغيرك انسانا فانت الذي نعني

وهو الفاضل محيي الدين ابو علي عبد الرحيم بن الاشرف ابي الحسن علي ابن الحسن بن احمد بن ابي الفرج اللخمي العسقلاني المولد عرف بالبيساني كان سلفه من بيسان وولي ابوه قضا القضاة بعسقلان واستخدم شاور القاضي الفاضل في ديوان المكاتبات مع الموفق ابن الخلال ومولده يوم الاثنين خامس عشر جمادي الاخرة سنه تسع وعشرين وخمسمايه هو والله البحر الزاخر والبر الذي ما سلك طريقه اول ولا اخر وما مثله هو ومن تقدمه الا مثل النجوم طلع عليها الصباح والكروم اولها زرجون واخرها راح بل الحدايد قبل تطبيق الصفاح والموارد قبل تصفيق الرياح تقدموا قدامه وغرقوا في سيله وخلفوا قبله وجاولوا في ذيله وكل وصف قلت في غيره فانه تجربة الخاطر هو اكثر من كل قول واكبر من مقدار كل طول لقد صادف هذا الاسم منه الاستحقاق لفضايله التي تلحت تلح الصباح في الافاق لقد وطد تلك الدوله بارايه جمع السيوف والاقلام تحت لوايه وكان يناضل بجلاده عن حماها ويتنشف الزلال من رنق اقلمه وتتحف

الظلال بسحب نعمه وله في الانشا تفنن منه ما يروع الخيل صهيلا ومنه ما يروق عذبا سلسبيلا نفث العنبر على سطوره ويموت الجوهر طل منثوره تعقد رسايله راحا براح وحي جنانه تحني تفاح وتلتقط في مهارقه بنفسج من اقاح اطرب من مناجاه الندام واطيب من معاطاه المدام طالما كتب محانا وكتب اعصانا ولان فاجتني عسلا وقسى فانبرى اسلا يشجع كالحمام ويصرع كالحمام وقد سطرت بحسناته الصحف وصورت من حسناته درات القلايد ذا الشنف وطرق النجد والوادي ونطق به المداح والحادي وحاضر به الحاضر والبادي وسامر به السامر وترنم الشادي وغادر له الارض مذهبا مذهبا وعادي الغوادي مصوبا مصوبا وسار مقربا مقتربا وصار للمشرق مشرقا وللمغرب مغربا فاما ما يوثر عن اقلامه فهو النافث للسحر في عقدها والمنور للابصار بكحل اثمدها فضح الزهر بكلمه وفتح الاقاليم بقلمه وكتب بما لا يعقبه ندم وباري قلمه السيوف ففعل اكثر منها ولم يتلطخ بدم كم نكس رماح الكفر فقصم اصلابها وفصم اسبابها وعراها باسطره فغل جيوشها وثل عروشها وحط اصلبانها وحطم اوثانها واعاد بيعها مساجد وصوامعها معابد وبدل الكفر بالايمان واسكت الناقوس للاذان وعزل مكان الانجيل للقران وقسي على القسا نفسه وارهب الرهبان وكاتب الخلافه فكانت سطوره حليه شعارها وسواد مداده سودد فخارها وتاخر السهم وتقدم وحرس مجاورته فلما تكلم تكلم وحضر مواقف الحرب فكان فارسها البطل ورايه سيفه الضارب ومواضع الحصار وكان منجنيقه الرامي ويراعه سهمه الصايب وكان هو المحرك للعزايم النوريه على تطهير مصر من اوليك الضلال ودرن تلك الايام الليال بل كانت اشد من الليالي لتراكم ظلام تلك البدع وتفاقم ضلال ذلك الدين المبتدع ولقد كان وهو في ديوان تلك الدوله

يتحرق على كشف بدعها وكف شنعها وكر جنود الله على شيعها ووقفت
على قصيدة كتبها الى الشهيد نور الدين ابن زنكي رحمه الله يقول فيها

وما بعد مصر للغنى متطلب وما بعد هذا المال مال فيكتسب
ولو انه في الباس يمضي او الندى لسان ولكن في المعاني وفي الخطب

وكانت الاجوبة النورية ترد عليها فيرى بها في تلك الظلمات نورا ومن
على مقتضاها امورا ثم كانت دخول العساكر الاسدية الى مصر باستدعا
شاور في المرتين وفي الثانية استقرت قدمها واستمرت والايام خلفها
وهناك علا النجم الفاضلي وسعد جده وصال والسيوف جنده وعلى ذكره
ذكرت شعرا كنت قلته كا فيه ذكره استطرادا وهو اتى بها الساقي وقيام حبا
ادجا بالمحمول والحامل بما بلى اللحظ تدورانا بنهوه صفرا من بابل مدامه ما شعشعت
حقبة الا من الغمام الى قابل صاغ من التبر لابريقها قلائدا من ذهب سايل وطوقت
في المزج سحابها بلولو في كاسها جايل كانها ممزوجة لونه مختلسا من خجنة العادل
ياخذ منا كلنا ثارها وما لها الا على القاتل رقت فقلنا انها ريقة في الكاس
او من حصر الناحل دقيقة المعنى على الخاطر او صنعة الفاضل ه ولما
اتى العاضد اقامه اسد الدين شيركوه عنده وهو اذ ذاك مقدم الجيوش النورية
المجهز اليه ه كتب الفاضل عنه الى نور الدين كتابا وقفت عليه بخطه
ومنه نقلت ومضمونه ه من عبد الله ووليه عبد الله الامام العاضد
لدين الله امير المومنين الى الملك العادل المعظم الزاهد المجاهد المويد
المنصور المظفر نور الدين ركن الاسلام والمسلمين عماد الموحدين قسيم
الدولة مجير الامة عضد الملة حافظ الثغور غياث الجمهور قامع الملحدين
قاهر المشركين خالصة امير المومنين رفع الله به منار الدين واعلا بعزايمه
رايات الموحدين واحسن توفيقه في خدمة امير المومنين سلام عليك
فان امير المومنين يحمد اليك الله الذي لا اله الا هو ويساله ان يصلي

قطع الله [illegible] كاتبك

على

على جده محمد صلى الله عليه وعلى اله الطاهرين الايمة المهديين وسلم تسليما
اما بعد فانه عرضت بحضرة امير المومنين مكاتبتك التي اد يت
بها واجب حقه وقمت بمفترضه وصدرت عن قلب شفاه الدين بغذيه
من ادواء الضلال ومرضه وتوملت بمقر جلاله ومحل امانته التي منح
الله بها الدين مزيد اكماله فصرف اليها امير المومنين سمع الاصغا وطرفه
وعرف منها ارج الولا الصادق وعرفه ووقف عليك من مطف ملا حياطته
ما تديم النعم واهدى اليك من شريف دعواته ما اذا خصل لك جمع المسلمين
عم ه فاما تلقيك اوامره بالامتثال وانا تك عن العزم الذي ضربت
به الامثال واضربت عنه الامثال وتجريدك العساكر التي شدت
متن الموحدين وشادت مباني الدين ونكص العدو بخبرها قبل
نظرها وانصرف عن بلاد الاسلام باخزى خجلة واظهرها وتقدمك
عليها من ارتضاه امير المومنين لارتضايك وانتضاه في يد الحق تمثيلا
بانتضايك وامضى عزمه في تقليد ملكه اذ علم ان عزمه مشتق من مضايك
فعند شكر الله وامير المومنين لك ايها الملك العادل هذا الاثر وذخر
لك منه حسنة لم تبسم عن مثلها ثغور الصحايف والسير وتبرك على ملوك
الشرق والغرب بفضل هذا النظر ونصرت الدين الحنيف والبيت
الشريف وعندما ترك الحسنى تشهد بها فتغني عن الايضاح والتعريف
وصدمت الباطل حين ارست خيامه وثبت الحق حين هفت اعلامه
واخترت لخدمة امير المومنين من هو مكان الاختيار وفوقه ه
وحملت العبا الثقيل من يستقل به ويحمل ارقه وقلدت الامر الجليل
من لا يعجز قدرته وطوقه ووردوا الى الفنا النبوي ببيض الوجوه بنصر
واضح شم الانوف بفتح عمم الخطب الكالح جدلي القلوب بصفقة
العمل الرابح الصالح ظاهرة عليهم اثار ادابك الحسنى بادية فيهم انوار

صوابك الذي ليس فيه مستثنى لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله
والله ذو فضل عظيم وقد كانت جنايات من تقدم نطوع عظمت عن
الاحتمال وتجاوزت الى الدين بعد ان تجاوزت الملال وظهرت امارات
استنصاره لمن يستنصر به بالامس وتعويله على ما نزه الله امير المومنين
ان يكون به راضي اللسان او النفس لان الله استخلفه لاستقامه كله
جله واكتفى بهديه وهدي آله عن ان تقفى برسول من بعده وحسبه تدب
المشار اليه سواته واحاطت به خطياته وقصرت في مجال الحياه خطواته
ولقي عن كثب حتفه واصبح نكالا لما بين يديه وما خلفه فعنا لك اجمع امير
المومنين والمومنون على تقليد السيد الاجل الملك المنصور ولي الايمه
محيي الامه سلطان الجيوش اسد الدين كافل قضاه المسلمين وهادي
دعاه المومنين ابي الحرث شيركوه العاضدي عضد الله به الدين وامتع
بطول بقايه امير المومنين وادام قدرته واعلا كلمته امر وزارته
وناط به امانه سفارته واطلق يده بسيف الجهاد وقلم الاجتهاد
وتدبير ما تحويه المملكه الفاطميه من البلاد وكفله امر خدمته التي
استحقها بارتياد الرشاد وراى ان يكتب عدو الدين باصطفايه وكف
عاديه الشرك باستكفايه واختار لتقدمه عساكره من اخترته ايها
الملك العادل لتقدمه عساكرك واستهدى منك هذه الجوهره المعدومه
من جواهرك واستنزلك عن هذه الذخيره المصونه من ذخايرك واثر
ان يوثر به دولته التي تعد نصرتها من ماثرك ولثقه امير المومنين
انك تسمح له بكرايم لا يجود بها الا من كان كريما وتقسم بينك وبينه
المجد الذي دعى بها والدك الشهيد رحمه الله عليه للدوله قسيما
امضى هذا الراي لما وضح صوابه وانتهز فرصه هذا التوفيق لما فتح
بابه ووله القوي الامين فاستاجره للاسلام واهله ومد عليهم مما

كانت اعينهم ممدوده اليه من ظل عدله ولما تمسك به المسلمون لم يغل
منه ايديهم المشدوده عليه ولما اغتبط به اهل الدين لم يصرفهم عما
هداهم الحظ اليه وامره ان يحتحرب الفرنج عدته ويلحد لغزوهم
اهبته ويطلبهم برا وبحرا ويوسع لقتالهم درعا وصدرا ويديل
الاسلام من هدنته تطلع منها الى الله سرا او جهرا ويفرق وامير
المومنين يراها مصابا يحتسب فيه عند الله اجرا وعهد اليه ان
يعمر الاساطيل التي تقطع عن العدو الامداد ويعمر سجون الدوله
بالكافرين مقرنين في الاصفاد وان يسكن المدن التي جنى عليها
التدبير العاجز وتنقل المعاقل التي كانت خاليه المراكز لتكون
ايها الملك العادل من وراء هذا العدو الكافر مستاصلا ويكون
وزير امير المومنين للغارات عليه والغزوات اليه مواصلا فيقطع
في الشرك سيف الله بحديه ويلبس الاسلام في نصره برديه ويطش
الحق في اعدايه بكلتي يديه وغير بعيد من معونه الله ان تخفق على
البيت المقدس رايات الدوله الفاطميه ورايابك التي تعد من
راياتها وتوجف عليها خيولها وخيولك التي النصر احد غرورها وشياتها
وياخذ كلمه الحنيفيه بطوايلها من طغاه الكفر وبغاتها ويجري الله
الدوله العلويه في النصره العلويه على سيراتها وعاداتها فمن الان
قيل للوثنيه ادبري ونادى الاسلام يا خيل الله اركبي ولينصرن الله
من ينصره ورسله بالغيب ان الله قوي عزيز وامير المومنين يوثر ان
يوثر دولته بهذا السيد الاجل لتكون ايها الملك قد نصرته نصرا دايما
وقضيت من طاعته فرضا لازما وسررته غايبا وحاضرا ووكلت بخدمته
من ينوب عنك في النصر المتظاهر وان تكاتبه بالزامه بمعاهده وتهذيبه
الى دولته التي اغتبطت باستخدامه ويهون عليه روعه فراقك فانها ملفته

وجهه الى شامه وتسليه بثواب طاعه امير المومنين التى فرضها الله بصريح
كلامه وتبعثه على ارتباط عده من عسكرك المسير معه يعاضد عساكر
الدوله العاضديه ويرد ابها القوه وتتضاعف الحميه ولولا ما منيت
به البلاد من تعاقب حوايج الجدب وتناوب توارح الحرب وارتفاع
الاسعار وعلوها وعزه الاقوات وغلوها لاستزدنا قوه الى هذه
القوه من عساكرك المويده ولما راينا اعانه احد منهم بل بدلنا لهم الاقامه
المويده ولكن اقامه من تحمله البلاد وتتسع له المواد ويودى به ما فرضه
الله سبحانه من الجهاد مما ننتظم به بمشيه الله الميامن والمناجح ويتقر
اعين المسلمين بما يقتضيه ويقتضيه من المنافع والمصالح ويودى به ما
يجب لله ولرسوله فى خلقه من الحقوق والنصائح ويستكمل به ما ابدلته
من العمل الصالح والله سبحانه يمدك ايها الملك العادل المعظم الزاهد المجاهد
المويد المنصور المظفر نور الدين ركن الاسلام والمسلمين بمزيد نصره ٥
ويحوطك بمعقبات من امره ويجعلك ممن اخلص له فى سره وجهره وحسن
عن امير المومنين محا زاتك ويديم لدولته ذبك عن حوزتها ومحاماتك
فاعلم هذا واعمل به ان شا الله تعالى والسلام عليك ورحمه الله وبركاته
وكتب لثلاث بقين من شهر ربيع الاخر سنه اربع وستين وخمسمايه ٥
والعلامه بين سطريه الاولين بالخط العاضدى الله ربى
فعاد الجواب النورى على العاضد بامتثال ما امر وتكفل
اسد اسد الدين بحمايه غيله واستمر وكان ابن اخيه صلاح الدين
قد قتل شاور وقال الفاضل قتل شاور وما شاور وقلت
وشاور وما شاور ٥ وكتب بالخط الفاضلى عهدا لاسد
الدين شيركوه بالوزاره ولقب الملك المنصور ٥ وكتب عليه العاضد
بخطه هذا عهد لا عهد لوزير بمثله وتقليد طوق امانه فاتك الله وامير

المومنين اهلا لحمله والحجه عليك عند الله تعالى بما اوضحه لك من مراشد
سبله فخذ كتاب امير المومنين بقوه واسحب ذيل الفخار بان خدمتك
اعتزت بان اعتزت الى بنوه النبوه واتخذ امير المومنين للفوز
سبيلا ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا
ثم واثبت اسد الدين منيته وعاجله اجله وولى ابن اخيه
صلاح الدين ٥ وكتب عهده بالخط الفاضل ولقب الملك الناصر
وكتب عليه العاضد بخطه ٥ هذا عهد امير المومنين اليك
وحجته عند الله عليك فاوف بعهدك ويمينك وخذ كتاب امير المومنين
ناهضا بيمينك ولمن مضى بجدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم احسن
اسوه ولمن بقى بتقلبنا اعظم سلوه تلك الدار الاخره نجعلها للذين
لا يريدون علوا فى الارض ولا فسادا والعاقبه للمتقين ٥ ثم كان
الفاضل رحمه الله هو الدوله الصلاحيه كان كاتبها ووزيرها وصاحبها
ومشيرها والحامل لكلها والحاكم فى كلها والمجهز لبعوثها والمنزل عند
اقعا ليوثها والداير به مناطق بنيها والساير به شموس ايامها ٥
وبدور لياليها فلما اذعنت لقلمه الرماح وطلبت صفح كله الصفاح
وانقضت تلك الايام وما فيها الا بكر عشيا او غرر صباح ٥
ومع هذا كله كان لا يزال منكدا مبتلى وضنى قلبه وجسمه ومرض
همه وسقمه نذكر هذا فى كتبه وترسلاته ويشكوه الى اخوانه واخدانه
وبما كتب فى ذلك ولا يسال سيدنا عن خاطر يزدحم فيه الاخطار
وعرض ولوع يشرح على النار وقلت قد عدم الصفا فى دار الاكدار
وجسم قد قارب ان يخلع المعار من الاعمار ولقد دب الفنا فى عضو عضوا
واخذت الزمان جزوا جزوا فكل يوم يذهب منى شى بعد شى ويكثر
شبهى بالميت فيبعد عن الحى ونعوذ بالله من نار غضبه ثم ان اخر المخالط

الكي قلت ولهذا كان لا يتكلف مع السلطان سفرا في كل مره وانما كان
العماد ينوب عنه فاذا سافر كان هو السابر للسلطان اذا ركب
والمسامر اذا جلس وكان اذا تاخر عن السلطان في بلد ناب عنه فيه
او كان رداً لمن ينوب من اخوه السلطان وبنيه ويكون هو القايم
بالملك القايل بالجيوش والملك ومما بلغ من سلطانه ما حدثني به ابو
المحاسن بن عبد الله الكاتب المصري قال سمعت محيي الدين ابن عبد الظاهر
يحكي عن ابن قرس ان الفاضل صحب السلطان مره في سفر فنزلوا منزلا
رخو الارض كثير الطين وتوالى به المطر وتعذر السلوك بين خيمه السلطان وان
وخيمه الفاضل الا على من يسلكه بمشقه فامر السلطان بنقل خيمته
يضرب الى جنب خيمه الفاضل ويفتح بينهما باب حتى لا يقطع بينهما الوحل
ولا ينزعج الفاضل عن مستقره وكان اذا غاب عن السلطان تكاتبا
وبينهما مترجم بقلم توافقا على المصطلح عليه فكانا يتكاتبان به
ويتخاطبان على بعد الدار بلسانه ٥ وكان القاضي الفاضل يكتب
الى سلطانه ويشفع فيما يريد كما يشفع الصاحب الى صاحبه والصديق
الى صديقه وكان يسلم في كتبه التي يكتبها الى السلطان على من اراد
من اولاد السلطان او اخوته ووقفت له من ذلك على كتب كثيره
منها ما هو بخط يده ورايت في بعضها اجوبه السلطان وفي بعضها
حروف المترجم بخط الفاضل وخط السلطان بازايه ورايت
كتابا كتبه الى السلطان وسلم فيه على ولده الملك العزيز عثمان وقال
فيه والملك العزيز اعز الله انصاره بحماه بين يدي المولى مخصوص بتحيه
يقص لديه ختامها ويخص وفود الشوق عزامها تحيه قد حجب فيها
اولا ومن افنيتها كان بعدي الثاني
يهوى بذي النورين لا يحطى الضحى يسرى ركابيها الى عثمان

ورسولي السلطان في بلاغها والناس رسلهم الى السلطان
واما ما يدل على شي من حال اوله فوقفت بخطه على ما صورته
كانت بيني والذي رحمه الله وبين المرتضى الطرابلسي متولي الديوان
بعسقلان هنات ارتضعا فاوبتها ولزما مواثيقها فصحبا بها الاعمار
وحكما فيها الاغمار فكانت حربها سجالا واياما احوالا الى ان
قضى الله سبحانه ان سبقه والدي الى الحمام وفرغت منه قبله
الايام فقال لي رحمه الله وقد انقطع الحبل من يده وعلم ان يومه لا
يدفعه الى غده ما ادري فلانا الا سيوفيك ما اسلفته ويقضيك الوعد
الذي اخلفته فقلت اري ان تكاتب بكتاب يثبت فيه بخطك اسطرا
وتجلب فيه من الوعظ اشطرا وتجعله كالوصيه فان الذي بيننا من
العداوه قد اشبه الموده لطول المده فقال هيهات غنا ما وراه
غنا ورقه لا يحل بها رفقه ولو اراد الله تعالى بقصدك لكفاك
وانت وذاك نمثل لي هذه المعاني والاقفال وكان الحال في عدم
النفع على ما قال • والرساله
ونم بعد اخذ النار عن قطا لعا قطعت في الدنيا وانت مشهد
كتب العبد هذه الجمله جعل الله حضره سيدنا البقا الذي لا يحل
التغير ساحته والامد الذي لا يحصر العدد مساحته وقد نقلتها
الى محل المحاكمه وجثا قبلها في موقف المخاصمه ورفع الظلامه الى من
لا يجوز عليه ولا ينفذ الاحكام الظالمه واسمع داعي الرحيل شفاها
وبات به الدار وشطت نواها ووضعت الامال من يده عصى سرا ها
واستردت الايام ما فرقته من حمله واشرفت به على مورد يطول
بوارده النهله وحسن الظن بالله تعالى قد وطا تحت جنبه مهادا
وانسه عند النزول بلحده فرادى وما سوى ذلك فمتى اخذ ضيف

الكريم زادا والحمد لله الذى نقل عبده من دار فناء الى دار بقاء ومن
محل محبه الى محل لقاء ومن الاقامه مع من يخاف جوانبه الى القدوم
على محسن ترجى مواهبه وقد كان حكم القضا سبق وسهم القدر مرق
بتلك الهنات التى نال فيها ونيل منه والاغراض التى حامت عنها وحميت
عنه والدهر فيها يومان والحرب بها طعمان فيوم يكون له متحمل
فيكون طعم مشبهها بالهزيمه ويوم يكون عليه متحمل فيكون هزيمته مشبهه
بالغنيمه هذا وقد كانت هذه الحضرة وطاعتها تعصيها تكثر الجداح
وتناول يدها عنان الجماح ويبقى لايلامها نيه اثار الصفاح فامات حتى
مات حقوقها واعتل من طول الضراب حديدها وقد بقى بعد ان رات
بعده وتجاوزت فى الحياه حده امران هما اخر ربته اللوم واقصى غايته
الملوم وهى الشماته وتلك خديعه الطبع العاجز وطبيعه
الحرق الحائر وبديعه لايركبها من مركبه الجنايز وما يخرج
ميت ايلامه وتلك سبيل لبست فيها باوحد والاخرى تتبع
الحلف بجنايه السلف واخذ الوارث بجرم المورث وهذه محافظه
فى العداوه ومطاوعه على القساوه فيها لحكم الله رد ظاهر وجراه
عليه يعجل عقبى الجاير وسو مقدره لا يبعد ان يغضب لها القادر
واستيناف حرب خاسرها الرابح ومخذولها الطافر وقد ركبت
الناس للمدح لحفظ موات الاموات ومصافاه اهل العظام والرفات
ناما المكافاه وهم فى كفات اللحود والمظاهره بالعداوه لهم وهم
فى ضماير القبور رقود فما عهد بهذه البدعه قايم ولا على هذه الشرعه
حايم وحوشيت من ان تخشى من بين الامه امه وحدها وتطيع
العصبيه فتجاوز سمت المروه وتتعدى حدها هذا وقد استفتحت
الخطاب بسبب ان الم بما الم به فى معناه فانه لابد ان يتبعه بما

يشيد مبناه ويقوى انهارات فى صحايف التجارب وتوارخ الاعاجيب
انه قل ما تناول فحلان وتصاول بطلان الا استويا فى الدنيا
النصيبين وكانا الى منهل من وردهما قريبين وكان سابقهما
طليعه التالى واولهما مقدمه الثانى واذا كان الله قد افردها
بعد طلوع البقا وخلفها لينظر كيف تعمل فيما استعملها به من النعماء
فالاولى ان تحفظ عبدها فى ايتامه وتخلف عليهم ما عزبه فى ايامه
وتصون مخلفيه من هتك الاستار وحط الاقدار وتشفى من
لاخلاق له من الاشرار وتعطيهم بما اطال الله من ذيول انوالها
وتحتسب بالحسنه فيهم مع ما كثر الله من ذخاير ثوابها ولا تزعج
مخلفيهم بالشكوى اليه فى الدار التى ثوى بها فانها حيث
ترفع الظلامه الى قريب من كان قريب وان سمع الميت ولم يجب
فان الله يسمع ويجيب ونقضى الذى قد كان بالامس بيننا ليسكننى
دنفرى فحمل يسكت الدهر وهو يحملها من كل ما ارتكبت فيه والطاعنه
من موارد الاوهام ان حفظت وصيه الله تعالى السابقه لوصيته
فى هولاء الايتام فاما ان اسعت القارحه بالقارحه واشبهت
الليله بالبارحه فالحساب سفى عليها مده بقايها بعده ويفضل
عنهما ما لا تجد فضله عنده لانقطاع عمله واتصال عملها واعجا
طوله واستداد طولها وعند الله تجتمع الخصوم ويضرب على يد
الظلوم قل هو نبا عظيم انتم عنه معرضون ۝ واما
ثمره بمنه قوله وقد كان يقال ان الذهب الابريز لا يدخل
عليه افه وان يد الدهر الخيله عنه كافه وانتم يا بنى ايوب ايديكم
انه لا يقاس الاموال كما ان سيوفكم افه بفوس الابطال فلو ملكتم
الدهر لاعطيتم لياليه اداهم وقلدتم ايامه صوارم ووهبتم شموسه

وبدوره دنانير ودراهم واوقاتكم اعراس وكان نما فهم فيها على الاحوال
مآتم وللجود خاتم في ايديكم ونقش خاتم في نقش ذلك الخاتم ٥
ومنه قولـــــه ادام الله ايام الديوان العزيز ممهله لمن
وضعت عنه درجات الجنه منشئة على من سخطت عليه كواكب الاسنه
مغرقه لمن يغرق في طاعتها بحار الاعنه مشرح النفس المتطامنه
لولايها بانها النفس المطمئنه واسبغ نعمه فان النعم في ضمنها وملا الامال
بمنها وافاض انوارها التي قد علم قرن الشمس انه عن قرنها وامضي سيوفها
التي تعرب ستعرق ضميرا لنصر في لحنها واعلا اراها التي تلقي العداه
بدرع يقينها وتلقي الغيوب بسهم ظنها ولا برحت راياتها سويدا اوات
قلوب العساكر واجنحه الدعا المحلق الي السما من افق المنابر ٥ ٥
ومنه قولـــــه سوقنا وروضه السما يهما من الزهر زهد
ومن المجره نهر والليل كالبنفسج تخلله من النجوم اقاح او كالزنج شمله
من الريح جراح والكواكب سايرات المواكب لا معرس لها دون الصباح
وسهيل كالظمآن تدلي الي الارض ليشرب او الكريم انف من المقام بدار
الذل فتغرب فكانه قبس تتلاعب به الرياح او رنيه قدمها بين يدي
الصباح او ناظر نغصه الغيظ وفتحه او مغني يخصه الحسن ثم تشوحه
او صديق لجماعه الكواكب مغاضب او رقيب على المواكب مواضب او فارس
حمل على الاعقاب اوداع اليه بها وقد شردت عن الاصحاب والجوزا
كالسرادق المضروب او الهودج المنصوب والشجره المنور
او الحبر المصور والثريا قدهم عنقودها ان يتدلي وجيش الليل
قدهم ان يتولي ومنه قولـــــه واما النيل فقد ملا
البقاع وانتقل من الاصبع الي الذراع فكانما غار على الارض فغطاها
واغار عليها فاستعبدها وما تخطاها فلا يوجد لمتصر قاطع طريق سواه

ولامرغوب

ولامرغوب مرهوب الا اياه ومنه قولـــــه في جواب كتاب
بعثه العماد الكاتب في ورق احمر فقطعت العرب الطريق على حامله
واخذوه ثم اعادوه ووصل منها كتاب باخر جوابه لان العرب قطعوا طريقه
وعقوا عقيقه ثم اعادوه وما استطاعت ايديهم ان تقبض جمره ولا البابهم ان
تسيغ خمره ولا سيوفهم ان تكنس تمته ولا اغراضهم ان تاخذ لطيمته فتقطف
ورده من شوك ايديهم وحياحياه الذي جل عن واديهم وحضر منه
حاضرا للفضل الذي ما كان الله ليعذبه بالغربه في بواديهم وتشرف
منه بقبيله الانس التي ما كان الله ليمتحنها بتقبيل واديهم وسالته باي
ذنب قتلت راي شفاعه فيك قبلت فقال عرفت الاعراب بضاعتها
من الفصاحه وتناجرت اهل نجد فكل صاح يا صاحبه وقالوا هذه حقا يقينا
بها السحريه وهذه حقايبنا الشجريه وهذه عتايدنا السريه محموله وهذه
مواريث قيسنا وقسنا المامولة فقيل لهم ان الفصاحه تنتقل عن الانسان
وان العلم يناله فرسان فارس ولو كان في السحاب فدعوا عنكم ثمرا علق
بشجراته واتركوا نهنها صيح في حجراته وان الفضل بيد الله يوتيه من يشا
والله ذو الفضل العظيم ثم لمنه على الشعث واحللته به بعد الاحرام
فاستباح الطيب وحاشاه من الرفث ومنه قولـــــه والاسر
ذل ما بعده عز واثر السلسله لمنع معاطف الهز والملسوع يفزع
من الحبل والجريح يعلم ان الجرح باب القتل ومنه قولـــــه
وقد طيب لماليكه الحياه في انعامه وهون عليهم الممات لثقة كل منهم باهتمامه
ما تمه فالوارث يرث من ابيه النسب ومن كرم مولانا النشب ٥
ومنه قولـــــه ونوت رماح نصلها الطعن فكانها غصون
قطعت ازهارها وبغادر غدران الدما فكانها رياض عطفت انهارها ٥
وقولـــــه من رساله يصف امد وامد ذكرها من العالم متعالم وطالما

صادم جانبها من تقادم زجع عنها مترعا انفه وان كان محلاً ونزعنها فريدا
بهم وان استصحب خيلا ورجلا وراي حجرها نقدرانه لا يفك له حجر
وسوادها فظن انه لا يفسحه فجر وحمية انف انفتها فاعتقد انه لا يستجيب
لزجر من ملوك كلهم تدطوي صدره على الغليل الى موردها ووقف وقفه
المحب السايل فلم يقربها امل من سوال معهدها ولـــــه من
اخري يصفها وهي العقيله التي صدر الصدر الاول محلاً عن وردها
والخريده الذي حصل منها على راحه ياسه وتعب طردها المحنه
التي كشفت ستورها ودار لعصمتها كسوار معصمها سورها وغلت على
انها السود على حطابها لان المهج مهورها ولربما ناي بجانبها الاعراض
وبنا جوهرها عن الاعراض وطاشت دون اوصانها سهام الاغراض
ودرجت الملوك على حسرتها لم تحسر لها لثاما ولا استطاعت لثغرها
تلماً ولا له التثاما ولـــــه من اخري يصف قلعه نجم وهي من عيون
الرسايل منها هي نجم في سحاب وعقاب في عقاب وهامه لها الغمامه
عمامه والمله اذا خضبها الاصيل كان الهلال لها قلامه عاقده حبوة
صالحها الدهر ان لا يحلها بقرعه نادبه عصمة صافحها الزمن على ان لا
يروعها بخلعه فاكشفت بها عقارب منجنيقات لم يطبع بطبع حمص في
العقارب وضربتها بحجاره اظهرت فيها العداوه المعلومه في الاقارب
فلم يكن غير ثلاثه الا وقد اثرت فيها الحجاره جدريا بضربها ولم تصل الى
السابعه الا والبحران مودن بنقبها فاتسع الخرق على الراقع وسقط
سعده عن الطالع الى مولدهم هو الهوا طالع وفتحت الابراج فكانت
ابوابا وسيرت الجبال فكانت سرابا ومنه قولـــــه
ومن اعتقل حصنا فقد ملك نياده وامن شراده وصار تحت ختمه وحبس
جسمه في حصنه وطبر في جسمه واذا كان الله قد اعطانا البلاد وهي آله

المقيم واعطاهم المراكب وهي آله الظاعن الهارب فقد علمنا لمن عقبى الدار
وقد نقلهم الله نقل قوم نوح من الماء الى النار وقد وريت بمولانا للاسلام
زناد وذاك الزناد هو السيف القاضب المستطير من شرره هو دفع الدم
الساكب ومنه قولـــــه وعرف الملوك ما يكابده مولانا
وكل نعيمن الله وما تغلوا الجنه بثمن ومن عرف ما يطلب هان عليه ما
يبدل ولا تهنوا ولا تحزنوا وانتم الاعلون الغمرات ثم تنجلينه فانك
نصل والشدايد للنصل وكلما اشتد الخناق قوي اليقين ان الله يريد
يعظم موضع الفرج والحادثات وان اصابك بوسها فهو الذي ادراك كيف
نعيمها لا زعزعتك الخطوب يا جبل كلما يلز مولانا من المغايظ
ومن تثاقل الاوليا تحمله وكلمه الله ويعلم ان الطباع البشريه يستولي
عليها الضجر ويعلم ان الذي يطلبه من الناس اعظم من الذي يدفعه
اليهم فانه يعطيهم الاموال ويطلب منهم الارواح ولابد من تلطف الترفيه
فيمن يستنزل عن نفسه وابن من يجود بها الا قليل ما هم وقد كانوا اذا عدوا
قليلا فقد صاروا اقل من القليل ومنه قولـــــه فسبحان
من جعل اراه في الظلمات مصابيح وبه في المشكلات مفاتيح
وبيده اذا امتطت الاقلام بارت الغمام واذا اتشحت بالاعنه بارت
الريح وباب مولانا ميدان العلى ومجلسه معرض الحلى وترابه غرر وجوه
الساده الالي ومن اخري في فتح بيت المقدس شرفه الله تعالي
منهـــــا واتينا المدينه من جانب واذا هو اوديه عميقه ولجج وعره
عميقه وسور قد انعطف عطفه السوار وابرجه قد نزلت مكان
الواسطه من عقد الدار وقدم المنجنيقات التي تتولى عقاب الحصون
عصيتها وحبا لها واوتر لهم قسيها التي تضرب ولا يفارقها سهامها ولا
نصالها فصافحت السور فاذا سهامها في ثنايا شرفاتها سواك وقد

تقدم النصر نشوا من المنجنيق تخلد اخلاده الي الارض ويعلو علوه الي
السماك تشج مرابع ابراجها واسمع صوت عجيجها ورفع منار عجاجها
واسفر النقاب عن الخراب النقاب واعاد الحجر الي طبقته الاولي
من التراب ومضع سرد حجارته بانياب معوله واظهر في صنا عته
الكثيفه مايدل علي لطائف انمله واسمع الصخر الشريفه انينه الي ان
كادت تزق لمقتله وله ايضا من اخري فنصبنا عليها
المنجنيقات تمطر سماها نبال الوبال وتملا ارضها بالنكايه والنكال وتهد
بساريات حجارتها راسيات الجبال وتنزل نوازل الاسوا بالاسوار
وتوسع مجال الدوايره في الديار وتخطف خطافاتها اعمار الاعمار
وتطير حمامها بكتب الحمام وتدلم اعراشها مهاجي اهلها بتوفير سهام
وكشف النقابون السور المحجوب فتهدم بنيانه وتداعت اركانه
بتظاهر المنجنيقات عليها والنقوب ومنه قوله
في ليل كموج البحر له النجم كحبب البحر قد حشر الهموم وحشدها وهدي
ضوا لها للقلوب وانشدها فاقول له لما تمطي بصلبه قطع الله صلبك ومتي
اري عمود الصباح قد عجل الله عليه صلبك ومنه قوله
ولنا من الحرمان من يجود ونظن انه الي الله لن يجود ويصدق وعد
الشيطان ومايعد الشيطان الا الغرور ويصدر عنه كل عظيم المورد
ويجهل ان الله عليم بذات الصدور ويظن انه يرث الارض وينسي ما كتب
الله في الزبور وننشد ضاله الولايه بجيبه وبينه ومايقبل بيت
مكسور ولا يضمن النصر صيس مكسور ومنه قوله
والمسوول اخذ ستور الملوكه للحج في هذه السنه فقد حفا بيت الله حقوق
طويله واشتاق الي زوره وتمامها ان يكون المولي فيها الوسيله وقد تحقق
الملوك ان المولي يلبيه ولا يحرمه فكاد يلبي ويحرم ولولا ان ذكر وذكر

والله

والله كسر المسك لكان علي هذا العزم يتم ويحزم ومايتقطع من افق خدمه
ولا منافع لسانه وقلمه عن الدوله الناصريه فقد كان حج تحشد جيوش الليل
وفوقوا سهام الاسحار واعانوا في تلك السنه سلطان الدنيا وجنود النهار
ومايدعي الملوك في الدعا رتبه المجاب ولكن في الحشد رتبه السمساد
ومنه قوله فوضعت يدا فيه وقدما علي البحر ورشفته
علي حرا الوجد بارد الظلم وصرفت به عن الخاطر كل هم فما انشو بعده ولا هم
ومنه قوله واما ضلعه الكري علي العشاق فهي عوايد
سماحه ومن اشرق كاشراقه فما يكون ابدا في ليله انما يكون في صباحه
فما ضره ان هب ما لا تدعوا اليه حاجه وان تخلع ديباجه كراه كما تخلع فاضحر
ديباجه ومنه قوله وهم بان ياخذ من كلام سيدنا
في كتابه فعبد اليه حلاله فانه ماوجد لفضله اوصف من وصفه ولا اكشف
لبراعته من كشفه ثم استحيا من ربه يسود لها وجوه الاقلام واشفق ان
ياكل اموال الناس بالباطل ويدلي بها الي الحكام ووصف
ايضا المنجنيق من رساله فقال فسلمت كانها بنان وتضضت كانها
لسان واضات كانها من نار واهتزت كانها جان وتقومت كانها
سنان وانعطفت كانها عنان واقدمت كانها شجاع واحجمت كانها
جبان ورمت ورسم الموقف من احجارها بامثال الروس المحلقه
فاعادتهم الي الخلقه الاولي مخلقه وغير مخلقه ومنه قوله
وكان الثريا لجام مفضض في ادهم الليل او غنا حمله داهم السيل او حبب
جود زره اللباس او كف تفصل الافق علي الليل بقياس
ومنه قوله اطال الله بقا المجلس الي ان يقضي للكفر اعمارا
ويملك منهم رقابا ودیارا ولايدر علي الارض منهم ديارا ولا يصلوا ان يضلوا
العباد ولا يبلغوا لن يلدوا فاجرا كفارا والي ان يغرقهم من دمايهم

ج٧٢

في طوفان وبل ان يعرضهم على الجذوع فيكونوا عنده صلبان كالصلبان
ومنه قوله خدمة الملوك واصله من بيت الشريف
فلان وهذا الشريف قد زكى نسبه باعمال صالحه وعمله بسير ناصحه
وله عايله هي وان كانت علاً فقد فسحت خطاه في الانتجاع وبه فاقه هو وان
كان في ضايقتها فقد بعثته في الارض على الاتساع ولما قلب طرفه في سما
القصد هدي الى افنيه مولانا التي برضاها كل متوصل والى هدف المدايح
الذي تسدد اليه سهام كل الكنى ومفوّق فان راي مولانا ان يشفع فيه
حده سافع البشر وبلين حظه فان حظه كالحجار او اشد قسوة من الحجر
ومنه قوله ورد كتاب المجلس ومرحبا بمقدمه واهلا
بمحله والسرق يختلف نفود صروفه وتتنوع صنوف ضيوفه فلا بد ان
تبتعض اذا انبعضت المسافات ولوانه الابتدار ما بدنوا اللقا على
الرسول السايرا بالكتاب الصادر والخيال الزاير بالحبيب الغادر
والنسيم الخاطر من رسايل الخواطر ويقربه طرف الناظر من
الصديق الحاضر ووقفت على هذا الكتاب المشار اليه وما
وقفت عنه لساناً شاكرا ولا صرفت عنه طرفاً ناظرا وبلغت من
ذلك جهدي وان كان قاصرا واستفرغت له خاطري وما اعلم اليوم
حاضرا ومما اسر به ان يكون في الخدمه السلطانيه اعلاها للسرور فعمها
ووصلها ولا قطعها والف عليها القلوب وجمعها واستجاب فيها الادعيه
وسمعها من تكثير قليلي وشفى في تقبيل الارض غليلي فان تقبيل
سيدنا كتقبيلي فلو شرب صديق وانا عطشان لا رواني ولو استضا
بلمعه في الشرق وانا في الغرب لاراني كما ان الصديق اذا مسته نعمه
وجب عنها شكري واذا وصلت اليه بدمعم وصلتني وتغلغلت الي
ولو كنت في قبري ۞ ومنها واعود الى جواب الكتاب الاخبار لا

لاتزال غامضة الى ان تشرحها ومقفله الى ان تفتحها بخلاف حال خادمها
مع الناس فان القلوب لاتزال سالمة الى ان تجرحها والهموم خفيفه الى
ان يرجحها وفي الخواطر في هذا الوقت امور موجوده يجعلها في العدم
وتخرجها من الالم الى الالم ويعادي بين الاسماع والالسنه وبين العيون
والقلم والقلوب بيد الله سبحانه وعليها بالاستخاره بالاستخاره فتلك تجاره
رابحه وكل تجاره لا تخلو من خساره والله تعالى يجمع كلمة المسلمين على يد
سلطاننا ولا يخلينا منه ومن منه حلى زماننا وسيوف ايماننا ويسعدنا
من اكابرهم بتيجان روسنا ومن اصابع عزمهم بخواتم ايماننا ولقد تفرغت العزمه
الفلانيه لهذا الكتاب ولو ذكرت السلطان بالعدو فيرجم كلبه ويكف
غربه ويديفه وبال امره ويطفي شرار شره ويجعل له عاقبة خسره
فقد غاظ المسلمين وعضهم وقتل جموعهم وفضهم ولو جعل السلطان
عن نصب غزو هذه الطاغيه مغزاه وبلاده مستقر عسكره ومثواه
لاخذ الله الكافر بطغواه كما اخذ ثمود بطغواه ولا بقي ذكرا وقوله
وللموده عين لا يكحلها اذا رمدت الا المدمدا الصديق وما في الصبر
سعه لصحته ايام العقوق بعد صحبه ايام العقيق وقد بلغني ان ولد المذكور
خدم في المجلس السلطاني وسررت بان يجتمع في خدمته الاعقاب
والدراري وتطلع في افقه الاقمار والدراري والله تعالى يحفظ
علينا تلك الخدمه جميعا ولا يعدمنا من يديه سحابا ومن جنابه ربيعا وللمودات
مقر ما هو الا الالسنه والقلوب قضاه لا يحتاج الى بينه ۞
ومنه قوله يذكر كتابا جاء في ورق اخضر ولما تناولته
في الحله الخضرا مخضرا بسرير السرا قلت الله اكبر من كان خاطره
غنشا روض وفاض فاعشب فذهب ففضض وما شككت اني دخلت
الجنه لما فاض من انهارها واقبض من سندسها او طلعت الى سماء الدنيا

لما ملأ سمعي وعيني من سهبها وحرسها و لا انني تدرجاتني رسا له الروض الارج لما فعمني من نفيس نفسها فقلت لصحيفته ما هذه اللبسه الغريبه والحليه الحسنه والورقه التي هزت عطفي في ورق الشبيبه بعد ردا المشيب والريحانه التي لا يدعيها عذار حبيب فقالت

شققنا مرايو قوم فنحن نسميه سق المران

ومنه قوله وكيف ما حل اهل هذا البيت فهم في كل بيت صدور وفي كل مطلع نجوم وبدور لا تذلل انوارهم باشاره الاصابع ولا تبتذل اقدارهم في مصونات المجامع كان الارض بهم سما فانهم طوالعها ٥ وكان الدنيا بهم رياض فان اوجههم دهرها وايديهم منشا رعها ٥

ومنه قوله وقد اثمر هذا القلم اكرم الثمر وهو يابس وابر جودًا على احضر المغارس واتى اكله كل حين وكل وقت وطال وان كان القصير فقصر عنه كل نعت ورصل كتابه فاكرم به من ساق وحبيب وحطوت به وليس علينا و لا بيننا من الانام رقيب وتبلت منه خدًا بل يدًا واجله عن ان يكون نسيبًا للنسيب وهززت منه قضيب بان من رياض طرسه في كثيب بل هززت منه قضيب بان للعلي تحتنيها بفتكة القضيب

ومنه قوله والعين مستطيع ان ينفخ الروح في صريعها ويرش نور الشمس على وجه صديعها والافان معشي عليه مغشي بليل بحته فقد قرب بنات نعش الغش اليه ومنه قوله ومن مستهل ذي الحجه ما استهل من يده كتاب ولا استقل من تلقا جهته سحاب ولعل قلمه في الميقات قد احرم فلم يمس الطيب من انفاسه ومسح المداد عنه لتمام الاحرام بكشف راسه والان فقد انقضت الايام المعلومه فهل لا قضى عند الايام التي تمادت فيها شقوه العيون المحرومه ومنه وعليه السلام الطيب الذي لو مر بالبهيم لا شرق او بالنسيم لا ورق وكتبها الكريمه ان تاخرت

فامولم وان وصلت فمقبوله وان ابتات ببسار فخشوه وان ابطات بيسير فمسنوه ومنه قوله واما ما ذكره من القرض فلم يزل القرض للدرية الايوبيه اعادها الله من الانقراض ميسم كرمها وعنوان على همها فبيوت اموالهم في بيوت رجالهم وعقد ايامهم في قلوب خدامهم والكنوز التي جعلها الماضون سبايك في التراب جعلها ملوكنا قلايد في الرقاب فهم يتحلون بالقرض ويفتخرون واذا ادخرت الملوك في ايدي انفسهم ما لا فهولا في ايدينا يدخرون ومنه قوله وصل كتاب الحضره وصل الله ايامها بحميد العواقب وبلوغ المارب وصحبت الدهر على خير ما صحبه صاحب واتضنا بواجب طاعته فانه بالحقيقه الواجب وكل واجب غيره ليس بواجب من يده فلان ورجوت ان يكون طليعه في الاقتراب ومبشرًا بالاياب ومخبرًا بعودها الذي هو كعود الشباب لو كان يعود الشباب وعرفت الاحوال جملة من كتابها وكلها تشهد بتوفيق سلطانها وبايامها التي تعود لمشيبته باصلاح شانه وشانها والذي مده ظلاله فضلا فالفضل الذي في يديه في يد خلق الله الذي احاطهم بالرزق عليه فكيف ما دعونا له لا نفسنا وكيف ما كانت السنه رماحه فهي نجوم حرسنا فلا عدمت ايامه التي هي ايام اعيادنا ولا لياليه التي هي ليالي عرسنا ومنه قوله وهذا افق لا مطار فيه الا للعقاب وابنه وبحر لا سبح فيه الا لمن يخرج الدر فيه ويدخل البحر في ردنه وما عنيت بالبحر هاهنا الايه الكريمه فاما البحر فلم اعنه واعرفني في البحار والجتني منها وعرفتني وزن خواطر البلغا ولولا عروض خاطرهم لم ازنها زاد الله في هذه الانفاس وندبت هذه العقايل التي ايامي بها اعياد ولياليّ اعراس ومنه قوله وما ياتيني من المجلس من ذكر

محدث يسر به المحدث وخبر تائل به الانس ويتأتّى الا استمعته
ولسمعي على قلبي المنه وفتحته كانما فتحت لي ابواب الجنه وتناولته كانما
تناولت كاني بيميني ورفعته فكانما رفع التاج فوق جبيني وقابلته بالحمد
فكانه عرض كاتبه وقرنته باللثم فكاني ظفرت بيد صاحبه ومنه
قولـــه واصدرت هذا الكتاب مقصورا على اجوبه كتبه التي
كتبت لي عهده الشكر واباحت في شهر الصيام كؤسها السكر ومنه
قولـــه وكتبته وشعبان قد وصل الى اعقابه وقرم المجوف قد تعقبه
رمضان بكتابه نجمع الله لسيدنا فيهما كل خير يستحق جمعه واعلايه التي
سالها الكرم لم نر منعه ۝

ومن اجوبته

ورد على الخادم زاد الله ايام المجلس واصفاها من الاكدار وابقى بهامش
انيرانه لحسن الاثار واسمع منه وعنه اطيب الاخبار وجعل التوفيق منهما
حيث اقام وسايرا اينما سار كتابه الكريم الصادر عن القلب السليم والطبع
الكريم والباطن الذي هو كالظاهر كلاهما المستقيم ولا نزال الاخبار عندنا
مجمه والاحاديث مستعجمه والظنون مترجحه والاقوال مسفه ومصححه الى ان
يرد كتابه فيحق الحق ويبطل الباطل ويتبع الحالي ويفتضح العاطل ويعرف
الفرق ما بين خبر قايل وجوبز قايل فتدعو له الالسنه والقلوب
ويستعفر بحسناته الايام من الذنوب والشجاعه شجاعتان شجاعه في
القلب وشجاعه في اللسان وكلاهما لديه مجموع ومنه وعنه مروي ومسموع
وذخاير الملوك هم الرجال وآرا الحزم ما هي النصال ومودات قلوبهم
هي الاموال ومجالس آرآيهم هي المعركه الاولى التي ربما اغنت عن
معارك القتال والله تعالى يجدد للمسلمين به حالا يجمعهم على جهاد
الكفار ويلهمهم ان يبذلوا في سبيله النفس والسيف والدرهم والدينار
ويزيل ما في طريق المصالح من الموانع وينظم السنوق عن آبابا الاسلاميه
ويحرم

ويحرم عليها المراضع ويجعل للمجلس في ذلك اليد العلى والطريقه المثلى
ويجمع له بين خير الاخرى والاولى والاحوال ها هنا بمصر مع بعد
سلطانها وتمادي غيبته عن سائر شانها على ما لم يشهد مثله في اوقات
السكون فكيف في اوقات القلق وعلى ما يحفظ الله به من في البلاد
من الجوع ومن في الطرقات من الرفق ومنـه قولـه
ومن اللطف في كون الحضره كتبتها عجله وروجتها مرتجله واصدرتها
في حاله المتبدل ولم تحرها نا طر المتامل والا فلو لا رسلت البوارق
والصواعق وما اصنع وما كل من حاشت بحاره وقذف دره يحلن اغرق
الاخوان في لجه واخرس اللهجان بحجه ۝ ومنـه قولـه
وصل كتاب الحضره لا زالت رياض ثنايها متنفا وجه وخطرات الردى دونها
منارخه والليالي بانوار سعودها متلالئه والايام الجافيه عن بقيه الفضل
منها متجافيه باركه للمجد منها فيه يخبر الينا المكرمات اذ لم يكن لها فيه
ما نشده ضاله فقيل كان ليبشد لنها مرصدا ورفع له نارا موسويه سمع
عندها الخطاب وانس الخبر ووجد الهدى وكانت نار الخليل بخلاف
نار الخليل فانها لا تقبل نداء الاحفان بان تكون بردا وسلاما ولا يزايد بها
نداها الا كانت اضرى ما كانت ضراما ونعود الى ذكر الكتاب الكريم ونسجد
لمحرابه ونسلم ونحسب سطوره مباسم تبسم ووقف عليه وقوف المحب على الربع
بكلمه ولا يتكلم ونبطل حسه وكان حمادى بن بعد وكان على خده المحرم ۝
والله المسوول لها في عاقبه حميده وبقيه من العمر مديده فانها الان نوح
اهل الادب وطوفانها العلم الذي في صدرها ولا عروان يبلغ عمرها عمر كعمرها
على انها طالما اقامت الحد على الدنيا حتى بلغت في حدها الثمانين وادبت
الايام بسلاح الحرب من سيفها وسلاح المسلم من قلمها نادبت المحاربين وما
حملت العصا بعد السيف الا وقد وضعت الحرب اوزارها ولا استقلت

ومن اجوبته

بانه موسى الا ليمحو الخواطر وتضرب اجفانها وما هي الا ريح وكفى ببدعها لها
سنانا وما هي الا جواد تحت السنين خلفها فتكون انا ملها لها عنانا
ومنه قولـــــــه ورد كتاب الحضرة السامية احسن
الله لها المعونه ويسر لها العواقب المامونه وبلغها على حرب الفئة
الكافرة الملعونه خبر بخروج الخارج من قلعة كذا وما صرح به من الخوف
الذي ملأ الصدور والاستحثاث في مسير العسكر المنصور وكل قضيه
وردت على القلوب نفرعت فيها الى ربها فرجت فرجه واذكى لها اليقين
سرجه ولم يشرك معه غيره مستعانا اولم ندع معه من خلقه انسانا
ثما القضيه وان كانت منذره الا مبشره والخطه وان كانت وعره الا
مبشره لاجرم ان هذا الكتاب اعقبه وصول خبر نهضة فلان نصره
الله ونهضاته وادى عنه مفترضاته واستنهض العساكر وقوبل العدو
الكافر فتنفس ذلك الخناق وتماسكت الارماق وما احسان الامر تمادى
مع القوم بل اقول لاكرب على الاسلام بعد اليوم يتوالى بمشيه الله ولاه
الاطراف ويرفل من نفس العدو وسمعه ما استشعره من المسلمين من
الخلاف ويجتمعون ان شا الله على عدوهم ويذهب الله باهل دينه ما كان
من فساد اعدائه في ارضه وعلوهم وقد شممنا والحمد طلب الهدنه وطلب
الرسول وخبر هلال ملك الالمان الذي هو سيف الله مقتول والموت
سيف الله على الرقاب مسلول ومنهـــا فاما ما اشار اليه
من القلاع التي شحنها والحصون التي حصنها والاسلحه التي نقلها اليها
والاقوات التي ملا بها عيون متأمليها وبديها فان الله يمن عليه
بان يسره لهذه الطاعه ورزقه لها الاستطاعه فكم رزق الله عبدا رزقا
حرمه منه وفتح عليه بابا من الخير وصرفه عنه الان والله ملك الملك
العادل ماله الذي انفقه واودعه لخير مستودع من الذي رزقه وسنان

بين الهمم هممه ملك ذخر ماله في رؤوس القلاع لتحصين الاموال وهمه ملك
اودع ماله في ايدي المقاتله لتحصين القلاع
بيني الرجال يبني القرى شتان بين قرى وبين رجال
والحمد لله الذي جعل اطاله لهم سره وهم ترك الذين يكنزون
الذهب والفضه المال عليهم حسره ما احسب احدا من هذه الامه ان
كان عند الله من اهل الشهادات بين يديه وان كان كرم الوفاده لديه
الا تلقاه شاكرا لهذا السلطان شاهدا بما اولى هذه الامه من الاحسان
وفي ذلك فليتنافس المتنافسون سيحصد الزارعون ما زرعوا والله
يزيده توفيقا بما توفيقه ويلهم كل مسلم القيام بمفترض بره ونعيده من
محذور عقوقه وانا اعلم ان الحضرة تفرد لي شطرا من زمانها المبهم بكتاب
لله تكتبه الي وخبر سار تورده علي وانا افرد شطرا من زماني لشكر اهلها
واسر الله لها بتوفيق الله في جميع امرها فان الذاكر لها بالخير كثيره فزاد
الله طيب ذكرها ومنه قولـــــــه والمشكو في هذا الوقت
وجع المفاصل والامها واورامها فيدي منها في جامعه ورجلي منها في رتعه
واعضاي كلها قد رابني بعد صحه وصارت لما تم عليها من ايدي الراقين
والذاكرين كانها حرزات سبحه ولقد سئمت تكاليف الحبوه وسهلت
على مخاوف الوفاه وحملت الايام على ظهري حمل الحطب فما يسوى
ان تشتعل فيها نار اجل يكون من الانفاس المرتجه ذات لهب وما اعربت
على الايام في تجهها ولا جانبي ايات الكبر في غير موسمها ومن استشعل
بسراج المشيب مسته الليالي في ظلمها فقد صرعتني الامراض وصدت عن
عطفي المناهض اللهم لا اشكوا الا اليك ولا اسال الا انت ولا ابث
ما بي من بلائك الا لاستلزم اليك الشفعا واستدعي منهم الدعا
فان دعوتك من خفها ان سطف رافعها لها الوعاء فاما طاحونه

مدينه الجسد وهي الاسنان فبعض السن طحن مع السن احساسا
ولا وبعضه نفي منه جلم غير محجن وما كنت ادري ما معنى قيد
الحياه الى ان قيدتني المفاصل بوجعها وعلة النقرس تسقلها وترفعها
وانا الان بالحقيقه في ضد الحياه احساسا ولابس جسم قد كرهته النفس
لباسا ه ومنه قولـــه ورد كتاب المجلس السامي
نصر الله عزايمه وامضى في رووس الاعدا صوارمه وشد به بنيان
الاسلام ودعايمه واسترد به حقوق الاسلام من الكفر ومظالمه
وخلف نفقاته في سبيل الله ومغارمه وجعلها مغانمه وكان
العهد به قد تطاول والقلب في المطالبه ما تساهل والمحب
استعاله بالطاعه التي هو فيها وما كل من تشاغل تشاغل فهناه
الله بما رزقه ويقبل في سبيل الله ما انفقه وعافى الجسم الذي
انضاه في جهاد عدوه واخلقه وغدوفق من اتعب نفسا
في طاعه من خلقها وجسما في طاعه من خلقته فهذه الاوقات
التي انتم فيها اعراس الاعمار وهذه النفقات التي تجري على ايديكم
مهور الحور في دار القرار قال الله سبحانه في كتابه الكريم
وما انفقتم من شي فهو يخلفه وهو خير الرازقين وما فلان وما
يسره الله له وهونه عليه من بذل نفسه وماله وصبره على
المشقات واحتماله واقدامه في مواقف الحقايق تنل رجاله
فملك نعمه الله عليه وتوفيقه الذي ما كل من طلبه وصل اليه
وجواد العجاج في تلك المواقف بياض ما سودته الذنوب
من الصحايف التي كنت معهم فافوز فوزا عظيما فما اسعد تلك
الوقفات وما اعود بالطمانينه تلك الرجفات وقد علم الله سبحانه
مني ما علم من غيري من المسلمين من الدعا الصالح لكم في الليل اذا يغشى

ومن الذكر الجميل لكم في النهار اذا تجلى والله تعالى يويد لكم ايمانكم وينصركم
وينصر سلطانكم ويصلحكم ويصلح لكم زمانكم ويشكر هجرتكم التي لم
توثروا عليها اهليكم ولا اموالكم ولا اوطانكم ويعيدكم الينا سالمين
سالمين غانمين غالبين انه على كل شي قدير ومنه قولـــه
ولا حول ولا قوة الا بالله قول من قعد ورا الاحباب يودع في كل
يوم حبيبا ويعيش في الدنيا بعدهم غريبا كانه النجم طلع عليه الصباح
فغاب او ونفي منتظرا للمغيب وصبحه ما قد علاه من المشيب ومنه
قولـــه هذا وما انا بحمد الله متجدد الاما بتقدم ذكرى له
من امراض الفكر واعراض الجسم وتداعي هذه البنيه لرحيل ساكنها
وان علاج هذه النفس الى ما اختاره لطف الله من وطنها فان السبعين
قد جزت عينها وقطعت عقبتها واسال الله الخيره في القدوم عليه
واللطف عند الوقوف بين يديه ومنه قولـــه
واشكو الى بعد قلبي جسمي فقد ضعفت قوته وقوى ضعفه وسحت عليه
هموي نوابا دون الثياب وشعارا دون الشعار من الحرب الذي عاد
بيني وبيني واتقم بقي من جسمي واستحدمها كخرب ارضه فان لم يكن لارضه
عجاج فلي عجيج وان لم يكن فيه بذار فلي من الحب انداد وان لم يكن لي سنبله
فلي انمله وان لم يكن في كل سنبله ماية حبه اكلها ففي كل انمله ما يه حبه تاكلني
وقد كنت سالما لاعضاي الاسنا انزعها فانا خلو منها من مده ما تي او اصبعا
اعضها فانا اكثر ما على الظالم الذي يعض يديه فانا انزع اعضاي كلها
نباتا واعض على جوارحي كلها انامل وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له
الا هو والحرب هم للاجسام والم حرب للقلوب والفكر للقلب حل والحك
للجسم نكر وبالله ندفع ما لا نطق باوا هب العمر خلصه من الكدر ومنه
قولـــه وصل الكتاب الكريم مبشرا بالحركه الميمونه السلطانيه

سلا العدو خذله الله ومسيرا المسلمين نصرهم الله تحت اعلامه اعلاها الله
ومباشرة العدو واستبشار المسلمين بما اسعدهم الله من اجراه عليه وكن
اضمارا لعود اليه وهذه مقدمه لما ما بعدها وهي وان كانت نصرة من
الله لما نقنع بها وحدها فالهمه العاليه السلطانيه للحرب التي تسلب
الاجسام روسها والسيوف حدها فان الجنه غاليه الثمن والخطاب
بالجهاد متوجه الى الملك العادل دون ملوك الارض والانس فهذا
نشتري بالمشقات كما ان الاخرى اعاذنا الله منها رخيصه الثمن
ونشتري بالشهوات ومن قوله وقف الخادم على
ما شرف به طبعه وشنف به سمعه وضيق بسعته درعه من الخطاب بالعتاب
الذي خفض له الجناح واستعذب به الجراح واسرقلبه في قيد اسي مستطار
لا يراد منه السراح وقذف به في لهوات ليل لم يود ان يبسم فيه ثغر الصباح
وقد علم الله انه بري من كلما يوجب الملام ويطلق السنه الذام وانه لمستيقظ
في حقوق الخدمه الا ان حظه من اهل الكهف تطول المنام ○ ومنه
قوله واما البرد فكلبه والهوا وغلبه فلما كتبتها الا واليد
ترتعد والخواطر لا تتعدو والغلام يذهب سح الفحم بما يلهب والشرارتي
منطفيه في حدود الثياب خيلانا ويبغي كما يمنعها ان تطرد في قول
القلم من الطرس خيلانا ○ ومنه قوله وانا الان اذا دعوت
الله سبحنه بان يمتعني بسمعي وبصري عنيته واذا قلبه واجعلها الوارث
مني فهو الذي اخبرته لذلك وارتضيته وبالجمله اني مستحسن قول جميل
وانقله الى اهل الجميل وما احدث الثاني المفرق بيننا سلوا ولا طول
اجتماع ثقنا اليا كذلك صحبه المجلس قد تطاولت وكلما الح عليها الصقال
لاح جوهرها وكلما تكررت عليها الفصول فصلت اياتها وسيرت سورها
ومن كتاب كتب به الى القاضي محيي الدين بن الزكي

بعد

بعد ان اصدرت هذه الخدمه الى المجلس لا عدمت عواطفه وعوارفه ولطايفه
ومعارفه وامتع الله الامه عموما بفضايله وفواضله ونفعهم كخاصه كما
نفعهم بسلفه الصالح واوايله وعادي الله عدوه وذل سهامه على مقاتله
ورد كتاب منه وما تنبت اذكرا لاعتاب فان سيدنا يقابله بمثله
ولا العتاب فان سيدنا يساجله بما فيض من بحله ولا التي عليه من قولي
قولا ثقيلا ولا اقابل به من قوله قولا جليا جليلا فقد سب عمرو عن
الطوق وشرف البراق عن السوق وذلك العمر ما برح محتنكا غير
اجنبي والطوق للصبي وذلك البراق حتى لا يقدم الا للنبي ومع هذا فلا
يقلص عني هذه الوظيفه واعتقدها من قرب الصحيفه فانك تسكن بها
قلبا انت ساكنه وتسر بها وجها انت على النوى معاينه ○ ومنه
قوله يا سيدنا العماد ضحك الله ما امر من فعلك ولا اعرف
فعلا منه ابين واحسن من وجهك ولا اعرف وجها منه احسن واحسن وجه
في الورى وجه منعم كيف انت في هذه الرحمه التي تركتنا رحمه وكيف الحركاه وكيف
الخيمه اما نحن ففي خيمه من عنصرنا وهو الطين وفي خركاه كانا من ضايقتها
في عقد التسعين قد حاصرتنا الامطار وقل احتفالها بالخنادق المحتفره
ونعلت بنا ونحن المسلمون ما فعلنا بمن حاصرناه من الكفره فليت لنا ولو
كمحص القطاه في السعه والخفوق وليت لنا جبلا يعصمنا من انواع السيول
اذا جات بمهروه السيوف وقد حال الجريض دون القريض وشغل توقع
اللييم عن توقيع القلم ومنه قوله وقد كانت ليله الخميس
بدمشق ليله مباركه ما غسل ظلامها الا السيول لولا الصباح ولا ابتسم
صباحها الا وقد كادت تبتسم عن بنها الجبال والبطاح ○ ومنه قوله
وقد جاد كرم يده على اموالها وعلم الخلايق الاشتطاط في امالها فما ماحد احدهم
البدن الا نكر الخاتم فيها ولا يعمل الخلعه الا وقد عصبت المنشور بعضها ولا ركبت

الجواد الا وهو بالتبر مثقل وبالحلي في وجهه ورجليه اغر محجل ولا تقنع بالاقطاع
الا وباطنه قلعه وظاهره رستاق ولا بالمنشور الا وحاصله ثمرات واسمه
اوراق فقد فر الناس من الصنايع الا اليا اصطناعه ومن المعاش الا اليا
انجاعه وهان عليهم ان يكتبوا في قرطاس ويحاولوا الكاس ويتقوا على التراب
فلحقوا بالسحاب وغمر الجود كل دينار حتى توارى دينارا لشمس بالحجاب
ومنه قوله يليا العماد الاصفهاني كانت كتب المجلس
لا غير الله ما به من نعمه ولا قطع منه مواد فضله وكرمه ولا عدمت الدنيا خط
قلمه وخطو قدمه واعادها الله بنعمه وجوده من شقوه عدمه تاخرت
وشق على تاخرها وتغيرت على عوايدها والله يعيذ مما يغيرها ثم جات
جا بيت ابن حجاج

غاب ساعات ووافاني على ما كنت اعهد

واجبته بيت الرضي

ومتى يدنوا النوي بهم يجدوا قلبي كما عهدوا

كتابه لا ينبغي ملكها الا لخاطر السليماني وفيضًا لا يصدر الا عن نوح
قلمه الطوفاني اوجبت على كل بليغ ان يتلو ومنهم اميون لا يعلمون الكتاب
الا اماني وبالجمله فالواجب على كل عاقل ان لا يتعاطى ما لم يعطر وان
يدخل باب مجلس سيدنا ويقول حطه فاما ما افاض فيه من سكون الاحوال
بتلك البلاغه فقد كدت اشكو بها بما استخرجته من المحاسن التي لو ان
الزمان الاصم يسمع لاسمعته ولو ان الخط الاثم يخضع لاخضعته وبالجمله فانه
لا يبيت زمن ابقى من سيدنا نعما لنعمه التي مهما وجدت فالخير كله موجود
والمجد بحيطته مشهود وكما نبسوف راحه جسمه فينبغي ان يقتدي به قلبه
في راحته من همه واعراض الدنيا متاع المتاعب وقد رفع الله قدره والا فهذه
الدنيا وهذه اليها مصاب المصايب والكل التي هو الان عليها على كف من علم

يدرسه وادب نفيسه وحزم عقايل تذب عنه وتحرسه فهي خير
الاحوال فالواجب الشكر لواهبها والمسوم بالافضاليا عواقبها وما ينقص
شي من المقسوم وان زاد عند المجلس فليس من حظه ولكن من حظ السايل
والمحروم ولا يسمح المجلس بكتاب من كتبه على يدي من الايدي التي لا تودي فلا
يومن ان يكون انا ملها حروف التعدي ومنه قوله
وقد تاملت ما تفضلت في وصفه حين دعيت الي فصل الاسير وان العقده المحيطه
بعنقه والاسرا الساد لسبل القتل وطرقه اي لها ان تشغل به بالها وتصرف لها
ان لا ينجس بدمه نصالها فان قبل الاسير ويداه مغلوله وحبال الدرعه
محموله قدره مازالت النفوس على استقباحها مجبوله وما كان يومنها
ان تشخص الابصار نحوها وكما نظر في الطروس كانها ينتظر في الطروس
محوها فيكون عبط الحسام من قتلها حاملا له على ان لا يجد مضاءً ولا
لمضي حدًا ويا عناله على ان ينثني عن عنق الكافر مرتدا فيورثنا معشر
الكتاب عارًا يعدك عنده وينهى العلم ما يسوء والسيف ما يسترع وينفتح
باب القيل والقال ويحتاج الى العذر الصدي في نبوه السيف الصقيل
ومنه قوله وكان يستحي لقا فيه الثنا المثلثه التي خضعت
لامره وتسخرت لفكره وخفضت جناحها وتركب جماحها ورقه رقه الرائ
واعطته القياد الذي منعت من الكتاب والشعرا وهذا ملك البلاغه
السليماني وهذا القلم سيد النصر البياني وهذا المعجز وانا اول المومنين وهذا
السحر البياني وان لم يكن السحر المبين وما تصورت ان الثا تهون هذا
الهوان ولا ينقاد في الكلم الا ان يكون قلمه العنان فقد صارت عروسا
وننقطها نقوط العرايس ووجبت جنوبها فلا جرم انه امثل قوله فكلوا منها
واطعموا البايس وقد صرنا نبدل السين بها بغير لثغه ونقدر على استعمالها
بلاغه وما كنا نقدر على استعمالها الا بلغه ومنه قوله وذكر الله

ذلك العهد بخبر ما ذكرت به العهود ولعن الله الفرنج المخنقين وقبل
اصحاب الاخدود فقد قطعوا طرقات المسار واطالوا عمر البيكار
وسكنت نار منفاساتهم الدينار فجعل الله اعلام الكافر لمن عقبى الدار ۞
ومنه قولـــه وكتب ابن الزكي كان كتابي تقدم الى المجلس
السامي ادام الله نفاذ امره وعلو قدره وراحة سره ونعمه يسره واجراه
على افضل ما عوده واسعد جده واصعده واحضره امثال العام المستقبل
واشهده ولا زال يلبس الايام ويخلعها ويستقبل الاهله ويودعها وهو محروس
في دنياه ودينه مستليم من نوب الدهر بدرع يقينه واعماله مقبوله
ودعواته على ظهر الغمام محموله والدنيا ترعاه وهو يابى رعيها والاخره
تدخر له وهو يسعى لها سعيها من ايدي عدة من المسافرين ولتعني بهم ما
تبينت اسمائهم وليضيق صدري بتاخير كتب المجلس ما حفظت ما جا منه
وما كانا الا دعونا الله سبحانه دعوه الاولين ان باعد بين اسفارنا
واردنا ان يقطع بيننا وبين اخبارنا فاجيبت الدعوه ولا اقول لسابق
الشقوه ولكن للاحق الخطوه نبان بان مكابده الاشواق الى الابرار
يسوق الى الجنه ولا يسوق الى النار واقسم انني بالاجتماع به في تلك الدار
ابهج مني بالاجتماع به لو ابيح في هذه الدار فعليه وعلي من العمل ما يجمع
هنالك سلك الشمل ويصل جديد الحبل فثم لا يلقى العصى الا من
القى ها هنا العصيان وهناك لا يقر العين الا لمن سهرت منه ها هنا
العينان ولا وجه بجمع اسمي مع اسمه في هذه الوصيه مع علمي بسو تقصيري وخوفي
من سو مصيري ولكن ليزيد سيدنا في وظائفه وعوارفه فلعل فعله تفضل من
فضله مما خلصني بقربه فانني استحق شفاعته لشفعه جوار قلبي لقلبه ۞
والخواطر في هذا الوقت منقبضه والشواغل لها معترضه وايام العمر
غير ما يفرض من الدنيا والاخره منقرضه ومنجد ذنوبه بيرون قد عمت كل

قلب

قلب وهاجت للمسلمين اشواقا الى الملك الناصر وذكرا نما تنفعه الله به من
كل ذاكر واخذ الناس في الترحم على اول هذا البيت والدعا للحاضر
والاخر وليس ان شا الله باخر ۞ ومنـــه وسيدنا يتوصى بالدار
بدمشق فقد خلت وانما الناس نفوس الديار وسيدنا يحسن في كل
قضيه من بعد كما احسن من قبل فهو الذي جعل بيني وبين الشام سببا
وانشبني فيه الى ان ذخرت عقارا ونشبا فعليه ان يرعاه لما اقتناه
وينفي الشول عن طريق اليد الى جناه والجار الى هذا التاريخ ما اندفع جوره
ولا ادرك عوره بعد لسانه ما تخلف يده ويدعي بومه بما يكره به فيه علم وانا
على انتظار عواقب الجارين وقد عرف الغيظ مني والفاظ مجهوله ما كنت
اشتهي ان اعرفها وكشف مستور من اسباب الحرج ما يسري ان اكشفها
لا يحب الله الجهر بالسو من القول الا من ظلم واسو خلقا من التي الخلق
من احوجه الى سو الخلق وما ذكرت هذا التذكر ولا طويت عليه الكتاب
لينشر والسر عند سيدنا ميت وهو يقضي حقه بان يقبر ومنه
قولـــه ولما تاملت الكتاب الازرق طاعنت به الخواطر التي كنت
صريع طعانها وعقير اقرانها وبما دلني على الصحه نشاط الخاطر العمادي
لقافيه العين التي اطردت له متونها وتفتحت لقلمه عيونها واقتضى الدعا
بان يقر الله العين في يده كما اجراها على لسانه فيجتمع له البلاغه والغنى
ويتوفر الاولى عليه وتكون الثانيه قسمه ما بيننا ومنه قولـــه
والكتب من جهتها مرتقبه لذاتها لا لما فيها من طاريات الاحوال ومتجددا تها
ويكفي خبر صحته من الاخبار فليسمع الما باطفاء النار ومنه قولـــه
ورد في الاسطول الميمون في خمسين غرابا طائرا من القلوع باجنحه كاسرا
لمخالب اسلحته فما وانى شملا الا دعاه الى الحين وحقق ما يعزى الى
الغراب من البين ومنه قولـــه وكتبت هذه الخدمه ليلا

والخاطر كالناظر كلاهما مشتمل بالظلام شعارا ودثارا والخطرات كالانجم
في ليله الاسي ان رامت الطريق فحيارى او رامت المسير فاساري
ومنه قولـــه الى ان طوى الليل ملاته وملت عليهم كلاته فانه دعى
ما منه وعنهم من مناسبه صحايفهم لسواده ولان الليل دعي كما فرا فقد خباهم
في فواده وخاف العدو تصريف العنان فكانما في يده منه صل لا دغ وراي
السيف وما الموت يترقرق منه فروي ولا من انا فارغ ومنه
قولـــه فاما هذه الدنيا فانها دار الاكدار ومثار العثار لا يبسم لموده
صاحب الا لتعرف قدر فراقه ولا تفسح في جل لقا خليل الا لتجعله عله
لخنا فه ٥ ومنه قولـــه فعلت لصاحبي بحواي حدا في عرض محاسنه
على لعلي اخذ منها فقال لا وما الفايده اذا عجزت في الصله عن ان يعيد عليه
الناطه العايده فقلت ليعلم ان كل خير غدي من عنده واساله الصفح عن
تقصيري بلاغتي عن بلوغ حده واسرع بتقصيري عن مدله وان كان ما هدا جهد
يوده فقال لا ارسل نفسك على سجيتها وتعرض لنفحات صديقك فما يبخل
عليك بلجوجيتها فقلت نعم على تفيهقكما في النسبه الى البلنحوح وعلى كون
حروف هجاها اطول من عوج ومنه قولـــه الخادم يخدم وينهي وصول
كتاب كريم تفجرت فيه ينابيع البلاغه وتبرعت بالحكم ايدي البراعه
وجاد منه نسيما مزينه بزينه الكواكب وهطل منها لاوليايه كل صوب
ولاعدايه كل شهاب واصيب وتحلى فما العيد الكواعب وما العقود
في الترايب وتفرق عنه جيش الهم فانظر ما تفعل الكتب في الكتايب
وما ورد الا والقلب الى مورده شديد الظما وما كحل به الا ناظر الذي
عشي عن الهدي وقرب من العمي وما نار ابرهيم باعظم من نوره ولا سروره
صلى الله عليه حين نجا باعظم في يوم وصوله من سروره ٥ فحيا الله
هذه اليد الكريمه التي تنهل بالانوا وتحرك سوابغ النعما وتعطي افضل
عطا

عطا بسرها في القيمه ويحوزبه افضل انواع الكرامه فاما تسوقه لعبده
فالمولى ابقاه الله قد اوتي فصاحه لسان وسحب ديل الحي على سحبان
ولو ان للخادم لسان مواتي وقلب يقال له هيهات لقال ما عنده
واذكر عهده ووده وباح باشواقه واداع الرمز عند اعتناقه واما
تفضله بكذا فالخادم لا يقوم بشكره ولا يبطله حق قدره وقد احال
مكافاه المجلس على ملي قادر ومسترع حافظ عليه يوم تبلى السراير
والله تعالى يصله برزق سني يملا اناه ويفضح له هداه ولا يخلي المجلس
من جميل عوايده ومنحه افضل واجزل فوايده ان شا الله تعالى ٥
ومنه قولـــه وفي الحال طافت المقاتله من جميع اقطاره ولبوا
تلبيه الحجيج وكل من حمى سهمه كرامي جماره وعرفت الاجال المسماه سهامنا
على قناطر القسي المحنيه وقدحت زنودها البيض شرار حمرا المنيه فصارت
الاجرام مستليمه بسلاحها او كانها بكثره ريش السهام طاير بجناحها او كانها
صدور اطهرت حسك الضغاين او كانها الازدحام السهام بها كنابن الى
ان سري دا النقوب ليلا المقاتل ودب سكرها بين المفاصل ورست
الجدران ما به والبلا ساير في اعقابها متجلد والنار تحت شابها غرايم
باكاظها والفتح حشو نقابها فلما كان وقت الطهر ظهر امر الله وهم
كارهون ووقعت القلعه فوقع الحق وبطل ما كانوا يعملون وتحصنوا
من نار الغضب بنيران الحطب وقطعوا بين المسلمين وبينهم بطوفان
نار كانت القلعه سفينته الا انها لا سفينه نجاه بل سفينه عطب ومن الفرنج
الملاعين من وردها عجلا وان منهم الا واردها واقحم نفسه فيها فاحاطت
بعنقه مقاودها وبات الناس مطبقين بالحصن والنيران به مطيفه وعليه
مشتمله وعدا بات سنها على وجهه منسدله ومن خلفه مسبله ولفحاتها
جهنميه وقودها الناس والحجاره والبلا ينادي طرفه بلسان مصابها اياك

اعي واسمعي انت ياجاره فولجت النار مولج تضيق عنها الفكر ويعجز عنها الابر وقال الكفر انها لاحدى الكبر وحولف المثل في ان السحاب لم يلحظ البحر واعني ضوء نهاره ان يساكن معه هذا ودام الخبر الى ان بدا الصباح وكانه اعار منها الانوار وانشق الشرق وكانه من عصفرها صبغ الازار فخنبيد تقدم الخادم ذا تقلع بيده الاحجار من اسها ومحا حروف البنيان من طرسها وادار فيها كاس المنون دهاقا وحل الرؤوس ضربا وشد الاعناق وثاقا ومنه قوله حرس مجلس سيدنا ولازال من كل مكروه محاشى ودامت الصحة ينشر له علما ويطوى فراشا وجعل الله ليل الدنيا بامنه لباسا ونهارها معاشا من مرض لمسه ومن الم يحسه ومن ان يتكدر من العافيه انسه وحرس الله نفسه على الاسلام فانه نفسه ۝ ومنه قوله فلو رايت اطناب الخيم في اعناق الاسارى يساقون بها مقرنين لحمدت الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين ولقد شابت لخضاب العجاج ما ارسلته رايات الابرجه من ذوايب مفرقها واسلمت وجهها لله وقطعت زنار خلفها ۝

ومن مكاتباته يتشوق الى اخوانه واودابه ومحبيه واوليايه ۝ ومنه قوله فالحدوا المسلمين باحمله سلاح الصلاح وابعثوا سرايا دعواتكم فانا ننتظر عب سراها الصباح فانتم في وكر قبلتنا فلتنهض ادعيتكم خفه الجناح ومنه قوله فلولا سل سدته الكريمه لا يقبح على الاسلام ما انفتح من سد مارب ولولا سعفه لما وجد بعد العصا الكليميه سيف مثلها فيه مآرب وانتظر فرصه انتهزها في نايبه فما ازدادت الاحوال الا ضايقه ولا العدد الا اتساعا والله المستعان ومنه قوله وقد علم الله خدمتي للبيتين الشريفين بيت الله ما يعود عليه بالعماره وبيت النبوه صلوات الله على اهله بما سقى في عقبه كلمة الاماره

لمني

لمني نفسه ما دونه خرط القتاد بل حسر الخلاصم ويروم ان يرضع اخلاف الخلاف والله له عن الغواطم فاطم فنهض لآل رسول الله كل بعيد وقريب ونصر آل احمد حتى الصليب وقويل عدوه بعدو وحسم داء ويستعصي عجيب وحينئذ اندفع شركه منهما صعيدا طيبا وكيف لا يتيمم من علم ليلا قاصدا للقبله ولن يدال اليها الامن فارق الماء ومنه قوله ووقف المملوك على الابيات النونيه التي فتنته فتونا وجرت بحرا فصادف منه قاييد الهوف نونا واشرقت عليه اياتها اقمارا صار القمر يحسدها عرجونا ومنه قوله وحين وقف عليها وقف لها وحين فتحها ارتج ابواب الهموم واقفلها وتاملها ونظر من عرايب الحسنات ما تم بها وما تم لها فاذا فصل كنعيم اهل الجنه كلما نفد جدد وكنفس اهل الحياه تلا كلما ردد وسيدنا كان لسانه يده في جناح السماح وكان لسانه في ايراد قرايح الاقتراح كل عذب قراح ۝ كتب الى بعضهم

أاحبابنا هل تسمعون على النوى تحية عان او شكية عاتب
ولو حملت ريح الشمال اليكم كلاما طلبنا مثله في الجنايب

اصدرها الجوهنه الخدمه وعنده شوق يعوره وتجدد ناره بما الدمع فيحب ويجد ويتعلل بالنسيم فيغري تارة بالاحراق ويرفع النواظر الى السلوان فيعدها الوجد في لفظ الاطراق اسفا على زمن تصرم ولم يبق الا وجدا تضرم وتلبا من يد البين المشتت تظلم ۝

ليالي نحن في غفلات عيش كان الدهر عنا في وثاق

وما تنفس خادمه نفسا الا وصله بذكره ولا اجرى كلاما الا اتبعه بشكره ولا سار بقفر الا تشبه برحيب صدره ولا اطل على جبل الا احتقره بحلمه ولا مر بروضه الا ظنها تفتحت ازهارها عن كرم خلقه ونسيم عطره ولا اوقد المصطلون نارا الا ظنهم اقتبسوها من جمره ولا نزل على نهر الا كاثره دمعه سحره

سقى الله تلك الدار عوده اهلها فذلك احرى من سحاب وقطر
لئن جمع الدهر المشتت شملنا فما بعدها ذنب يعد لدهر
فكيف ترى اشواقه بعد عامه اذا كان هذا شوقه بعد شهره
بعيد قريب منكم بضميره يراكم اذا ما لم يزركم بفكره
ترحل عنكم جسمه دون قلبه وفارقكم في جهره دون سره
اذا ما خلت منكم مجالس وده فقد عمرت منكم مجالس شكره
فيا ليل لا تجلب عليه بظلمة وطلعة بدر الدين طلعة بدره

ونسال الله تعالى ان يمن بقربه ورحاب الآمال فسايح وركاب الهموم طلايح والزمن المناظر بالتقرب مسامح هنالك تطلق اعنة الامال الجوابس وتستحضر من السعود عود يابس

وما انا من ان يجمع الله شملنا باحسن ما كنا عليه بآيس

وقد كان الواجب تقديم عتبه على تاخير كتبه ولكنه خاف ان يجني ذنبا عظيما ويولم قلبا عليه كريما

ولست براض من خليل بنايل قليل ولا راض له بقليل

وحاشى خلاله من الاخلال بعهود الوفا ومن الخلال عقود الصفا وما عهدت عزمه الهوى من حلبة الشوق الا من الضعفا وحاشيه حلفته الا ارق من مدامع عز ما الجفا

من لم يبت والبين يصدع قلبه لم يدر كيف تفتت الاحشا

ومنه قول [redacted] في مثل ذلك كتب مملوك المولى عن شوق قدح الدمع من الجفون شرارا واجرى من سيل المدامع نارا واستطال واستطار فما توارى اوارا ووجد على بذكر الايام التي ذهبت قصارا والليالي التي طابت فكانما خلقت جميعا اسحارا

ولي عبرة للشوق من بعد عبرة اخوض بها ما الجفون غمارا

وما هي لا سكرة بعد سكرة اذا هي زالت لا تزول خمارا
رحلتم وصبري والشباب وموطني لقد رحلت احبابنا تتابعا
ومن لم تصافح عينه نور شمسه فليس يرى حتى يراه نهارا
سقى الله ارض الغوطتين مدامعي وحسبك سحبا قد بعثت غزارا
وما اخذ عني مصر عن طيب دارها ولا عوضتني بعد جاري جارا
اذا رام صبي لا مثل ربعك مربع ارى غيرك الربع الانيس قفارا
فما اعتضت اهلا بعد اهلك جيرة ولا حلت دارا لملك بعدك دارا

وما ضرا ليد الكريمة التي اياديها نص في ظلمات الايام وانما لا تقوم بدحمها الا السنة الاسنة والاقلام لو قامت للمولى بشرطها وامضت حظ الاتي بحظها وكتبت ولو شطر سطر فقرعت قلبا من الم مشجونا واطلقت طرفا في فضا الافتضا مسجونا ونزهت ناظر المملوك في رياض مشهوره الجلي وجلت عمومه بمكارم مانوه العلى

وما كنت ارضى من علاك بدا الجفا ولكنه من غاب غاب نصيبه
ولو غيركم يرمي الفواد بسهمه لما كان ممن قد اصاب نصيبه

والمملوك مذ حطت لمصر اثقاله وحط الشام رحاله والقت النوى عصاها وجلت الاوبة عراها تكتب فلا تجاب وتستكشف الهم بالجواب فلا تجاب

يا غايبا بلقايه وكتابه هل يرتجى من غيبتيك اياب

وما يقضي الله ورد الحياة من التكدير ويحقق بلقايه احسن التقدير وهو على جمعهم اذا يشا قدير

وزمان مضى فما عرف الاول الا بما جناه الاخير
اين ايامنا بظلك والشمل جميع والعيش غض نضير

ورجوتي المولى ان يكون عونا على قلبه وان يرحل اثم الذي مذ سار شربه

وان ينسيه باغباب الكتب ساعات قربه وان يحوجه اليا اطلاق لسانه
بما يصون السمع الكريم عنه من عتبه الاخ فلان مخصوص بسلام كما تفتحت عن
الورد كمايمه وكما توضحت عن الفكر عمايمه

اذا سار في ترب تعرف بها برياه وا لتفت عليها لطايمه

وقد تبع الخلق الكريم في الاغباب والجفو واعرقت عزايمه قلبه
فاستويا في الغلظة والقسو

ان كنت انت مفارقي من ابن لي في الناس اسوة

وهب ان المولى اشتغل لانال شغله لسانه ورمته متصورًا على اوطانه وله
فما الذي شغله عن خليله واغفله عن تدارك عليله هذا وعلايقه تقطعت
وعوايقه قد ارتفعت وروضه هواه قد صارت بعد الغضاره هشيما
وعهوده قد عادت بعد الغضاضه رميما

ان عهدًا لو يعلمان دميمًا ان تناما عن مقلتي او تنيما

وما اولي المولى ان يواصل بكتبه غبله ويجعل ذكره عقده ولا ينقصه ويالف
بعده ويستبدل غيره بعده ومنه قولـــــه ذلك ايضًا

اكذا كل غايب غاب عن من يحبه

غاب عنه بشخصه وسلا عنه قلبه

لو ان لي يدًا تكتب او لسانًا يسهب او خاطرًا يستمل او فوادًا يستدل
لوصفت اليه شوقًا ان استمسك بالجفون نثر عقدها او نزل بالجوانح
اسعر وقدها او تنفس مشتاق اعان على نفسه وطنه استعان من قبسه
او ذكر محب حبيبًا خطر في خلده وتفادي من ان يخطر به ذكر جلله

حتى كان حبيبًا قبل فرقته لا عن احبته يناي ولا بلله

بالله لا ترحموا قلبي وان بلغت به الهموم نهذا ما جنا بيده

ولولا رجاوه ان اوقات الفراق سحابه صيف تقشعها الرياح وزيارة طيف

يخلعها

يخلعها الصباح لا ستطار فواده كمدا ولم يجد ليوم موعده غدا ولكنه
يتعلل بميعاد لقياه ويدافع ما اعله بلعله وعساه

عنيّ في يد الاحلام لا استفيده ودينٌ على الايام لا انتضاه

ومن غرايب هذه الفرقه وعوارض هذه المشقه ان مولانا تد بخل بكتابه
وهو الذي يداوي به احوم غليل اكتيابه ويستعدي به على طارق
الم ادلج في انتيابه

كمثل يعقوب ضل يوسفه فاعتاض عنه بشم اثوابه

وهب ان فلانًا عاقه عن الكتب عايق واخدع ناظره كمن هو كناظره عيش رايق
فما الذي عرض لمولاي حتى صار جوهر وده عرضا وجعل قلبي لسهام اعراضه
غرضا ني منه ما لو بدا بالشمس ما طلعت من الكابه او بالبرق ما ومضا
وما عهدته ادام الله سعادته الا وقد استراحت عواذله وعري به افراس الصبا
ورواحله الا ان يكون قد عاد الى ذلك اللجج ومرض قلبه وما على المريض من
حرج واني ما كان في فوادي اليه سرين شوق لا اذيعها ولا اضيعها
ونفسي اسير علة لا اطيقها بل اطيعها

واني لمشتاق اليك وعاتب عليك ولكن عتبة لا اذيعها

الاخ النظام ادام الله انتظام السعد ببقايه واعداني على الوجد بلقايه
مخصوص بالتحيه الاريحيه ووالهفا على تلك السجيه السخيه وردت منها
البابلي معتقا

خلايق اما ماء مزن بشهده اغادي بها او ماء كرم مصفقا

ومنه قولـــــه لو كاتبت سيدنا المقدار اشوي لا صخر به
ولو اغببته بمقدار نفي به لهجرته ومنه قولـــــه
ووصف في كتابه شوقًا اعانه على وصفه منه ما خذلني مني واخبرني
عنه وانما اخبرني عني ومنه قولـــــه كتب الحصن لو تتابعت

وطالت عندي منزله المقتص البهجه المبتكر اللذه نكيف وهي لا يصل الاوترا
ولا تزورا الا غبا ولا ترخص للمايم الا في المهله ولا تنفس خناق المشتاق
الا بعد المهله وهي في اوسع العذر لاشغالها وفي اضيقه لاشواقي وقد مالت
باول كتبها كل المودة فهي لا تتعب نفسها في طلب الباقي واين ذلك الباقي
وما اشبه هذه القصه بقول [redacted] جميل

اذا نظرت قالت ظفرت بوده وما ضرني بخلي فكيف اجود وما المراد
ما كان فيه على الخاطر فقد عرفت محاسن الغرر ولا ان يتاتى بقلمه
الرقي فيها الداري والغوص على الدرر وعلى ذكر جميل فاحسن قوله
وإني لراض منك بالنس بالذي لو استيقنه الواشي لقرت بلابله ٥
ومنه قول [redacted] في ذلك ايضا ان اخذ العبد اطال الله
بقا المجلس وثبت رفعته في وصف اشواقه فيا الايام التي كانت قصارا
واعادت الايام بعدها طوالا والليالي التي جمعت من انوار وجهه شموسا
ومن رغد العيش في داره ظلالا

وجدت اصطباري بعدهن سفاهة وابصرت رشدي بعدهن ضلال
وان اخذ في ذكر ما ينطلق به لسانه من ولاء صريح ويعتقل جنانه من نباء
فصيح ٥ تعاطى منالا لا ينال بعزمه وكل اعتزام عن مداه طليح
ولكنه يعدل عن هذين الى الدعا بان يبقيه الله للاسلام صدرا وفي سماء الملة
بدرا وفي ظلمات الحوادث فجرا وان يجمع الشمل بمجلسه وعراص الامال
مطلوله وسهام القرب على نحور البعد مدلوله وعقود النوى بيد اللقاء
محلوله وما ذلك على الله بعزيز

فقد يجمع الله الشتيتين بعدما يظنان كل الظن ان لا تلاقيا
ومارمت به النوى مراميها ولا سلكت به الغربة مهاويها ولا استجد شوقه من الجفون
ما فيها اغلت على السلوان شوقكم فما باعت كما امرا لغرام من اشترى

ومذ

ومذ فارقت تلك الغرة البدريه والطلعة العزيزة ما ظفرت بشخصه نوما
ولا بكتابه يوما فيا عجبا حتى ولا الطيف طارق

واعجب له في الحرب نثر كتايب بكف ابت في السلم نظم كتاب
يحاسبني في لطفه بعد لفظه ومعروفه ياتي بغير حساب

ولو رضيت وكلا بان احمل من هذا الجفا كلا لما رضي به خلقه الرضي
ولاخذ بقول [redacted] الرضي

هبوني ارضاني الاياس بهجركم ارضى لمن يرجو ما دون وصله

ومنه قول [redacted] بتشوق

فيارب ان البين اضحت صروفه علي وما لي من معين فكن معي
على قرب عذالي وبعد احبتي واموه اجفاني ونيران اضلعي

هذه نخبه القلب المعذب وسريرة الصبر المذبذب وظلامة عزم
السكون المكذب اصدرتها الى المجلس وقد وقد في الحشا نارها
والزفير اوارها والدموع شرارها والشوق اثارها

لو زارني منكم خيال هاجر لهدته في ظلمائه انوارها

والى الله يرغب ان يجعله بالسلامة مكنوفا وصرف الحدثان عن
ساحته مكفوفا ووفود الرجاء على رجايه عكوفا وان يمتع الوجود
بوصفه الذي هو اشرف من كل وحيد موصوفا

من كان يشرك في علاك فانني وجهت وجهي نحوهن حنيفا

وقد كان ينتظر كتابا يشوقه ويشنفه ويستخدمه على الاوامر
ويصرفه ويجتني به ثمر السرور غض المكاسر ويقتطفه فتاخر ولم يحدث
له التاخير ظنا ولا صرفه ان يعتقد ان مولاه لا يحدث له الايام تخلفا
بفضله ولا ضنا

ولو انصرف السحب الغزار عن الثرى لما انصرفت عن طبعك الشيم الحسنى

وهو منتظر من الامر والنهي ما يكون عمله بحسبه وما يثبت له عهد الخدام
بنسبه ۝ ومنه قولـــــــــه في ذلك

ومن عجب اني احن اليهم واسال عنهم من اري وهم معي
وتطلبهم عيني وهم في سوادها ويشتاقهم قلبي وهم بين اضلعي

كتبت والعبرات تمحوا السطور وتوقد ما وهاتار الصدور وتهتك وجدا اكان
تحت الستور وترسل من بين اضلعي نفس الموتور .

قد ذكرنا عهودكم بعد ما طالت ليال من بعدها وشهور
عجبا للقلوب كيف اطاقت بعدكم ما القلوب الا صخور

وما وردت الما الا وجدت له على كبدي وقدا لا بردا ولا تعرضت
لنفحات النسيم الا اهدي لي جهدا ولا زارني طيف الخيال الا وحدي قد
قطعت طريقه سهدا ولا خطف البارق الشامي فاراه قلبي خفوقا ووقدا

وايسر ما نال مني الغليل ان لا احس من الما بردا
فسقى الله دار ما شربت من الغمام وايامنا بها وبدور ليالي تلك الايام تمام
ذم المنازل بعد منزلة اللوى والعيش بعد اولئك الاقوام

وكان قد وصل منه كتاب كان الطف او اقصر زورا وكان الحب او
اطهر جورا او الربيع او ابهر نورا او النجم او اعلى طورا او الما الزلال
او ابعد غورا فنثرت عليه قبلي وجعلت بل قبلي ووردت منه موردا

اهلا به وعن الظما انشده لو بل من عللي او بللت غللي
الا انه ابقاه الله ما عزه ثبات ولا انس غربته واني واياه غربيان

وكم ظل او كم بات عندي كتابه سمير ضميري او جنان جنان
وارغب اليه لا زالت الرغبات اليه واساله لا جثم السوال الا لديه

ان يلاطف بكتابه قلبي ويمثل لي مثاله ايام قربي
والله لولا انني ارجو اللقا لقضيت نحبي

بعدا وما فارقتكم لكنني فارقت قلبي ۝
ومنه قولـــــــــه جواب كتاب ورد عليه
شكرت للدهر جمعه الدار مرة وتلك يد عندي له لا اضيعها
ورد على الخادم كتاب المجلس اعلا الله سلطانه وثبته وارغم انف عدوه
وكبته واصماه بسهام انتقامه واصمته ولا اخلى الدنيا من وجوده كما لم
يخل اهلها من جوده ولا عطل سما المجد من صعوده كما لم يعطل ارضها
من سعوده فقام له قايما على قدمه وسجد في الطرس مماثلا سجود قلمه
واسترعى الله العهد على انه تعالى قد رعى ما اودعه في ذمة كرمه
وصارت له عدران علاقة خير صرف اليها وجهه فكان بجانبها قبله
ودعاني الامال اليها اعتقاد فضل ما لكها فكانما يدعوهم الى امله
والله يوزعه شكر هذا الانتقاد على البعاد ولا يخليه من هذا الراي
الجميل الذي هو عقد الاعتقاد ومنه قولـــــــــه
ورد كتاب ووقفت منه على ما لا احد الشكر عنه مجيدا وانست به القلب
الذي كان وحيدا وعددت يوم وصوله السعيد عيدا ووردت منه بيرا
معطلة وحللت قصرا مشيدا ولا يكلف الله نفسا الا وسعها وتلك
الغاية ليست في وسعي ولا تعلم نفس الا ما طرق سمعها وتلك المحاسن
ما طرق مثلها سمعي وهذه الاوابد الاباعد ما طال لها ذراعي ولا استقل
بها ذرعي ومنه قولـــــــــه الملوك تقبل التراب الذي
يوما يستقر حوافر سيله ويوما يستقر حوافر خيله فلا زال في يوم
السلم جوده سحابا صايبا وفي يوم الحرب شهابا ثاقبا وينهي انه
وردت عليه المكاتبة التي استسقطت بها اماله من وسمها وافادته
معنى من الجنة فانه اذهبت ما بالنفس من حزنها وتلقى المملوك قبلتها
بالسجود والتقبيل وحلى بعقود سطورها فيهات بعد هذا تشكي

التعطيل واكتحل من ذا السهد بائدها واداد على الايام كاس مرقدها واسمعته نغم النغم التي هي اعجب في النفس من نغمات معبدها واطالت الوقوف عليها بركاب طرفه فما وقوف ركاب طرفه بربقة تهمدها وصدع في من يشفع وسايل المتضرعين ويملأ مواقع امال المتوقعين ان يغل عنه كل يد للخطوب بسيطة ويفك به كل رقبة للايام باعناق منها محيطة

ومنه قوله وصل كتاب الحضرة السامية لا زالت رياض بناتها متفاوحة وخطرات الردى دونها متنازحة والبركات في اجنابها متواليه والليالي بابراز سعادتها متلاليه والايام الجافيه عن بقيه الفضل منها متجافيه تخر اليها المكرمات اذا لم تكن لها فيه فانشاه ضاله هوى كانت سدى ورفع له منارًا موسوبةً سمع عندها الخطاب وانس الحبيب ووجد المدى وكانت نار الغليل في فواده بخلاف نار الخليل فانها لا تقبل ندى الاحفان بان يكون بردًا وسلاما ولا يزيد الا اضرى ما يكون ضراما ويشهد الله لقد كان العبد حصر القول نشوزا منه فارقها على تلك الصفه فلا هو قضى من حقها فرايض لزمت والله وتعينت ولا الضرورة في مقامها بحيث يبلغ السماه اذنت ولا الايام بالبعد ما اسات فانها بالقرب ما احسنت

وان امرا يبقى على ذا فواده ويخبر عنه انه لصبور

ونعود في ذكر الكتاب الكريم فانه سجد لمحرابه وسلم وحسنت سطوره فحسبها مباسم تتبسم ووقف عليه وقوف المحب على الطلل وكلم ولا يتكلم وهطل جفنه وقد كان جمادي وتصفحه وقد كان على تصفحه المحرم وحلد له صبابةً لا يصحبها امل وخاف ان لا يدرك الهجا جاهل وقال الكتاب انا محبوك فاسلم انها الطلل وانشد نيابةً عنه

وان بلادًا اما احتلتنى لعاطل وان زمانًا ما دنى لي لخوان

والله

والله المسئول لهانى عاقبة حميده وبقيه من العمر مديده فانها الان نفح اهل الادب وطوفانها العلم الذي في صدورها ولا غروان بلغ عمرها مده عمرها على انه يتحقق خلودها في الجنه بعملها وفي الدنيا بذكرها وان الدارين تتغايران على عقايل خدرها ولا يتاخران عن احرايها على عادتها في رفع قدرها وعلى بناطال ما اقامت على الدنيا العسكري حين اقامت في حدها من العمر الثمانين وادبت الايام بسلاح الحرب من سيفها وسلاح السلم من قلمها تادب الجاين وما حملت العصا بعد السيف حتى لقت اليها السلم ووضعت الحرب اوزارها وما استقلت بايه موسى الا لتفجر بها انهار الخواطر وتضرب بحارها وما هي الا الرمح وكفى بيدها سنانا وما هي الاجواد تجنب السنين خلفها فتكون انامله لها عنانا وقوله ولعله الان قد عوفي من الامرين وقرت بوجهه العين وجدد عهده بنظره وقرب عليه لسانه اسناد خبره وبلته منه غله الحايم ورات منه هلال الصايم وطالما وجه الزمان المغضب بصفحه الباسم ووفى مواعيد الانس منه الضامن الغارم وهو يسلم عليه تسليم الندي على ورق الورد ويستمر الوفا من غرس ذلك العهد ولكتاب الحضرة العاليه من الخادم موضع الطوق من الحمام يثقله ولا يخلع ويحجبه ولا يكاد يسجع ويحكيه طوقا على الاسى الا انه بدر الدمع يرصع واذا انعم به فليكن مع ثقه ويخشى ان يكون هذا الشرط له قاطعا بل مع من اتفق فانه كالمسك لا يدعه العرف الضايع ان يكون ضايعا

اكتبه تكتب لي امانا ماضيًا وابعثه يبعث لي زمانا راجعا

ان اشتريه بمهجتي فقليله فاسمح به فلمن عرفتك مانعا

ومنه قوله وقف الخادم على ما شرف به طبعه وتشنف به سمعه وضيق سعه درعه من العتاب الذي خفض له الجناح واستعذب به الجراح واسوفيه تقيدا مستطابا لا يراد منه السراح وقذف به في

اهوات ليل لم يود ان يتبسم فيه الصباح وقد علم الله انه يركب من كل ما يوجب
المدام ويطلق السنه الملام وملى من الخدمه بما لا يغضي فيه عن حق سنته لاحد
من الخدام وانه لجواد يبذل جهده وما عليه ان تخلف الايام واته لمستبطئ
من حقوق الخدمه الا ان حظه من اهل الكهف لطول المنام وما دان يأخر
عن المكاتبات التي يخدم بها مجلسها ويقتدح بها من الاجابه قبسها الا
الرغبه ان يكون مفتريا بحصول امر مما اشتغلته الا فداد لمراده ولا نجح رايد
اجتهاده وكتب هذه الخدمه حين حصر على ما استيسر من الهدي قد
ركب من قيام الاخلال حد النهي متبريا من التقصير الذي ما هو منه و لا
اليه ومعولا في العذر الذي ما كان يحلوا قبل خلق يديه ووصل الامير
ان معظم الانس بقدميهما الكريم وقدما الى بلاد صارت كطلل
رامه لا يريم ولا يودي يومه الجديد ما كان يوديه امسه القدم وكيف
ما حل اهل هذا البيت فهم في كل بيت صدوره وفي كل مطلع نجومه وبدوره
لا تذال انوارهم باشاره الاصابع ولا تبتذل اقدارهم في مصونات المجامع

يحميه لالاوه ولودعيته عن ان يذال من اومتن لرجل

كان الارض بهم سما فانهم طوا لعها وكان الدنيا بهم رياض فان اوجههم زهرها
وايديهم مشارعها وما يدع العبد غايه من الخدمه لهما الا بلغها واعتقد
واجتهد وراي انه قد قصر لا زالت الايام ناظمة لعقد المجد بهما الواسطه
ولا رحب الجنه العليا مصرفه بايديهم الباسطه ومنه قوله
سطر هذه الخدمه ثبت الله قواعد محله وارساها ولا اسرا فنيته طاها من
السعود وكساها وقرن بالسكون والانوار مصبحها وممساها في ساعه
رحيل قد عتر حاديه وسال شط واديه وكان يومل اجتماعا يغنيه
عن تحمل منن الاقلام وصنايعها ويدنيه من مشافهه الانوار التي في اليوم
ما تناست العيون فضل ودايعها فما حصرته الانوار دون منسكه

وعثرته الايام بذيل العجز في مسلكه وعزت جناحه بما لم يستقل بجاذبته
من شوكه فسارت الرايه الناصريه نصرها الله

والمقت يعدو وللزمان عجايب منها ترحل مهجتي ومقامي

ويعز عليه ان لا يتطوف بربعه ولا يري الديار الا بسمعه ورضي بما يرضي
الرضي من ساكني سلعه ومنه قوله وصل بالا
خادم المجلس لا زال يخفض الدهر عنه كليلا ولا برح مجده فوق مفرقه
اكليلا ورايه في غياهب الامور نجوا ساطعا وفي مفاصل الخطوب
سيفا قاطعا وشعاع صوابه في ظلام المشكلات سابعا كتاب
منه فك منه قفل النفس من اسرها وحار لها الاماني باسرها وتغلغل
لطفا في القلوب الي حيث مستقر المستودع من سرها وحار له لهفا
لولا التماسك لهفا قلبه بادي انفاسه وتدرع من سهام الدهر به ولا غرو
ان يدخر لباسه لباسه واما الكتب المنعم بها على يد فلان فلم يصل
شي منها والطرف بها معقود والقلب الي حيث ورودها مورود ولا شبهه
في ان الطريق كالخواطر وما يعني الا خواطر نفسه مربوطه لا تنفك
مسالكها وكم طالع فكر مطلمه لا يجلي حوالكها وهو من كتب المجلس
ادام الله نعمته بين روضه قد تلاحقت عن محاسنها وتناسقت درر
معادنها فمن نوره في كمام وزهره في نظام وثمره في تمام ونضره في ضحي
وعبقه في ظلام فهو من واصله ومتواصله وروائعه ومتواقعه وطالعه
ومتطلعه ويانعه ومتنوعه لا خلت من صوب سحاب خاطره الروي
بروضها ويروضها ويرفع مياثم الجدوب ويقضها ويفوضها وما
يحسب الخادم ان هذا الكتاب الا مساوقا لوصول الركاب
الناصري الي الشام فهنيئا له ان راه السحاب الطبق والربع الطلق
وان اضا المحصنوم فج واظلمت بغيبه فجاج وان حذفت للمخافه نار واتقد

للامنه سراج وقماج ومصروان كانت دارا ما خرج عنها من الشام الا
في ادهليزها فانه عزيز عليها والله وعلى اهلها فراق عزيزها واما
حال الخادم بعد فرقة الركاب المشكور فوالله لقد عرد قلبه من امره
ووعله بالم يف به لامن سلوه بل من صبره وسار بعد ذلك القلب فما
وجد منه عزيمه فبسطا لبنه موعد نصره وما خالف عاده تسرعه واخلف
عنه تبرعه الا انه كان في غير سفره ما كان نفض غبارها وفي
اعلال فرقة ما كانت كفا أفت اسارها ولا سيما بعد ان اطلعته الاربعون
شرفها ونصبته الخمسون هدفها فانكر تلك التي كان عرفها وفارق
عصر شبيبته وما وجد في المشيب خلفها ولحق امله ببدنه وكلاهما
قد انهج وقربته الخمسون مع معترك الستين وكلاهما قد انزعج والله
المسول في يقظه قلب وعين وصحبه تبين قبل صحه بين والله المشكور
اذا عشى عن المجلس عيون الايام ولواحظها وانهه اشارات الدنيا
ومواعظها فقد ابطل بعصاه سحرها ونضح بقلمه سرها وانتصاها فقطع
بها ولم تقطعه ولبسها فخلعها ولم تخلعه وانتظم ايامها في سلك اعوامه
وعصب اهلها حتى انوارها والتي الجنا على قوامها الا على قوامه فلا
زالت في عمر ورتق الافنان وثيق الاركان تتزود كل يوم فيما يتزود
ويستمد ركنها ويتايد ولا يتاود ومنه قوله
رحمه الله ادام الله ايام المجلس وايده في كل مقام ومقال ووسع له كل مجال
ومنال وانفذ له كل رسم ومثال وحرس عهود سعوده من الانتقال
والملال ولا زال مفيد الفوايد معروف العوارف منصف الانصاف
ظليل الظلال ورفع علمه وثبت قدمه ونصر سيفه وقلمه وكرم شيمه وهممه
وعمر موارد جوده وديمه واعدي بها كل ولي على الدهر اذا ظلمه
ورد كتاب مولانا الذي هو مولي الكتب وسيدها واوحدها وموحده

على القلوب منهلها العذب وموردها وفيه من الانعام ما لا سبيل الى
شكره بل الى شكره بلسان ذكره وما لا يقوم الخادم بواجب حق بشره
الى يوم نشره وكان وصول الكتاب الكريم والخادم على قلق لتاخر
الكتب وابطايها وشرود الترسل وتوالي خواطر استدعايها
وقد قابل تاخر الكتب المظفريه تاخر الكتب الناصريه وتعاونت
الشواغل على الخواطر وتواحي طيف خيال السكون من جانبيها
لجفون ناظر المشفوق الساهر ولا جرم ان وصولهما صحبت به بكره يوم
لا يومين فكانما كانا على ميعاد وطرقت الليله بتومين بكتابيهما فسقيا
لليله هذا الميلاد ووقف المملوك على ما في الكتاب المظفري ولا تح
الامراث المولى قد ولا مصر وجفاها وانه خلى الديار يستوحش ممن ناها

فان ترك العراق وساكنيه فقد لقي المليحه بالطلاق

والمولى اذا احل في مكان نهضت عوار جدوده وطلعت طوالع سعوده وكان
بنفسه عسكرا وبذكره عديدا مستكرا وجرد من عزمه حديثا مذكرا
ولم يحتج معه الى جيوش في ديوان ولا الى سيوف في اجفان وقام بنفسه
النفيسه مقام الفيه واقلق العدو في موطنه وحرم عليه مواطيه
والخادم خادم اغراض الحلق في هذه الدلاله ولسانه نايب الستهم في
هذه المقاله ولو سكتوا اثنت عليك الحقايب
ومنه قوله رحمه الله ورد على المملوك ادام الله ورود
السعود على الجناب الملكي المظفري ولا زالت السعود تصحبه
والنوب تخدمه والشفاه تلثم ترابه والسعاده تستمطر سحابه والوفود
تلتزم ابوابه والايام تتهيب حجابه وتيجان الملوك تحف ركابه والاقدار
تقرب ارايه والنصر يغلب احزابه مواهب مولانا المسماه كتبا وانار
سحبه التى انبتت من الاسطر عشبا وحطت حفظه الحجري فاعجب

واعشب وان السعاده لتلحظ الحجر فيدعي ربا لا برحت نعم مولانا فوق شكر
الشاكرين وكتبه راحه قلوب المنتظرين وعقله عيون الناظرين
ووصل ما سير من الحمل ليا الخزانه على يد جامع ورفقته في وقت الحاجه
الداعيه والخله البادية والصرور المتماديه وانفق في الحاشيه والتعديه
وفرق في ارباب المطالب والمطامع القريبه والمتعديه وتضاعف الشكر
لمن جمع هذا المال ووفر وبيس وسير واستخدم فيه ناظر ونظر
وما يعدا المملوك ما وصل الا موهبه صرفها اليه ونعمه اسبغها عليه
ومنه تقلدها وقلده المنن وصنيعه استرقته وان كان قد سلف
استرقاقه باول ثمن فانه وفي بذمه لسانه وبيض وجه ضمانه وكل من وصل
اليه شي من هذا البر شكر المولي فاكثر وفرح بان غرس رجا قد اثمر
وراي من وجوه رسله اهله وطن الاحسان عيد صيام الانتظار فقال
الله اكبر وشيع سيبهم عند فيض سني عطايه تتوالي فغفر وبالمعروف
فلولاه لكان قد درست اعلامه بل لولاه يعترفه لكان قد سلبت الفه ولامه
وان غيثا يصبح من مصر بحمص لقد ابعد مرماه وكرم منتماه وسما مسماه
ويسري طيف الخيال ولكن يلام من لم يجري بمجري النسيم الا انه ينفخ
الارواح في النسيم وللمملوك سبح طويل في الحمد ولابد ان يدخر منه ما
يستانفه عند تكمله الانعام على انه يشرع في الشكر عند كل مسئله ثقه
بما وراه من الاهتمام فاما العافيه الشامله لاهل الاقليم فكيف لا تشملهم
وسيف المولي الطبيب ومهابته دون محبوب الاعدا منهم والرقيب
وكيف لا يامن الغاب وهو مسبع وكيف لا يتوقي السيل وهو مشرع
لا عدموا هذا الظل فانه كثيف وهذا الطبع فانه شريف وتلك الحمايه
فانها الامان وتلك الولايه فانها زمان لا يرجي مثله من الزمان
ومنه قولـــــه من كتاب الي الملك المظفر تقي الدين

اصدر المملوك هذه الخدمه من ظاهر حماه وهو ينظر اليها نظر المحب الي الحبيب
ويتذكر منها ايام الخدمه التي هي وطنه ولو ناي عنها وهي في نطنه لكان
كالغريب ولولا حيا المملوك من مصر لكان بشرها واهلها بالتقرب من قربه منهما
بفرجهما القريب ولكن لابد من عصبيه لمصر فلا نخوها بمشيه الله من ذكر يوم
فراقه باليوم العصيب واثار المولي على قلعه بلدها لمكان اليتجان من الروس
ودكن بين اهلها من ناسك وخليع بفتح المصاحف ويدير الكوس وكان
ورود الركاب العالي الناصري نضر الله الهاني يوم كذا احسن الله
تقضيه والمرض قد احسن الله في تقضيه والشفا قد انعم الله به على
سلطاننا وعلى من يليه فيالها من نعمه لا عدم بها للشكر اذا اعتدوا ويا لها
موهبه منه من الله بها امن الذي امن بها وبهت الذي كفر ويا له
صفو لا كدر فيه وكل صاف فيه لم يخل من كدر ومنه قولـــــه
لا يجليها لوقتها الا هو فسبحانه جلت قدرته جلاها وقد بلغت القلوب
الحناجر وفرجها وقد بلغت الدموع المحاجر ومن بالسلطان على الخلق
واقامه ليختم به ان شا الله دين الحق فالمملوك يبشر مولانا ادام
الله له البشري بالعافيه الناصريه وقد سار المبشر عنى بكتبه كما
يقول المقلل والمكثر وقد سير المملوك كتابه الكريم لما فيه من زيادات
ولما تضمنه من متجددات وعند مولانا له كتب كثيره قد قضى منها الوطر
وقد نزه فيها النظر وقد وجب ان ترد طيورها الي وكرها وعرايسها
الي خدرها واصدر المملوك هذه الخدمه ساعه سير السابر كما ان
المكاتبه بما قبلها قد كانت ام الكباير وغير ذلك تنوب عني وصول
كتاب مولانا ومطالعه مولانا الناصريه بخطه التي انعم بتسييرها
مفتوحه وافاد المملوك كل فايده بالوقوف عليها وقد سيرها فكان
وصولها من حسن الاتفاق وكتابتها من سعاده كاتبها تاتي عنده

العشي بالاشراق لان مولانا نهاها عن العافيه الاولى المكتوب
بها ليتقطع الارجاف فصارت الان هنا بعافيه لا خلاف في انها
ما فيها خلاف ومنه قوله ادام الله سلطان الديوان العزيز
ولا زالت كتايب اعلامه تكتب اقلامه مرتبه واحلام وفاقه مرشده
واحلام اهل خلافه مسفهه وسيوف عزايمه تستوعب كل حديث حسن
فلا تستقى الا احاديث عن السيوف مموهه والقول بترجيح فضل
خلافته لانها فلا يقبل شبه المعطله ولا تعطيل المشبهه وافعالها
التي يبتغي بها وجه الله باسمه الشريف في الملكوت الاعلى منوهه ولا
زال قوله بلغا وامره بالغا وفضله سابغا وفضل الله به سابغا فالحالي
بعده المعاطل ناصحا والحق للباطل دامغا والاخلاص غطرع لا يدع
للكفر شيا غابطا ولا للنفاق شانا نابغا الخادم يذكر انه ورده
بل اورده من مسدى الديوان بل من افق الاحسان كتاب مرقوم
بل سحاب مركوم انبت في الاسماع بل انبت في الطباع العقد التقى
والهدى الى البصاير الصادقه بل ابدى للابصار الرايقه اي سابقه
انس بل اي شارقه شمس فاضا الفضا بنوره وضرب بينه وبين
الظلما بسوره فاستقلت ملوك المعاني على سريره ودخل الفهم جنته
ورفلت الليالي في حريره ونقلته عينه في الحال الى ضميره فانست
معانيه بما هنالك من عقايد اختصاص وموارد اخلاص مستقره في حيث
لا تخزى كل الاسرار ولا تسرى كل الانوار ولا تستودع الا عقود
التكليف وخواطر التعريف فالقت عصاها ولقيت من اطاعها ومن
عصاها وحلت حيث حلت وجليت حيث جليت واسدت العزمات
لمراجعتها فهي المراة الا ان الصدا مصدود على صفحتها وهي الجنان
الا ان الليل والنهار سوا في وصف صحتها وهي الفلق الا ان العيون
دايمه

دايمه الاستمتاع بلمحتها وهي الروض الا ان انفاس النسيم منافسه
في العباره عن عبير نفحتها وهي المذكرات الا نفس بالله الا ان
اسطرها سلوكها وحروفها درر سبحتها ولا زال الخادم الى مثل هذه
الفقر فقيرا وبها على نفسه بصيرا واذا الغم بتيسيرها اليه عدها
نعيما مقيما واذا ملكها راها ملكا كبيرا وما ترد وارده من الدار العزيزة بين
وذلك ان المواصله ما فزعوا الى دار الخلافه الى ان نزعوا والافطال
ما طمع اولهم كما طمعوا وقديما دعوا الى طاعتها فما سمعوا وسمعوا ثم
انتجعوا ولا يرى الصغير الا ما رأى عليه الكبير ولا يسب على جنايه
الاول الا ما جناه الاخير وقد كانت دوله العجم بالعراق استعلت ثم
استقلت وهبت ثم وهنت تعبت رجال الليالي والايام واولوا تدبيرات
السيوف والاقلام بدار الخلافه الى ان صرفوا الهدى عن موردها
وابعدوا الاذى عن معهدها واستقلت الخلافه وحدها ولزمت الامه
حدها واذا كانت المواصله قد تقطعت بهم الاسباب واوصلهم
حساب الحرب الى العقاب وتبرا الذين اتبعوا من الذين اتبعوا
وتفرق الذين اجتمعوا بعد ما جمعوا ففريق نزل نازحا وفريق
ثم مصالحا وفريق على البعد راسل مستصلحا ومتطارحا وفريق
فتح بلده الذي كان التقليد له فاتخذ ثم سبق للمواصله الا ان ياووا
الى الجبل يعصمهم من الما ويتعللوا بشراب بقيعه لا يتعلل فيه الظما
ومعلوم انهم اذا اجتلبوا تلك الجهه عادوا عود طاير نعاق الى عشه
واسترجعوا احاتم ملك فربما رجع الامر جاريا على نفسه وما اولى
ولاة المناصب وكفاة المراتب وحملة الامانات وخدم سده السا دات
الا ان يفيقوا لهذه الغمه حق الافاقه ويلحظوا طليعه هذه العواقب
ولا تهملوها الى ان تحى في الساقه فهذا في مصالح الدوله الجزيه

فاما المصالح الكليه فان عواقبها منهم عظيمه وبوايقها بايديهم وايدي قدمهم
تدبير نتشد ما اخدوه بالامس برًا بمليم وبريًا بسقيم وهربت من لا حيله فيه
فاستبيحت منه حرمه وحريم وكم عين ان عجزوا عنها انسانها وكم يد بانوا
منها بنانها ومنهم اولاد ابن زين الدين على كوجك التابع للخادم الان
فانهم كشفوا منهم وجوهًا مصونه وهتكوا منهم عورات امينه وحكموا
فيهم نظرات ظنينه وطافوا بهم البلاد بلادًا ولم يخافوا الله غضبا
ولم يرجوا له وقارا كذلك وجدوا اباهم على امه فاقتدوا باثارهم
وعلى ايقاد نار حقد يستجمعون بهم في نارهم فاما الجبايات
التي ياخذونها من الرعايا ظلما وتضمين الشريعه لمن لا يمضي لله له على
لسانه ولا يده حكما واستباحه ملك الاوقاف والايتام والتفرقه في
الحكم بين الخاص والعام فكل ذلك ما لا يسع خليقه الله اقرارهم على جنبه
ولا تعذر الله سبحانه في ترك مجاهدتهم بكتابه الى عبده الذي جاهدهم
بسيفه ولا خفا انهم غابوا عن الجهاد للكفار وحالوا بين الفرض وبين
اولي القوه عليه والاقتدار فلا يقنعون بانهم لا يجاهدون الى ان يمنعوا
من جاهد عنهم وبانهم لا يساعدون المسلمين الى ان يساعدوا عليهم عدوهم
الكافر فقد تولوا الشيطان تليدًا وطريقا ووطئوا الاسلام واهله
وطيا عنيفًا فاذا جا وعد الاخره جا الله بهم في زمره الشياطين لفيفا
فان لم يرجع الى الخادم فليرجع الى قول الله تعالى فقاتلوا اوليا
ان كيد الشيطان كان ضعيفا والقوم فما ابقوا الصلح موضعا ولا تركوا
في وجهه مطمعا ولا تخلفوا عن سبيل البغي ناظرًا ومسمعًا فالمسلم
القريب استحلوا عينه والمسلم البعيد استخفوا سكينته والكافر
استنصروا سيفه والحشيشي استصرخوا سكينه والاموال التي
في بلاد تقليده اكلوها واضاعوها وامانات الله ابتغوا بها ثمنًا قليلا

فباعوها والدخيره التي كانت بقلعه حلب لو ان لها لسانًا يتكلم تظلم ولو ان
لذهبها الذي يصرم نواد تضرم وحملت الى الكفار فضربت بها اسنه تطاعن
بها صدور المسلمين اربقيت في ايديهم فضيعت لتنتهك بها انها حرمه الدين
ومتى استكشف النظر العالي حال الخادم معهم لح انه من مبدا وصوله الى
الشام الذي نوى به في الكفار اقامه الجهاد وفي الاسماعيليه اماته
الالحاد وفي المسلمين ازاله الفساد شغلوه ثلاث سنين عن هذه
الفرايض وجانه قوارص لا تحتقر وقوارص وقد استولوا على حلب بلا حجه
واخذوا اما فيها من الاموال بلا شبهه وخرجوا عن اليمين المعقوده بلا معذره
واستفزوا من وا فتهم من امرا المسلمين بلا جريمه والخادم على ان اجاب
وسلم باني قد رضيت الديوان العزيز حكما واخترت من اختاره الله
للمسلين قيما فكان هذا الجواب ان يفروا الى الفرنج فخالفوا
كفرتهم عليه والى الاسماعيليه فانهضوا مجرمهم اليه وبادلوا طرف
بلاده وهو متوسط بلاد الكفار فهدموا قلعه من قلاعها كانت زينه سلم
ومفزع حذار وراسلهم واستنزلهم وقال لهم قولا لينا ظن انه كلمهم
به عنه فجاءهم ثم ما برح كلما طوى بلادهم وجاز مدنهم وسوادهم يحضهم المناصحه
ويدعوهم الى المصالحه ويعرضها عليهم على يده فامتنعوا وشافههم على
لسانه فما سمعوا شيخ الشيوخ وان سيل عن الشهاده اداها واما
مسطوره في الديوان ابداها وبعد مصدره عنه حشد عليه ملوك
الاقطار وخرجوا من ذمنه القريه المحصنه والجداد وتحرك اليهم فتحركوا
لكن تدامه لا اليه وراح اليهم فراحوا عنه وكان ينتظر رواحهم عليه
وتسلمهم السيف وهو في عنه ولكن ما كان متوقعًا من قتل صدهم وفصل
حده وقد اخرجوه الى ان اقطع البلاد الحلبيه والجزريه والمواصليه
لمن تخدم عليها وستقع بين يديه اليها والله سبحانه فقد اخذهم بما عملوا

وتمكن منهم باطلوا وما استبقاهم الا ~~الي باوي الندم~~ لتكرر عليهم الرقه فقد رقت لمقتل الشفاد ولا لا لين القول تقدسي ليدنح الجزاد فاين كان التعلق بالدار العزيزه وهم يحاصرون دار السلام باحزابهم ويرامون التاج الشريف بنشابهم ويصافون الخلفا مصافه المواقف ويكاشفونهم مكاشفه المخالف ولو تحرك اليوم متحرك كانوا له كنانه وكانت دارهم له خزانه ويعلم ان الخادم ما ذهبت عنه ويرجوا الخادم بالموصل ان يكون الموصل الي القدس وسواحله ومستقر الكفر من القسطنطينيه على بعد مراحله وبلاد الكرج فلوان لهم من الاسلام جار لا ستباح الدار وبلاد اولاد عبد المومن فلوان لها اماماً سيف لاطفا ما بينهما من النار الي ان تعلوا كلمة لله العباسيه الدنيا وتعود الكنايس مساجد والمذابح المستعبده معابد والصليب المرفوع حطبا طرتحا في المواقد والناقوس الصهل اخرس اللهجه في المشاهد هذا كله يجري لمشيه الله في السيوف الناصريه فتحلى بها السير ويحلي بها الغير ولا يكلف الخادم منها ما لا ولا مددا ولا تخلف عن نصرهم ولي الله اذكاد اعدا الله يكونون عليه لبدا ولا يقول انه ينقص ما في الديوان بل تزيده ولا يستفنيه بل يفنيه وان استعظم هذا الماموك واستقصر دون هذا المبذول فالذي وقع اعظم من الذي يتوقع والذي طلع اكثر من الذي يتطلع والذي راي امس اكثر من الذي يسمع وقد علم الله سبحانه انه لا يريد دنيا يريدها الدنيا يتزيدها ولكن ليقوي بها على تقوي يتزودها فان اعين في النيه والا فقد حصل اجرها وانجح جهد الاراده في الدنيا والا فقد سر في الاخره سرها ومنه قوله كتابا رد على عبد المجلس لا زالت المساعد على جانبه وارده والايام بامتداد عمره واعله من انفاسه العطره وكتبه البهجه النضره ولا رايه التي تنظر من صدرت اليه صوب الصواب وتجول لمن صدرت عنه ثوب الثواب وتشهد له بالفضل

الذي ليس له جاحد وتذكرت بيت اي عباده

ولم ار امثال الرجال تفاوتوا الي الفضل حتى عد الف بواحد

ثم سلك عبده غير هذا الحدد ولا يقف عند هذا العدد وينشد قوله الاخر

وما الناس الا قادحات زندها وقطر غيث انت منشي سحابها

فلا عدمت دول الاسلام وصدور الايام منه البقيه الصالحه والحسنه الراجحه والسيف الذي يسلي الايام في غمده وينظم الساعات محاسن في عقده وان تاخرت خدم عبده عن مجلسه وامسك عن ان يقابل بدجاه نور قدسه فقد علم ادام الله نعمته ان الطريق ليس بقاصد والعدو ليس براقد وان الكتب لها اقوام سوي في الطرقات يقصدونها ويرصدونها وان نجات السام قد حال دونها الا ان الامور بمشيه الله قد سفر وجه صلاحها والليله قد دنت من صباحها والله تعالى يتم ما تقدبه المخايل المتوسمه ويحمل الاسلام واهله عواقب هذه المخايل المبتجمه ٥ ومنها وقضايا كلها يوجب ان يعكف المجلس على فرض يوديه ونصح يهديه ودعا لمولى النعم يخفيه والله مطهر اثنيه ويخفيه مع انه لا يدفع عن منزلته العليا ودرجته الكبري من القلب الاصمع والروع الاروع والعزمات التي هي كالطاف لله التي بها الواقع ومنها الموقع فاحصر فقط في مارق الا سفر عن نصر تبين به الارواح من ثيابها او عن تسليم ياتي فيها البيوت من ابوابها واما القريه المسوق له في من البغاث الذي لا يصيبه ذلك الجارح وان هذا امد ان يضيق عن شاو ذلك القارح ومنه قوله وصل وصل الله المجلس السامي بافضل وصايل نعمه ولا اخلى الدين من التجد

بامس سيفه ويوم قلمه وحمل مواقف الجهاد بثبوت قدمه وخفوق علمه
وادام تذكار خواطر الاسلام لايام ذي سلمه وامتع المجد بايام حياته
التي هي تواريخ فخره وايام حكمه كتاب منه كريم وكلما يصل منهما بعد الا
كريما وكلام شريف شف بدًا كليمه وشفا فوادا كليما وخطاب عذب
فاض على الاعين روضًا وجري على الاكباد نسيما وابان منه على الحفاظ
المحفوظ في شيمته ولاحسبها سناه يوم لا يسئل حميم حميما اكرم كتابا نقع
الغله قطرا وطري وفرج العله تحرك سحرا واوضح محجه النور لسالكها
فبدا بدرا وسقي ما الفضل فزها زهرا وسبح الله قاريه واحري اجرا
من الناس سخط يكون للدنيا زينا وللاخره ذخرا وقد علم الله ان
العبد ليتاح من ذكرها ويرتاح لما ذكرها ويستقصر سعيه وان كان
يستوعب الاشواط ولا يري عمله كفو نيته في الخدمه وان كان
مستوفي الاشراط فانه حسنه في الدهر بالاضافه الي اهل بيته وكلهم
حسنات وغرسه في الدهر كانما كان اباوهم رحمه الله عليهم من جناه
الجنات ولقد نجبوا وانجبوا فهم المعنيون بقوله الكم البنون
ولهم البنات ومنه قوله وصل ادام الله
ايام المجلس ولا زال سيبه مسولا وسيفه في الحق مسلولا وامره
متقبلا ومقبولا وعدوه بالاحسان او باساته في نفسه مقتولا ووليه
على النجاه في الدارين مدلولا وبشر وجهه بجود يديه رسولا والغمام لا يطمع
بان يكون لتلك اليد في مضمار الكرم رسيلا كتاب كريم حمل على
يد فلان وثانيا على يد القاضي الواصل في امصر ولم تزل ايادي
المجلس تتصل في اوليايه قربوا او بعدوا وقصروا في الخدمه
او اجتهدوا ووقف على الكتابين الكريمين اللذين قبلهما على انهما
يدان واهتدي بهما على انهما فرقدان وان لم يكونا يدين تقبل ظهورهما

فانها بدا نعم يجب شكرهما وان لم يكونا فرقدا الليل انارا في سواد فانهما
فانهما فرقدا النهار انارا في مداد وما يخرج عن تلك اليد ولا يصدر عن
ذلك الصدر الا كلما تكشف به الانوار وتروح به الاسرار ويجلب به
المسار وتجدد به المبار وسقي به شرف لا يخلق جديده جديدا الليل
والنهار وانه لمصر ادام الله ظله واورد نجم الدين من الاحوال
هناك والضرورات الي الكبير والقليل وحسن السيره المشتمله على الجميل
وانه لمصر ادام الله ظله على مشقات العفاف ويسلك لنفسه القصد
ويعطي منها الاشراف وان كرمه الاماده له ولا حاصل ورواتب
نفقاته لا اصل لها ولا واصل وكلف خرجه لا محمول لها ولا حامل وذكر
ذلك في كل مشهد حضره وفي كل موقف وقفه ومن يديك كل كبير عرفه
ورقاه الي العلم الناصري فاثبته فيه ومكنه وكشفه وتبع هذا
الفقيه نجم الدين راي ابيه رحمه الله في خدمه هذا البيت الذي كان
يتعبد به ولولا الغلو لقلت وكان يعبده ومضي شهيدا في جنه رحمته
مستشهدا ووجب ان يلحظه المجلس بعين صاحب سابق ومحب صادق
وودي سريره لا تحل بها الوثائق وودي كفايه ينفذ في الامور نفاذ
السهم المارق فما كل صاحب له وجاهه في كل مكان وان كانت له
وجاهه فقد لا يكون له جنان وان كان له جنان فقد لا يكون له لسان
وان كان له لسان فقد لا يكون له بيان وهذا يجمع هذه الشرايط ويحضر
في عقود المجالس فيكون فيها مكان الوسايط ويبقي لسانه وقلبه بادراك
الفوايد واستدراك الفوارط فهو احق عبد تضم اليد على رفعه واولي
ولي جازى بتصلقه وسيفه على ان الامال العظيمه والمطالبه الكريمه عند
تبلغ الهمه النحريه بايسر العزمات وادنى الحرمات ولم يذكر في هذه
الاجابه من ماذكر من امره الا ان كثيرا من الرسل الواردين والاصحاب

الوافدين يسعى في قصد مرسله ومقصده وهذا سعي لمرسله لمفرده
وما اجعل حظ بنفسه وغايه قصده الا الخدمه وبلوغ غرضها وشكر
النعمه والقيام بمفترضها واذا وردت الكتب الفخريه جددت نوردها
نحرا وفرضت على لساني مع شكره الذاتي شكرا وعلى القلب موالاة
الى موالاة اخرى وردت على المملوك مكاتبه كريمه رفعها حيث ترفع الغمام
ومد البيها كما يمد الى الغمايم وفضها بعد ان قضى باللثم فرضها واستمطرت
نفسه سماها فارضت ارضها وكاد المملوك يتاملها لولا ان دمع
الناظر الى العين سبقه على انه دمع قد ملوف يتلون الايام في فراقه
فلو فاض لعصفر الكتاب وخلقه فلا اعدمه الله المولى حاضرا وغايبا
ومشافها ومكاتبا واحله في جانب السعاده ويعز على المملوك
ان يخل من مولانا جانبا ومنه قولـــــه ورد كتابه
ووقفت على ما اودعه من فضل خط وفضل خطاب وعقايل عقول
ماكنا لهامن الاكفاء وان كانت من الخطاب واثار اقلام تناضل
عن الملة نضال النصال وكانها فضل سبق لما يحوز له من احق السبق
وخصل الخصال فاعيذ الاسلام من عدمه ولا عدم بسط قلمه وثبوت قدمه
فانه الان عين الاثاد واثر الاعيان وخاطر الحفظ الا ان الخطوب
تصحب فيه خواطر النسيان ولين انتصر الدهر سطوا واختصر خطوا
فانه سيف يمان ان تقدم عهدا فقد حسن فرنده وخشن حدا واجرى
نهرا واورى شررا واخضر حمايله وقطع للايام حمايله وضارب ولبسها
حتى انهج برالي ثم اختاد منها ايامًا واي ان يلبسها ليالي
ومنه قولـــــه وصل كتاب الحضره فجعل مستقر مستقر
النعمه في الصدور واخرجني ظلمات خطه الى نور السرور ووقفت
وكاني واقف على طلل من الاحبه قد بكى عليه السحاب بطله وابتسم له

الروض عن اخبار اهله فلم ازل ارشف مسك سطوره ولماها وانزه العين
والقلب بين جنيها وجناها واطلق عنان شوق جعلت الاقلام له الجما
وحسبت النفس ليلا والكتاب طيفا والوقوف عليه حلما الى ان قضت
النفوس وطرا وحملت الخواطر خطرا وقرنته بما طنه سحابا ماطنه مطرا
هذا على انه قريب العهد بيد النعما فان هرب لمن مايا الى ما ه ومنه
قولـــــه وقف على الكتاب جدد العهد بلثمه
لما لم يصل الى اليد التي نمقته وشفي القلب بضمه عوضا عن الجوانح التي
نفثته وابن المطامع من وصله ولكن اعلل قلبا عليلا
ومنه قولـــــه رحمه الله وصل كتابه فكان من لقايه
طيفا لا انس بالضحى وانا حرب الشوق وكان قطب الرجي
تخطى الى الهول والقفر دونه واحطان لا اصغر الله ممشاه
ومنه قولـــــه يصف بلاغه كتاب كتاب الى
نحري ضممته وذكرت به الزمن الذي ما دممته واكبرت قدره فخير
تسلمه استلمته والتقطت زهره فخير لمحته استملحته وامتزج باجزا
نفسي فخير لحظته حفظته وجمعت بينه وبين مستقره من صدري
واستطلت به مع قصره على حادثه دهري وجعلت سحره بين سحري
ونحري واستضات به ورشفته فهو نهاري وهو نهري فان اردت
العطر بلا اثر امسكت مسكه بيدي وان اردت السكر بلا اثم ادرت
كاسه في خلدي فلله انامل رقمته ما اشرف اثارها وخواطر املته
ما اشرق انوارها ولم ازل متنقلا منه بين روضه فيها غدير وليله فيها
سمير وامان لها سرير ومسرة انا لها طليق اسير ونعمه انا لها عبد
بل بها امير حتى ادبرت عني جيوش الاسى مفلوله وقصرت عني يد الهم
مغلوله وملئت مني مسامع المكارم حمدا وخواطر الصنايع ودا وحط الامل

بربعي رحله وابنت الربع بفنائي بقله ولبست من الاقبال اشرف خلعه
ووردت من القبول اعذب شرعه وانتجعت من رياض الرجا ازكى نجعه
ومنه قوله هدايع عفو الخاطر فكيف اذا استدعي
المجلس خطيبه خطبة نجات تعسل وحشد حشود بلاغته فاتت من كل
حدب تنسل ومنه قوله ورتع في رياض بلاغته
التي لم يتسطفهن من قبله غارس ولا جان واجتلى الحور المقصورات
في الطروس التي لم يطمثهن انس يتكلم قبله ولا جان وغني بتلك المحاسن
غنى خيرا من المال واعتقد فيها كنوزا اذا شا انفق منها الجمل واذا شا
امسك منها الجمال ومنه قوله ايضا كتابا اشتمل على
بديع المعاني وباهرها وزخرف بحار الفضل الا انني ما تعبت في
استخراج جواهرها بل سمحت حتى تناولتها وجنحت الي فناجلتها واقتبست
من محاسن اوصافه وبدايع اصنافه بكتا استقلت احسامها بالارواح
وزهت جيادها بما فيها من الغرر والاوضاح فيا له من بدايع وروايع
ولطايف وطرايف فيها ما تشتهي الانفس وتلذ الاعين وما يقرط
الاسماع ويقرط الالس كانه طرف طرف صوبه مدرار وعلم علم منصوب
في راسه نار صح السحر ان كان طبا وفصح الدر ان كان ابرع معنى
واسنى حسنا وادنى مجنى واغنى مغنى فيا ضرت اخير زمانه مع تقدم بيانه
ولا من سبقه في عصره مع انه قد سبق في مصره ومنه قوله
ولله هو من كتاب لما وقفت عليه الغله شفاها وجدنا الود شفاها
ورات وردها كل ما غيره شفاها ووطي مصاجع انسها بعد
ان كان الشوق يقلب الجنوب على شفا ها فلا عدم ودها الذي
به عن كل موده سلوه ولا برحت كفايه الله تحلها في الذرى وتعلي
قدرها في الذروه ولا تفقد مما نعم به اي نعمه وما بتنبيه اي نشوه

ومنه قوله كتاب كريم تبسم الي ضاحكا وطن مداده
انه قد جلا سطوره على حالكا فما هو الا سواد الحدقه منه انبعثت
الانوار وما هو الا سويدا ليلة الوصل اشتمل على دجى تحته نهار
فلله هو من كتاب استغفر الله هو ذنب المشيب بسواده واستدرك
الزمان غلطه بسداده ومنه قوله كتاب تقارعت
الجوارح عليه فما كادت تتسالم فقالت اليد انا اولى به سددت على مولاه
ومولاي عقد خنصري ورفعت اسمه فوق منبري وقبضت عليه
قبضتي وبسطت في بسط راحته وقت الدعا راحتي وقالت العين انا اولى
به انا وعا شخصه وبي يرجع القلب في تمثيله ونصه وانا سهرت بعد رحيله
وعندي وحشته وانا اذكر ذكر هجير القلب عليه رنة بعد رسه فقال
القلب طمعتما في حتى لاي غايب وهل انت لي يا يد الا خادم وهل انت لي
يا عين الا حاجب انا مستقره ومستودعه ومرتعه ومشرعه
وانا اذكره وبه اذكركما واحضره وبخدمته احضركما فاليد استخدمتها مرة
في الكتاب اليه ومرة في شد الخنصر عليه ومرة في الاشاره الى فضله
ومرة في الدعا بكل صالح هو من اهله والعين استخدمتها في ملاحظه
وجهه غايبا وفي توقع لقايه ايبا وفي السهد شوقا الى قربه والمطالعه
لما يخرج امري بكتبه من كتبه فهناك سلمنا واستحرنا واكتفينا واستاخرنا
وكدت ارشف نقشه الى ان انقله الي سويداه لولا ان سواد العين
قال انا احوج الى الاستمداد بمداده ومنه قوله
ورد كتاباه الكريمان فسترا وسرا وتصرفا في القدر فنصبا وفي الطرف
فرفعا وفي الانس فجرا وما وقف على صدر منها الا شهد القلب بانه اولى
الصدور بان يكون صدرا ولا اهديا اليه يدا كبرى الا اقضيا به الى
بحر وما دار في خلده ان البحر يكون كله درا وتحقق ماله منه من مناب

يصرف كلما ناب ويونسه في كل ما راب ويلبيه اذا دعا ويزينه بصيرة اذا
اجاب ويصله اذا اغب ويحضره اذا غاب ويبعث عزمه اذا الب
ويورد امله اذا الاب فعلى هذا المقدمات ينتج ومتى عرضت عوارض
من الشك تزدحم سنحت سوانح من الثقة تفرج وقد علم ما رامت عليه هذه
الاحوال التي يظن انها في اعقابها وهي في مباديها وما اسفرت عنه هذه
الليالي التي يحسب انها في نجعه عذرها وهي في دهمه دادتها وليس
للعضل من الداء الا كيه وليس للغاري الا الشهاب الذي يدحر به
استراقه ويحسم به غيه وقد طالع الديوان العزيز بما يرغب في الوقوف
عليه والمشوه بما وقعت الاشاره اليه ثم يكلف المجلس ذلك الا لان الملتمس
من التقليد لصلاح الجمله وصلاح الدوله باد قبله ولمحل الخلافه شرفها الله
رائع قبل ان يرتفع محله وما سام من ذلك امرا يصعب مثله ولا ادخر ا
يتعذر بدله ولا جيشا تخلوننا الخلافه بان ينقض عنها حمله ولا عزل
والي يحمل على الاسلام عزله ولا تجريد سيف من يد الخلافه العاليه
يتوفى ان لا يمضي نصله ولم يسم الا في ما افاده اليه ولاه واعتقا ده
ووفقه عبد نطقه واعتقاده من ان يكون نظره شرعيا وتصرفه بحق
الخلافه مرعيا وبقلمه سنيا وجمعه اجماعيا فتكون الامور امرا واحدا
والمناهج المختلفه للقصد بها قاصدا والرايات القاعله عن الكفاه
رايه مستقله يونسها الانفراد وينهضها الجهاد ويبيض عواقبها السواد
لا يختلف تحتها الاراء ولا تتشتت عندها الاهوا ولا يعوزها النصر
في الارض الا ان ينزل من السما ولا يحوجها التاييد الا ان تصحر الي الفضا
هذا الي ما ينضاف الي يد الخلافه وكلمتها من بلاد بها تخص
ومنابر ومنابر تعلو سماوها عليها وتنصرفا لسعادات سمحه ان
تسمحوا والدنيا مستفتحه ان تستفتحوا والمتعات ما دونها حجاب

والدين لا يصلب دون قطرته صخر ولا يبعد دون تناوله سحاب والمجلس
السامي يتامل المراد بعين الولا ويخادمه بعين المحبه ويعلم ان مثل
الحروف المثبته في هذا التقليد كمثل حبه انبتت سبع سنابل في كل
سنبله مايه حبه وما احراه في ذلك بتحريه وما اولاه في هذا المهم بما
يوليه فانه اذا انجز ما وعد به حسن الظن واهدي اليه والي الاسلام
ما يكسبه القوه ولي الامه ما يحميها الوهن فليذهب ادام الله نعمته من ذلك
بواصل ما ذهب منها من الدنيا واحدو ليقترن المجد بعظمه ما صد في مثلها
ماجد ولكن ادام الله دولته مع الحق فان الذي يدعا اليه هو الحق
والرجل الذي يعرف ما بين الرجال من الفرق ه ومنه
قوله ه وما برح قلمه يقوم خطيبا في محافلها ونايبا
عن مناصلها ومعظما لشعايرها بشعارها ومعلنا لماثرها باثارها ومناصلا
لاعدايها بكل قطاعه العري طلاعه الذري في غير ذلك من توشيحه
مدارس التدريس بالدعا بخلود ايامها ونفوذ احكامها والروايه عن
سلف الايمه الصالح من ابا امير المومنين واجداده والتنبيه على
مناقب الدوله التي تجزع بها انوف اعدايه واضداده هذا الي انه
ربي في ظلال الدوله العزيز الممدوده وتصرف في خدمها المحموده
وادرك الصدور من خدامها وادي امانتي اللسان واليد في
استخدامها وهذبته تلك الاداب الي ان امن العثار واعتد الكا
به من انعام الدوله التي حصلت له قبل انجاحه الاقدار وقد اضاف
الي تلك الحقوق التالده حقا طارفا واستانف الي تلك الاسباب
القديمه سببا انفا وهو صحبه الخادم وكتابته عن يده وترجمته عن
معتقده وتقته بمغيبه ومشهده ومجادله اعدا الدوله بلسانه
ويراعه واهانته انصارا واوليايها بالقول المحكوم على كل ذي لب باتباعه

دم

وله مما اقتضاه الانعام الشريف ملك بواسطتي شركه اقاربه مابرحت العنا
متوفره بعقوده حاميةً لحقوقه وحدوده ممنعةً لمستغله مرجيه لدخله
مانعه الايدي من ان يتطرق اليه او يتسلط عليه وقد تجدد الان من
مقطعي المجاورين لملكه دخول في الحدود وخروج عن المعهود ودعوى
معوزه البراهين والشهود والمسول فيه خروج الامر بما تزيل صادق
الشكوى ويبطل كاذب الدعوى ويرد الحق ويحمي الحد وبيده توقيعات
اماميه اجريه على ما يلتمس الان الاجرا عليه ولو لم يكن هذا الجد سبيله
لما استكثر الانعام ان يصفح له عنه ويعاد اليه فكيف والحجج الشرعيه
والتواقيع الاماميه مثبتةً لحقه شاهدةً بتقدم ملكه وسبقه ومن حق
والمتوقع اجابه سواله فقد جرده وان تاخرت الاجابه بالايجاب جدده
ومنه قوله ــــــ اسعد الله المجلس ولا برحت الايام شاكرةً
لايامه والصوارم معدوده من حساد اقلامه العاليه مدخوره عند
المهمات مستضا بانوارها في ليالي القصد المدلهمات والارا المجربه
مستملةً بحمد الله من المكرمات تسل بها ولاسيما في اصلها وياتيها على علم
اذا اتى على الناس من جهلها ويبتكرها بخاطر خطار ويتدرها بضمير
فضل لا يجاري في مضمار واذا عرضت اللبانه انزلت بكرمه الفسيح
اللبان وحدت ركابها الى فنا احسانه الذي ينتهي اليه غايه
سري الركبان وقد قصد هذه الخدمه على حال تفصيل فلان في ملك
له بواسط قد استولى عليه من حادده وجاده من المقطعين واضربه
من حاز عليه من المجاورين ومعه من التوقيعات الاماميه ما يوضح الاشكال
ويرشد من الضلال ولو لم يكن الجد له مستحقا والملك بيده مستقرا
لوسعه من الانعام ما يسع من ليس له من الخدمه المرعيه والاذمه
المرعيه كما لهذا المذكور فله في ولا الدوله الشريفه السبب الوثيق

٨٩

والعرق العريق والسابقه التي لا تماري واللاحقه التي لا تجاري
والنشاة في ظلال الدار العزيزه والتربيه في اكنافها الحريزه
واستمداد العلم من بحرها واستمطار الادب من قطرها واستملاح الانوار
من فجرها والتقلب في الايها والثبوت على ولايها والمناضله بلسانه
وقلمه الذين يحدون في اسمايها الى غير ذلك من المكاتبات التي تجاهد
فيها عن الدوله الناصريه حق الجهاد ويرهف بها الاوليا ويفل الاضداد
ويستعطف بها القلوب النافره ويجمع بها الاهوا المتنافره ويجادل
فيها بالتي هي احسن وبالتي هي اخشن ويوضح حجتها بالتي تثبت من
اخطر وتستخلص من ادهن والمجلس السامي عارف بقديمه وحديثه
ومكتسبه وموروثه معرفةً توجب الذمام وتنجح المرام وتدخر الايام
وتتوقع ظهور ثمرتها في اوقات الشده لاعطل المجلس من حليها ولا
خلا من اقتطاف ما حلا من جنيها فانه جانب من الدوله العاليه
لا ينفصل عنها ولا يخرج منها ولا يعد الا من اقطارها ولا ينتظم القلم
به الا في انصارها وقد شرع في الشكر ثقه بالنجح والقيت عصا السرى
علماً انها مسبوقه لكم بطلوع الصبح وتركت محاربه خواطر الشك علماً
ان المطالب به مذعنه الى الصلح والمجلس السامي سريعة ورده
وذلك القصد والهمه المجربه طليعه سعده ومن ورد عنايته فقد
استكرم الموارد ومن جعله قبله القصد فقد استنجح المقاصد والمتوقع
وصول كتاب اخيه الشاكر لانعامه الداعي لايامه بان هذا الجد
قد رفعت عنه اليد ولين تكاثفت الاشغال عليها وتزاحمت المهمات
لديها فما هي لخواطرها الا بمثابه الصقال للسيوف المرهفه ومرور
النسيم بالرياض المفوفه فالصقل للاولى يفيدها قطعاً ولمعا والنسيم
للاخرى يفيدها نفحاً ونفعاً ولا شبهه في انها مدفوعه الى نحر اشغال

متدافع ومقذوف بها في بحر هول يرجع عنه كل طمع متراجع وهي بحمد الله
سابقة للمطامع فائتة فا لعقبة الكوود لا توود وعزمها فيما ترق له الصخور
لا تحور والله تعالى يحسن إليها كما احسن بها وتجعل لها راحة عند
في تعبها وخواطر المحبين لخواطر الشعرا في كل واد تهيم وكلما امل
القرب يوم مسفر قد دفعه الدهر بليل بهيم وكتابها الكريم
فينعم به مضمنا لما يسنح من خبرها ويعزم من وطرها والله لا يعدمني
خبرها الا بوجهها وكتابها الا بنظرها ومنه قولـــــــه
ما اصدرت هذه الخدمة الى مجلس الحضرة العالية لا زالت الايام
خداما لخواطرها والاسماع نطاقا لجواهرها والطروس ساحلا
لزواجرها والمسار سارية الى سرايرها والايام قاضية بكل قاضية
عليهم بخفض من يحلم وترفع من محلها ويعقد لها عقدة عز يعجز ايديهم
عن حلها من ثغر الاسكندرية حماه الله عند الوصول اليه لخدمة الصرح
المعطي الذي حل فيه ملك الكرما والزيارة القبر الحافظي الذي حل
فيه ملك العلما والله تعالى يوجر الكافة في الفجيعة بالعلم والكرم
على ان الحضرة العمادية اولى اولي الكرم والعلم فلا تشتكي العدم
ولا بد ان اخرج الى امراد هذه الخدمة وثبا كخروج البحتري في مدايحه
وان اهز عزمها لامر لم تتاب في تسبيب مناجحه ولا اطيل
بذكره فانه في الخدمة الناصرية الصادرة عني في معنى الفقيه ابن
سلامة وهي تنفل ما يقوم الله عز وجل باجره واقوم انا بشكره
وما بعده مما يبيض الصحيفة على انها نظيفة ومما يتوصل الى المراد
الجليل منه بفكرتها الدقيقة اللطيفة وقد ضاق وقتي عن مكاتبة
عزيزة بمقتضاها فاسالها ان كان الركاب العزي ادام الله
ايامه ونصر اعلامه بالعسكر المنصور تعرض عليه الفضل من المطالعة

ولا

ولا اقول ويهز عزمه فانه سيف قاطع لذاته يستحيل ان يرى الا قاطعا
ومولى يرى الثواب من لذاته فلا يمكن ان يرى الى داعية الامسارعا
ومن عول على خطابه في الاستفادة التي تملا العرايب ولا تستقل بها
الا باعرفان اعول في خطابها على اللفظة المعرضة ومن استدعيت
عزايمه بالمماشاة والمصالحة فاني استدعي عزمها باللحظة الممرضة
لا زالت مساعيها مقرونة بالمساعد وهممها موفية لما كفلته عنها
الظنون الحسنة المواعد ومن شعره قولـــــــه

ان البنان الخمس اكفا معا والحلي دون جميعها للخنصر
واذا الفتى فقد الشباب سما له حب البنين ولا كحب الاصغر
واخص بوسم تحيتي من لم اتح لك باسمه ولعله لم يذكر
ممن اود لما الردى لا عن قلى وتود لو ابقى بقا الادهر

ومنه قولـــــــه

ذكرت وجوهكم والبدر يسري كلا البدرين مسكنه السحاب
سقاني الله قربكم عن قرب دعا طال واختصر الخطاب

ومنه قولـــــــه

بعدي الليالي التي بالسعد تسخطني تلك الليالي التي بالقرب ترضيني
كانت بكم فرعاها الله تضحكني فاصبحت لا رعاها الله تبكيني
يا بعد ما غاية للشوق غايله من غور مصر الى عليا جيرون
اودعتم سمعي مكنون دركم فهاكم در دمعي غير مكنون

ومنه قولـــــــه

من انت ومن ما بخ ان انا الجد خلقي ومن اخلاقك العبث
ما حيث مبعوثه بل جيت باعثه همي ولا خاطري الهم منبعث
لبثت في الحب عمرا لا احصله كفتية الكهف لا يدرون ما لبثوا

كروا اللواحظ كثًا عن محاسنه وما دروا انهم عن حسنهم بحثوا

ومنه قوله

زار الصباح فكيف حالك يا دجى تم فاستدم بفرعه اوفا لنجا
راق الغصون قوامه فتاودت ارض انثر نشوه فتارجا
يا زايري من بعد ناي ربما تتمنى المنى من بعد ارجا الرجا
ادي الهلال ركبت منه زورقا او لا فكيف قطعت بحرا من دجى
ام زرتني من النجوم ركايب فاري ثريا ها تريني هودجا
لعبت جفونك بالقلوب وجها واتخذ ميدان وصدغك صولجا

منها

لا ارتجي الا الكرامه وحدها فالمال قد اعجلته ان يرتجى
تلوا الليالي سورة من فضلكم تتقمها شعراكم المودجا

منها

نادان نار قري ونار وقايع لله درك مطعما ومؤججا
يا شوق بشوك لابنة شافع نغنيت يا شمس الضحى ان تسرجا

ومنه قوله

قاتل بغير سلاح الهجران له ضربا تسيل دموع منه وهي دم
كم تماي في وجهي ولا يبله والم نار فقل لي كيف ينكتم

وقوله

وميدان خط بخيول لثم وصولجان صدغه والخال اكره
تلفت بشعره وسمعت غيري يقول سلمت من تلقي بشعره
بكيت عليك مل العين حتى بقيت بادمعي في الشمس عصره

وقوله

ممسحة نهارها يجن ليل الظلم كانها مذ خلقت منديل كم القلم

ومنه اخذ شافع قوله

وممسحة تناهي الحسن فيها فاضحت في الملاحه لا تباري
ولا تكر على القلم المواتي اذا في وصلها خلع العذارا

والاصل قول ذي الرياستين

ممسحة تكتم الظلام لما بدية الاسواد الظلم
تودع فيها الاقلام افضله ما تنفقه في مطاع الامم

عدنا الى الفاضل ومنه قوله

منعت دموع العين من اطلالي لا ادري صنيع الدهر بالاطلال
ومن المساة ما يكون مسرة ما الدمع ان حجب المكان غالي

ومنه قوله

ايا بدر قد اسهرت عيني فارقد وشاهدت ما جاهدت يا نجم فاجهد
ادام تغابن في الصباح مسرة فلا تحسبن الليل ليس بسرمد
ويا عاذلي رفقا كفاني صدوده فان شيت فانقص من ملامك او زد
تمايح في خديه ماء وجهه تمايح دمعي في الهوى وتوقدي

وقوله

ومواعيران السمهري وانه لجاد بايديهم تشكا للمهند
لم فى الوغى اغصان سمر كانما تخف اذا احمروا الكما المورد

وقوله منها

جمعت الذي فيهم وزدت عليهم فانت كعقد ناظم متولد
وما فوق ما قد نلته من زيادة بل الله ادى بالزيادة فازدد

وقوله

لاح وفي خديه ديباجه طرزها الشعر بلا لاب
باب سلوي دونه مغلق وصدغه الزرفين للباب

يا مانعي حتى مواعيده من يا بو عدٍ منك كذاب

وقولـــــــــه من مرثيه في اخيه

خليلي قد ابصرت عيشي بعده كاني قد ابصرت عيشي من بعدي
وقد كنت اشكوا البعد والقرب يرتجي فكيف اكون اليوم في الياس والبعد
وكان اجل الخطب عندي صله لمن يا وطوي لو رجعت الى الصله
اذا ما فقدت الانس ممن تحبه تنفسك لا المحبوب انجع بالفقد

وقولـــــــــه منها

فليت اني لما ابتنيت مكارما فاصبحت في دار واصبحت في لحده
ليسكن من بعد الردي باقي الثنا وان كنت من تحت الثرى بالي البرد

وقولـــــــــه

اشكوا اليك جفونًا عينها ابدًا عيني بترجم عن نيران احشائي
كان انسانها اني لتجزنه فكان من ادمعي يمشي على الماء

وقولـــــــــه من قصيده

ان الشجاع ومن اوصافه غلبت عليه وهي من اسمائه
يقري الطيور طعانه فضيوفه تنتابه من ارضه وسمائه

وقولـــــــــه من قصيده

لا تحذف سواك نفس بفضل ذاك ان جع عن الاماني بعيده

وقولـــــــــه منها

وانجلت مصر اذ تجلي عروسًا وكان الاهرام فيها نهود

وقولـــــــــه

انا من قايم الحسام نذير بهوان قام فالرؤس حصيد
هو كاس وسكره الموت قالت ذاك في ما كنت منه تحيد
ومتى يلفظ العدو بقول فعليه منه رقيب عتيد

وقولـــــــــه

واذا رشت بالايادي جناحي فعاني العلا يما اصيد

وقولـــــــــه من ابيات

سا شكر عن شكري نداه لعله يقوم لهاذني باحسن عذره
اذا انا بعد الجهد قصرت شاكرًا فقد صار للتقصير ذي كشكره

وقولـــــــــه

اذا انت اعطيت اللهي بذريعه فلا تشكرن الا لتلك الذرايع

وقولـــــــــه من مرثيه في اخيه

الحي هونت الحمام فكان يضعف عنه عزمي
لم لا اهونه وقد قدامت روحي قبل جسمي

وقولـــــــــه

واذا اجتليت عقود اسطره طفرا الهوي لم اشف لعسي

وقولـــــــــه

ما حل هذا الهوى الا لارتحلا ولا سري الدمع الا عن هوي نزلا
ولا بعثت خيول الدمع خلفكم الا لتلحق قلبًا فيكم رحلا
يا ربع ما انت اذ رمت رحالهم للبين اول صب البسوم بلا
لقد تمثلت في ترك الجواب بهم فما تجيب كما كانوا المنى سالا
وقفت فيه فقال الناس من سقمي اما تري طللا يستخبر الطللا

وقولـــــــــه

اسدي انكار اذا ليل الاسى ارخي دجاه فرايه السرحان
هذا وكم لك في الوغي من عزمه يكون من ثقته بها العقبان
تغدو خماصًا ما قد مثلوا في حربه وتروح وهي بطان
وعلمت ان حديث كسرى بعده زور فلم يتشامخ الايوان

لو عاش شاهنشاه ايقن انه ملك الملوك وانه الفرزان
تلك التوابع التي هي جنة اقلامه في دوحها اغصان
امتصل الرمح الطويل بكوكب من ذا يطاعن والسماك سنان
وقوله
والشمع فوق البحر تحسب انه من لجه قد اطلع المرجان
والماء درع والشموع اسنة ولما اذا خفق النسيم طعان
وقوله
يا مالكي انبت ريشي بالذي لكنني ما قصدي الطيران
وقوله
ضاقت معاذرهم بيا ضيفانهم لكن رحبن منازل وجفان
يغدون عندهم ابا علي اعين ودت تكون جفانها الاجفان
وقوله من ابيات
ركبنا رياحا من كرايم خيله تؤم سحابا من سماء سماحه
نقل لليالي الخطب طولي او اقصري فانا على وعد السرى بصباحه
صباحه
ولما نضا الاستاد عن نور وجهه تغطيت من دهري بظل جناحه
وقوله من قصيده
استودع الله في اظعانهم قمرا اليه لو وصلت الالباب تحتكم
عندي سهاد وعند الهاجرين كرى والليل مشترك بيني وبينهم
الهاجرين
وقوله منها يرثي بني زريك
باي وجه يراني الناس بعدهم حيا ويا اسفا ان قلت بعدهم
ابكي الذي زال عند التاج دولته اذا بكى الناس من زلت به القدم
اعزز علي بان ظلت ديارهم تسدي الهموم بها وتندب الهمم
وما البست دموع العين عاطلة الا وفيض دمي في ردها علم
ان

ان يهدم بكم للدهر بيت علا فان بيت رثائي ليس ينهدم
معنى من الكرم المهجور فزت به وفي الرثا لمن لا يرتجي كرم
وكان حقكم لو كان يا قبل ان ينصر السيف لا ان ينصر القلم
وقوله
نفينا سواد الليل عن دولة الهدى فلا راية سودا ولا امة سودا
وبين مجازاة ضربنا وجزية لمن طايع ادى ومن خالع اودى
وقوله من قصيده
تلك الرياض اذا تهجر حادث لم تلق الا ظلها وجناها
لمع النضار بها نقلنا شمسها وجرى اللجين تخلته امواها
وقوله منها
نظروا الخيول فاثبتت نظراتهم غررا اعليها قد وسمن جباها
ولرب هاتفة دعتهم للوغى جعلوا صليل المرهفات صداها
هي كالموارد في العيون وطالما نقعوا بها مات الكماة صداها
هي في بحار يديه امواج ترى ونفوس من قتلته من غرقاها
لا بل زناد جهنم في كفه منها فكل مكذب يصلاها
لو ان ارضا من ندت السما كانت غداها في الخطوب فداها
ومن المحدث نفسه بلحاقها تدع الحديث عن الذي ساواها
وقوله من ابيات
حمايم ندحت زجاجات ادمعي فما طلت الا انهن حوايم
وما درج الكثبان من نسيمها بلى درج الكثبان ما انا لائم
ولما مررنا بالرسوم تنفدت بها للهوى في العاشقين المراسم
بكينا فغطى الدمع انوار اعين ومن عجب ان الدموع كواتم
وقوله من ابيات

يامن اذا ما المال جاز بارضه يصفر خوف فراقه ان ينهبا
يلقى اليه فلا يليق بكفه نكانما يلقى عليه ليحسبا

وقوله

برايكم امسى الزمان مداراً وكان محوفا قبلكم ومداري
ورب طليق قد اسرتم بلطفكم كذا اطلقنا المكرمات اساري

وقوله منها

سانصف اصناف القوافي بمدحه فان القوافي في علاه غياري
فان ابصروا في الطرس اثر مداده فذلك سبق قد اثار غبارا
تفيض لنا كفا وسه سعلة فتجمع الانوا منه غزارا
وتقدح نار الحرب من ازند الظبى فتوسل من فيض الدما شرارا

وقوله من ابيات

ليهني الملك ما اظهرت من همم للجود والجود من نار وجنات
تحمي رعيتهم بعين او بجود يد فالناس ما بين رعي او مراعات
مواصل المجد لا ينفك من شغف والوصل ينقص من بعض الصبابات
هدي البدايات قد نلت السما فما يطول العدى هدي النهايات
عطاء من لا يظن الجود يفقره وحرب من لا يظن الحرب تارات
الله جارك والاجال كامنة من القواضب في غصل الشبات
وقد تداعت بها الابطال واعترفت والطعن بينهم مثل التحيات
وقد تهادت سيوف الهند حصبت كالشرب حين تهادى بالزجاجات
فكم يردن بماء السيف غلتها والسيف ماء لنيران الحزازات

وقوله من ابيات

استصحبا قلبي وكان محله وان كان من جور الفراق محيله
اذا ما جرى جفني دما بدامع علمت بان القلب راح قتيله

وقوله

لئن نالت الاملاك ملكا بحظها فقد نلتم ما نلتم بمساعي
وهذا عيان المجد فيكم فما الذي يزيدكم مداحكم بسماع
دفعت الاذى عنا ومتعت بالمنى وما كانت الدنيا لنا بمتاع
ووالله ما كلفت في المدح كلفة وهل هو الا الصدق وهو طباعي

وقوله من ابيات في الشيب

ارى شيبي معاري فيه بعضي لبعض ان ذاك لشر سر
فلا تنكروا تعبيس وجهي فقد اعطى تبسمه لشعري

وقوله من ابيات

بالله يا قمر التمام اما لبحركم من محاق
امسيت في نور الكمال وبت في نار احتراقي

وقوله من ابيات في ذكر الرماح

تمشي بها سرجا ويومك مظلم فترى الدوابل نصلت بذبال
مثل الصلال بحوف نفث طعانها يستليم الغازي ثياب صلال
ويجرها طورا ويصلي حرها فيكون محتطبا وطورا اصال

وقوله من ابيات

فان تكتسي يا دار ثوبا من الصبا فلا تلبسي من ادمعي غير معلم
متى تكتم الاشواق ما بين لائم لنوم ودمع بالدماء منمنم

وقوله من ابيات

واذا افاض الصب صب دموعه اغنى الديار عن الحيا المتهلل
ما دام وجه يجلى عن روضه فعلى عيني تنجلي منهل

وقوله

من تغنى وحليه ونسيمه ما لا تقوم بكتمه الظلماء

ومتى يفوز بما تمنى عاشق وجميع ما يهوى له اعداء
لكن نسى فيك روض يانع تجرى عليه من دموعى الماء
رتعت جفونى من سناك بجنه وبوات منه بحيث تشاء
وقوله
بروحى من روحى اليه مسوقه وقلبى من قلبى عليه مقطع
واصل الهوى فى القلب عينى وعينه وكل بلاءٍ عنها يتفرع
وقوله فى عمان سور عكا
ميزان اعمالك لا شك فى رجحانه والحق لا يشتبه
بالحجر الاسود اذ صنته والحجر الابيض اذ صنت به
وقوله من قصيده
انت فى الارض ام فوق السما ففى يمينك البحر ام فى وجهك القمر
يقبل البدر تربا انت واطيه فللتراب عليه ذلك الاثر
ناى به الملك حتى قيل ذا ملك دنا به الجود حتى قيل ذا بشر
فى كل يوم لنا من مجده عجب وكل ليل لنا من ذكره سمر
نظرت فى نجمه فالسعد طالعه لا ينقضى وعلى امواله سفر
ابا الفوارس والابا مشفقه وهم بنوك وما تتقى ولا تذر
تلقى عروس المنايا وهى حاسره وخدها فيه من فيض الدما خفر
والضرب بالبيض من اثاره عكن والطعن بالسمر من اثاره سرر
ورب ليله خطب قد سريت بها وما سرى كوكب فيها ولا قمر
سمت العويص بعزم ما له ضجر والبعيد بباع ما به قصر
وانت فى جيش راى لا غبار له ترمى العداه بقوس ما لها وتر
فى الحروب التى لا للسيف منثلم فيها ولا الذابل الخطى منا طر
سرنا وسار شجاع وهو يقدمنا وعزمنا امره والدهر مؤتمر

وكان زجرا سمه فيه الحياه لنا والذكر ان الشجاع الحيه الذكر
كان الحسام يمانى الهوى معنا فما اضربنا ان اصفقت مضر
وبت والموت طيف قد الم بنا فما ثنى الطيف الا ذلك السهر
سقى بك الله دنيانا فاخصبها والعدل يفعل ما لا يفعل المطر
لما استقلت ستور الملك لاح لنا ملك به الجود عين والثنا اثر
فى كعبه للندى لو حلها ملك تهيب النطق حتى قيل ذا حجر
وسايل لى ما العليا قلت له فى فعله الخبر وفى قوله الخبر
ما انصفت مجده نظام سيرته ان الذى سيروا فوق الذى سطروا
نال السما باطراف القنا فبدت من النصول عليها انجم زهر
لا تحذت النصر فى اعطائهم مرحا حتى كانهم بالنصر ما شعروا
احرزوا دما العدى بين الرماح فما يقال عندهم ما ولا شجر
ترى غرايب من افعال مجدهم يردها الفكر لو لم يشهد النظر
حدايق فى سموات العلى زهر منها تنير وفى روض النهى زهر
الناس اضيافكم والارض داركم نعم المقام فلم قالوا هو السفر
ما انصف الشكر لولا ان يسامحنا فانت تطنب جودا وهو يختصر
وقوله من ابيات
سال اللوى وسواله تعليل ومن المحال بان يجيب محيل
يا دار جهد جفوننا وضلوعنا لك بالبكا وبالاسى مبذول
زرت عليه من الرياض ملابس خيط الغمام لو شيها محلول
رق العذول لما راى من حالتى فاليوم عاد اليه وهو رسول
او ما ترانى حاملا من بعده ثقل الاسى فكاننى محمول
من يعط بالفضايل عارف فحق حينيذ لى التفضيل
اغمد لسانك ان يقول فانه عضب احاط بجانبيه فلول

وامنعه من نفثاته وكفى بها من الكلام اسنه ونصول
كفل زمانك ان يغير كلما انكرته نكفاك منه كفيل

وقوله

امنا على الملك الليالي بعدما امد بسعد الناصر المتناصر
امام اقروا جوهر الملك عنده ولا عجب للبحر صون الجواهر
ديار العدي من نقعه ود مايهم كربع الهوى مابين ساف وماطر
يلاقيهم بالسيف والطير طاعما نهم منها بين الردي والمقابر
يقول لنا درا ويندي سماحة فما البحر الا بين كف وخاطر
ولما انثنت منا عليه خناصر جعلنا حلى تختيمنا للخناصر
لانت طباكم في الوغى وصفاتها دما الاعادي اودما المحابر
فيا عجبا للملك قر قرانه مختلفات من قناك التواجد
طواعن اسرار القلوب نواظر كانك قد نصلتها بنواظر
تعليها الاعدا منها معاصما فترجع من ما الكلى باساور

وقوله منها في الخيل

لها غرر يستضحك النصر وجهها وتفهم منها العين معنى البشاير

وقوله منها في ذكر القصيده

اذا ما انثنت تختال بين سطورها فهنيتها عذرا ذات صفاير
في السايرات الخالدات بمجده وسايرها ما يوتي به غير ساير

وقوله من قصيده

ورثت المعالي عن ابيك شريعة ونلت بها في فتنة البخل مذهبا
اذا ما كسوت الوفد للجود ملبسا فقد لبسوا بالبشاشة مذهبا
لوان زيادا كان ادرك عصره لكان يرى اي الرجال المهذبا
يقطع عمر الليل عن سجوده فلله محراب حوى منه محربا

وفي نقع عافيه اليه وسيله كفى باعتنا للسيل ان يتصوبا

وقوله

تقول ولوان الليالي خصومه ويقضي ولوان النجوم مطالبه
محاربه تثني على صلواته ولكن على الاعقاب تثني محاربه

ومنها

جنايب في بحر العجاج سوابح فان حركت للركض فهي جنايبه
وقد خفقت راياته فكانها انامل في عمر العدو تحاسبه

وقوله

لو كنت خاف الحمام بايحان قال الوشاه اضاع سرك بايحا
سل طايرا صدع الفواد بسجعه اتراه غرد صادعا ام صادحا
يا ضعف من امسى الغريب في الهوى وغدا الحمام له هنالك جارحا

وقوله

يا ليلة بات فيها البدر معتنقي والناس بالبدر والظلما في شغل
منا نقض عقودا للحبيب وان فصلتها فتشدد من القبل
ثل في الزلال اذا واني على عطش فقد دللت على التفصيل بالجمل

وقوله من ابيات

وبالاشعار نعرف قايليها كما حدثت عن نجوى بنحل
سبقته بها فقد صارت لقوم محارب والذي يعزى مصلي

وقوله

سقتني يا بدر شمسا كللوها بالثريا
واجعل الظلما شمسا كلما دارت وفيا
انما الكاسات تيجان لها العيش تحيا
وهي نار جعلوها جنة نعمى الهم نحيا

فاذا طعمنا اذا ادير مرة رايناها حلها عليها
كما نظروا الحوض عنا حين دخلنا

وقوله من قصيده

يا غزالا له السيوف حجاب في فوادي اضعاف تلك الحجب

ما عهدنا والنا بياقت كثيرا ان ضيقا يضام بين العرب

اغليلا والما فوق الثنايا وهوانا بين القنا والقضب

اين تلك الرسوم اين ثراها بعثت بي الرحيل اثر الركب

اتري يا زمان انت معني بربا ها كمثل قلب الصب

زفرت بالصبا صدور الليالي وبكت بالحيا جفون الشهب

وقوله من قصيده

لو لم يعطل خاطري من سلوه ما كان خدي بالمدامع حالي

اودعته قلبي فخان وديعتي فسواده في خده بالخال

نعل السقام بمهجتي وجوارحي افعال حصن الدين بالاموال

لو لم يبق في ايامه الامر فتنه للناس لا فتنه بجمال

يسمي الرماح قنا فاما بعد ما صارت بكفك فالرماح عوالي

وقوله

اساكني اكناف المقطم دعوه تداعت بها الالفاظ وهي دموع

يقولون درياق الهوي الدمع ان جرى فذا الدمع يجري واللسيع سليم

الي الحزن لي من ان اماكن في الهوي تحزنك بشري والدموع تبيع

وقوله

دع عينه لعنايها تشفاه في دايها

العين من اعدايه والقلب من اعدايها

هذا ونيران الهوي مشبوبه من مايها

قربه لقربه في حسنها وغنايها

القلب كان نايها والسمع عاشق نايها

ولقد رضيت

ولقد رضيت بقتلي ان كان ذاك برايها

وقوله من قصيده

يا مالك الحسنين والحسنين من خلق وخلق

لو لم يكن من فضل مدحي فيك الا فضل صدقي

ما ضر جهل الجاهلين ولا انتفعت انا بحذقي

وزيادتي في الحذق فهي زياده في نقص رزقي

وقوله من مرثيه

تبكي عليك عيون انت قرتها وما قضى الحق باكي البحر بالخلج

في كل شده دهر لم تزل فرجا عظم الله اجر الناس في الفرج

وقوله

قالوا جري قلمي في مدح غيركم لا والذي علم الانسان بالقلم

وما حلوت بذكراكم وكان معي ان يثلث ذكراكم سوي الكرم

وقوله من ابيات

اذا هز فيها صارم البرق خلته يروع من تلك الجداول ارقشا

يد علها المدسورا منتضا ويرجعه طورا سوارا منقشا

ويرجعه سهما الي مقتل الثري فيسري باوراق الغصون مريشا

هوي كسماح الصالح الملك الذي نكته والشمس ليس لها عشا

يقتل حيات الحقود من العدي بحيات سمر بالاسنه نهشا

ونصبها الا ان رقوا السحب سلما ان نزلوا القلب الرشا

فاوساطها اولي من العين بالندي واطرافها اولي من الهم بالحشا

عنينا عن التشبيب قدام مدحه فاذهل وصف الليث من وصف الرشا

وقوله

وكيف احسب ما يعطي العفاه وما حسبت بعض الذي ما زال يعطيني

الكتب تشكرم عنا ولا عجب ما يشكوا لسحب الا بالبساتين

وقوله

واغيد لما دجا عتبنا بدى على الخد منه الشفق

صفا نوق خده حمرا الصبى نكان الحباب عليه العرق

وقوله

اما المشيب فانه قد ابرقا وكانني بسحابه قد اغدقا

فابرز اليه ابيضا في ابيض لا يذكرن زمن التقاء النقا

كان الهوى بخل الصبي وصديقه حتى تلاشى وان تفرقا

وقوله

اي شان لا يباح به بعد ما قد باح بي اسان

وكلام الصب ادمعه لك والافواه اجفان

ادمع والحب ان حكموا فهو دعوى وهي برهان

ما زها من تبل معطفه فوق غصن البان بستان

جلنار الوجنتين له من ثمار الصدر رمان

كيف ان جوهم وعندهم حرمات الحب اضغان

ومنها

وله سيف كناظره حارس للحلق يقظان

عاد كفرا الكافرين اذا ما راوه وهو ايمان

يتداعى اذ دعوت به ملتقى الشرك اوثان

للظبى الاجفان تعرفها ولهذا السيف اذان

وهو مراه يبين بها من ضمير الضد اضغان

ومنها

ثم تتملى من نفوسهم ورماح الحظ اشطان

ومنه

ومنهم محمد بن محمد عماد الدين ابو حامد القرشي الاصبهاني الكاتب ركن الدول وعمادها ومزن الممالك وعهادها علم يهتدي به الساري وكرم يقتدي بسيبه الجاري رساكا لطود المومخن وسري كالجود فاوي اليه المستكن وتغلت به ترائب الايام وحلت بحجبه رباب الحكام فعلا مقدارا واي ان تخذ دان البدر دارا قصرت دونه اجنحة الغمام وطرقت افنيه المعالي الابكار والايامى وعز في تلك الدول فغالت في قيمته وغالبت في نشر لطيمته وكان ذا ايد ينهض بكل عظيمه ويابى كل هضيمه بعزم يزاحم ابان وتقدم اذا نكل كل جبان باقدار لسان وابتدار بديهة لاحسان وكانت قصبات السبق لا تحرز الا لادهمه ولا تحرز دارات البدور الا لدرهمه نشا في حجر عمه المستوفي وتادب بادبه وعرف في ديوان الخلافة باسمه وخدم بالابواب الامامية فتقدم على الاوليا وتمسك بالاسباب العلمية ومواريث الانبيا وكتب الله له النوريه فازدادت به نورا على نور وازدانت منه بفرايد نحور على نحور واتصل بالمقام الصلاحي فاصلح الفاسد وانفق الكاسد وكان بالخدمة الناصرية كاتب الانشا بها حقيقه وساحب ذيل كل حديقه واما الفاضل فكان قد رفع عنها وكبرها ثم كان اكبر منها وكان العماد بحرا يتلاطم موجا وافقا يتلالا اوجا وكان ملازما للسلطان سفرا وحضرا ووردا وصدرا ومحصلا بصحبته الفا وبدرا وكان فقيها جدليا عالما فاضلا اديبا اريبا كاتبا شاعرا ناظما ناثرا ذا تصرف في البيان وتفنن في الكلام لو ازدحم عليه الف بريد لجهز او نظم كل فريد لما اعجز وله الجيد النادر والغض الناضر والبعيد المرام على الوقت الحاضر وله التاليفات الكثيرة والمصنفات المفيدة والرسايل البديعة والقصايد الصنيعة الا انه كان متطبعا متصنعا يظهر عليه اثر الكلفة وثقل التصنع

مغري بالتجنيس معانيه من الكل على المسامع لقرب مخارج الحروف مما ينفر منه
الطباع ويبعد منه الانطباع وسئل الفاضل عنه فقال سيدنا العماد
مثل الزناد ظاهره بارد وباطنه واقد وكان محل الثقة من الفاضل
آمنًا من توثبه عليه وتغلبه على ما جعله السلطان اليه وبهذا كان يطمئن
اذا غاب مما تؤثره من قلب السلطان وكان العماد شديد الحرص على
تحصيل الدنيا وكان الفاضل يلومه ويعتبه ويعذله ويوبخه فبعث
مرة يشكو اليه ضرورة فكتب اليه الفاضل يا سيد اخيه لا تسمع الدهر
هذه الشكوى فيستعد بها فيستمر على العدوى ولو اشتغلنا بالله
لكان يغنينا ولو قعدنا عن الرزق لاتانا لا يعنينا وفي الحديث
اتقوا الله واجملوا في الطلب ولا يدري كيف يكون المنقلب فبالله الا
ما سمعت واخذت هذا الادب وله في هذا حكايات منها ان رجلا
من اهل حمص جاء بطبق كيزان وتفصيله كتان قيمة ذلك كله نحو خمسين
درهمًا وسال حاجة فاخذ قصته وقراها على السلطان وكان قد بلغه
الخبر فلم يجبه فاعاد العماد عرض القصة وقراها مرات في مجالس على
السلطان لا يامر فيها ولا ينهى فقطن العماد وعلم ان الخبر قد اتصل
بالسلطان فاعاد عرض القصة فلما لم يجبه عنها قال يا مولانا الطبق
الذي احضره صاحب هذه القصة باق الى الآن لم اتصرف فيه
فان كان ما يقضي شغله اعدت اليه طبقه فضحك السلطان وعجب
من دناءة نفسه وامر بقضا شغل الرجل وحكي انه كان شديد التهافت
في اخذ الختوم الذهب الذي يجي على كتب الفرنج فوصل منهم كتاب بغير
حضوره ففتحه السلطان بيده واخذ بعض الحاشية الختم فلما جا العماد
قيل له اكتب جواب هذا الكتاب فقال يكتب جوابه من اخذ الختم
فعز قوله على السلطان وقال له قم اخرج الوقت ما هو محتاج اليك فاتى

العماد

العماد الفاضل وعرفه بما كان فقال له رح الى الخانقاه واقعد بها مع الفقراء
والبس زيهم فاذا طلبك السلطان قل انا قد دخلت في امر لا اخرج منه ثم لا تخرج
حتى ما يبك السلطان بنفسه مرضيا ثم لم يلبث الفاضل حتى اتته رسل السلطان
في طلبه فلما اتاه شكا اليه العماد وقال له اكتب جواب هذا الكتاب فقال والله
ما اعرف ما اكتب فيه لان العماد كان يصدد هذه الكتب ولا يعرفه سواه
ولم يزل يلطف الامر حتى قال اطلبه فبعث في طلبه فلم يحضر واعتذر فعظم
الفاضل الامر وكرر الرسل في طلبه وهو لا يحضر فقال الفاضل انا اروح
خلفه واتلطف به وقال هذا باب ما يسده سواه ثم ذهب اليه فطال
المكث ثم عاد الى السلطان وقال لقد حرصت به فلم يجب ورايته مقبلا
على ما دخل فيه اقبالا ما اظنه يخرج عنه وما صبر السلطان لوزارة الفقرا
وترضى عبده ولم يزل به حتى اتاه وترضاه ومن نثره قوله
جوابا عن السلطان في تفضيل دمشق عرفنا طيب الديار المصرية
ورقة هوائها ونحن نسلم اليها المسئلة في طيبها وتوفير نصيبها ورقة نسيمها
ورايق نسيبها لكن هلا رات ان الشام افضل وان اجر ساكنه اجزل
وان القلوب الى قبله اميل وان الزلال البارد اعل وانهل وان الهوا في
صيفه وشتايه اعدل وان الزهر به انسب والنبت به اكهل وان الجمال
فيه اكمل وان القلب به اروح والروح به اقبل ودمشق عقيلته المشوطه
وعقلته المنشوطه وحديقته الناضره وحدقته الناظره وهي عين
انسانه بل انسان عينه وصبر في نقوده وعين نضاره ولجينه
نسيمها مستهام وما على محبها ملام وما في روضها ريبه وفي كل جيب
منها حبيبه ولكل شايب من نورها شبيبه ومع كل ورقه ورقا وعلى كل
معانقه من قدود البانات عنقا وتنادي بانها على الاعواد يطرب
ويطرب وساجعاتها بالاوراق تعجم وتعرب وكم فيها من جواد ساقيا

وسواق جاريات وانهار بلا اثمان وروح وريحان وفاكهه ورمان وخيرات
حسان وقد تمسكنا بالايه والسنه والاجماع وغنينا بهذه الادله عن
الاختراع والابتداع اما اقسم الله تعالى بدمشق في قوله والتين والزيتون
والقسم من الله دليل على فضلها المصون اما قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم الشام خيرة الله من ارضه يسوق اليها خيرته من
عباده وهذا اوضح برهان قاطع على انه خير بلاده اما الصحابه رضوان
الله عليهم اجمعوا على اختيار السكنى بالشام اما فتح دمشق بكر الاسلام
وما ينكرون الله ذكر مصر وسماها ارضا لما الذكر والتسميه في فضيله القسم
من الشام بنقل يوسف الصديق اليها عليه افضل الصلاه والسلام ثم المقام
بالشام اقرب على الرباط واوجب للنشاط واجمع للعساكر السائره من
سائر الجهات واين قطوب المقطم من سنا سنير واين ذري منف من
ذروه الشرف المنيف المنير واين الهرم الهرم من الحرم المحترم وبينهما
فرق ما بين القدم والفرق وهل النيل مع طول نيله وطول ذيله واستطالة
سيله برد بردى في نقع الغليل وما ذاك الكثير طلاوه هذا القليل
وسيل هذا السلسبيل واذا افتخرنا بالجامع وقبه النسر ظهر عند ذلك
قصر القصر على ان باب الفراديس بالحقيقه باب النصر ومارس الطابيه
كباب الجابيه ولو كان لنا اسها باناس لم نحتاج الى قياس المقياس ونحن
لا نجفوا الوطن كما جفاه ولا ناى فضله كما اباه وحب الوطن من الايمان
ومع هذا فلا ننكر ان مصر اقليم عظيم الشان وان مغلها كثير وما كها غزير
وان عدها المبير وان ساكنها ملك او امير وان الذهب فيها لا يوزن بالمثاقيل
ولكن بالقناطير ولكن نقول كما قال المجلس السامي الفاضلي اسماه الله
ان دمشق تصلح ان تكون بستانا لمصر ولا شك ان احسن ما في البلاد
البستان وهل دمشق الا مثل الجنان وزين الدين وفقه الله تعرض للشام

ثم يرض ان تكون المساوي حتى شرع وعد المساوي ولعله يرجع الى الحق
ويعيد سعد اسعاده وفاقه الى الالحق ومنه ولو واصل
خدمه بمقتضى مخالصته لماوي في جميع عمره بعض ما يجب عليه من حق المجلس
وشكر لكنه يهاب الفضل الغزير فيتجنب ويستصغر قدره عند قدره
المعظم فيتادب ومن يقدم على مقابله الشمس بسراجه والعذب باجاجه
والدر بزجاجه واي قدر للقطر عند البحر الخضم واي فخر للسهى عند
اناره البدر التم وكلما شرع في خدمه فنصب بين المهابه وبسطتها الصبابه
وجلا له جلاله وجه الهيبه فرجع مما رجاه من سماحه خاطره بالطنه
الخيبه وقال لقد رجحته دعى الاقتراح ولا يستدعي الانتصاح وليس الا
الاعتراف بالتصور لا الافتراق للمحظور ومنه قوله
على انه لم يبلغ مع استفراغ جهد البلاغه في الدعا والثنا امد المقصرين وان
بذ الفرس وزاحم الاسود ودخ العرين فالعجز عن الادراك ادراك والعجب
في التحميد باد على الجول والقوم اشراك ٥ ومما كتبه
في فتح القدس وعد الله الذين امنوا وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض
كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من
بعد خوفهم امنا الحمد لله الذي انجز لعباده الصالحين وعد الاستخلاف
وقهر باهل التوحيد اهل الشرك والخلاف وله الحمد الذي حقق
بفتحه ما كان في النفس وبدل وحشه الكفر فيه من الاسلام بالانس
وجعل عز يومه ماحيا ذل امس واسكنه العالم والفقيه بعد البطرك
والقس وعباد الصليب والشمس واخرج اهل الجمعه منه اهل الاحد
وقمع من كان يقول بالتثليث اهل قل هو الله احد وقد فتح الخادم بحمد الله
من الداروم الى طرابلس وجمع ما حوت مملكه الفرنج الى نابلس
ورجع الاسلام الغريب منه الى داره وفر سبيل السير في قراره وطلع قمره

الهدي وبلا بالسنه عزها نصر من الله وفتح قريب قرب المدي وعاد الاسلام
باسلام البيت المقدس الي تقديسه ورجع بنيانه من التقوي الي تقديسه
تاسيسه ومنه قوله جوده جود وطوله طود وكرمه
كرم يعتصر صفو سلافه ونعم نعيم تنحر وتنهر لا ضيافه لا يحب الدينار الا
مبد ولا لعافيه ولا يدخر كنزًا الا للحي راجيه ومنه قوله
ما ظفر مدح الاطلام بالسنا ومحوج الاعدام بالغني كظفر الخادم
وفونه بشرفه وعزه وسعاده جده وجده سعده وحياه روحه وروح
حياته وحسني حاله وحليه حسناته وسنا سناابه المشرق عند
اسفار اصباح امله وسفور وجه جذله بورود المثال المتمثل المقبل
المقتبل المفضل المفضل عن المجلس العالي الفاضلي لا فتي حكم الشرع
في شرع حكم فتياه فتيا وروض الولي بولي رضاه وجوده محودًا موليا
ولا برح كاسمه بطوي على الشح برح هوي جو بالغيم مغيم ومنا صحه
تحوي المني صحه عقيدته وعقد صحته مبرم قويم ومنه قوله
وكبها الملوك في منزله عيونها سخينه ونظائها لخينه وقوارها نوار وانجادها
اغوار وساكنها غير ساكن وقاطنها غير آمن وجدًا جدا ولما علا قم
وجناجنادلها اراقم وحياتها موحيات تسعي متلويات وتلتوي ساعيات
كانما صاغت الجن من سنابكها الخلاخل او اراغت لنا من لوادها العوابل
نقال الدوس كانها نصب القوس فهي حطب العطب وخشب الانشب
من طوال كحراب الزنج وقصار كبنادق الشطرنج واوساط
كاشواط العذاب سراع كانامل الحساب وقصار كبارقات
السحاب ومارقات النشاب ومنها ما هو كدباسق الاتراك او
كالويه الاملاك ومنها بيض كايدي السارقين وخفاف كذنب المارقين
ومنها ما هو كمزمار الزط او كزنار القبط ومنها ما هو كانه اصهب الفهود

اونكك

اوتكك ذوات النهود اوانياب النمور اوكخالب الصقور او اعصاب
الخيول او انياب الفيول او طوامير الكتاب او مسامير الابواب ومنها
كل رقا اذا انسلخت من جلدها القت كم درع وبقيت حديد ذرع وسودًا
كصحيفه المحرم وصفرا كصفحه المتالم تصيبن مقتصره الاعمار دقيقه
جليله الاخطار الحيات امها والمات سمها عنبرو لا يحلها حامل ولا
يشمها وبهذه الرساله ذكرت شعرًا كنت وصفت فيه منزله
كثير الافاعي ومنه

وارض تري الحيات فيها سواريا كان مساريها ضروب من الوشم
اساود رقط كالنمال دبيبها ولكن تراها في الفتان كالدهم
وتختلف الالوان منها كانها ازاهير روض وشعها يد الوسمي
اذا انشرت كانت جرازًا وانما كعرق اذ تطوي المساحب للضم
ومطرقد فوق الكثيب كانما اضفار ضمها ميذنه الجسم
واخر من دون الطريق محلق يجاع علي متن الطريق له تحمي
ينضنض في فيه لسان مخصر كان عليه طاير القطن والشحم
يشم دخان الموت من ليس حاسيا اليه ويلقي الموت من عاجل الشم
يذوب به قلب الحديد مخافه ويفعل فعل النار في موقد النجم
تقنع شيمها بالكمي وانه لا فتك منه اذ يطاعن او يرمي
بر هفهف دلق يقصر دونها مدي القاطع الهندي والرمح والسهم
يساور اوهام اللبيب اذكاره ويقتله قبل العوايل بالوهم
اذا ما ترة الطود خلت انه بجاوركتبان السحاب الي النجم
ودوحنق ما البرق الا شراره لانفاسه او رشق الحاطه المصمي
وبحلف ما الا كان في شهب الدجي خسوفًا غفيلا للشمس والقمر النم
وانسم لو القي علي الصم سمه لانزد اكل السم في شاهق الصم

ثم نعود الى تتمه كلام الاصفهاني فمنه قوله صدرت هذه البشرى
ودما الفرنج في الارض وقيل لها ابلعي وعجاجها في السما وقيل اقلعي
وفاض ما النصال وغاض ما الضلال وهي بشاره اشترك فيها اولياء
النعمه ونبيهم ان الما بينهم قسمه ومنه قوله ووجدنا هذا
قلعه ارضها في السما وتلعه في حوزها احواز الجوزا وعلى كلاهما عوا العوا
ما اقر السحب الا على سفوحها ولا تسرق شياطين الكفر الا من سطوحها
انا جعلنا نجوم النصال لها رجومًا وادمنا لوبل الوبال عليها سجومًا
ومنه قوله واسلم البلد وقطع زناده خندقه وابيح حمى
حماته واستويا الغرق على فرقه وتطاير في الصخور في نصر الصخره المباركه
وجرت على حكم السور لسفه احجارها المتداركه وطهرت الصخره بمياه العيون
التي بعدها قذيت وصقلت بالشفاه وطالما كانت بايدي المشركين قد صدت
ومن شعره قصيده قوله من قصيده اولها

واسال عنكم عافيات دوارسًا غدت بلسان الحال ناطقه خرسا

ومنها

مضى امس مني في انتظار غدٍ لكم وكل غدٍ لا شك منقلب امسا
وقيل لنا في الارض سبعه ابحر ولسنا نرى الا انا ملك الخمسا

ومنه قوله

ما طبت نفسًا ولا استحسنت بعدكم شيئًا نفيسًا ولا استعذبت لي نفسا
وكيف يصبح او يمسي محبكم وشوقكم يتولاه صباحًا مسا
نادمته واخو الهم يحسدني فانني كنت ارعاه اذا خنسا

ومنها قوله يصف مقتولا

ما زال يعطس من كوما بغدرته والقتل يشمت من بالغدر قد عطسا

ومنه قوله حيرى طالت بدي حورٍ طال في النجوى مجاورم

حل ما شدت مناطقه ثقل ما شدت مآزره

ومنه قوله

ثوى همه لما ثوى الصبر عنده مقيمًا رشط الصبر في جيرو شطوا
واراه طيف نري نحو الدجى وقد كاد جيب الليل بالصبح ينعط
تشاغلتم عنه وثوقًا بوده كان رضاكم عن محبكم سخط
مللتم فانكرتم قديم مودتي كان لم يكن في الحب معرفه قط

ومنه قوله وقد اعتقل ببغداد

قل للامام علام حبس وليكم اولوا جميلكم جميل ولايه
اوليس اذ حبس الغمام وليه خلى ابوك سبيله بدعايه

ومنه قوله

في بردك الاسد الهصور محرشًا وبجود كفك تسكب الامطار
نهب الالوف ولا تهاب الوهم هان العدو عليك والدينار

ومنه قوله وقد جا فقل من اصفهان لم يعرفه منهم احد
وعرفهم كلهم باباتهم

انا ضيف وانما اين اين المضيف
انكرتني معارفي مات من كنت اعرف

ومنه قوله

وما هذه الايام الا صحايف نسطرها ثم نمحي ونمحق
ولم ار في عمري كبابي المنى توسعها الامال والعمر ضيق

ومنه قوله

هي كتبي فليس تصلح من بعدي لغير العطار والاسكاف
هي اما مزاود للعقاقير واما بطاين للخفاف

ومنه قوله

وهضيم الكشح في جيله لم يزدني كاشحي الا اهتضاما

ما كوم العاشقين فيه مثلما لوم العاذل فيه حبين لاما
بقوام علم المرا القنا وكاظ تودع السكر المدامة
خد بجرحه لحظ الوري فلذا عارضه يلبس لاما

ومنه قوله

هلموا الينا نحو مشمش جلق وثم لمن يهوي على الاكل يلتقي
كان مذاب الشهد فيه مجمدًا احل له عهد الرحيق المعتق
حكى جمرات بالغضا قد تعلقت فيا عجبا من جمره المتعلق
كان نجوم الارض فوق غصونه كرات نضار بالزمرد تلتق

قلت وقد ذكر الفاضل صلاح الدين ابو الصفا خليل الصفدي ان العماد كان قال لها كرات نضار في اللجين مطرق فلما انشد السلطان صلاح الدين قال نسبه الورق باللجين غير موافق فغيرها العماد كما ذكرنا وقوله

قد كان يسمح بالوصال حيا لها لولم تغض العين بالاغفا
ودنت تودع للفراق وانما قطعي بسهم القوس في الادنا

وقوله

بدر فوادي في محبه وجهه مذ اته المعدود من شهد آيه
رمق المحب فلم يدع منه له هلا اخرت دمامه لذمايه

وقوله

ما الصبي في وجنتيه وناره ضدان لموج ر وتلهب
وكان وجنته وخط عذاره فيها طراز مفضض في مذهب

وقوله

هات يا بدر الدجى شمس الضحى قهوة تهدي الينا الفرجا
واملا الكاس اذا فرغتها ان روح الراح يبقى شبحا

واقدح زند سروري طربًا واسقنيها كل دور قدحا
لا تلم يا صاح اذ يك على سكر قلت فيك لو صح صحا

وقوله

وعلى السوالف منه فود مرسل فيه فواد المستهام مقيد
متقلد بدمي وظني انه بمدامعي او مثلها متقلد
ما عاينت عيناي صدغا ناعما الا واسود لقلبي اسود
اكان عارضه عقارب صدغه وعليه دعف للعذار مزرد

وقوله

مشعشعة لاحت كان مزاجها كساكاسها بالورس ثوبا مصبغا
يطوف بها ساق من السكر خلته وقد عرفت منه النصاحة التغا
الا ريقه المعسول نظما محبه وروى به عود الاراك المضغا
وما نرا لعسس الا لقبلة وما عقرب الصدغين الا ليلدغا

وقوله

يروقني في الهي مهفهفها ومن قدود الحسان اهيفها
يا ضعف قلبي من اعين نجل افتكها بالقلوب اضعفها
يا منكرا من هوى لمن به علاقة ما يكاد يعرفها
دع سر وجدي فما ابوح به وخل حالي فلست اكشفها

وقوله

نهيت فوادي عن هواكم فما انتهى ونهنهت دمعي في الغرام فما رقا
ومن فرط وجدي خلتني جنة اذا لم ترقوا لي فما ينفع الرقا

وقوله

هب ان قلبي للنصيحة قابل ما نافع والدمع ليس بقابل
ما لوا الى وصلي فحين وصلتهم ملوا وليس يمل غير الواصل

وقوله

سل سيف ناظره لماذا سله وعلى دمي لم دله قد دله
واحذر سهام اللحظ منه فانما عن قوس حاجبه يفوق نبله
واتبل وان حسدوك عذر عذاره واحسد على عسل ثنيه نمله
يا منجداً ناديته مستنجداً في خلتي والمرء يُنجد خله
سر حاملاً سوي فانت لحمله اهل وخفف عن فوادي ثقله
فاذا وصلت فقص عن وادي الغضا طرف المرب وحي

وقوله

الا يا عاذلي دعني وشاني وما تجري المدامع من سوى
بكل خدنه للحسن مالي سوى بلوي هواها من جدي
ريم او كغصن او كبدرٍ بلحظ او بقد او حنين
يبسم درها عن اقحوان وازهر وردها في ياسمين

وقوله ضعفه

تعفوا وسلوا عن حال قلبي وضعفه تقدران السوق الاسى فوق
ارق نحفني ما يرق سوى دمي كان الهوي اوصى جفوني بسفكه ٥

ومنهم نصر الله بن محمد بن محمد ضيا الدين ابو الفتح ابن الاثير الجزري
الكاتب متكبر نفخ في غير ضرم ونذح بالسمن وشحمه ورم ولم يلتفت الدهر
اليه بعطفه ولا اقبل عليه ببعض عطفه حتى شمخ شمماً ونطق خرسا
واصغى صمماً وكانت له مخيله ظهرت بارقتها وبهرت سارقتها شرب بودقها
الميام وضرب ببرقها الغمام الخيام وقد كان بالموصل ونشا به مسود
اللمم مجتد الهم في درس بباكره وبغاديه وبسقيه ما طرح برواسحه
وغواديه فلا الحفظ خاطره حتى اندفق وكلأ الحفظ سابح حتى
توقد الشفق فقاب الاسود وقارب لن يسود لولا عجب رداه ورد

وجهه عن الطريق فاداه فوقع اذا سف وتكدر اذ شف واتصل بالخدمه
الا فضليه فغمط به فضلها وقبض بسببه طلها ثم لم يحمد احد له ولا السلطانه
فعلا ولا عدله ولا للافضل فضلا وجلس للناس وقد لبس ردا الكبريا
وسلب حمقه وقاد الكبرا فاحرج الصدور عليه وعلى ملكه واحوج
المقدور بما لديه الى اهلكه فمرقت الخواطر عليه غيظا وابرقت الضماير
لعبرد القلوب تيظا فاودع النفوس ودايع الحنق واترع له الدهر
العبوس مشارع الرنق وخرج من دمشق في صناديق المطبخ مختبيا
حين اخرج الافضل منها وكان سقص الفاضل والعماد وساير الكتاب
ويحط قدر الافاضل ويسخر بالناس ويوقف في قضا الحوايج
وكان ملكه على جفا اهله وقطع ذوي رحمه ويبعد بينه وبين اقاربه فلهذا
مُقت وغض طرفه وبهت وفيه يقول الشهاب فتيان

متى ارى وزيركم وماله من وزر
يقلعه الله فذا اوان قلع الجزري

وفيه يقول ابن عنين

كان قفا الوزير عروض شعرٍ يقطع بالبسيط وبالمديد
فذاك لا يزال النعل فيه كمنزل احمد بن ابي الحديد

وكان كاتباً مطلعاً متدربا بالعلوم مضطلعا الا انه كان متكلفا
متطبعا ومتحرفا متصنعا وكان يتعاطى اكثر مما يستحق وله تصانيف
منها المثل السائر والوشي المرقوم والمعاني المبتدعه وامثلها المثل
السائر وقد عمل عليه موفق الدين ابن ابي الحديد كتابا سماه الفلك الداير
على المثل السائر وعمل اخر كتابا على كتاب ابن ابي الحديد سماه القطع الداير
على الفلك الداير وكلام هذا الرجل اعني الضيا وان كان محكم الصنعه
ناظرا الى دقايق المعاني فانه في غايه التكلف لاعتماده على معاني الناس

واكثاه من الحل والاقتباس وقد في كتابه المسمى بالوشي المرقوم على هذا
وعليه كانت طريقته في كلامه ونحاه في قوله ولا يكاد يسمع له من النظم
الا ما قل مولده يوم الخميس العشرين من شعبان سنة ثمان وخمسين
وخمسمائة بالجزيرة ومن نثره قوله في وصف كرم
فلان يغار من جود غيره اذا جاد ويرى الافضلية في المكارم الا في
وحده الانفراد فقد بتك الذي يجب محبه الله في وده ولا يتعدى
التجمل فيها الثقة بعهده ولو اعطينا الرشد لما كنا نأسى على ما اختلف على
تغيير المسا والصباح وكان لما انزلناه من السما فاختلط به نبات
الارض فاصبح هشيما تذروه الرياح ومنه قوله
في وصف البلاغة اذا انزل من السما فكري ماء سالت اوديه بقدرها
واهتزت رياض بزهرها وليست الاوديه الا خواطر الافهام
ولا الرياض الا وشايع الاقلام ومنه قوله
وفي الابا عوض عن الابنا وفي الاس خلف لما يستهدم من شرفات
البنا وقد قيل ان في سلامة الجملة هدر للسبب واذا سلمت مطلع البدر
فاهون بالانجم اذا انكدرت للمغيب وما دام ذلك المعدن باق فالقضب
كثيرة وان اودى منها قضيب قلت لو قال الدوح او الاصل
او ما شبه ذلك كان انسب من قوله المعدن واكثر ملايمة مع قوله قضيب
ومنه قوله وفلان قد خبر الدهر في حلب افاويقه
ونقض مواثيقه فهو لا يرد المآل الا بما ولا يستدي في مسرى ارض الا
بنجوم سما ومن شانه ان يرد الامور برايه ولا يبعث فيها رائدا واذا قيل
ان فلانا ذو كيد قال من الكيد لن لا يدعي كابدا ومنه قوله
لعتونا وقد اشرعوا الاسنه التي شاركتهم في الاسما واذا اوردت ارويتم
من غليل الحقد كما يتروى من شرب الدما لكن زادها عن الورد

ما هو اصلب منها عودا في يد من هو امضى منهم حدا واسعد جدودا واذا
لاقت الريح اعصارا زالت عن طريقه وضاق درعها لمضيقه ۝ ومنه
قوله رايت اجمة ولا ليث يحمي تلك الاجم بل رايت بيض
عقاب تحضنه رخم وليس المشار اليه الا نايبا في صوره يقظان وهو
كزيد وعمرو اذ تجري عليهم الافعال وهما لا يشعران ۝ ومنه
قوله وفلان قد جعل الراي دبر اذنه ووضع حقير
السيف بلقا حفنه ولم يعرج على لو فيقول اليوم خمر وغدا امر ولا
يصغي للمسير فياخذ بقول زيد ولا عمرو فهو مطل على مغيبات الامور
غير غافل تمام الاعقاب اذا امتت له الصدور ۝ ومنه
قوله الغنا يخف بكثير من الاوزان والنظر في هذا
الى الاثر لا الى العيان ولا عجب ان يوزن الواحد بجميع الورى
ولهذا قيل كل الصيد في جوف الفرا ومنه قوله
كم في الارض من شمس تخجل لها شمس السما ويتضال اليها تضال الاما
ويعلم ان ليس لها من محاسنها الا المشاركة في الاسما فلربما طلعت
في الليل فقال الناس هل يستوي بياض النهار وسواد الظلما
ولا عجب للعيون اذا رايتها ان تظن ذلك في احلام النوم او تخيل لما
ان يوشع في النوم ومنه قوله ولقد رايته فرايت الدهر
العالم في واحد وعلمت ان الدهر للناس ناقد وما اقول الا ان الله
رد به الافاضل في ما عاد ثم وضعه موضع فذلك من جمله الاعداد في الاعتداد
لكن كان ذنبي خطا فقد جاءت معذرتي عمدا ولا عتو بعد الاعتذار
ولو كان الذنب شيئا ادا والمقدرة لا تسيغ لكريم ان يمضي غيظا او يطيع
حقدا ومنه قوله الاحوال شبيهة بالابدان في عوارض
سقمها وكل داء من ادوايها له علاج الا ما كان من سانها وهرمها

وقد قيل ان الطب هو معالجه الاضداد بالاضداد ولهذا لا يطب مرض الامال
الا بجود الاجواد وفي شهود الجنايه من الاشراف طلم للسادات لا تعلله
النفوس من طلمها ولربما كلم السواد بدًا تذهب فخر رتبتها بالم كلمها ولهذا هانت
جنايه بني عبد المدان وضرب بها المثل في شرف المكان والناس في
المنازل اطوار فمنهم انجاد ومنهم اغوار ۝ ومنه قوله
بازيّ اشهب تخر السوابق بانها له سميه وترمي الطير في جو السما وهي له
رميه كانما يجلوا القذي عن عقيسن ويظل من توحشه وايناسه من خلقتين
ومن ادنى صفاته ان يقال هذا اخلق من الرياح في صوره ذي منسر وجناح
وقد لقب بالبازي لكثره وثوبه وما غدا لمطلب صيد ففاته شي من مطلوبه
ولقد تكاثرت قلوب الطير لديه في كل حال حتى شبه رطبها ويابسها
بالعناب والحشف البال ومنه قوله في المطر
والنخل بها خيط السما حتى استوى ري بطونها للظما والظماء ولكنه للريح
التي جنته بما حيا ولم يكن مسك طله معتصرًا الامن كافور الصبا ۝
ومنه قوله ولقد سنوا دروع الحديد على مثلها ولولا اتقا
البغي لراوا حمل العار في حملها فاذا اصابحتها اسنه الخرصان رايت
اشخاص الكواكب في غدران ومنه قوله في لثام
اصلح الافساد ورد البلاد وقد استدابت نقادها واستحيلت وهادها
ووردت وعولها بحث ردا اسادها ومنه قوله
فعلم ذلك جمل لا يريع منه عنف الملامه وذا لا يكفي في تقليل دمه الفصل
للجاحم بل الدلمن وضع السيف فيه موضع العصا ومن عمي الضلاله ملالا
يبصر الا بسفك الدم ومنه ما يبصر بتسبيح الحصا ومنه قوله
وكم لطيف الخال من يد بيد لها وصاحبه لمنعها ولطالما سمح برويه
عين لا يراها ونجوي حديث لا يسمعها فياله من باطل اشبه في سراه حقا

واوهم القلب انه داواه وما داوي والعليل انه اشفاه وما اشفي ۝ ومنه
قوله قليل الاحتفال بالخطوب المختلفه واذا انتقلت
احوال الزمان كانت حاله غير منتقله فعله يطل على افكاره ويري الامر
الخفي من طرف لسانه ولا تبلغ الانجاد والاغوار مدي انجاده واغواره
بنو اليقظ الذي هجع النجم وهو لا يهجع والماضي الذي يخرع السيف
وهو لا يخرع والمعا في المضروب له المثل بانه لا يخدع ۝ ومنه
قوله ريعان العمر تشترك فيه نضره الاجسام
والهمم ولهذا كان شباب العلي في الشباب وهرمها في الهرم
وما اسانها في اللفظ الا لتشابهها في المعني وكلاهما ذو رونق في
حسنه اذا اجتمعا زادا حسنا وما اقول الا ان بين سواد الشعر
والسودد غراسا كما ان بينهما في التسميه جناسا ومنه قوله
من كل بطل يزحم غوارب الاهوال بغاربه ويلقي وجوهها الكريهه
بجانبه ولطالما كانحها في الحرب حتى نقضت وقايعها غبارا على ذوايبه
نم تقدم فيها اقدام من ليس له اجل ولا اري لهذا الاسل حسنا لا يخلي
من الاسل ومنه قوله تناثلت فرايد عقودها وثغورها
فلا تدري انظمت حليه نحرها في تبسمها ام حليه مبسمها في نحرها
فلو انتثرت تلك الفرايد في الليل البهيم لا لتقطت حبات العقد
الشتيت في ضو العقد النظيم ومنه قوله اذا نظر الخادم
لاحسبه المقتني من خدمه الديوان العزيز لم يحتج الى ازليه مجد
تقدم ولا الى فضيله سعي كريم فالحظوظ مقتسمه في تلك الابواب
بلثم التراب ولو عقلت النجوم كما يزعم قوم لنزلت اليها خاضعه
الرقاب وقالت هذا انت اولي بالمكان السما الذي منه مطلع الانوار
ونشو السحاب ومنه قوله في رويس علقت على قلعه ولم يكن

بنارها الا بعد ان هدمت نفس الاعناق وكانما اصيبت بجنون فعلقت عليها
انفتلي مكان التمايم او سيبت بعطل فعلقت مكان الاطواق ○ ومنه
قوله لم تكسه المعركه نسج غبارها حتى كسته الجنه
نسج شعارها فبدل ثوب احمر باخضر وكاس حمامه بكاس كوثر
ومنه قوله في وصف الحيا الحيا لباس تقي وجه الكرم
نوقايه وهو له كالحا الذي تبقي العود ببقايه ومنه قوله
لو اردت دوام الدهر على حال واحده مادام والباسا والضرا خيالا
احلام فما ينبغي لك ان توليه حمدا ولا ذما فانك تستفيد منه بدا ولا يدا
ولا تشكو منه ظلما ولا اظلما ومنه قوله ولين صرت
فلان العجز الجزع لا يفيد رد الفايت ولقد علمت ان للمصاب اجرا
ولكنه لا يفي بشماته الشامت ومنه قوله مررنا عليهم مرور
الاتجال وامتناهم وهم رجال بلا ارض وتركناهم وهم ارض بلا رجال
ولقد مشت المنايا في دمايهم حتى ظلت حسرى وشبع السيف منهم
حتى تنفز بطنه وشرب الرمح حتى تاود سكرا ولم يبق للاسلام في عنقه
غل الاشفاه ولا عنده دين الا استوفاه ومنه قوله
في الحرب اذا ايتمت السيوف من الاغماد فقد ايتم الاولاد من الاباء واثكل الابا
الاولاد فلا يرى ادعم نقع الا وهو ببياضها ابلق ولا احمر دم الا بحده هو
مهرق فهو مصارع النفوس ومطالع السعود والنحوس والنار التي
عبدت من قبل المجوس ومنه قوله لا يكون الكريم كريما
حتى يكون لنفسه غريما فان العطايا حقوق واجبه على اقوام واذا لم
يجد الغمام بمايه فاي فايده في كثره ما الغمام ومنه قوله
توالى عنه رسل النجاح ووكلت به عزمه اوقفته على رجل وانهضته
بجناح ومنعه من الاتيان على عجل ان التقا على مهل ومنه قوله

هونت

هونت نفسي حتى صرت اصرفها كما اشتهي وانهاها وامرها فتاتمر وتنتهي
ومن صفاتها انها لا تلتفت من غيرها بزاجر وقد استوت حالتاها في باطن
من الامر وظاهر ومنه قوله جمع المال فقرا لا غنى وهو
كشجر لا ظل لها ولا جنا وصاحبه لا يستفيد به الا ذما ولا يستزيد بالسعي
له الا هما واليسار على هذه الحال هو عين الاتلاف والذهب والحجر سوا
اذا لم تصرف فيه يد الانفاق وفضيله المال في الاعراض كما ان فضيله
الزاد في الاجساد وعلا همتي واحدث الوقوف على درجه الاقتصاد
ومنه قوله وصنايع المعروف تورث من الثنا خلودا
وتكون لغير ذوي الجدود جدودا ابتني العليا بما يفني ولا يبقي وترقى بصاحبها
في امثال النجم وهو لا يرقى والسعيد من جعل ماله نهبا للمعالي لا لليالي
وعرضه للماثر لا للذخاير ومن نال الدنيا فاشترى اخرته ببعضها واقرض
الله من مواهبه التي دعاه اليها فرضها فذلك الذي فاز بالدارين وحظي
فيها برفع المنازل ومنه قوله سارية تمشي لثقلها مشي
الرداح ويكاد يلمسها من قام بالراح وما نتجت نتاجا الا اسرت في ضمنه
حملا اقاح ولا اظلمت الا اضا البرق في جوانبها فتمثلت ليلا في صباح
فهي مسوده مبيضه الاياد مقيمه وهي من الغواد توامه على طول سهرها
بالوهاد فكم في قطرها من ديباجه لم تصنع افوافها ولولو لم تشق عنها
اصدافها ومسك لم تخالط سرر الغزلان اعرافها فما مرت بارض الا
احيتها بعد مماتها ووسمتها باحسن سماتها وغادرت غدرانها فايضه
من جماتها وشملها النبت مطيف بها بالاقمار المتعلقه باوديه طلها
ومنه قوله فلان قد كشف عن مقاتله وعرض بجهه
الاذله نفسه على قاتله ومنه قوله وقلبه هو براع نفث
النصايح في روعه وكنت الشجاعه بين ضلوعه فاذا قال ادراك

نسق الفريد في الاجياد واذا صال اراك كيف اختلاف الرماح بين الاساد
طوراً تري نخلة تجني عسلا او شمعة تملي نبلا وطوراً تري اماما يلقي دروساً
وآونة تنقلب ماسطة تجلو عروساً ومن تري ورقا تصدح في الاوراق
واخري تري جواداً مخلقاً بخلوق السباق وربما تكون افعوانا مطرقا
والعجب انه لا يرى الا عند الاطراق ولطالما نفث سحرا وحطب عطرا
وادار في القرطاس خمرا وتصرف في وجوه الغنا فكان في الفتح
عمرو في الندى عمارا وفي الكيد عمرا فلا عجب ان اعطى به دولة الاجدر علي
الدول وقالت اعلى الممالك ما بني على الاقلام لا على الاسل والقلم مزمار
المعاني كما ان اخاه في النسب مزمار الاغاني وكلاهما ناي واحد
في الاطراب غير ان احدهما يلعب بالاسماع والاخر يلعب بالالباب
ومنه قولـــه وقلمه هو الذي اذا قذف بشهب بنانه رايت نجوما
واذا ضرب بشباته رايت كلوما واذا صور المعاني في الفاظ رايت
ارواحاً وجسوماً ولطالما قال فيا سيحف موقراً وكسا وقاراً واطال
فوجدت لطالته بحلاوته اقصارا فهو يولد المعاني المخترعة يستخرجها
من قلبها ويبرزها في ثوبها القشيب ويلبس خلق الاثواب فتشبهها
بجني معانيه من ثمرات مختلفة طعمها وينسج الفاظه من ديباج مؤتلفة رقتها
ومنه قولـــه يا ذم كاتب لا يمشي قلمه في قرطاس له
الا ضل عن النهج ولا يصوغ لفظا الا نثيل ربحدث من الغم كحدث
من الفرج ولكن ما كلمني تناول قلما كتب ولا كلمني رقا منبر الخطب
والدعاوي في هذا المقام كثير ولكن ليس الغنا كغيرها من القضب
ومنه قولـــه وكان بين يدي شمعة تم مجلسي بلا ايناس
وتغنيني بوحدتها عن كثرة الجلاس وتنطق لسان حالها انا احمد
عاقبة من مجالسه الناس فلا الاسرار عندها ملفوظة ولا السقطات

لديها محفوظة وكانت الريح تتلعب بلهبها وتختلف على شعبه لشعبها وطوراً
تقمه فتصير انمله وطوراً تميله فيصير سلسله وتارة تجوفه فيصير مدهنه
وتارة تجعله ذا ورقات فيتمثل سوسنه ومرة تسرع فينبسط منديلا
ومرة تلفه على راسها فيستدير اكليلا ولقد تاملتها فوجدت نسبتها
الي العنصر العسلي وقدها قد العسال وبها يضرب المثل للحليم
غير ان لسانها لسان الجهال ومذهبها مذهب الهنود في احراق
نفسها بالنار وهي شبيه بالعاشق في انهمال الدمع واستمرار
السهر وشدة الاصفرار ومنه قولـــه ولقد عدا
السحاب طوره اذا هطل في بلده هو بها مقيم لكن عذره انه اتى متعلما
وتدرجت العادة بافادة التعليم وما اقول انه يقابل ذاك الوجه الندي
الا بوجه قل ماؤه ولولا سحبا من رحق الحيا لما هطلت سماؤه والي
نقاس فيض كرم السحاب بفيض كرمه او ديمه الدايمة باقلاع ديمه
ومنه قولـــه اذا رفعت الخطوب اعناقها لقيها
من رايه بسعد الذابح وان بقي ليلها عشية من عزمه بالسماك
الرامح فهو يسفك دماها ويجلو ظلماها والمداري وقد احفلت
عن طريقه فرجعت عن حرب عدوه في سلم صديقه ٥ ومنه
قولـــه في الياس والطمع ان نظر ليا الياس والطمع
وجدا سوآ في جدوي الاعطا ولا فرق بينهما الا في روح التعجيل
وكرف الابطا ومن هاهنا نجعل الياس غني والطمع فقراً واوسع
صاحب هذا ذما وصاحب هذا شكرا ومنه قولـــه
اذا فاز المرء من اليقين بحظه ولحظ الدنيا بقلبه لا بلحظه علم ان
عطاياها عارية مردوده وانها وان طالت مدة وجودها فانها مفقوده
وما ينبغي له حينيذ ان يسر بالشي المعار وينقل له من دار المتاع الي

دار القرار ومنه قوله وكانت الدنيا به مسرورة فطوي
عنها لباس السرور وكانت الزلفى له بحياته فانتقلت الزلفى الى اهل
القبور وما اقول انه كان للارض الا بمنزلة الارواح من الاجساد
ولا شك ان السما حسدتها على الاختصاص به مما اعتادت من حسد
الحساد بما اذا مدحه المادح وقد اسلمه العيان الى الخبر وان قيل
لولا النبي لم يخلق شمس ولا قمر قلت ولولا موته لم يخسف شمس ولا قمر
ومنه قوله وكيف يظلم ذاك اللحد وبه من اعمال ساكنه
انوار ام كيف يجدب وبه من كف فيضه سحاب مدرار ام كيف يوحش
والملئكة داخله عليه بشرى عاقبة الدار ام كيف يخفيه طول العهد
على زواره وطيب ترابه هادٍ للزوار ما اسفي كيف اطا على الارض وهو
في بطنها ملحود ام كيف ترعى نجوم السما وما هو بينها موجود ام كيف اعد
اسما البحار وليس في جملتها معدود ام كيف احمد من بعده عيشا ولم يكن
العيش الا به محمودا ومنه قوله العفو عن المذنب عقوبة
لعرضه وان نجا بسلامة نفسه وحياته هي التي تلبسه من غضاضتها
ما لم يبلغه العقاب بلبسه وقد قيل ان الرفق بالجاني عتاب والاحسان
اليه متاب ولا شك ان بسطة القدرة تذهب بالحفيظة وتزيل وجد
الصدور المغيظة وشيم المولى تحب ان يكون رضاها شفيعا الى
غضبها وان نبضت منه بادرة سهم ردتها شيمة التغمد على عقبها
ولا شافع اليها الا وسيلة كرمها ولا ذمة عندها الا الاستذمام
بحرمها ومنه قوله اذا ادعت له الاوصاف رتبة فضل
شهد شاهد من اهلها وكفته وراثتها عن ابائه ان يشارك
الغدا في فضلها واحق الناس بالمعالي من كان فيها عريقا
ولا يكون المرء خليقا بها الا اذا كان ابوه بها خليقا واذا زكت

اصول

اصول الشجر زكت فروعه ولا يعذب مذاق الما الا اذا طاب ينبوعه
ومنه قوله واكرم بيديه التي تسمح بدبه القليل وري
الكثير من عطاياها بعيث القليل وما كل شا استمرق فيه سحابا لسماح
وقد يحجم عنه من يقدم في مكروه الصفاح على انه قد قيل ان بين السمتين
اخا فالسماح فالسخا يكون بخلة والبخل يكون سخا ومصداق هذا القول
اجتماعها لليد الكريمة التي الفت انجاح الوعد واخلاف الوعيد وضمنت
ارزاق الناس وارزاق الحديد وقالت في الندي هل من صادٍ وفي
الوغى هل من مزيد فالساري اليها ابوابها لا يصل اليه في نهج السرى
وهو مهتد منها على قبس القراع او قبس القرى ومنه قوله
في وصف هلاح له في العربية حسب اصلها وفي العجمية نسب جهلها
فهو من بينها مستنتج لا ينسب الى الضبيب ولا الى اعوج شديد الجملة
شديد الجملة لا يشان بالعلو ولا يتعب راكبه بفرط الغلو اثبت من
الصافنات صبرا واوطا ظهرا واطوع للتصريف واسلم في الهيكل
والوطيف رحب اللبان عريض البطان سلس العنان طوع الكر
والصولجان فقد استوت حالتاه بادنا ومضطمرا فاذا اقبل خلته
مرتفعا واذا ادبر خلته منحدرا كانه دمية محراب او دون هضاب فهو
مخلوق خلوق المضمار ويدم الشريب والصولد بناصيه شمايله وغرر سابله
كنوار في شقيق ولولو في عقيق تثنى عليه بافعاله الا بعجم رخاله واذا
كان الكرم في كل جنس فهو كرم جنسه واذا كانت العراب بانسابها
ابنا امهاتها فهو ابن يومه لا ابن امسه كانما التي لجامه على سالفة عقاب
او شد حزامه على بارقة سحاب ومنه قوله في الخيل
والسير والمادح نزلنا للاستراحة وان الحجر قد اخذ في الاستغلال
وقذف بالدرك الاسفل من النار والحر بنا قد نجا في اظل المقيل وسمح بنفقه

عين الشمس وهو يا عين الخيل لم يكن الا مقدار وضع الرجل من الركاب
ومصالحة الجنب لصفحة التراب حتى قيل قد نجت عصابة من اهل العبث
تشدي في ضرابها وتجنب نفعها من وراءها وقد فرطت اجيادها بابا عنتها
وطاولت هواديها باسنتها فعدت حينيذ جرة من الخيل تدرك ما كانت له
طالبة وتفوت ما كانت منه هاربة لا تمل من موالات الدووب وهي عند
النزول كمتنها عند الركوب فلما استويت على ظهرها عقدت مع الريح عقد
الرهان وعرضت عليها حكم الشقرا والميدان ثم قلت ان استشعرت
مسابقتي فقد جيت شيئا فريا وتلوت قوله تعالى ورفعنا بعضهم فوق بعض
درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا وما كان الا هنيهة حتى احال الركب
للرواح عند الاظهار واستسلفت المدى بالتقريب قبل الاحضار وحب
القران فلقيته منها بصدر يطارد الامواج مطاردة المحاج وعين لا
يروعها هبوات الما كما لا يروعها هبوات العجاج فتلك نرى التي اعدها
لكل مخوفة وهي حوت في كل معبر وظليم في كل تنوفة ومنه قوله
في الناقة والفرس سرت وتحتي بنت فقعو لا تذهب السري بجمامها جهلا
ولا تستزيد الحادي من مراحها فهي طموح باثنا الزمام واذا سارت بين
الاكام قيل هذه اكمة من الاكام ولم تسم حسنا الا انها تقطع عرض الفلا
كما يقطع الجسر عرض الما ولا سميت حرفا الا انها جاءت لمعنى في العدايم
لا لمعنى في الافعال والاسما وخلفها جنيب من الخيل يقبل بجدع ويدبر بصحح
وينظر من عين مجحظة ويسمع باذن حشرة ويجري مع الريح الزعزع فيذرها
وقد ظهر فيها اثر الفتح وما قيد خلفها الا وهو يهتدي بها في المسالك
المضلة ويطا على اثارها فيرثم وجه البدر باشكال الاهلة هذا والليل
قد التقى جوانبه فلم يبرح والكواكب قد ركدت فيه فلم تسبح وانما اود لو زاد
طوله ولم تظهر عن ادهمه ولا حجوله فقد قيل انه ادني للمبعد واكتم للاسرار

ودل عليه القول النبوي بان الارض تطوى بينما لا تطوى في النهار وما
زلت اسير مرتديا بثوبه حتى يكاد ان ينضولون السواد وظهر ذنب السرحان
فاغار على سرح السما كما يغير السرحان على النقاد فعند ذلك نهلت
العين من الكرى نهلة الطاير ولم يكن ذلك على ظهر الارض المطمينة وانما
كان على ظهر السابر ومنه قوله في الخاطر الخاطر
كالضرع ان حلبته طف وان تركته جف ومنه قوله لا ريب
في ان لحاظ النواظر كمتون البواتر وانما اشتركت جفونها في الاسماء
لاشتراكها في سفك الدما ومنه قوله في الحكمة عقل المرء من
حول ماله وماله من حول صبره فاذا افتقر فيه ذهبت بعقله واذا
صبرت نفسه ذهبت بفقره ومنه قوله فروا وقد علموا
ان العار مقرون بالفرار لكنهم راوا كلمة الاعراض اهون من كلمة الاعمار
وتلك نفس خدعت بالحياة الذليلة التي الموت الذ منها طعما وليس الموت
الا في ان تلاقي النفس ذلا او تفارق جسما ولربما يسلي المهزوم بقول
القايل ان الاسد يغلبها الاسود وان الحرب ليست بمضا العزايم وانما
هي بمضا الجدود وهذا القول مسلاة كاذبه لم مكذوبه ولولا العزم لم ترحصون
ممتنعة ولا جموع محروبة وبالجد يدرك الجد ولولا القدح لم ينفث الزند ولما جي
باسري القوم مننا عليهم باطلاق السراح وقابلت عنهم شيم الصفح
اذ لم نقابل عنهم بسيم الصفاح وحميد الاباء لا يقتل من لم يحو مكر الطراد ولا حمية
صهوات الجياد واي فرق بين الاسير في عدم الدفاع وبين اشباهه
من ذوات القناع ومنه قوله وما زال يزعج ديار الكفر
بغزواته حتى لم تهن حامله بايتامها ولا متعت عينها بلذة منامها فاقسم القرور
مهما من بنايهم منسوج بغاية المقربات الجياد ولذيذ النوم بارضهم
مسلوب بايقاظ جفون البيض الحداد ومنه قوله في ملح اذا ارتحل

انشه المعاني غير مكرهة ولا محرجه وابرزها كوامل الصور غير مخدجه
وان تروي بها فتت على توقد خاطره تهافت الفراش وجاءته سوانح وبوارح
حتى تقول تكاثرت الظبا على خراش ومنه قوله
في تكذيب اهل النجوم ولقد اوهم اهل التنجيم بالتسيير والتقويم والحكم
على افعال العليم الحكيم فاخبروا عن النجوم في سعودها ونحوسها
بما تخفى من نفوسها وقضوا في ترتيب ابراجها واختلاف مزاجها وحكموا
على حوادث العمر من حال وجود الى عدمه في سعادته وشقاوته وصحته
وسقمه واشباه ذلك من الزخارف التي نصبوها حبايل للاكتساب
على غير ذوي الالباب وكلها اضغاث احلام واوضاع لا تحرج
عن خط الاقلام ومنه قوله ولم ابك الا عصر الشباب
الذي هو في الاعمار بمنزلة الربيع من الاعوام وما كنت اعرف كنه امره
حتى مضى فرحلت معه الحياة بسلام فالايام فيه غوافل والسنون
لقرب عهدها مراحل ولم اقض وطرا الا حلفت اندي منه مرتعا
واحسن مرأى ومسمعا ايام لا اعاتر حتى الامل ولا ورده الاخذا
ولا نقلا الا نقا ولكانا لست تراحلف الابا لعتود وهيفها والجفون وطرفها
وليالي الذوايب وشدها ووجوه الاقمار التي لا تشاب بكلفها ولا يرى في
غرر الشهور ولا في منتصفها فاصبحت قد بدلت غرب الاحوال
بالفها وعوضت من نضر الاوراق بيبس خريفها فولى الصبا الان بسلام
ولو عدنيها الدمع السجام ومنه قوله في من قصر وليفس
تفاح الخدود فلست من يقبله غرا ولا من عضه الله عفرا وقد ينطق
المرء بما يكون فيه لسانه آثما وفعاله برا ولولا حكم الفصاحة لما ذكرت
بانه ولا علم ولا اوقف المتغزل باقواله موقف التهم ومنه قوله
لما عود الطير من جزر اعدايه تبعه اسرابا واستسقى سحابها ما تحته من

سحاب

سحاب خيله فاستسقى سحاب سحابا ولقد مرت عليه الشمس فصعقت
ان تحرق جناحا او تحمي نحرها سلاحا فلم يلق بين الريش فرجة تنشر فيها
دراهمها ولربما حاسبها النظر اذا اهرقت نوادمها ومنه قوله
في الاستعطاف المولى اذا لين له غلب على امره وازيلت مغيظ صدره
وهذه طبقتان من البعيد الذي ليسه الحمد ولا لمت اليه بحرمه فيا للطف
بالقريب الذي فاز لمزيه الشركة في عرقه وفضل الجوار لاحق ارحب
من حقه فكيف بني المولي عاده كرمه ووضع وجوه قومه تحت قدمه
وجعلهم حصايد سيفه وقلمه وحاشاه ان يقطع رحما اوصاه الله بوصلها
ويعضد شجرة اصلها الكرام من اصلها ويزعم بانهم اخرجوا عن معهود
خلايقه وبدلوا انوا غيوثه بمخيله صواعقه ولكنهم سفعوا للذنب بالاعتذار اد
وعلموا ان خيط ارسيتهم لا يوتر في كدر البحار وقد قدر المولي والمعتزيه
تصغر كبار الذنوب وتذهب ترات القلوب فان نقم منهم انهم جمعوا قله
الاداب الى ادلال ذوي الانساب فتلك سنه سنها حلمه وجبلهم
عليها حلمه وما تحدث الناس ان الكريم عاد عن عباد اعضايه ورجع في
حكم قضايه واول راض سيره من يسيرها فليسبل المولي عليهم ستر
فضله وينجز اسباه فعلهم باحسان فعله وليا خذ باذن الله واداب
رسله في الاعراض عن الجاهل وجهله ويعلم ان قوم المرء كنانته
التي بها يناضل وذروته التي بها يطاول واذا لم يكن ما يرب من اداينه
ومنه اقاصيه ولابد للانسان من طاعة ومعصية ومن احاط اطاعته
تغفر معاصيه ان الحسنات يذهبن السيات وبعد فاذا شا المولي
ان يقتل حرا فليعف عن زلله فان اصابه غرضه اشد من اصابه
مقتله ومنه قوله سليب المدايح ابهج حسنا من
الغصون المكسوة باوراقها والحمايم المتحليه باطواقها فهو عار من اللباس

مكسو من المحامد التي صاحبها هو الكاس ومنه قوله في دم الود
المكلف خير الود ما عطف عليك اختيارا لا ما اعدته بالعتاب اقتسارا
فان شيمه التبرع كحسن التادب غير مجلوب والالحاح في الطلب
اتعاب لوجه المطلوب الا ان خير الود ود تطوعت به النفس
لا ود اتى وهو متعب ومنه قوله والشيب يعيد جده
الشباب وهي اخلاق وهو على كراهة لقايه مكروه الفراق فواها
لنزوله واها لرحيله وسحقا له بديلا من الشباب وسحقا لبديله
ومنه قوله في العوامل ارله في حظوظ المساعي من قسم
كانه فيها واذا عمرو او الف سم فهو لا يزال منكرا غير معروف فاما زايد
لا حاجه اليه واما محذوف ومنه قوله السر امانة لا تباع
ووديعه لا تضاع فالعين بكاتم القلب فيها ما ينقص والقلب بكاتم
اللسان ما يضمر واذا حوفظ على السير هذه المحافظة فقد القي في مهولها
لا يرام اطلاعها وينط بصخره اعيى الرجال على كثره المحاوله انصداعها
ومنه قوله في قتال قوم كانوا بالجبل ثم نزلوا فهزموا
وبعد فان العساكر ركبت لا امر يتباد موقف الحرب واختيار المصعد
السهل في الجبل الصعب ليكون على بصيره من امورها ولتاتي البيوت
من ابوابها لا من ظهورها فانبسطت كتايبها في كل منخفض ومتحدر
ومتزلزل ومستقر فخيل نفخ الشيطان في انفه وساقه سيلا
حتفه فبرز لمن قبله من الجنود ونزل عن تلك الاوعال ليلا مصطحبه
الاسود وكان حزن الحطب في احزانه ربنا عد منا له في تباعد
مكانه فلما استهل استهل النصر بطلبه وامكن يده من سلبه لا جرم انهم
ردوا على الاعقاب ونسفوا نسف الريح السحاب فلم يكن لهم سلاح
اوقى من الفرار ولا عاصم الا الجبل الذي عصم من طوفان السيف وما

عصم

عصم من طوفان العار ومنه قوله وثار بين ايدينا سرب
ظبا مدرب على القنص ومقانصه عارف بغوايله ومخالصه وقد طرق
مكانه حتى لم يبق مرتعه ومشرعه ولا امن نبو مصرعه ولبس منه
ما يمتنع برويه اشباهه من الفرقدين ولم يبس الحجبجبه بالفه الذي خر
لفمه واليدين فلما احس بنا طار خيفه حتفه وكاد ان يخلف ظله من خلفه
فارسلنا عليه سلس الضريبه ميمون النقيبه متنسبا الى الخبيث من الفهود
وغيبه كانما ينظر من جمر ويسمع من صخر وبطامن كل برثن على شفق
وله اهاب قد حيك من صدين بياض وسواد وصور على اشكال العيون
فتطلعت اليا انتزاع الارواح من الاجساد وهو يبلغ المدى الاقصى
في اذى وثباته ويسبق الفريسه فلا يفتقدها الا عند التفاته وقد علمت
الظبا ان حبايلها في حبل ذراعه وان نفوسها مخبوه بين اضلاعه
فلم يكن الا نبضه عرق او ومضه برق حتى ادرك عقيلة من تلك
العقايل فاناخ عليها بكلكله ووقف بازايها ينتظر وصول مرسله
ومنه قوله والتاريخ معاد معنوي يعيد الاعصار وقد
سلفت وينشر اهلها وقد ذهبت اثارهم وعفت به ويستفيد عقول
التجارب من كان غرا ويلقى ادم ومن بعده من الامم وهلم جرا وهم لديه
احيا وقد تضمنتهم بطون القبور وعنه غيب وقد جعلتهم الاخبار
في عده الحضور ولولا التاريخ لجهلت الانساب ولم يعلم الانسان
ان اصله من تراب وكذلك لولا لماتت الدول بموت زعمايها وعمي
عن الاواخر حال قدمايها ولم تحط علما بما تداولته في الارض من حوادث
سمايها ولمكان العنايه اليه لم يخل منه كتاب من كتب الله المنزله فمنها ما اتى
باخبار المجمله ومنها ما اتى باخباره المفصله وقد ورد في التوريه في سفر
من اسفارها وتضمن تفصيل احوال الامم السالفه ومدد اعمارها

وقد كانت العرب على جمعها بالقلم وحفظه والكتاب وضبطه تصرف إلى
التواريخ جُلّ دواعيها وتجعل له أوفر حظ من مساعيها فيستغني بحفظ قلوبها
عن حفظ مكتوبها وتعتاض برقم صدورها عن رقم مسطورها كل ذلك
عناية منهم بأخبار أوايلها وإبانة فضايلها وهل الإنسان إلا ما أسسه
ذكره وبناه وهل البقا بصورته وجسمه ودمه لولا بقا معناه ۝ ومنه
قوله الخادم يعود المولى من شكاة جسمه والناس
يعودون الخادم من شكاة همه وإذا مرض المولى المنعم سرى مرضه
إلى عبيده وخدمه فهم مشاركوه في ألم مرضه وإن خالفوه في صورة ألمه
وقد تمرض أرواح المرض أجساد ويشتركان في كل شي حتى في عيادة
العواد ومنه قوله في السير ولقد سرت مسير الأخبار
وأخذت بمطالع الليل والنهار حتى عدمت رفقة ورفيقا وصيرت
للغرب غربا وللشرق شرقا ومنه قوله إذا وقفت بالدار
تسايل أحجارها وتبكي آثارها فإنك لا تبكي التراب بل الأتراب ولا تندب
الآثار الحايلة بل الأحباب الزايلة ولا فايدة في سلامك على الطلل
الذي لا يعي خطابا ولا يرد جوابا فإنما تخاطب أصدا لا يملك إعادة
ولا ابتداء وإذا شغلت نفسك بسوال التراب والجندل فلا فرق
بين سوال من لا يجيب وجواب من لا يسال ومنه قوله
قريب منه ولقد قصد منه كريما لم تزل معاهد أكنافه معمورة من شيمه
مواهبه أن تكون قاصدة قبل أن تكون مقصودة من يساله غير
درجات المعالي فقد قدح في مواهبه وحط من مراتبه أمسك
المال وجعل حادث هلاكه في ضمن إمساكه فلو حلف سايله أن يصافح
السحاب لبر في يمينه لمصافحة يمينه وليس هذا من المجاز الذي يتوسع
في مقاله بل هو من حقيقة القياس الذي حمل على أشباهه وأمثاله

ومنه

ومنه قوله وبأيديهم كل لدن شدته في لينه وتمكن النصر
منوط بتمكينه فما منهم الأمر اعتقل ما يماثله قدا أو يناسبه حدا فإذا مثلت
شكولها وشكولهم قيل صعاد في أيدي صعا وإذا مثل غناوها وغناوهم
قيل أساود في أيدي أساد ومن صفاتها أنها لا تنشد إذا كانت قصايد
ولا تجوز إلا إذا كانت قواصد قد أدبها الثقاف من عهد فطامها
وكانت منابت التراب من شرابها فأصبحت منابت التراب من طعامها
فهذه هي الرماح التي تعلقها أيدي الأبطال وتأوي منها إلى معاقل بذلك
الاعتقال ومنه قوله مننا عليهم من الأسلاب بالبيض
القواطع ليجعلوا حليها أساور في أيدي البيض ذوات البراقع
وحلية السيف لا تحسن إلا بكف يكون به ضاربا لا له حاملا وإذا عطل
في مواقف الجهاد فالأولى له أن يجعل عاطلا فحقنا أن ينشد قول
أبي العتاهية ۝
فصغ ما كنت حليت به سيفك خلخالا فما تصنع بالسيف إذا لم تك قتالا
ومنه قوله ولقد تعقبت الأيام نقضها بإتمامها ونقضها بإبرامها
ونعى ميتها ببشرى حيها ونشرت المكارم التي كانت طويت في
أنس نشرها بوحشة طيها وأصبح عزاء الناس مستدركا بالهنا وعوضوا
عن كنز الغنى بكنز الغناء حتى استرجعت العبرات ما جادت به
من سحاب حزنها واستبدلت ببرد مسرتها من حر أوار حزنها
ومنه قوله في الحلم إذا أحكمت قدرته في الذنوب كان العفو
لها عاتقا وإذا أحب الشفعا أن يشفعوا إليه كان كرمه لهم سابقا
فلا بارقة في بوارقه إلا وهي مغشية بغمامة حلمه ولا بادرة من بوادره إلا وهي
محبوسة في قبضة كظمه وعلى هذا فإن الجاني غير مقتصر لديه إلى إقامة
الأعذار ولا إلى التوبة التي تنتزعه من الإصرار فنوسك إنه تخلق بخلق

الله سبحانه في عموم المغفر ورأي ان لا اثر بقي في صدور المغيظ اذا تولت
اذهابه يد المقدرة ومنه قوله في الخمر سقيت مغارسها بالسرور
بدلا من الماء وجمع لما بين وصفين من تذكير الافعال وتانيث الاسما وما
سحبت في دنها الاالماء عندها من النفار وكانت حمراء اللون فالبسها طول
السجن ثوب الاصفرار وقد شبهت بالنار الموصوفة في تالق صفائها
وبالنار الخليلية في بردها وسلامها واذا نظر اليها وإلى زجاجها اشكل
الامر بينها وبين الزجاج وقيل هذا سراج في كاس ام كاس في سراج
ومنه قوله النفوس توثر الخير تكلفا والشر طبعا وهي
مجبولة على حب الشهوات قلبا ولسانا وبصرا وسمعا لكن للتدريج اثر في تقويم
الاعوجاج واصطناع الياقوت من اجياد الزجاج ولهذا استخرج من اوراق
الشجر وشايع الديباج ومنه قوله في المدح اذا انفضت في
الثنا عليه تنافس النظم والنثر في الاستقلال باوصافه وما منهما الا من فض
ختام طيبه ونشر مطاوي افوانه فما ترى في مدائح مولانا من حسن فليس
لها مخلوقا بل من اوصاف سيدنا مسروقا

اذا القصايد كانت من مدايحهم يومًا فانت لعمري من مدايحها

ومنه قوله المال يكون في خزاين اربابه صامتا واذا خرج
في العطايا صار ناطقا فيا قبحه في ايديهم حبيسًا ويا حسنه عنهم ابقا
ولم يسمع قبله بابق افاد صاحبه حمدا وبنى له مجدا ومنه قوله
في قريب منه جود مولانا قد هون على الناس مشقة الاغتراب واراهم من
نعيم الانعام ما حبب اليهم فراق الاحباب فما منهم الا من كد خطوب الايام
التي اخرجته من دياره ونقلته عما لم يوثر الانتقال منه الى ما لقيه من ابنا
فنال بابه الكريم تقتلي الايام كمثل الجنة تقتلي الحمام فلو علم داخل الجنة
انها تكون له مصيرا لا ستعذب كاس الحمام وان كان مريرا وذلك كما

قال ابن الخياط

لا تشكون زمانا كان حادثه وصرفه بي الى معروفكم سببا

ومنه قوله اذا حكمت سيوفنا في اموال العدى حكمت فيها
وسائل الندى بين طالبه ومطلوبه وسائله ومسلوبه الا انها تاخذ
ما تاخذه اقتسارا وتعطي ما تعطيه اختيارا فلها بسطة الغالب
ومنة الواهب ومنه قوله في شكر منعم اذا تقابلت مدائحي
وسجاياه رايت مراة صقيلة تقابل صورة جميلة فلولا هذه ورونق صقالها
لما مثلت تلك على هيئة جمالها وانا اول من طبع مراة من الكلام وصور
الاخلاق فيها بصور الاجسام ومنه قوله وردت اشارة
سيدنا ان انظم في فلان قصيدا يكون في نظمه فريدا وقد علم ان احرار
الكلام وردت ان لها عن الاحرار وهي كالنفوس الابية في الاستعلاء
والاستكبار فاذا كلفت مدح لئيم صدت بجانبه وذهبت مغاضبة
ولهذا اي كلامي وهو الحربي نسبة الكريم في حسبه ان يدح من عرضه
حراق قادح وفريسة جارح وطعمة هاج لا مادح ولطيمة الطيب لا تلتئم
بالكنيف وصون الشوهاء لا يزين منها التسوير والتشنيف ۞ ومنه
قوله في قلم اخرس وهو فصيح الايراد واصم وهو يسمع
مناجاة الفواد لا ينطق الا اذا قطع لسانه ولا يضحك الا اذا بكت اجفانه
ومنه قوله في تفضيل الاحسان على الثنا الشكر اخف
من الاحسان وزنا وصاحبه يستبدل الذي هو خير بالذي هو ادنى
ولقد ربحت صفقته اذ باع اقوالا وحاز اموالا واعطى كلمات خفافا
واخذ عروضا ثقالا ومن زعم ان شكر الشاكر افضل من موهبة الواهب
فقد اغلى القول فيما ليس بغال واي رتبة السفلى من مكان عال واي
فضل لمن غايته ان يكون محاذيا لا موازيا ومعاملا لا معادلا واذا انصف

علم انه جا اخيرا ولا فرق بينه وبين من اعطي اجره فصار اجيرا وما اري الشكر
الاحديثا يذهب في الرياح لولم تعقده مكارم السماح فلا حاجه مع لسانها الي
الشاكر واذا انطقت الحقايب فقد اغنت بنطقها عن مديح الشاعر ●
ومنه قولـــــه الخادم لا يشكو الاقوام ولكن يشكو الايام
فان المعدي على قدرا لعدوي والمشكو اليه على قدر الشكوي ومما
يشكو منها انها تبادهه ولا تواجهه وتساره ولا تجاهره ولو كان لها شخص
للقيه بعزم مولانا فقارعه او ارهبه باسمه الكريم فوادعه وهي عبيده يحي
وهو المطلوب بجناياتها واداراتها باصلح عناية من جاهه قرنتها بعناياتها
والملوك تطالب مولانا بارش جراحها وتساله عناية تكف من غرب جماحها
ومنه قولـــــه في سوي البياق كم للركاب من يد لو علمتها
لجعلت تراب اخفافها للعيون اثمدا وخطط منازلها للجباه مسجدا فهي الكاملة
اعيا الهم والمكنه من نواصي النعم ومنه قولـــــه جوده بعيد
على الامل غير مفتقر الي العذل واذا احتفل فهو شرط الوقت الذي جلل
للعرفه لا للنهل ومنه قولـــــه في كريم لا يضرب بين ماله حجابا
وبين السايلين واذا عدل على الجود اجاب بقوله تعالى واعرض عن
الجاهلين ومنه قولـــــه في الاقتصاد في طلب الرزق
الانسان يكفيه ان الله يرزقه غير واثق وهو في كل طريق اليه
سالك ولكل باب فيه طارق وكثيرا من ياتيه الرزق وهو عن طلبه
نايم ويتعد عن ابتغايه وهو اليه قايم ولا يصرف الاقدار الا القادر
على خلقها وكم من دابه مرزوقه وهي ضعيفه عن حمل رزقها قلت
ذكرت هذه الكلمة في كتاب كتبه ابن عبد الظاهر عن الملك الظاهر
الي وزيره بان يربع دواب الحرس وكان تداهر بلخصايها لا رعا جهها
له بالتهييق ثم راها فرحمها فامر بذلك والدعا ولا زال يشكو غرب البلاد

وشربها وحملها واورثها ومامن دابه في الارض الا على الله رعلى حسن تدبير
رزقها عدنا الي ابن الاثير ومنه قولـــــه في ذكر الخدمه
لوساغ لولي من اوليا الديوان العزيز ان يمت بولايه او يدل بما ابلاه في
الخدمه من حسن بلايه لكان لسان الخادم في هذا المقام اكرم صدقا
او مكانه منه اشرف حقا لكن ليس لقايم بخدمتها ان يمن بقيامه
كما ليس لمسلم ان يمن باسلامه والخادم وان امسك عن ذكر خدمه
فقد نطقت بها شهود سماتها واصبحت مواقفها في المواقف ابكار ونطق
الشكر في صماتها ولم تزل معروضة بالديوان العزيز وكل وقت ابان
وقفها وهي كالايات التي لا تاتي منها ايه الا كانت اكبر من اختها ومنه
قولـــــه ولطالما اوري الاغتراب عزا واثار من
السعاده كنزا حتى ان الله جعله سنه في انبيايه ورسله ونهج لهم
سبيل العز بسلوك سبله كسنه الغربه اليثربيه في الهجره النبويه
وما اوجبه من القوه بعد الفراد والكثره بعد ثاني اثنين اذ هما في الغار
والتقليل سبب للسكون والشهاده داعيه لهدو العيون ولو لزم
السيف غمده لم يبن اثر مضاربه ولا خذمه لسان في نظم شاعر ولا
نثر خاطبه وبالاغتراب عذب ما البحر لما فارق السحاب ومنه
قولـــــه له القلم الذي يصرع الخطب الجليل بصعفه
ويسبق الحرف الاموت بحرفه واذا انكس راسه رايت ابهة الخيلا في
عطفه فهو كلما بسا ويدق جسما ونجم من لسانه شهدا وسما فاذا ارتقي انامله
قيل خطيب رقا منبرا واذا اهتز في يده كانه جان ولي الخطب
مدبرا ومنه قولـــــه لو ذهب الحزن بالدمع وانها له لكان الصبر
بصاحبه احري ولو لم ينل به اجرا فكيف وصلوات الله ورحمته من ثوابه
وما اعتاض المرء صبرا عن المصاب الا كان فيه عوض عن مصابه ومنه

قوله المكر صواب من تحت الثياب وسيفه لا يقطع الا وهو
في القراب وصاحبه يلقى بوجه الاحباب وهو كالجبل الذي تحسبه جامدًا
وهو يمر مر السحاب يفرق الجموع وقد كادت تكون عليه لبدا ويجعل قوتها
اضعف ناصرا واكثرها اقل عددا وسيغني بليس كيد عن شده ايده وكثيرا
ما يطعن اقرانه قبل الطعان ويفاجيهم بالذعر وهم من الامن في صوان
ومنه قوله في التضرع الى قريب مضايق انا اساله بالرحم
التي امر الله باتقا آيه واتقايها وتكفل بالاسقا يوم القيمه لمن تكفل باسقايها
واشتق لها لكرامتها عليه اسمًا من اسمه وقسم لواصلها ببسط العمر والرزق
الذين هما من افضل قسمه فلا تتركني اناوه بقلب المتالم واجهر بلسان
المتظلم وان اصله بسهام الدعا القاصده واحاكمه الى صراعه البغي
التي يسلب عن الباغي براقده والمتمثل بقوله تعالى ان هذا اخي له تسع
وتسعون نعجه ولي نعجه واحده ويعز علي ان القاه بهذا القول
الذي انا فيه غير مختار ولين كان من المحظور التي عنها فالمحظور يباح لمرتكبه
عند الاضطرار ومنه قوله في تذكير بعض الطغاه تذكير
الطاغي من سنه الله التي خلت في عباده وان عسر نقله عما جبلت عليه
فطن ميلاده وقد امر موسى بتذكير فرعون مع انه لم يستفد ذكرى بل زاد
في طغيانه طغيانا وفي كفره كفرا ومنه قوله ونصبت
المجانيق فالقت عصيها وحبالها وصب على اقطار البلد نكالها فسجد
لها الاسوار بسجود السحره لفعل العصا وبادرت بالايمان لها مبادره
الطايع وما عصى ولم يكن ايمانها الا بعد اذن الاحجار التي ما اذنت
لمشيد الا اضحى في البوار وخر من الاقطار واصبح كشجره اجتثت
فوق الارض ما لها من قرار ومنه قوله في كتاب
ورد كتابه فطلع طلوع الصباح المسافر على المدلج الحاير لا بل اقبل

اقبال

اقبال الحياه على الاجساد والحيا على السنه الجماد فعظم موقعه ان يذال
باليد او ينال بالنظر او يوصف بانه ثاني المطر او ثالث الشمس والقمر
ومنه قوله رساله في البندق من المارب ما يفعل طالبه
ويرتاح ناصبه ويشترك فيه الناس وكل منهم صاحبه كالقنص الذي
هو للخاصه نهز مراح وللعامه صفقه ارباح وهو جامع لرياضه اجسام
ومسن ارواح وساذكر موقفا وقفته وموسما عرفته تخلسه الدهر اذا
عرفته وذلك اني في زمن الربيع والارض ديباجه والسما زجاجه
والجو قد اصبح بانفاس الرياض معطرا والشمس قد ضربت في ارجايها
عمودا فاخضر اخضرارا معصفرا ولقد اصاب من مثل الغمام
شخصا وجعل الربيع لمنزله ثغر النسيم او عمرا وجعله بمنزله
شبابه لو سيم وقد زاد عندي حسنا اني اصبحت في هذا اليوم اصحب
اخاه الذي شابهه في اعتدال زمانه لا في تلون الوانه وناسبه في
طيب شيمه لكنه اسخى منه في فيض كرمه وهو مولانا الملك الذي سعيه
مشتق من لقبه وسبقه في المعالي كسبق المنتمي اليه من نسبه والمسمون
بالملك كثير غير ان هذا الاسم لا يختص الا به

ملك زهت بمكانه ايامه ۝ حتى افتخرن به على الايام ۝

وكان المنتظم بخدمته في هذا اليوم غلمان كانهم لولو منظوم وهو اشرف
خادم لاشرف مخدوم ومقامهم في الحسن سوا فلا يقال فيهم وما منا الا
له مقام معلوم وكلهم قد تاهب للطرد تاهبه للطراد وهم متقلدون قسي
البندق مكان النجاد فاذا تناولوها في ايديهم قيل اهله طالعه من اكف
الاقمار واذا امتثل عناوها وعناوهم قيل منايا مشوقه بايدي الاقطار
وتلك قسي وضعت للعب لا للنضال وردي الاطيار لا لردي الرجال
واذا نغمتها ناعت قال انها جمعت بين وصفي اللين والصلابه وصيغت

من نوعين غريبين خارقين معنى الغرابه فهي مركبه من حياه ونبات ومولفه
منهما على بعد الشتات فهذا من سكان البحر وسواحله وهذا من سكان
البر ومجاهله ومن صفاتها انها لا تتمكن من البطش الا حين تشتد ولا
تنطلق في شانها الا حين تعطف وترد ولما بانات احكم تصويرها وصحح
تدويرها فهي في لونها صندليه الاهاب وكانما صنعت لفقوتها من حجر
لا من تراب فاذا اقدمتها الاطيار قيل ويصعد من الارض من جبال فيها
من برد ولا ترى حينيذ الا قتيلا ولكن بالمثقل الذي لا يجب في مثله
قود فهي كافله من تلك الاطيار بقبض نفوسها منزله لها من جو السما
على ام روسها فما كان الا ان ابتدر اوليك الغلمان طلقا من الرمي باتي
على اختيار المختار المنايا ذات اسماع وابصار واذا عرض له البيرب
لم يخش فوت خطا ولا فوت فرار فمن بين دراجه ادرجت في ثوب
دمايها وحمامه حرم عليها ترع دمايها ومن كروان نجع بينهم فراخه
واوته ودت لو لجات الى الصايد ومكيد فخاخه فلم نصر نامع ذلك
فقدا لمنتخب من الجوارح وكان اليوم كيوم المحصب من كثره الذبايح وشهدت
في خلال هذا المتنزه من لطايف اللذات ما يغلو على مستامه ولا يحيله
خاطر المني في اوهامه واذا تذكرته النفس اعادا خرطعمه او له
وقالت ترى الدهر نام عنه او اغفله على انه لا تستغرب مواتاه
مثله لمثل هذا السلطان الذي الايام له عبيد ولا المقضي الامابيده
ومن اكرم نعم الله علي ان اصبحت من خدمه معدودا وعلى خدمته
محسودا فهذه النعمه ان امسكها امساك الشكور واصاحبها مصاحبه
الغيور وقد كنت بالامس اندر لها النذور وانا الان واف بتلك النذور
والسلام ومنه قوله من كتاب كتبه في معنى كتاب فاضلي
كتبه الى الظاهر يعزيه بوالده وكان جرى حديث هذا الكتاب

في بعض المجالس فاستحسن وطلب الجماعه الحاضرون ان يعارض
مثله فاملى هذا الكتاب عليهم وكان المتوفى قد مات وقت الصباح
كتب المملوك كتابه هذا في ساعه افلت الشمس فيها عند الصباح وذهبت
بروح الدنيا التي ذهبت بذهابها كثير من الارواح وتلك ساعه ظلت بها
الالباب حايره وظلت فيها الارض مايره والجبال سايره واغمد سيف
الله الذي كان على اعدايه دايم التجريد وخفت الارض من جبلها
الذي كان يمنعها ان تميد واصبح الاسلام وقد فقد ناصره فهو اعظم فاقد
لاعظم فقيد وليس احد من الناس الا وتداخل سمعه الخبر واصيب
في سواد القلب والبصر وقال وقد توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم
بقول عمر ولما غلبت على الدفاع عنه القيت بيدي القا مكسور الجناح
واستنجدت الدموع والدموع من شر السلاح ونظرت الى العساكر
حوله ولا غنا لها عن كثره السيوف والرماح وقد ودعته وداع من
لا مطمع له في ايابه وحال الترب بيني وبينه فصار بعيدا مني على
اقترابه ويرعمي ان لمثلي ياتم بعزايه وان اكاتب به اعزا عزايه
وليس عندي صبر حتى احث على مثله ولو كنت من رجاله لغلبني الاسى
بخيله ورجله والذي يستنطقه المولى من راي فان هذه الرزيه
اخرسته عن الكلام وسوفته مع محزومه الذاهب فاستويا جميعا في
الحمام ولكن في وصيه عبد الملك لاولاده ما يغني عن الاراء واستطاقها
وقد ضرب لهم مثلا في الاجتماع والافتراق باجتماع القداح وافتراقها
والسلام ومنه قوله مما كتبه الى الافضل علي
عند عوده الى الديار المصريه المحروسه ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر
ان الارض يرثها عبادي الصالحون يقبل الارض بالمقام الشريف
العالي المولوي السلطاني الملكي الافضلي النوري جعل الله الليالي

والايام من جنده واظهر اياته في اعتلا امره وتجديد جده ووهبه ملكا لا ينبغي
لاحدٍ من بعده وعقد له لوا نصر لا شركه للناس في عقده ويهني مولانا باشر
نعم الله الموذنه له باجتبابه حتى بلغ اشده واستخرج كنز ابايه ولو انصف
لسنا الارض منه بوابلها والامه بكا فها خصوصًا ارض مصر لانها قد خطيت
بسكناه وغدت في بحرين من فيض البحر وفيض يمناه فاصبحت تشمخ با نفها
وتسمو بطونها وتحير من الايام وصدفها فكانما حيزت له الدنيا بحذافيرها
او سيقت اليه الجنه بنضارتها وسرورها
ما زلت تدنو وهي تعلو عزةً حتى توارى في ثراها الفرقد
وقد كان منتهى امل الاوليا ان تعود الضاله لباريها وتفك الطريق المعصوم
من يد غضبها فاتى فضل الله بما لم يومله امل الامل وعوض عن القطر
الواحد بسحاب هاطل وهل نعم تضيق عنها مجال العقول المعاد
وتسرع بياضها في سواد الحساد فلو غدت الجباه ساجده والقلوب
حامده والايدي ترفع الدعا باديةً وعايده لما وفي ذلك بحقها ولا اخرج
الاعناق من عهده رقها واحسن ما فيها انها زارت على غير ميعاد وجنت
ركابها من غير سايق ولا حاد وتخطت وقد ضرب دونها بسور من صدور
الظبى وروس الصعاد فلم يكن لاحدٍ فيها منه سوى لله الذي قرب بعيد
اسبابها وفتح مستغلق ابوابها وابرزها على حين غفله من حجابها
فيجب على مولانا ان يختزنها بالانفاق وان يقيدها بالاطلاق
وان ينفض اجنحتها ليطل طايرها في الافاق والملوك في هذه الوصيه
كصيقل نصل له من جوهره صقال وعاصر سحاب له من نفسه
انهال ومنه قوله في المجانيق ونصب المجانيق فانشات
سحابا تخشى مخلها ولا يرجا وبلها فما سيقت لبلد حتى الا اماتته
ولم تاته الا اتاه امر الله اذا اتته فلم تزل تقذف السود بصوبها المدراد

وينزل عليه جبلا لامن برد عنيرا انما من الجماد ومنه قوله
في التوكل والطاف الله لا يعرفها الا من عرف الله فوفاه حقه ولم يكن
ممن ضرب له مثلا ونسي خلقه ومنه قوله واتى قوم بوقاد
المشيب بغير علم فضلوا واضلوا وما اراه الا محرابًا للعمر ولم يدخل
اله الحرث دار قوم الا ذلوا ومنه قوله في الحث على الصدقه
انما الصدقه لمن قصه الفقر لباسًا فستر ذلك اللباس وكان لا يفطن
به فيتصدق عليه ولا يقوم فيسال الناس والنار تتقى بشق تمر
وما سد رمقًا لا يطلق عليه اسم قله وان لم يكن موصوفا بكثير
ومنه قوله في عياده مريض ولما بلغ الملوك خبر شكاته هيض
منه ما ليس لمهيض واصبح وهو الصحيح اشد شكوى من المولى وهو
المريض وقد ود لو وقاه وتلك اقصى درجات الوداد ولم يبق الا نفسه
بنفسه وقد يجمع النفسان في جسد من الاجساد ولقد ناجى الملوك
نفسه ان هذه الشكاه لا تلبث الا تلبث الزاير عند المزور وانها لم تات
الا لتظهر ما عند الناس من مودات الصدور فكم من ايد بالدعا ممدوده
ونذور عند الله ليست بمعدوده ولقد اخذ الملوك بالخبر النبوي
فجعل الصدقه طبيبا وتفال باحاديث بنوبه منام لم يحدث بها الا لبيبا
او حبيبا ومنه قوله وهم سيوف الله التي اذا جردت
زالت الهام عن مناكبها واستوى في القتل نفس مضروبها وضاربها فلا
عليها جاهدت صابرةً محتسبةً ما كان من موارد هلكها ولا الم عندها
للكلوم اذا جاءت يوم القيمه ولونها لون دمها وريحها ريح مسكها
ومنه قوله في عدم قبول توبه بارع التوبه وان جبت ما
قبلها فانها معتبره ممن ندم على ما فات واخلص فيما هو آت واما من
يظهر اسرارًا ويبطن خلافه فانه لا يلج بابها ولا يرجو ثوابها
٥

ومنه قولــــه الفراسه تقرب عيونها وتصدق ظنونها
والانسان شر مكنون يظهره الاختبار وتخفيه الاحساد وقد عولنا في
ولايه فلانه على فلان وما اهلناه لها حتى توسمنا منه ما توسم من الصاحب
وعضدنا راينا فيه براي من عندنا من الناصحين ومنه قولــــه
فلان يومه في الصحبه كغده ولسانه في العفاف كيده لا يحقد لاخيه
قلبا ولا يلوي على عوراته رقيبا ومنه قولــــه مواهب الحمد
مقسومه على مواقف النعم ولكل منها قسمه منه وان تفاوتت في اقدار
القسم ولا نعمه اعظم من سعادة المثول بالديوان العزيز الذي
يرغب اليه ويرهب ويقرا فضله في السما ويكتب ويحجب لمهابته عن
الابصار ويداه عنها لا تحجب والعبد يحمد الله على هذه النعم حمدا
لا يزال جديدا وليس فوقها غايه في الزياده حتى يسال مزيدا ولو امن
اتكابر المومنين لخر بهذا المقام ساجدا وهو يسجد له طايعا كما يسجد لله امير
عابدا ٥ طلبنا رضاه بترك الذي رضينا له فتركنا السجودا ٥
ولو نصر مخدوم العبد لمكانه لحسده على مواضع رجله وراي العليل
وهي شراك النعله وقال يا ليتني فزت بمثل هذا الحظ الذي ليس شي
كمثله تجي وكيف لا يحسد وقد وقف لموقف تقرب من الجنه وتباعد
من النار ويمص الواقف به ردا لخر لا يخلق على تطاول الاعمار
ويعطيه امانا من زمنه حتى يصبح وله على الزمن الخيار ولا جناح
عليه ان ملكته مخيلة الاعجاب وان راى السما دونه وهي منال
يدي في الاقتراب ولولا انه بصدد اداء الرساله التي حملها لبسط
من عنانه وانتهى في غايه متدانه الا ان مني خدمة مخدومه الذي له
في الاوليا نسب كريم وعرق قديم يقول الاستحقاق وانابه نعيم
ومن احسن اوصافه انه لا منة لما عنده من عقيله في الطاعه ناصح

من الاكدار راتبه كل يوم في درجه يحتاج في التي قبلها الى الاستغفار
ولين حصل بذلك على مراضي امير المومنين فانه لا يبغي فتورا ولكنه ياخذ
بالقول النبوي فيقول الا اكون عبدا شكورا وله شعر ذكره ابن العطار
منه قولــــه

رضيت بما ترضى له به لي محبه وقلت اليك النفس قود المسلم
ومثلك من كان الفواد شفيعه فكلمني عنه ولم يتكلم

وقولــــه

لا طرف الدامي نضحته يصبح منا الرجا والامل
لا عجبا ان يتيمكم حذرا اخر جفون وانتم مقل

وقولــــه

وسايلتموا بعدكم كيف حاله وذلك امر بين ليس يشكل
نعم قلبه لا تسالوا فهو عندكم واما عن الجسم المخلف فاسالوا

وقولــــه

ثلثه تجلو الفرح كيس وكوب وقدح
ما ذبح الدن بها لكن بها الهم ذبح

وقولــــه

واهيف تحكيه الغزاله مقلة وجيدا ويحكيها لنا في شماسه
اما رقضيب البان لين انعطافه فما هي الا حله من لباسه

وقولــــه

لولا الكرام وما سنوه من كرم لم يدر قايل شعر كيف يمتدح

وهذا البيت عكس قولــــه اي تمام

ولولا خلال سنها الشعر ما درى بغاة العلى من اين تؤتى المكارم

ومنهم ابن زباده قوام الدين ابو طالب يحيى بن سعيد بن هبه الله بن علي

ابن زياده الشيباني باي علا لاتفرع دروتها وراقي صفا لاتقرع مروتها
اطل على السما والسماك واقل الانهال في سحب المسح والانهاك وانشى
البدايع وانشى الوشايع وتقلد من صنايع الخلفا اشرف الصنايع وولي
اجل الوظايف بحضرة الخلافه وكان بالديوان العزيز كاتب الانشا
واستاذ الدار وحاجب الباب وبيده كثير من هذه الاسباب ثم نقم عليه
لامر ما جناه بيديه فعزل وبقي معزولا ثم تولى ومات سميناً
وكان مهزولا ومن نثره قوله لا انال مناقب الفتوح
الا لمقانب الحتوف وخليق بالامير انه يغدو يمير والديوان العزيز
منتظر لانجاده وتعليق سيف المضا بنجاده ومنه قوله
وكم لك من تدبير غدت به سما الخطوب مصحيه وشموسها بمن سعيك
مضحيه تشعب الخلل اذا تفاقم وطرا وتقرع انف الحوادث اذا طم او
طغى ولا مضيق الا وبك انفراجه ولا طريق للثنا الا عليك انعراجه
فقد تكلفت لمصالح الدوله حتى صرت لها ابا وكفيت من المهم ما سلم لك
الحاسد الفضيله فيه شا ام ابى فلذلك نادى منك امير المومنين
يقظاً اجاب ورفع بينه وبينك الحجاب فانهض بما ناطه بك
نهوض من لا يعاطه امروان تثقل عبوه ومحمله واكفه المهم فيما تستقبله
وتتقبله وسارع في اكل ماير سمه لك وتمثله واسحب على ثرايا التفويض
اليك اذيال الحل والعقد واقدر قدر هذه النعمه التي احلتك دري
فلك المجد ومن شعره قوله

من كانت البغضا في طبعه لم يكفف الاحسان عدوانه
فالما تطفي النار طبعاً وان اطال حر النار اسخانه

ومنه قوله

مشموله جا النديم بها كالنار يقدحها من القدح

تحيا من الم المميت بها فتميتنا من شده الفرح

ومنه قوله

باضطراب الزمان ترتفع الانذال فيه حتى يعم البلاد
وكذا الما ساكنا فاذا احرك ثارت من قعره الاقذاء

ومنه قوله

انى لاعظم ما تلقونى جلدا اذا توسطت هول الحادث النكد
كذلك الشمس لا تزداد قوتها الا اذا حصلت في برج الاسد

ومنه قوله

لا تغبطن وزيرا للملوك وان اناله الدهر منهم فوق رتبته
واعلم بان له يوما تمور به الارض الوقور كما مارت بهيبته
هرون وهو اخو موسى الشقيق له لولا الوزاره لم ياخذ بلحيته

ومنه قوله مما كتب الى المستنجد

يا ماجدا اجل قدرا ان نهنيه لنا الهنا بظل لك ممدود
الدهر انت فيوم العيد منك وما في العرف انا نهني العيد بالعيد

ومنهم شهاب الدين النساى ابو المويد محمد بن احمد بن علي بن عثمان
ابن المويد الخرندري كتب الانشا للدوله الخوارزميه وكتب الاعدا
بالصوله العجميه وكان ذا فصاحه بلغته شغاف الارب وسوغته
نطاف الادب كالضرب وفرغته لالتقاط بدايع العرب وصنف
سيرة سنيه تسمع وقايع سيوفها المشرفيه في الرقاب وتنصر صنايع
معروفها وقد مضت عليها الاحقاب وفا بعهده لتلك الدوله التي والاها
وخدمها واولاها ما شرف بعزه خدمها فلم يدع مما سمح حرفا ولا ابدع للسان
الطيب اللهج عرفا بعبارة صاغها بلطافه اعجب من الغريد واعجل
في القلوب تاثيرا من لواحظ الغيد ومن نثره قوله

من كتاب كتبه الى الديوان العزيز مع راس طغرل وصل بغداد في الرابع
والعشرين من ربيع الاول سنه تسعين وخمسماية افتتحه بقوله تعالى
هذا من فضل ربي ليبلوني ااشكر ام اكفر قال فيه
وردت المراسم الشريفه بردع ذلك المارق الخاين والمنافق الحاين
الذي استمرى مرعى بغيه واستعذب اجن غيه وادلج في ليل ضلالته
وخبط في عشوا جهالته شاربا من آسن الطغيان نهلا وعلا غير مراقب
في الله ذمه ولا الا مستسهلا للخطر الجسيم مغترا بحلم الحليم غير
مبال بالسلاخه من الدين وخروجه عن زمره المسلمين نبذا مر الله وراء
ظهره ولم يخش اليم عذابه ولا راقب وبيل عقابه فراسله الخادم داعيا
له الى الطريق اللاحب ومشيرا عليه باعتماد الواجب مهيبا به الى
طاعه الامام وعارضا عليه تجديد الاسلام او الاستعداد للمصاف والرجوع
الى حكم الاسياف مخيرا بين هذين الامرين وحكما في احد القسمين
وكلاهما عنده خطه خسف ومورد حتف فلما ابى الا اصرارا على
خطيته وامرارا لحبل منيته ومن يضلل الله فما له من هاد ذلف اليه الخادم
في كتيبه شهبا من جنود الامام مقنعه بالزرد المحبوك محتفه بالملايكه
محفوفه بالملوك تالق جديدها وتتدامر اسودها وتبين كالجبل العظيم
والليل البهيم ضاربه رواقات العجاج ممتده الاطناب في الفجاج
وكان ظلها ليل ولامات الرماح نجوم ودخان الاسنه نار والصوارم
جحيم وكان رماحها اجال الا ان المنايا في اوايلها وحديدها نار الا
ان المنايا تجول في مناصلها ولم تزل ترجف وفوقها جيش من النسور
والعقبان ويدب وبين ايديها جيش من السباع والذوبان وارتها
شخص المنون وهو عريان لما ان وافي ذلك المخذول وقد جمع للقتال
واستعد في جيش لجم تضيق بهم تدف البيدا فدا ستلموا القتال

واستلموا كعبه الضلال الا ان الله صب عليهم الخذلان لما ترايى الجمعان وبرز
الكفر الى الايمان فتلا الخادم عليهم قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم ويخزهم وينصركم
عليهم ويشف صدور قوم مومنين ويذهب غيظ قلوبهم ولم يكن الا كسعه خايف
او لمعه خاطف حتى انجلت جند الله عنهم وهم كاعجاز نخل خاويه واصول
داويه لا يعرف لهم قتيل من دبير ولا يفرق بين ماموروامير وانفذ الله حكمه
في الطاغيه وعجل بروحه الى الهاويه وملك الخادم بلادهم وحاز طريفهم
وتلادهم ونساهم واولادهم وبادر بانفاذ رسول مبشرا وانفذ معه راسه
وطيله وعلمه ليعلم ان قد كسر وطل دمه والخادم ينهى ان وراه بلادا
شاسعه ومدنا واسعه وهو بصدد الايام ولا يمكنه طول المقام قلت
وسلك هذا النساي مع سلطانه مهما يعرف الجن في بداية ويضيع الريح
في ارجايه في يوم تتململ افاعيه في رمضايه ويسحى وحشه في فضايه
يدوون به خضا الاكام ويلفح الوجوه اشواط الضرام وقد ضرا الجندد
وصك وجه الغدير الطحلب وصح ان الصدا قد قام ينلغ والحربا تخطب
ولا ورد الا الراكد الشراب او مورد كانه مجرا الاجباب كانما صب على
وجهه الزيت الدايب او ذر الكبريت للشارب لا يبنا برد ولا يسوغ ورده
فقال له سلطانه صف ما نحن فيه فقال على البديه

فوقت بالعيس وجه المهمه رمت منه متشبها بمشتبه
والشمس قد اذكت ضرام نارها لكنه في موقد من اوجه
والقفر خاف لا يبين طرفه واضحها للعين كالمشتبه
وجذب الارض بها مبلغ وخاطب الحربا كالمبتده
والورد لو نشرت عصفوريه على فسيح عذره لم يرده
مغتر متقد مكدر يقصر عنه صفه المشتبه

فاستحسن اباته واجازه عليها بلدا بعملها وساير وقد لمع برق فاتلق

كانه غنى في ادهم او ابلق او سلاسل من ذهب وما لها حلق لا بني عمامه بنهر انهارا
ويلذ اثر القطار قطارا وهو يجلو الظلما بضوء جبينه الشرق ويتقدم من ارجائه
ذهب ثم يجدد من حافاته ورق فامره ان يقول فيه فقال

انعت برقا في الدجى تالق ... كانه في جلد تيه بلق
يجلو الدجى له صباح مشرق ... يرفض منه وابل مغدودق
كانه جود المليك المغدق ... او انه من كفه مندفق
طورا ابدى لججا وطورا علق

ومن شعره قوله

واي شي قيد هذا الزمان لكالدر ادباب حشو الصدف
واني على الرغم من حسدي لا سلاني الصدي نعم الخلف
فان كان انكر قدري الزمان فذا هدى صدرت عن خرف
فعزم جلي عتى كدر الدجى بعدما قد خسف
وتاتي المقادير منقادة تقول عفا الله عما سلف

ومنهم

ابن ابي الحديد موفق الدين ابو القاسم بن هبة الله بن محمد بن محمد
ابن الحسين بن ابي الحديد المدايني ابو حامد كتب في ديوان الخلافه
وكتب من برع في المقال خلافه وكان ذا لسن وبراعه ورس ممتد
في البراعه وكان من غلاة الشيعه وولاه مقالات الرفض الشنيعه
راسخ في الاعتزال وكسر جدلا سفها سمنا بالهزال على انه كان يظهر
المذهب للشافعي وكان اصوليا لا يحبس لسانه بالغي مع انه كان
بالبيان يسحر وبالكمال يسخر وهو الذي عاب على ابن الاثير الجزري
في المثل السائر ووضع عليه الفلك الدائر كما قدمناه في ترجمه المذكور
وما قصر في المناقشه ولا عذر في المعالجه له والمباطشه
ومن نثره قوله وبعد فقد عرض بالديوان العزيز

كتابك ايها الزعيم وخطابك وامير المومنين عليم وشرحت ولاك وذلك
حبلك الوثيق وكذلك اخلاصك القديم وانتماك الى الباب الاشرف وهذه
عقيده احدثها عن سلفك وما تلقاها الا ذو حظ عظيم نعم ولا يلقيها الا ذو
نعل كريم من ذي سلف كريم وبرز الامر الاشرف عن الديوان العزيز يتلقى
وارادك بالكرامه التي عدت بها رتبه كل نظير واصبحت وعلى راسك شربوش
وتاج وانت صاحب تخت وسرير وسحاب من ديوان الرواة المشرفه
مفصلا عن فصول كتابك وحسبك حسبك شرفا تتشرف به من الديوان
العزيز اذ كان هذا من خطابك ومنه قوله واسمى امر
الجزري في انه قلع قلع الجزر وما اغناه ما لكهن او حزر وهذا مجل كل
ماتي وله موجل ما نسبه يوم تقوم الخلائق ومن نثره قوله
في تقليد قاض وارفع المناصب واعلاها منصب الحكم العزيز الذي يحيي
الشرع في نديه ويجتني السمع ثمرات كل شي من جنيه ويعرف به الحلال
والحرام ويتصرف في اوامر ذي الجلال والاكرام وان احق من التي زمام
احكامه اليه من تفرد بالديه وفاز بسهم معلى من العلوم واخذ من فنونها
بنصيب معلوم وادب نفسه في تحصيل نفايسها واجتلا عرايسها فلم من
احاديث نبويه يعرف السقيم فيها من الصحيح والعدل من رجالها من
الجرح وعلم الروايه على تشعبها والاسانيد وطرقها في حالتي تشبهها
وتصحيحها وكم تفاسير كشف حقايقها ومشكلات تاويل اظهر
تحسين ايضاحه طرايقها وكم فروع مسايل اصلها واصول فقه حواها
وحصلها وكنت ايها القاضي فلان لك خبر يعلم عليها لا يباهي وورع
لا تاثل فيه ولا تضاهي واذا ده نصب الطلبه لاستفاده بها
ونشر الاسماع بحسن ايرادها واستعادتها فلذلك اعتمد عليك في القضا
بمدينه كذا والقوم عليك ما ثلاثي مراحله ذووا الطلبه للاستفاده

واعلم انك حصلت على السعادة الدنيوية فاعمل على الاخروية فانها اعلى السعادة
واجر على عادتك التحرز في الاحكام وامض على سننك في الاحتياط
في كل نقض وابرام وارع براعك كلما يفتقر ان يرعى وكلما يحب ان يمعن فيه
النظر عقلا وشرعا ثم والعدول فلتعتبر احوالهم والزمهم بكلما هو اجمع
واحوى لهم فبهم توخذ الحقوق وتقام الحدود وهم امنا الله في ارضه
حيث هم على حلقه شهود ومن وصايا العلم في تحقيق مسايل الخلاف لك
عنايه فما عاده لا تنقطع وعلة لا تستدفع وهي لتكمل الادوات المبرز
تكميل الصفات بذكره تتدول نصاحها وتتضح لديك مصالحها فخذها
نصب عينك وتجاه امرك وادم احضارها في قضاياك ومرورها على فكرك
ومن شعره قولـــــــه

بالله ضع قدميك فوق محاجري فلقد تنعت من الوصال بذاكا
واطل معاتبتي فان مسامعي تهوى حديثك مثل ما اهوى اكا
لا عانقتك من البريه كلها الا يدي اليمنى وبند قبا كا
كلا ولا رشفت رضابك بعد ما قد ذقته الا الى تهواكا

ومنه قولـــــــه في مليح جعل عارض الجيش وخلع عليه خلعه
خضرا

واهيف كالقضيب تردا في خضر اثوابه يميد
قلته باعتبار معنى لانه عارض جديد

واتفق له سرى ليله برتها قد سرى موهنا كوجيب الفواد وموهما بان طرفه
لم يكتحل برقاد كانه قرس معاد اشقر او نار شب ضرمه وما خفي منه
اكثر والرباب دون السحاب كخليع من الفتيان يسحب ميزرا وابه
ديم على الارض تدهن لم الثرى فقالـــــــ

اسرى وومض البرق يخفق قلبه ويذكي له في الليل قدح زناد

وتوهمي ان ليس تكحل عينه رقاد بلى قد كحلت برقاد
ودون الغوادي للرباب حلاجل تزور وهادا من على نجاد
تزور بمثل الحيا هامد الثرى وترشف ثغر النور ريق غواد
ثم لما ابهم عليه الامر واشكل ولم ينخ راحلته فتعقلها وتوكل وقد سرى في ليل
خفي ظلامه قصد السبيل ويملا هوله صدر الدليل ويفترس غوله خلب
العوير فكيف الدليل فتململ وتضجر وقال ولم يتصبر

مالي ولليل وظلمايه ومهمه فيه يحار الدليل
كانني في لجه غارق يا قوم قولوا لي كيف السبيل

ومن شعره ايضا مما انشدنيه شيخنا ابو الثنا الحلبي قولـــــــه

افدي الذي زارني والخوف يقلقه يمشي ويكمن في العطفات والطرق
قبلت اطراف كفيه على ثقه بالامن منه وخديه على فرق
وكان في اخريات السكر مضطربا اذا اراد انتظام اللفظ لم يطق
لله ما احسن الصهبا منعمة على اد علمته طيبه الخلق
اهدت اليه سرورا نلت معظمه كالفعل ينصب مفعولين في نسق

وقولـــــــه

اعدى البياض بياض محاوره ما داك الا انه مرض
هلا تيسر للسواد كذا وكلاهما في حكمنا عرض

وقولـــــــه

يا من تدلس بالخضاب مشيبه ان المدلس لا يزال مريبا
هب ياسمين الشعر عاد بنفسجا ايعود عرجون القوام قضيبا

وقولـــــــه على العاده في تفضيل السيف على القلم

وما تدرك الاقلام شا ومهند يضى اذا ما قام بين الكواكب
واى لها وهى التي في طروسها تخر على الاذقان سود الذوائب

وكم بين من يبكي اذا ما اتى به لامر وبين الضاحك المتلاعب

وقوله في عكسه على طريقه ابن الرومي في المعاني

وما نطوق الاقلام في الطرس ذلة ولكنها حيات رمل قواتل

ومن اين يلقى السيف بعض فعالها واثارها من غير جرح عوامل

اذا كان بين المرء والسيف حايل فليس عن الاقلام والمرء حايل

وقوله ما كتب به الى بعض اصحابه وقد قصد

بد تسيل المعاني بين اسطرها ما عودت غير مس الطرس والكاس

تجري دما الاعادي وهي سالمه اي جري دمها من مبضع الاسى

سهلت ما وارث العليا المقام له ام كان قاصدها من اشجع الناس

كانما شق منها راس مبضعه بحرا من الجود او طودا من الباس

واذ ذكرناه فكتبته على ذكر اخيه القاسم ابو المعالي عز الدين اي حامد

عبد الحميد وكان نابغة في الاعتزال ومعقلا للاحتزال ذو بديهة تصفر

منها الانامل وتزرر مقل السيوف والعوامل وقفت من نثره على قوله

ولي بيان في وصف محله لا يكل ولسان في ذكر مناقبه لا يذل وسهم لا

يخطي غرضه وفعلي لا يودي الا مفترضه الا اني لو واصلت الامداد

وزاحمت الاطواد وارسلت السحب وراسلت الشهب لما وفيت حقه المتعين

ولا قلت الا الحق البين ومن شعره قوله

يصحني حبه وينكسني فكم اصح من البلوي وانتكس

وقوله

يا هاجري لما راى شغفي به ما كان حق متيم ان يهجرا

ان الذي خلق الغرام هو الذي خلق السلو فلا يغرك ما ترى

وقوله

ابدت من الشعر في تشبيه وجنتها لما احاط بها سطر من الشعر

كالظل في النور او كالشمس عارضها خط من الغيم او كالمحو في القمر

وقوله فيما انشدنيه شيخنا ابو الحسن الكندي

قد بدا ما تسر فيما تقول انما انت عاشق لا عذول

داني منك في ملامك تكبه لصبري بعضه تقليل

وحديث ملجلج فيه للقلب على السر ايه ودليل

يا رعى الله شادنا امست الاضداد فيه للحين وهي سلول

قسم البدر بيننا فله النور وعندي محاقه والذبول

انما انت مهجتي واكادي بدلا عن حشاشتي مستحيل

ومنها

ثروتي فوق همتي ومرامي فوق طولي وساعدي مغلول

وقد رواها شيخنا ابو الثنا الحلبي لاخيه الموفق وكلاهما ثبت ولعل

الكندي ادري بطرق الروايه

تقي ومنهم ابن نصاقه فخر القضاه ابو الفتح نصر الله بن هبه الله بن عبد البا

ابن الحسين بن يحيى الغفاري الكناني كتب للناصر دواد بن عيسى

ووزر وجلس معه في صدر الايوان والطود وتشا وتادب بالشام

واومضت له بارقه كانت تشام ثم صرف عن وزاره الناصر عنانه ونقض

منها بنانه لامور نقمها وشرور خاف تقحمها وكان يجد سوء خلايق مالكه ونوعر

طرايق مسالكه فطالما اطلم جو واغتم دو فتسلل منه لحيله دبت في

السرا ودلت على الضرا فخاف مساوره ذلك الارقم وترك مساقاه الشهد

به خوفا من العلقم وكان طود حجي ومجاج وطوق جيد ومجاج رقة

يا نضاحه ثبت على ارضاعها وسماحه تولي حفظ مضاعها وبلاغه

كانت حليه لنظامه وحله لا حلاه له في الصدور واعظامه ووزر جدي

رحمه الله بعده ثم عاف تلك الدوله ففارقها في ليله قرامسيه لامور ما هذا

ميقات شرحها ولا مرقاه صرحها فاما ما لابن بصاقه فمن نثره قوله
واما الابيات الجيميه الجمه المعاني المحكمه المباني المعوده بالسبع
المثاني فانها والله حسنه النظام بعيده المرام مقدمة على شعر من تقدمها
في الجاهليه وعاصرها في الاسلام قد اخذت بمجامع القلوب في الابداع
واستولت على المحاسن في نزهه الابصار والاسماع ولعبت بالعقول لعب
الشمول الا ان تلك خرقا وهذه صناع فاذا اعتبرت الفاظها كانت
درًّا منظوما واذا اختبرت معانيها كانت رحيقًا مختوما جلت بعلوها
عن المعاني المطروقه والمعاني المسروقه ودلت بعلوها على انها من نظم
الملوك لا السوقه فلو وجدها ابن المعتز لاجري رورقه الفضه في نهرها
والتي حمولته العنبر في نحرها والتي تشبيها ته باسرها في اسرها ولو لقيها
ابن حمدان لاغتم نزمي قوس الغمام وابري زي السهام وتغطي من
اذيال الغلايل المصبغه بذيل الظلام ولو سمعها امرو القيس لعلم ان
فكرته قاصر وكرته خاسر وايقن ان وحوشه غير مكنسوه وعقبانه
غير كاسره فانى الجزع الذي لم يثقب من الدر الذي قد ينظم وهذب
وانى ذلك الحشف البالي من هذا الشرف العالي فالله يبقي الخاطر
الذي سمح بها عين الكمال الشحيحه وتشفي القلوب العليله بادويه هذه
الانفاس الصحيحه واما الابيات في هذه

يا ليلةً قطعت عمر طلامها بمدامه صفرا ذات تاج
بالساحل النائي روايح نشره عن روضه المتضوع المتارج
والتم زاه قد هدا نشاوه من بعد طول تقلق وتموج
طورًا يدغدغه الشمال وتارةً نكوى مسوطه نات الخزرج
والبدر قد القى سنى انواره في لجه المجعد المتبلج
فكانه اذ قد صفحه متنه بشعاعه المتوقد المتوهج

نهر

نهر يكون من نضار مايع يجري على ارض من الفيروزج
قالها الملك الناصر داود وبعث بها اليه يعرضها عليه وهي ابيات يحق لها
ان توصف بجودتها وتشرف قايلها وان لم تحل الذروه ولا او شكت
ثم نعود الى تتمه ما ذكره فمن قوله يقبل الارض وينهي انه
فارق ما لك رقه مرارا وما وجد لفراقه من الالم ما وجد هذه المره
وبعد عن حالت رزقه ما نصره ولا مثل هذه المضمره حتى لقد توهم انها فرقه
الابد وداخله من الاسف ما لم يبق معه صبر ولا جلد وكلما شرع في الصبر
اي الدكوان يحدث له صبرا وكلما سهل عليه الامر لم يزده تسهيله الا عسرا
والله تعالى يسهل من اللقا كل صعب عسير ويجمع شمل المملوك بمالكه
وهو على جمعهم اذا يشا قدير ومنه قوله المملوك يشافه
ارض مالكه بقبول خضوعه ويبل ترابها بوابل دموعه ويستقل فيضها
ولوانه من سيل نجيعه لما نا له من الحادث المولم الملم والخطب المطلم
المدلهم بانتقال الولد العزيز الملك العزيز فلقد ورد المملوك من الكتاب
الوارد بنعيه مشرعا كدر الموارد عسير المصدر وحضر منه مجمعًا
كثير البوادي واحوا صدفيا له ناعيا اصم الاسماع واضاها واقذى
العيون بل اعماها وجرح القلوب فادماها وما اجمل سحب الجفون
لكن اهملها واهماها ونبا له من نغص نغص الدنيا على اربابها وان كانت معشوقه
محبوبه وكدر الحياه عند اصحابها مع انها شهيه مطلوبه وكان الاولى بالمملوك
ان يصرف عن ذكر هذه الحادثه صفحا ولا ينكا بحديثه بالقدح ترحا ولا
يقصد لباب الجزع بعد انغلاقه فتحا ولا يطلع التعزيه ليلاً وقد طلعت
التسليم صبحا ومنه قوله وينهي ورود المثال الكريم
فوقف منه على اللفظ البليغ والمعنى البديع وعلم عند تدبره انه فوق كل
ذي علم عليم وان الفضل بيد الله يوتيه من يشا والله ذو الفضل العظيم

وتصوران كاتبه قد جاور البحر فاتحفه بجواهره بل جاور الملك فاسعفه
بعساكره وصدق تصوره كون الفاظه جواهر وكلماته كتايب ومحبت الخروج
الى ارض العدو حتى تذكرت ان عنان البحر العجايب واما ما اخبر به من النيابه
عنه في خدمه مولانا الوزير فقد ناب عنها لكن مناب تراب التيمم عن الما
الطهور واني مشافهاته وادى من حملها في الساعه الواحده ما لا يتحصل
في عده من الشهور واما احوال المملوك فانه من صدقات الديوان ما يعدم
سوى النظر الى طلعه مولانا التي هي عديمه النظير ولا تشتهي غير الفوز
بخدمته وذلك هو الفوز الكبير وكل هذا برفع محل مولانا المجلى ولا جله
لا الاجلي   اخشم تقضيب البان من اجل قدها والثم ثغر الكاس احسبه فاها
الا ان المملوك قد اطال الاقامه في دار المقامه ونال الكرامه حتى يكاد
يسام الكرامه وله اسوه بالقايل وقد طالت حياته سيمت تكاليف الحياه
واذا اغرقت المياه وان كانت عذبه شكيت المياه ومنه قوله
وينهي ورود المثال الكريم بالنبا العظيم الذي اصمي القلوب واصم
المسامع واوقف الخواطر واجرى المدامع وضيق على النفوس مجرى
الصبر الواسع وترعت الامال فيه الى الكذب لما احدى جزع الجازع
من نعي الامام الطاهر النقي العلم الزاهر الزكي خليفه الله المستنصر
بالله بواه الله جنان عدنه واسكنه غرفات امنه وانتقاله عن الغنيه
الضيقه الى الرحمه الواسعه ومصيره من الدار المفرقه الى الدار
الجامعه فاظلم بها الافق لكسوف شمس الضيا ودجى الجو لخسوف
قمر العليا وضحيت وجوه المكارم لتقلص تلك الافيا وكادت تنفطر
لفقده السما ذات البروج بتقضا نجمها وبكته بدموع قطرها من جفون
سحبها حتى خدت خدود المروج ونسفت الارض جيوبه تهدمها فالبسها
حدادا من بياض الثلوج فياله خطبا عم الوجود باسره

وحص جناح الايان بحصه بل بكسره وعرف كل عارف بفضا عه نكره وقضى
لكل قلب بصحيح همه وتقسيم فكره واعاد الاسلام غريبا كما بدا اول عمره
لكن اقترن به الخبر الذي سر السراير وجلى الدياجر وثبت القلوب
بعد ان بلغت الحناجر بولايه مولانا الامام المختوم الطاهر خليفه الله في
ارضه والقايم بسنه الايمان وفرضه امير المومنين المعتصم المستعصم بالله
ابن خليفته ووليه وابن عم رسوله ونبيه فانجلت بوايق الحادث الجلل
وانفضت بانقباض الوجل وانبساط الامل وحصل العطف والتوكيد
بهذا النعت وهذا البدل فالحمد لله الذي تدارك بالخبر كسر الاسلام
وحسم بالبر مواد الالام وازال الهبا بيقين عوارض الاوهام وعاجل
بالرتق فتق الايام فيا لها دعوه اجاب داعيها كل مبصر وسامع
واثنى عليها كل ساجد وراكع وتليت ايانها في كل مصر جامع وتلقى العبد
هنا النعم بالشكر الذي استغرق غايه جهده ونهايه وسعه واكثر الحمد لله
على ما اولى من جزيل منه وجميل صنعه وسارع الى تلقي المثال الكريم باتباعه
وامتثاله واخذ البيعه على نفسه وشيعته ورعيته واعلن بالدعا الامامه
على منابر بلاده التي هي من انعامه ولولا انه في مقابله عدو الدين الماقنع
في تاديه فرض العين بسنه النيابه وكان يسعى الى الباب الكريم بعزيمه
واربع عشر وانبه ويتشفع بهجرته الاولى الى الحرم الشريف بالحجه نابه
ومنه قوله في توقيع لقاضي القضاه محيى الدين ابي
الفضل يحيى بن الزكي العثماني ونجا بسو اجداده فما عدل عنها ولا حاد
وفضل بالفضايل فما عد غير في النجم الغفير الا كان معدودا في
الافراد والاحاد فاذا تولى امرا بلغ فيه اقصى الامل والاراده واذا باشر
مهما استقصى الغرض فلم يبق موضعا للزياده فراينا ان نتولاه من رتب
السعاده ما راينا له اهلا وان نوتيه منا فضلا وان ننصبه بين اهل بلده

حاكما وننضيه بحسم مواد المخاصمات صارما ونحله من اعبا المناصب ما يكون
بحقوقه قايما ويرتضي منه لتدبير عوالي المراتب طبا خبيرا وامامًا عالمًا
ومنه قولـــه في خطبه صداق لمراجعه ربنا هب لنا
من ازواجنا وذرياتنا قره اعين واجعلنا للمتقين اماما الحمد لله جامع
الشمل بعد الشتات وواصل الحبل بعد البتات ومحيي الارض بعد الممات
ومنزل الما الثجاج من المعصرات لاخراج الحب والنبات والعالم بما
كان وما يكون وما مضي وما هو ات واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك
له شهاده تضاعف الحسنات وتمحو السيات واشهد ان محمدًا عبده
ورسوله المبعوث بالايات البينات صلى الله عليه وعلى اله الابرار وازواجه
الطاهرات صلاةً باقيةً بعد نفاد الازمنه وفنا الاوقات وبعـــد
فالنكاح من السنن التي امر الله بها وندب اليها ورغب رسوله صلى الله عليه وسلم
فيها وحض عليها فقال تعالى في كتابه العزيز المنزل علي
افضل انبيايه ورسله الذي لو اجتمعت الانس والجن على ان ياتوا بمثله
لا ياتون بمثله وانكحوا الايامى منكم والصالحين من عبادكم وامايكم ان
يكونوا فقرا يغنهم الله من فضله وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهو المخصوص بالشفاعه والكرامه تناكحوا تناسلوا اباهي بكم الامم
يوم القيمه وقد جعل الله تعالى للزوجين ان يتواصلا وان يتقاطعا
وان يتباينا وان يتخالعا ورخص لهما في المراجعه بقوله تعالى فلا
جناح عليهما ان يتراجعا وكان من قضا الله السابق علمه
وقدره المارق سهمه ما ذكر في هذا الكتاب المقرون بالبركه رقمه
المعجون بالسعاده ختمه كذا وكذا ومنه قولـــه وهو
حل بيت المتنبي وهو

ان القتيل مضرجًا بدموعه مثل القتيل مضرجًا بدمايه

~~قتيل الجفون الفواتر في سبيل حبه كقتيل السيوف البواتر في سبيل حب~~
كقتيل السيوف البواتر في سبيل ربه الا ان هذا يغسل بدموعه وهذا يزمل
بنجيعه وهذا في حال حياته ميت يرمق وهذا في حال مماته حي يرزق ومنه
قولـــه في طال اساته ابن الرومي

وحديثها السحر الحلال لو انه لم يجن قتل المسلم المتحرز
ان طال لم يملك وان هي اوجزت ود المحدث انها لم توجز
شرك العقول وفتنه ما مثلها للمطمين وعقله المستوفز

لا جناح على من شغف بفاتر الجفون فاتكه العيون عليل لحظها صحيح
لفظها بعد السقام الشفا من قربها وتوقع الالام في شرك من هجرها
وان انثنت طعنت من ناضر غصن رطيب بعامل ذابل وان رمقت
رشقت عن قوس حاجب بنبل نابل وان نطقت فما سنح لما انزل على الملكين
ببابل فهو السحر الحلال مع قتله النفوس عمدا والعذب الزلال الا انه
يزيد المرتشف له وقدا والقاتل للعقول فلا تجد من وقوعها في عقاله بدا
يومن على طويله الملك وكل طويل سواه مملوك ومود سامع قليله لو انه
بالكثير منصف وبالزياده مشمول يلهي المشتغل عن قضا اشتغاله ويعوق
عن مضي استعجاله سرح النواظر في رياض حسنها الناظر وتغرق
الخواطر في بحار [illegible] الزاخر تقيد الالباب ولواسات وعهدنا
الانسان بالاحسان يتقيد ويصيد القلوب طوعا وكرها فالمحبول
من غزاله يتصيد ومن شعره قولـــه

يقول لي مادحو لما قد روا وما فزت بالرغايب
مالك فينا بغير عين قلت لاني بغير حاجب
فان تحجبتم لكوني وردت بحرًا عذب المشارب
ولم ادر من نداه دري فالبحر من شانه العجايب

ومنه قوله

غبت عن القدس فاوحشته لما غدا باسمك مانوسا

وكيف لا يلحقه وحشه وانت روح القدس يا عيسى

ومنه قوله في الصوم

وما خاتم طول النهار لباسه وعند دخول الليل ينضى ويخلع

واعجب شي ان يسمو خاتما وما دخلت فيه مدى الدهر اصبع

ومنه قوله في قصب السكر

جعلت فداك هل لك في حبيب محبب في الوصال بلا محال

نقي الثغر معسول الثنايا له ريق الذ من الزلال

له قد القضيب اذا تثنى وهزت عطفه ريح الشمال

يقام عليه حد القطع ظلما ولم يسرق ولم يهم بمال

ويعصر كعبه من غير ذنب فيبدي الشكر من كرم الخلال

ومنه قوله في السيف

وابيض وضاح الجبين صحبته فما حسن حتى ما اقوم بشكره

شددت يدي منه على قايم بما اكلفه يلقى الاعادي بصدره

اذا نابني خطب شديد ندبته فيهتز منه مستقلا بامره

وصبور على الشكوى فلو دست خده على جمر نار فيه وثقت بصبره

ومنه قوله في الرمح

عصي ثقيل ان اطيل عنانه مطيع خفيف الكل حين يقصر

نزي منه ابدا الى الخط ينتمي ويعزى بغزو الروم وهو منزر

عجبت لمن صامت وهو اجوف ومن مستطيل الشكل وهو مدور

ومن طاعن في السن ليس بمنحن ومن ارعن مذ عاش وهو موقر

ومنه قوله في الابر

ومسموم

ومسمومه بالضد من اخواتها اذا زال عنها سمها ليس ينفع

اذا لدغت لم يدخل القلب ابدا الخوف وان كانت تمض وتوجع

نرى خلفها مهما تمشت دوابة تجر وان الراس منها لاقرع

تحلت بضيق العين وهي بجيدها اخلع من الانام توزع

وان اجل الناس قدرا وقدره ليلبس ما تضوع عنها وتخلع

ومنه قوله في صاعد الاراقه

يا سيدا لم تزل ايامه فرضا على العبد فهو ممتثل

هل لك عندما لساني امه بيضا حمرا اما بها خجل

ان تدنها تات وهي صاعدة او تنقصها لا يغيظها الملل

ننكحها كلما اردته ولا يضجرها منك ذلك العمل

تحبل في ليلها فان تركت الى غد زال ذلك الحبل

وهي اذا انتشت فلا دبر يولج فيه لها ولا قبل

ومنه قوله

وعلق تعلقته بعدما عدا وهو من سقطات المتاع

فعرقني منه نوء البطين ورواه مني نوء الدراع

ومنه قوله في المحنه

وحامله محموله غير انها اذا حملت القت سريعا جنينها

منعمة لم ترض خدمة نفسها فنعلها انا من خولها يخدمونها

لها جسد ما بين روحين يغتذي ولولاهما كان التنعم دينها

فقد شبهت بالعرش في ان تحتها ثمانية من فوقها يحملونها

ومنه قوله في الابر

وعاريه لا تشتكي البرد في الشتا على انها منهوكة الجسم بالبرد

اذا زال عنها سمها زال نفعها وكان دوا السم في ذاك بالضد

ومنه قوله في الميل

ومعتدل في شكله وقوامه وليس له مثل وان كان كالغصن
يبس وان لم يرهف الليس حده على انه كالسيف سل من الجفن

ومنه قوله في المشط

يعض باسنان وليس له فم ويتغر احيانا وليس يدي تغر
راي الزهد راياً فاعتدي متجلدا على جسم العاري يسرح من الشعر

ومنهم

ولد وهو محمد بن نصر الله بن محمد بن محمد بن عبد الكريم السلمي ابو عبد الله
وطن ذكاء غذت بلبانها وغذى في ورق الشباب سرسرار قضبان بانها
طلب العليا والشبيبه ممدوده الطراف والحيبه غضه الاطراف
وكان دابه في ادب يونسه لطرب يسيسه فكر يدبه لبكر يهديه فاهداها
خفرات وابداها مسفرات من غرر وسام ودرر لا تسام نثرها نثر
الجمان ونظمها قلايد في جيد الزمان فتفتحت الانوار وفتحت من نرجس
النجوم اعين النوار وطالت بها الايام بكر واصايل وطالت بسجعها
الايام غدر وخمايل وكان مخالفا لمذهب ابيه في التيه الذي منت لاجله
وروق ميقات الحب لغله ذكره ابو العباس بن العطار وقال
ولد بالموصل في رمضان سنه خمس وثمانين وخمسمايه وتوفي يوم الاثنين
جمادي الاولي سنه اسبع وعشرين وثمانمايه وله كتاب غرر الصباح
في اوصاف الاصطباح وكتاب الانوار في نعت الفواكه والثمار
وله نثر رايق ونظم فايق ومن نثره قوله بين المشوق
وبين الحمام مناسبه في شجو تعبيره لا في شجو ضميره فهو يعلن نحيبه
تالما وهي تعلن بعتابها ترنما وفرق بين الاشجان الملهبه الاضالع
والالحان المطربه للمسامع وتدرع قوم انما تذكر عهدا او تجدد وجدا
وهذا شان من كانت عهوده منسيه الايام ومن لم يكن له من وجد

حمام

حمامه لم يهج لتغريد الحمام ولست براض ان ارعى للاخوان عهدا يفتقر
الي تذكار واضمر لهم وجدا يحتاج الي تجديد اثار واشواقي اليهم على النوى
من الاشواق التي تذهب بجلد الجلد وتورى زناد الصبابه تحت الحشا
الصلد واذا صا نحت بردا الموارد وجرت حر الغليل في ذلك البرد وان
زاد غيرها بحديث سعد وكذلك هي في ارتياحها اليه والتياحها عليه
ومنه قوله يصف سحابه خفقت بها بنود الرعود
واطردت فيها خيول السيول فالسحاب بها بين ساير ونازل وواضع
وحامل ومنه قوله ولقد وافيتها في زمن المشمش الذي له
المثل السائر والذكر الداير فرايت منظرا بها ومخبرا شهيا ذا لون ذهبي
وشكل كوكبي وعرف مندلي وطعم عسلي فهو تمزق للطافه جلده
وتزهي بلذه طعمه وعظم قدره ومنه قوله وصل الورد على
دمشبهه عرفا ومخجله وصفا وما اقول الا اني جرت في التشبيه فعدت على
خاطري بالتنبيه وقلت اين الورد الذي تنا له الايدي بتنا ولسا
وتبذله بتذاولها من ورد لا يجنى الا بالعيون ولا ينال الا بالظنون
ومنه قوله كانما خلقت اغصانها منابر الخطباء العزام
وصورت اوراقها محاجر الدموع الغمام وخرطت ازهارها مجامر
للمندل الرطب وقدر الحوانها فما لمؤشرا الثغر للعذب والطيب ما بين
منطلع من وكنه وقايم على غصنه من كل مفوف الطيلسان ذا طوق نرجي
به على طوق العقبان يترنم خلال اوراق الغصون فيلتفي شان المتيم
بين الشوق يصلي بنوحي نوحهن وانما بكيت بشجوي لا بشجو الحمام
ومنه قوله في البنفسج والورد انا حبيب للنفوس
وتاج الروس وللعطر الموضوع في الجيوب واللون الذي يشبه
عذار المحبوب ولين ذممت بان لباسي لباس السواد فان هذا من

شيم اهل الوداد فاقبل الورد في عسكره وجنوده خافقه للسمه عذباته وبنوده
محمر الوجنات من الغضب منكرا على البنفسج ما جاء من سو الادب فجال
في ميدان المفاخره وصال وهتف بالبنفسج وقال اعلى تفتخر البنفسج

جاهلا والي يعزي كل فضل تهيد
وانا المحبب في القلوب زمانه ومقدم اهل المسره بتجد

كيف اطعت هوى نفسك الامارة حتى فتحرت بحضرة الامارة الست
صاحب الاسم المعجم وللرداالذي ليس بعلم بيناتري نا ضراذ ترى الطرف
عنك نا نزا هلكك من الفخرالا ان تشبه بالعذار اذا نقل وللكبريت اذا استعل
ولم تخط من هذين الوصفين الا بالصيت المذموم لان هذا احراق النار
وهذا تسويد الخد الملثوم على ان بعض البلغا قد انكر تشبيهك بالعذار
وتزع عنك خلعه هذا الثوب المعارفقال

ومهفهف لما بدا في خده شبه البنفسج واظعى توريده
نم البنفسج حين شم خلقه وغدا على مبيضه تسويده

لكن انا من معقب الايام ومنتظر الاعوام وايامي ايام الافراح ومراوح
الارواح لا يشرف الربيع الا بوردي ولا تشبه خدود الغيد الا بخدودي
ومنه قوله وبينما العمامه نطلق لساننا وبذكر احسنا نها
اد عارضتها الشمس فخرجت من اثوابها وقالت هل منه على الارض انا اولى
بها وانا معجزه الحيار وعروس الفلك الدوار ومربيه الازهار والثمار
ومصلحه ما افسد تابع الامطار على ان المطر بدا لا ينبتي وطبابه
حلاج الرق بوسى فانه مخرج الارض من مونتها الى نشورها وموقد فيها
مصابيح نورها زف الي عرايس الرياض والي مهورها ويظهر ما في
بطون الارض من الكنوز الى ظهورها ثم ينسج ابرادها ورد ارواحها
الى اجسادها في لمقدمه تبهج وتهتز وتنبت من كل زوج بهيج واما

نظم

نظم ثم اقف له منه على قصيده مطوله فاذكرها متمما ولا مختارا الا ابياته مختصره
ستاتي ومن مقطعاته قوله

لمع البرق فهاجت لوعه لفواد بالتجني متعب
فتخال الجون لمعته حبشيا في ردا مذهب

وهذا معنى مطروق يشبه الليل بالحبشي ولكن حسنه هذا الشبه
التي جا بها ولا شي احسن من ردايه المذهب هنا وان نظر قول المعري
حسب الليل زنجيا جريحا وله

في روضه سلبت بها انها رها من كل ماضي السفرتين مهند
قد صيغ فيها فضه سد للضحي وابى الاصيل فضاعه من عسجد

وله

ولم يطلع البدر السما لانه راي بيننا بدرا له يخجل البدر
نغني واسباب السرور تمده وفي لفظه در ولحاظه سحر

وله

اما ترى الليمون يبدو في خلال الورق
بظاهر من ذهب وباطن من ورق
تحوطه غلايل من اخضر استبرق
اذا دنا الليل لنا جلا ظلام الغسق

وله في المشمش

والمشمش الغض الجني بدا بين الغصون كانجم السحر
وان رمت ان اجنيه تشغلني طيب المشم ورونق النظر
سبحان خالقه وجاعله نزه العيون وعسجد الثمر

وهذه الكلمه حسنه لولا حاف التشبيه في الانجم فانها تدعي في هذه العروس عين
ودعامه ملحته في هذا البيت واما قوله وعسجد الثمر فطرب وكذلك

وكذلك كلما العماد براويقي قوله كانما خرطامن الصندل اوحط بالمندل عدنا
الي ابن الضيا الجزري ولـــه

وكثري حبوب به الندامي بزيل بقطب الوجه العبوس
كاكواب صغار من زجاج وقد مليت بصفو خندريس

ولـــه

قد اسفر الصبح لنا عن نقاب ورقت الكاس وراق الشراب
فقم بنا يشرب من قهوة يلمع للشرب كلمع السراب
من قبل ان تلقط شمس الضحى من اعين النرجس در السحاب
اما تري الخمر وايماضها كالسيف والكاس لها كالقراب
فهزها في كاسها هزة تحزن آثار شرخ الشباب

ولـــه

وروضة طلقة حيا عنا مخضرة جنابا
يحاب عن نورها كمام يحط عن وجهه نقابا
بات بها مبسم الاقاحي يرشف من طلها رضابا

ولـــه

السحب تبكي والثري ضاحك بكاصب مل من جفونه
والزهر قد فتح ازراره كانه استيقظ من رقدته

ولـــه

هب النسيم على الغصون فخلتها مثل الاحبه ساعة التوديع
وبكيت من وجدي وفرط صبابتي حتى سقيت اصولها بدموعي

ولـــه

والشمس خلف الغيم كالحسنا خلف المعجر
تبكي اذا ما احتجبت من شدة التحسر

لها الغاي نفس والدمع ما المطر
تسفر احيانا لكي تحظي ببعض النظر
كانما تنثر في الارض نجوم السحر
او ذهب منثور على بساط اخضر

ولـــه

نثر النسيم الطل من اغصانه والروض بين مذهب ومفضض
فتخاله فوق الغدير وقد طفا حببا يدور على شراب ابيض

ولـــه

والروض ساه باسم مستعبر خضل بطل سمايه مطلول
والفصل معتدل فيا عجبا له كيف النسيم يمر وهو عليل

ولـــه

في روضة نطرت اغصانها سجع طيور في ذراها فصاح
قد فتح الزهر احداقه قبل الطل ثغور الاقاح
ويحسب الانهار في جريها قد جمت الزهر ببيض الصفاح
ودغدغ الغيث بطون الثري فابتسمت فيه ثغور الاقاح
وكلما غنت هزارانها شقت جيوب النور هوج الرياح

ولـــه

اني رايت بالاراك هتفا تزعم ان عندها ما عندي
تبكي بلا دمع وابكي بدم شتان بين وجدها ووجدي

ولـــه

تغني يا حمامه فوق غصن تثنت اعطافه ريح الشمال
فانك كلما غردت صوتا اميل من اليمين الي الشمال

ولـــه زهر البهار بلونه يزهو على شمس النهار يحجبه غيمه فلله الكل ما ابان

ولــــه

اما ترى نرجسنا قايما وهو لنا في ليلنا حارسا
تدفتح الاحداق مستيقظاً فظل يخشى ان يرى ناعسا
حتى اذا اقبلت من اشتهى تراه من فطنته ناكسا

ولــــه

والماء بين الرياض تحسبه قد جرد البيض وهو يحميها
وكلما غنت الطيور بها ترافص الزهر في نواحيها

ولــــه

للروض عند الصباح طيب تهب الينا به الجنوب
واستمتع الطرف من كراه لملت المضجع الجنوب
والطير فوق الغصون يدعوا اطاب لكم وقتكم فطيبوا
والكاس في كف ذي قوام تخجل من لينه القضيب
لولا لباس بقيه طرفي لكاد من لحظه يذوب
ما سعد الوالدان فيه الا لتشقى القلوب
راح اذا الراح ابرزتها صبا اليا شربها اللبيب
لها اذا الماء جال فيها في ثغر كاساتها وثوب
اذا سرت في عروق شخص هانت على قلبه الخطوب
وقايل تب فقلت كلا هيهات عن شربها اتوب
اذا استقام الانام طرا قال لي لمن تغفر الذنوب

ولــــه

فهي شمس لكن بغير مغيب وهي لهيب لكن بغير انطفاء

ومنهم عمر بن قرناص محيي الدين وهو من اهل حماه ووقفت له على بديع
رقم بغرايب النوار حماه بيانا كالجوهر المعدود واحسانا كل سمع به

معقود

معقود كانه شخص الحبيب بدا لعين محبه او طيف الخيال وادي
في قربه وسمعت له كلما قراتها استخرتها وفقرا لقرى المسامع مهما
تددمت لك استزدتها فمن نثره قولـــه وسار في
فرسان كالاسود الا ان براثنها السلاح وجنود كالطيور الا انها
تسبق الرياح حتى اتى قلانه ورتب عليها نوب اليزك للمحايله لا للمخاتله
واستطوان يخرج اليه صاحبها متضرعا او يقصد اليه متخضعا لانه
انما قصده غضبا لله لما انتهكه من محارمه واقامه لمنار العدل
الذي شرع في هدم معالمه وشفقة على خلق الله الذين بسط عليهم
منذ ولي ايدي مظالمه فلما ابى الا الطغيان والتمادي في مهالك
العصيان واغتر باصحابه الذين هم معه باجسامهم وعليه بقلوبهم
ووثق برعاياه الذين كانوا وقعوا معه بذنوبهم فالصق الجيش المنصور
بالسور المقهور فدنى وتدلى ورأى الخصم عين القصم فعبس وتولى
فكشفت الستور وهتكت حجابه وبرح كل براح فحسر للزرافون لثامه
واماطت النقابون نقابه وطلعت على الاسوار المنيفه من الاعلام
الشريفه كل رايه صفرا فاقع لونها تسر الناظرين وايد الله الذين
امنوا على عدوهم فاصبحوا ظاهرين ومنه قولـــه
لم تزل شجرة قايمة على اصولها وكروما خاويه العروش وسقيط بلح
المنثور وجبال كالعهن المنفوش ومن شعره قولـــه

خله اليك اذ همّا مجحلا من يعل يوما منه نعد نجا
يريك من تحجيله ولونه طرة صبح تحت اذيال الدجى

ومنه قولـــه

من لقلبي من جور ظبي هواه يا شغل عن حاجر والعقيق
خصره تحت احمر البند يحكي خنصرا انه خاتم من عقيق

ومنه قولـــــــه

جرح الفواد عداة جا مجرحًا ظبي من الاتراك معسول اللمى
ايلام عاشقه لفرط بكايه وعليه اعين درعه تبكي دما

ومنه قولـــــــه

وكان مسطولا عريرًا قد عدا يرعى الحشيشه من جآ ذرجاسم
وسنان اقصده النعاس فرنقت في عينه سنه وليس بنايم

ومنه قولـــــــه

يا الله اشكو د احسًا قد اضرني بو خزحكى وخز الرماح المداعس
و اني لفي حرب اذابات صاديًا علي ومن يقوى على حرب داحس

ومنهم

ابن العجمي كمال الدين احمد بن عبد العزيز الحلبي ابو العباس كتب الدرج في ايام الناصر بن العزيز ثم رقم ديباجها بالتطريز وفصل فرادها وازواجها بالتبريز وكان صدر رياسه وبدر عرفان وسياسه لاقت العليا بمعاطفه وراقت الفضايل في كوس معارفه من قوم هبتهم الثريا سيادتها وحبتهم جارة الشمس سعادتها فثنت الجوزا اليه عنانها وانقدته النجوم اعيانها فجعلته الدول حليه للبتها وشبه لايامها وقد نفضت عليها الليالي صبغ لمتها وقدم دمشق في اوايل دوله الظاهر بيبرس وكتب بها ثم طلب الى مصر واستنكتب واستعتب لحظه الناقص فاعتب وله الان بقتي بقيه العتق في المشام والشهب في اخر الظلام ومن نثره قولـــــه ولم يكن الا كلمح البارق الخاطف اوشرب الطاير الخايف حتى علونا جدارها وسورنا اسوارها وهذه قيساريه كان زيد فرس قد احكم عمرانها فالحق بالسما ارضها وابرم اسباب تحصينها ابرامًا منعه نقضها وجعلناها امام ما نقصده من الثغور الساحليه لتعلم الفرنج

المجذولين

المجذولين ان قصدنا حصونهم امام ما نقصده من الثغور الساحليه شامل وعزمنا اليهم من كل جهه واصل وانا لابد ان تغرق بحر عساكرنا ما بايديهم من الساحل لتتفرق عزايمهم فلا تنصب الى جهه واحده وتذهل خواطرهم فسوهم كل فرقه من الجيوش اليها قاصده ومنه قولــــــه وكنا لما شمخت بانفها اباً ورفعت راسها منعه واستعصا وكلانا باستلانه جانبها ورياضه مصاعبها كل طويل الباع رحب الذراع مضطلع بامر الحصار اي اطلاع فقذفها بشهب نجومه وواصلها بتوالي رجومه حتى عرف منها موقعه واستبان من ابراجها موضعه والان من شامخها جامحه وممتنعه فلم يزل يقبل ثغرها حتى اثغر وتصادم ركنها حتى خر وجاما لا صقه على الاكثر وفي ضمن محاذاتها بالمجانيق تخللنا حولها الارض طرقا واسرابا وصيرناها الى الخنادق انفاقا وابوابا وصبر جنود الله حتى وصلوا بالحجاره الى جدارها فجاذبوا اذيال بنايها الشامخ وحلوا عقد اساسها الراسخ فتعلقوا بابراجهم تعلق قرار لا لانتصار ولاذوا بمعاقلهم لياذ رعب لا توهم اقتدار وادعنوا بلسان الاستعطاف فاجبناهم على ان يقفوا تحت ايدينا اسارى واغمدنا عنهم السيوف الا من سبق في قتله السيف العدل واتاه الموت قبل تحقيق الامان على عجل وقد فتح الله على المسلمين حصنا كان عليهم وبالا وحل عنهم من معقله عقالا وخفف عن اعناق محادبه من سو جيرته اعباً ثقالا ثم امرنا بهدمها حتى عاد ما كان يرى منها شاهقا للعيان لا يكاد يدرك باللمس واصبحت خاويه على عروشها كان لم تغن بالامس ومنه قولــــــه فنصبنا عليها من المجانيق كل صايب سهمه ثاقب نجمه محرق لشياطين الكفر رجمه يهد ويهدم ويردي ويردم ويوهي ويوهن ويسر بار دايه ويعلن

لم تنصب عوامله على سور متصل الا هدمته ولا مدت اسبابه على مبنى رفيع
واستغلق بابه الا كسرته ولم يزل يرمي عاديتها بالقارعه ويصمي اسماعها
بالحجارة الطاير الواقعه واقبلنا بالمجاهدين اليها فاحاطوا بها احاطة
الخاتم بالخنصره والسوار بالمعصم وامطرنا عليها بسحب القسي وبلا
غوثهم بدافق اسهمه فتجلدا عدا الله وجالدوا وتعاقدوا على الموت وتعاهدوا
وارسلوا من جروحهم سهام لا يردها اذ عن الاجسام ولا يكسر عينها
ما تضم الاعضا من تظاهر الالام واذا شوهدت راعت الناظر فلم يدر
اعدي ام سهام وشفعوها بضم احجار صمت لها اسماع الدرق وكسرت
بها روس البيض ونفست اعين الحلق وصبر اوليا الله ولم يزالوا
حتى الحقوا النقابين بجدارها وبوا ام المقاعد تحت اسوارها
ولم يكن باسرع ان سقت النقابون نقابا اسوارها واضرموا انارا طاف
باهل السعير سعيرها ونطقت عما اكنه ضميرها فانحل من عقود
بنايها ما كان متسق النظام وبدد من شمل بروجها ما كان حسن الالتيام
وكانت لا يلوي جيدها صغرا فالصق خدها وهي راغمة بالرغام (٥)
ابن الاثير الحلبي تاج الدين ابو جعفر احمد بن سعيد
راس المعالي وتاجها ولقاح المعاني ونتاجها كان معدن الجلالة له
وموطن الرفعة والجزالة ولم يزل بدر الفضايل وكمالها وصدر المحافل وجمالها
ونفس الماثر وعنصرها وخاتم المفاخر وخنصرها صحب الايام
مسالما وقاسم الليالي على النجوم الزهر مساهما واكسف البلاغة
فقلدته تقليد العموم وقدمته تقدم الامام على الماموم وخدم الدول
فاولته انعاما وخولته مواهب طالما اخدمته للزمان عاما وكان
نداه موارد ملكها ونهاه عطارد فلكها فارته وجوهها وساماوا رضته
مصرا وشاما فاهدى من فرايده ما ابن العزيز فاستخدم في ديوان

الانشا

الانشا واستكتب واستعتب له الحظ لو تعتب ثم نقل الى الباب
الظاهري فكان هناك احد المحدثين الاعيان والمتحدين بسحر
البيان وولي في الايام الاشرفية كتابة السر بالحضرة السلطانية
فلم يتم الشهر حتى مات ودفن بغزة فاعدت المنايا منه غصنا
ووهبت منه الى جانب البحر الملح بحرا عذبا وكان هلالا للشهر وروضا
يلتقط من افنانه الزهر قال شيخنا ابو الثنا كان يبطي ولا يخطي
وقال كان اعتناوه بالالفاظ اكثر من المعاني قلت
ويدل على هذا ما يري وقد وقفنا على كثير منه واكثر مترسل لو تجسد
لاحترز كانه في تساويه سجع الحمامة او وقع الغمامة وحكي انه لما
اناخ هولاكو على شاطي الفرات وفرش خوفه الخدود لمواطي العبرات
وقطعت من تلك الدولة الاواصر واصبحت وما لها قوة ولا ناصر كان
الناصر بن العزيز قد جهز ولده الى اردو هولاكو بطرف بعثها وكتاب
حل في سطوره عقد السحر ونفثها كتبه له هذا الكاتب المذكور واستشهد
فيه بالبيت المشهور
يجود بالنفس ان ظن البخيل بها والجود بالنفس اقصى غاية الجود
فلما عرضه على الملك الناصر قال له هذا كتاب لا يلايم دونه القاصر
وكان الانسب في هذا المكان ان لو استشهدت فيه بقول
ابن حمدان فدى نفسه بابن عليه كنفسه وفي الشدة الصماء تفنى الذخاير
وقد يقطع العضو النفيس لغيره ويدخر للامر الكبير الكباير
فاقر له بالصواب وعلى نفسه بالخطا وبدل الاستشهاد بما قال ثم ما
اتفق لك الكتاب من عثره ولا اقال ومن شعره قوله في
كتابنا هذا والمرتب في قبضه ملكنا وربوعه قد عادت اطلالا والاسيا
التي كانت في ايدي اهلها قد جعلناها في اعناقهم اغلالا وقد علم

المجلس ماكانوا يحدثون به نفوسهم ويشعبون به روسهم واستفزهم من
حسن لهم في الطمع امورا وعدهم الاباطيل وما يعدهم الشيطان الا
غرورا وكان المانع اولا ما كان من اضطراب الامور والتقا الجيوش
واختلاف الارا وتغيرا لنيات الى ان امكن الله عز وجل من كل
مناو ومنافر وظفرنا من الاعدا بكل كافر ولكل من هو للنعمه كافر وبخرمع ذلك
نحيط بما يمكرونه علما ونملي لهم ليزدادوا اثما فلما تلمحنا مخايل النصر
سرنا اليها سرى الخيال الطارق واسرعنا نحوهم كما تسرع لمحه البارق
ولم نزل نوقدلهم البواتر ونديرعليهم الدوايرونشتت لارايهم شملا ونقطع
من مكايدهم حبلا وننقض لعزايمهم جمعا وتكون جنودنا واقفة بازايهم
نتخيل لهم من خوفهم انها تسعى الى ان ادركنا فيهم الثار واطفينا بهم
النار وضربنا عليهم الذله وجمعناهم جمع القِله واصبح ما كان
يحميهم تحاماهم وقلنا يا سيوف دونك واياهم وكانت هذه القلعه
مكانها في جوار النجم وفنا اليم يقدمها الجبال ويعصمها البحر ويحجبها
الاوديه ويحصنها الوعر ويحف بها سيوف لا تكل وآمال لا تمل
وآجال يحفظونهم ولا يضيعونهم وقوم يعصون الله ويطيعونهم وسطرناها
وبلادهم مهدومه وجموعهم مهزومه ويد الله فوق ايديهم والخذلان من
كل ناحيه ياديهم ومنه قولـــــــه وبعد فان الرتب
شرفها لمتوليها ومتوقلها يزيد والعقدما امتاز على السلوك الا
بواسطه حسبها نظام كل فريد والمملكه جمالها وزيرها وقوامها
مشيرها وامورها تكون ضياعا وحزمها يكون مضاعا ما لم توازرها
دوازر شديد وراي سعيد وقلم يقلم ظفرا لملم وتقوم بعب الهم ويجري
بالارزاق ويدخرها ويقتني الاموال العظيمه لمن يستصغرها ولولاه لما
انتحرت الدول ولكانت مضطربه لولا ابتنا وها على الاقلام والاسل

وكان

وكان اولي من عول على تدبيره واهتدي في الامور بنوره اهل العلم
فانهم المذكورون لمن ملك والمستفتون في الارواح والاموال ليحيا
من حي عن بينه ويهلك من هلك ويسترشد بهم اذا ضلت الارا واظلت
الاهوا وطلت الانوا وتحكمت الادوا وتقسمت الاضوا وكان
فلان هو المعني بهذا المدح والجدير بان تجلى عليه هذه الملح وتجمل
بالقا دروسه صدر كل ايوان وتصريفه مكان كل ديوان وتحاسدت
الوزاره والاحكام عليه الى ان نالت الوزاره منه نخبتها منشده هو
الجد حتى تفضل العين اختها ومنه قولـــــــه يقبل اليد لا
زالت انامل الها محسنة في سفاراتها وكتبها لا تسلك الاختصارتها واتخذه
اذا لم يكن معها دمام لا يومن عليها شن غارتها وينهي ورود مشرفته التي
ابهجته بما اسمعته وادت الامانه فيما استودعته وحملت اليه الرياض
زواهر واغنته بما اهدت اليه ذلك البحر من الجواهر وقبل الرساله
والرسول وقبل الحامل والمحمول واعاد الجواب وهو من خوف
التقييد على وجل وكتبه والقلم من حيا المماثله لا يكاد يرفع راسه
من الخجل فيعرضه مولانا على كرم النقاد ويتصفحه بنظره الذي
زمام الفضل به منقاد ويسبل عليه ستر معروفه الذي ويعين نفحه
انفاسه التي يكاد يفوح المسك من عرفها الشذي والله يشكر له
الاحسان الذي لا يبلغ الوصف مداه ويحرس عليه من الفضل ما ملكت
يداه ويفديه بكل مقتصر عن شاوه فلا احد الا فداه ومنه
قولـــــــه يقبل اليد الشريفه المحبوبه المحجوبه الا كل قبله
المحتويه على الكرم الذي هو للكرما قبله لا زالت مخصوصة بفضل
الاعجاز والبلاغه التي كل حقيقه عندها مجاز والاحسان الذي
يطرز الاطناب في وصفه من الايجاز وينهي ورود مشرفته التي احدق

البلاغه فيها زخرفها واشبهت الرياض منها احرفها وابانت عن معجزات
البراعه ومثلت له السحر كيف ينفث في عقد تلك البراعه وابانت
مجاري فضله على مثل الجمر وافردته بالرتبه التي لا يدعيها زيد ولا عمرو
وعلمته كيف يكون الانشا واعلمته ان الفضل بيد الله يوتيه من يشاء
توقف الملوك عليها وتوقف من الجمه الحصر وتطاول لمباراته فيها وكم يطول
من في باعه قصر واستقدم القلم في جوابها فاحجم واستنطق لسانه
ليعرب عن وصفها فاعجم وقال حسنها الذي استرق القلوب
قد ملكت فاسجح وبلغ الغايه في نفسه التي قصرت عن شاوها ومبلغ
نفس عذرها مثل منجح ومن اين لاحد تلك البديهه المتسرعه والرويه
التي هي عن كلما تنتحي وتنتحل متورعه والمعاني التي نوارها ابكارا والغرايب
التي بحرها لا يهدي الدر الا كبارا والخاطر التي يستجدي الفضلا
من سماحته واللسان الذي يخرس البلغا عند فصاحته والقلم الذي
هو مفتاح الاقاليم والطريق الذي كل فيه ضل ولو انه عبد الحميد او
عبد الرحيم والكتابه التي يشرق بانوار المعاني نكاتها الليله المظلمه
واليد التي ان لم تكن الاقلام فيها مورقه فانها مثمره ومولانا اوتي ملك
البيان واجتمع له طاعه القلم واللسان وخطبت الاقلام بحمده
على منابر الانامل واحرزت له البيعه بالتقدم على كل فاضل ولو كان
الفاضل واصبح محله الاسنى واسماوه فيها الحسنى وجاير المحاسن
بكل ما تزهي به الدول واصبحت طريقته في هذا الفن كانها مله الاسلام
في الملل وعرف الانشا له لباحله وما صنعت بها الايام وما اشجى من ربعها
الذي لم يبق فيه بشاشه تستام ووقوف مولانا على طللها وملاحظته
الاثار التي عرضت السعاده عنها بعد اقبالها وتفجعه في دمنها
وتوجعه لتلك المحاسن التي اخذتها الايام من مامنها وانه وجدها وقد

حلت

قطف

حلت عراصها وزمت للنوى قلاصها وعربانها في رسومها ناعبه وايدي
البلا والبلى بها لاعبه

فلم يدر رسم الدار كيف يجيبنا ولا نحن من فرط الاسى كيف نسال

فشكر الله موقفه في تلك الدمن ورقته التي قابل بها جفوه الزمن ورأي
هذا العهد الذي تمسكت منه الان بحسب ورعي له حق الدمع الذي
جرى تقضي في الربع ما وجب ومن للملوك بوقفه في رسومها واستروا حه
بنسيمها وسقياها بدمعه وتجديد العهد بمعناها الذي كان يراه بقلبه
فاصبح وهو يراه بسمعه ولقد علم الله ان الاحلام ما مثلتها لعينه الا ارقت
ولا ذكرتها النفس الا تمزقت ولا تخيلتها فكره فاستقرت على حال من القلق
ولا جردتها الاماني لخياله الا وراحت مطايا الدمع في السبق

ولا تلت ايه بعدها لمسامع من الناس الا قال قلبي اهلا

على انه قد اصبح من ظل مولانا في وطن وانشاه انسه من خفض ومن قطن
وتشرف بخدمته التي تعلي لمن احدمها منارا واستفاد من الايام التي
اخذت منه درهما فاخذ عوضه دينارا واصبح في عن كل شغل بها شغل
فاسل فوادي عنها عني وما ذكرت حبيبا الا كنت الذي اعني

وان نظرت عيني سواك تلثمت حيا باردان الدامع الدمع

ولو اني استطعت حفضت طرفي ولو وصفت ما عسى ان اصفه
من الشوق لكان الامر فوق وصفي

واني في داري واهلي كانني لبعدك لا دار لدي ولا اهل

وعرف المملوك الانشا انه لياهد السفره ومتاعبها والطرق ومصاعبها
والثلوج الذي شابت منها مفارق الجبال والمفاوز التي تهيب السري
فيها طيف الخيال والمرجو من الله تعالى ان تكون العقبى مامونه
والسلامه فيها مضمونه وكان مولانا بالديار وقد دنت والراحه وقد ادنت

ي

والنهاني وقد اشرقت ببنودها تلك الرحاب والرياض وقد ابدت من ملحمها
ما يكفر به ذنب السحاب والانس وقد امسى وهو مجتمع القوي والرحله
وقد القت عصاها واستقرت بها النوى ومنه قوله
في كتاب كتبه عن الملك المنصور الى ابنه الملك الاشرف بفتح المرقب اعز الله
نصر الجناب العالي الولدي الملكي الاشرفي الصلاحي عضد امير المومنين
ولا زالت جيوشه تفتح من الممالك حصونها وتبتذل مصونها وتستشرف
السعادة غصونها وتطوي لهم الارض ولا يبعد عليهم سرى يعملون اليه
العزائم وينصونها ويقصون اجنحتها بالشكر ويقصونها تهدي اليه كل
ساعة خبر جنوده وما ملكت وخيوله وما سلكت وسيوفه وما فتكت
ومهابته وما اخرت ومواهبه وما تركت وتبدي لعلمه الكريم ان الهمم بها تنال
الممالك وترتقي المسالك وقل ما ظفر بالمراد وادع وكل انف لا يانف المساعي
نواحي الاعضا بالمجادع ولم نزل نتمثل في افكارنا الصوره التي اقدم عليها
اهل حصن المرقب في مبدا الامر عند اضطراب النيات وضعف
البينات وغرور الايمان الكاذبه واستمالات الخيالات الجاذبه
وياخذ في امرهم الظاهر بالرخصه دون العزيمه ويعمل على ما لو تمثل
لهم صورة لجروا منه ذيل الهزيمه ونسر ما نسدده في نحورهم من سهم ونرتهم
انا ندفع في صدور الحقيقه بالوهم ونعرض عن مناقشتهم في الحساب
وتري الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب ومتى لم يواخذ المسيء
بفعله ويعرف مقدار جهله استدام طمعه واستقام طلعه وحركته
دواعي الشر والشره وتخيل السلامه في كل امره فلم نزل نتربص
بهم ريب المنون ونترك منهم ما كان في جنب ما يكون الى ان آن امكان
الفرصه وجمعنا لهم بين الشرقه والغصه فانفذنا اليهم المرمى واعددنا
مسعانا في طاعه الله عنما اذ كانت مساعي الملوك عنما ووصلنا

السير

السير بالسرى وطرقناهم كما يطرق الكرى واوطاناهم حوافر الخيل
وجيناهم مجى السيل وظللنا عليهم ظلل الغم وغشيهم منا ما غشي
فرعون وجنوده من اليم مع كون مكانهم قد جمع لهم منعة البر والبحر
وحل منهم بين السحر والنحر تصد الرياح الموج عنه مخافة ويرجع عنه
الطرف حسيرًا لبعد المسافه فلم يكن باسرع من ان واحاناه وحللنا
بعرصته وهاجمناه واحاطت به رجال الحرب وشانهنه بخطاب
الخطب وعسكرنا بحمد الله قد ملا الفجاج واستعذب الاجاج وقامتهم
الرماح واعطاهم الاسنه واتقى الرجاج تعرض ابطاله المنايا وان
كانت عرضا ويقول كل منهم وعجلت اليك رب لترضى فلم يزل القتال
بينهم وسهام المنون تصيبهم وسحابها يصوبهم والمجانيق تدلل سورهم
وتسكن نورهم وترميهم بنجومها وتقصمهم برجومها وتقذفهم من كل جانب دحورا
وتعيد كلاً منهم مذموما مدحورا وتشير اليهم اصابعها بالتسليم لا بالسلم
ونتابهم فما تذر من شي اتت عليه الا جعلته كالرميم الى ان فتحناها والله
الحمد عنوة وحللنا مكايدهم بها عقدة عقدة ونقضناها عروة عروة
وسطرنا هذه البشرى واعلام النصر قد خفقت عليها بنودها ودلت
لنا علوج الكفر وكنودها والسيف من دمائهم يقطر والصليب حزنان
ينظر والاذان مكان الناقوس والقرآن موضع الفسوق والكنيسه
قد عادت محرابا والجنه قد فتحت للمجاهدين فكانت ابوابا وكنا نود ان
يكون الولد معنا في هذه المشاهد وان ينظرها بعين المشاهد
وانا لنرجوان لا يكون ممن يستلين المرقد وان لم يحضر هذه الغزوه
فيتاهب للاخرى فكان قد ومنه قوله من كتاب
كتبه الى صاحب اليمن بفتح طرابلس هذه الخدمه بما يسني من فتوح
طرابلس الشام واتفقنا لنا بعد الكفر الى الاسلام وهو فتح طال عهد الاسلام

بشله وتدحرجت في عضد الشرك واهله لم تحل امره في خلد ولا فكر ولا رقت
اليه همه عوان من النوايب ولا بكر مرت عليها الايام والليالي وعجز عنها من
كان في العصور الخوالي ولم تزل الملوك تتحاماها واذا خطرت لها الظنون
في بال يخشى ان تحل حماها ولما افضى الله الينا امر الملك والجى ناس
الملك عاهدنا على ان نغزوا اعداه برا وبحرا ونوسع من كفر به قتلا
واسرا ونورد المشركين موارد الحرب المفضيه بهم الى العطب
ونجليهم عن البلاد جلا طوايف المشركين عن جزيرة العرب نجيناهم
وزلزلنا اقدامهم وازلنا اقدامهم وبرزنا لشقايهم بشقاقهم وسددنا عليهم
انفاق نفاقهم وقصدناهم في وقت تجمعت فيه اشتات الشتا وطرق خفيه
المدارج ابيه المعارج صيفها شتا وصبحها مسا سابيه المفارق بالثلوج
منهله المدامع من عيون الجبال على خدود المروج مزره الجيوب
على اكام الغيوم التي ما للا بسهام من فروج ولم تزل اقران الزحف
في عدران الزغف ترميهم بالفوارص وتاتيهم من الباس بما ترعد منه
الفرايص وتقلب لهم ظهر المجن وتطرق اليهم من الحرب بكل فن
وتقرب الاسنة من الاسواد وتمزج لهم الادوا في الادواد الى ان وهي
سلكها ودنى هلكها وسفك منها ما علا ورخص ما غلا وفتحناها واخذناها
وخليناها وقد اخليناها فامست كالذي يتخبطه الشيطان من المس واصبحت
حصيدا كان لم تغن بالامس وهذه المدينه لها سمعه في البلاد ومنعه
ضربت دون العزم بالاسداد فتحت في صدر الاسلام في ولايه معاويه
ابن ابي سفيان وتنقلت في ايدي الملوك وعظمت في زمن بني عماد
وبنوا بها دار العلم المشهوره في التواريخ فلما كان في اخر المايه الخامسه
وقدر ما قدر من ظهور طوايف الفرنج بالشام اذ استولوا على البلاد
امتنعت هذه المدينه عليهم مده ثم ملكوها في سنه ثلث وخمسمايه واسمت

الى الان وكان الملوك في ذلك الوقت ما منهم الا من هو مشغول بنفسه
مكب على مجالس انسه يصطبح في لهوه ويغتبق ويجري في مضمار
لعبه ويستبق يرى السلامه غنيمه واذا عن له وصف له الحرب
لم يسال الا عن طريق الهزيمه اموال تنهب وممالك تذهب ونفوس
قد تجاوزت حد اسرافها وبلاد تاتيها الاعدا فتنتقصها من اطرافها
الى ان اوجد الله من اوجده لنصر دينه واذلال الشرك وشياطينه
ناحيا فريضه الجهاد بعد موتها ورد ضا له الملك بعد فوتها وزجر ابتداه الله
ان تجلى ديارهم من ناسهم وتطهر الارض من ادناسهم وتجدد للامه قوم سلطانها
وتعيد كلمه الايمان الى اوطانها والله تعالى تثبت في صحايفه اجر
السرور بهذه المجددات التي تعظم بها اجر الحامد الشاكر
ويجعل له اوفى نصيب من يومن الغزوات التي اجد بها بهممه والانجاد
بالهمم مثل الانجاد بالعساكر ومن شعر بديع ابن القصري الكاتب
وكان ردي الخط

للمجد خط حكى في القبح صورته ناهيك من خط بادي من خطل
لم يلقه احد الا وينشد رميت يا دهر كف المجد بالشلل

وقوله

انبت ان كتابا بعثته مع رسولي ملاته منك طيبا فضاع قبل الوصول ٥

شهاب الدين ابو محمد بن كمال الدين ابي العباس احمد بن عبد العزيز
ابن العجمي المتقدم ذكر ابيه نايل كلم حسان وفوايد كرم واحسان سيل
صدور كرام ورسيل سحب مغدقه وبدور تمام من بيت في حلب الشهبا
رفع على صهواتها ولزت به الخضرا وسايراحوا لها اعاد الصبح العشا
وكتب الانشا وصرف الاوامر الوزان وقاسم الوزير حسناته لا
اوزان وكلامه عذب المساغ للقلوب به شغل وفراغ كانما نشر به

حلا او صاغ وكان بزيًّا من طلمه التعقيد كانه الزهر الضاحك في رونق
الربيع الجديد ومن ذلك قوله في توقيع كتبه لقاض اسمه
يوسف لانه المستوجب لهجرته الينا تحقيق ما نواه وانه يوسف
الفضل الذي لما قدم مصر قبل لثيمنا الشريفه اكرم مثواه وارته
احلامه من الاماني ما جعلناه صدقا وانجز الله تعالى له منهاما
قال معه هذا تاويل روياي من قبل قد جعلها ربي حقا فليعتصم
من طاعه الله باقوي حبل ويقف عند مراضيه لتحتبيه وتم نعمته
عليه كما اتمها على ابويه من قبل وليتمسك من اسباب التقوى بما يكون
له جنه ويحرص على ان يكون الرجل الذى عرف الحق فقضى
به وكان المخصوص من القضاه الثلاثه بالجنه ويجعل داء الهوى
عنه محسوما ولحظه ولفظه بين الخصوم مقسوما ولا يالو ما يجب
من الاجتهاد اذا اشتبه عليه الامران ويعلم انه ان اجتهد واخطا
فله اجر وان اصاب فله اجران وصوب الصواب واضح لمن
استشف بنور الله برهانه وليتوكل على الله في قصده وثق فان الله
سيهدي قلبه ويثبت لسانه وليجعل الاعتصام بحبل الله تعالى
في كل ما تراود عليه النفوس من دواعي الهوى معاذا ويتبصر من برهان
ربه ما يتلو عليه عند كل داعيه يوسف اعرض عن هذا ○ ومنه
قوله ويُنهى انه وردت عليه مشرفه شريفه وتحفه
منها على الاعناق ثقيله ولمواقعها من القلوب خفيفه نفثها الملوك ولثمها
ونثر عليها درر قُبله ونظمها ونقل معناها الى قلبه فشف ونقد
ذهبها الخالص واعاده من الصرف وانهى الى ما تضمنه من صدقات
مولي ملك رقه واتاه من الفضل فوق ما استحقه وانال له الكواكب
فتنا ولما بلا مشقه واوي الى حمى حرمه وتغطى عن عين الخطب

بسنو

بسنو نعمه ورأى فيه الازاهر وشم شذاها والجواهر وضم الى
العقود حلاها وشكر هذه المنن ومن والاها وسبح لمن وهب
من نجبه هذه البدايع واتاها وعمل بما امر به مولاه في امر تلك الورقه
وسدد سهمها الى الغرض وفوقه ونجب لما ناصلي الطريق وطرقه
وعرضها في مجلس الوزاره الشريفه ونشر استبرقه وبرز المرسوم
بالكشف ويرجوان يتكمل بالتوقيع ويكمل بالتاصيل والتفريع ثم يجهز
المملوك الى خدمته الكريمه كما امر وما اخر الجواب هذه المده
الا ليجهز معه فتعذر وما قدر ومنه قوله اولى من عاودته
عوايد فضلنا بمحابها وتلقته صدور عوارفنا برحابها ونقلت مكارمنا اطماعه
من لامع سرابها الى نافع شرابها من هاجر ولايه الى حرم دولتنا
القاهره وكان من انصارها وبادر في هيجا اعدايها فاعرقهم واحرقهم
بتيار رهاوبنارها وتشوقت المسامع الى ما تشتهيه فكان اذكر
الجميل من اعظم اسباب مسارها والفارع دروه هذه الصفات
الفارع مروه هذه الصفاه المجلس الفلاني لانه جامع محاسنها
بمفرده والكامي لسر جحها بطش يده ورامي عرضها بصفاه مقصده
حمى الاطراف وحاطها ورفع بهمه فعلق بالثريا مناطها وكان واحد
اوليا الدوله باسا لا يكل شباه وعزما لا يوتر كاهل الريح تقتاد
جنايبه ويركب صباه وفضلا جاملا جامعا فاق فيه كل شبيه الا اباه
ومنه قوله ولا زال بابه الكريم للامال ملاذا وجنابه
المحروس من حوادث الايام معاذا وثوابه وعقابه لوليه وعدوه هذا
لذا وهذا لهذا وينهى ان مولانا ولله الحمد قد جبله الله على فعل
الخير وجعله من اهله وحبب اليه الاحسان ومكنه من فعله
خصوصا من ينتمي الى خدمته الشريفه ويلجا الى ظله ومملوكه فلان

ممن يعد نفسه من الارقا ويرتمي الي مولاته التي هي درجات السعاده
والارتقا وما تهجم الملوك بهذه الخدمه الا لما كان عند نفسه المثابه ولا
ثقل علي خاطر الشريف الا لوقوع ذلك من مكان مولانا بموقع الاصابه وقد
جعل الملوك السوال مفتتح عبوديته لمولانا ومولاته بحسنه قد
اهداها الي صحايف حسناته

ومنهم احمد بن ابي الفتح بن محمود الشيباني كمال الدين ابو العباس
بحر تقذف الدر وافق يطلع النجوم الغر وكان للدنيا جمالا وللدين كمالا
جعل للبيان سحرا وللطيب نحرا وتقدمته الدوله علي الروسا وعظمته علي
الخلطاء والجلساء وكانت الملوك بمنزله منزله لسانها وامينها وبحله محله
ترجمانها واميرها وظلت تصرف به الباس والندي وتصرف في الاوليا
والعدي اونه يحسب لسيبه سوالا وجود يسبيه نوالا واونه تجر بقضبه
الغلاصم وتجر كتبه لجذ الايدي والمعاصم وطالما فتحت به المعاقل الاشبه
وساقت سرجها السوام في رياض النجوم المعشبه ثم قفلت الممالك باقاليمه
وقفلت المسالك بتقاليده واصطفته الرياسه لقربها واصفته السياسه
موارد شربها وكتب كتب السر اكثر عمره وصرف ديوان الانشا
مده بامره وكان بدمشق عينا لاعيانها وزينا وحليه لبيانها واقبالا
للايوان وراسا للديوان وكان عمي ثم ابي لا يعتمد كل منهما الا علي امانته
ولا يرجح فكره الا بايضاحه وابانته وخطه ابهج من الروض الاريض
وازين من النقش المخضر علي معاصم الغواني البيض ولم يكن الاطلاع
ما حقق له المارب وصدق انه الشمس ضوها يغشي المشارق والمغارب
ولم يكن اكثر منه اتضاعا في ارتفاع وتنازلا وهو في اليفاع لا يجد في
نفسه حرجا لاحد ولا مضضا ممن انكر حقه وجحد لا يضن اي مكان
حله ولا يضن لبس عباه ام حله وكان يتعرف الي الله عسا ه ولعله يتعرض

لقضا

لقضا حوايج الناس لله لا لعله هذا بلا تكلف يشق عليه في عرضه مطلوب
او يشق به لعرضه ارديه ارجيوب مع ملازمته تلاوه يونس بها جانب
الجامع المعمور ومراه تشرق بها وجه النهار ويعمر قلب الليل وتجود
وعمل زاك صحب به الاحيا وجاور سكان القبور ومن نثره
توقيع طالما حل منه اتضاعا الرتب العاليه بجليل
مقداره وحلي المناصب العاليه بحلي انواره وما شب علي معاطف
مناقبه ذوايب فخاره وهامت الافكار في اوديه محامده وما بلغت
وصف محله ومقداره وافتخرت الفتيا براحته فتبا عدا السيف
عن قربه خوفا من مهابته وسدد الي الحق سهام احكامه فاصابت
الاغراض وعالج الافهام بافهام كلامه فشفي صحيحه الامراض وكان
فلان ثمر هذه الدوحه النضره ونشر هذه الروضه الخضره
فرسم بالامر العالي ان يفوض اليه تدريس المدرسه الامينيه بدمشق
فليكتب بها دروس فضله التي لا تدرس الايام اثارها وتغرس في قلوب
طلبتها حب فوايده لتجتني ساعه غرسها ثمارها لتصبح هذه المدرسه
كنيفا ملي علما وقليبا حشي فهما وفلكا تبدي شمسا وتخفي نجما وكتابه
تحج من طلبتها في كل حين سهما قلت هذا من توقيع كتبه
في الايام الكامليه حين خرج سنقر الاشقر علي الملك المنصور لقاضي
القضاه شمس الدين بن خلكان وقد اخذت الامينيه له من نجم الدين بن
سني الدوله عدنا الي ابن العطار ومن انشايه رسالته التي سماها
رصف الفريد في وصف البريد
اما بعد حمد لله الذي المسير في البحر والبر والصلاه علي من علا
البراق واخترق السبع الطباق وعلي اله وصحبه الذين سبقونا
بالايمان وعلي التابعين لهم باحسان فانه لما كانت النفوس مولعه

يحب العاجل متطلعةً الى الاطلاع على المستقبل من الامور والاجل
لم تزل انفس الخلفا والملوك وانفس الاكابر من الامرا والعظما به كلفه
صبه وبها استعلام احوال ممالكها وعساكرها ورعاياها منصبه وعلم
مثل ذلك من خلق الانبيا والمرسلين صلوات الله عليهم اجمعين فبردهم
في الافاق ضاربه وطلايعهم تارةً بالمشارق طالعةً واونةً في
المغارب غاربه كم في نجاد السراب تعوم واحري بالافاق كانها
نجوم تروح فتغدو في الصباح طريةً وتغدو فتبدو في الظلام ضلالا
تستطلع لهم خبرا وتطوي وتنشر بساط الارض وردًا وصلادًا
وتعوض اسماعهم بما تنقله اليهم اثرا عما فات اعينهم مشاهدةً ونظرا
فلهم وان غدت البلاد بعيد طرف باطراف البلاد موكل
من كل فتىً قد هجر الكرى واشبه البدر فلا يمل من طول السري
وخلف الريح حسري وهي جاهده ومر تخطف الابصار والنظرا
قد اعد للسفر في ليله ونهاره من الخيل كل اشقر صباح واشهب
مسارٍ واصفر اصيل وادهم ليل
والجم الصبح بالثريا واسرج البرق بالهلال
وسابق الطلال فهي تزور عنه ذات اليمين وذات الشمال فلا تزال
من ورايه مشرقا قبل الزوال ومغربا بعد الزوال موكل بفضا
الارض يذرعه متوقع ان كل بلد يقطعه
وكانما اتخذ البروق اعنةً وكانما اتخذ الرياح جناحا
لما انبا الكتاب العزيز من تطلع المرسلين والانبيا الي سرعة
الاطلاع من الامور والانبا ما ورد في قصة سليمن عليه السلام
من طلبه سرعة اتيان عرش بلقيس ووصوله قبل ارتداد
طرفه اليه وقد نقل عن نوح عليه السلام استبطاوه الغراب وارادفه

له باحكام

له باحكام هذا وقد ضرب المثل ببكور الغراب وخروجه في الظلام ولو لا
اعتقاد موسى الكليم عليه السلام انه للباري جل جلاله ارضى لما قال
وعجلت اليك رب لترضى وفي سيره باهله ومسراه ناداه ربه بالوادي
المقدس اني انا الله وما انعقد على رهن السباق الاجماع الا لما فيه
من فضيلة الاسراع ولم يكن الشيطان الرجيم بمطرود لو جرى على
سجيته في العجلة وبادر في السجود لا سيما وقد خلق الانسان من عجل
وما يعلوا المدرك المسرع من انوار الجذل وما يغشى المبطي من فتور
الخجل ومن كمال فضيلتي الحج والعمرة ما هو واجب او مستحب من الرمل
وشتان ما بين المبطيه والسريعه و يا بعد ما بين الساقة والطليعه
وربما فات قوما جل امرهم من التاني وكان الحزم لو عجلوا وكثيرا ما قيل
في القوم وعداك ذم وتخطاك لوم وتحرك تعش وسر في البلاد
تنتعش وقال الله سبحانه وتعالى لخلقه فامشوا في مناكبها وكلوا
من رزقه هذا واشرف الدراري الكواكب السواري وما الجوارك
في البحر كالسواري وهل اجن الا الما الواقف وهل طاب
الا الما الجاري
وان لزوم عقر البيت موت ولن السير في الارض النشور
والقعود مع العيال قبيح ومن لمن النجاح سرعة التسريح
والمهد اسكن للصبي بحيث جابه ومرا
وبفضيله السير في البلاد والانتقال بلغ البدر درجة الكمال وامنت
الشمس المنير من الهلال والصقر ليس بصايد في وكنه والسيف
ليس بضارب في جفنه ولو لا ضرب اخوة يوسف في الارض لما نجا
ابوهم من حزنه وقد جعل الله رحلتي الشتا والصيف للايلاف
وركني الحج والعمرة للسعي والطواف وفي استحلاف من لا يستطيع

التحيز للضرورة خلاف
والمرما لم تفد نفعًا اقامته غيم حجب الشمس لم تمطر ولم يسر
وسعه الخطو دليل الاقبال وسبيل في بلوغ الامال ولاريب ان العز
في النقل وفي بلاد من اختها بدل

لو كان في شرف المثوى بلوغ منًى لم تبرح الشمس يومًا دارة الحمل

والحركة ولود والسكون عاقر وقد ورد ان الله رحيم بالمسافر وانه للخضر
عليه السلام خليفة وناهيك شرفًا بهذه الرتبة المنيفة ولا انافة على
رتبة الخلافة والسيف ان ترك في الغمد صدي والليث لولا الوثوب
ردي ولو يستوي بالقيام القعود لما ذكر لله فضل الجهاد ولولا انتقال
الدرر عن البحور لما عوضت من الحور بالنحور وكثيرًا ما ورد في الكتاب
العزيز النهي عن التباطي والحث على الاسراع وليست فرحة الاياب
الا لموقوف على ترح الوداع

ان فيه اعتنافة لوداع وانتظار اعتناقه لقدوم

وهذا وكم بين رتبة الاتباع ورتبة الاختراع والابتداع وبين جمود الروية
وتوقد الابتدا وكلا له الرقاد وجمود الاشباه وشتان ما بين عقلة
المشيب ونشطة الشباب وحسبك بانك ترى الجبال تحسبها
جامدة وهي تمر مر السحاب وقد علمت فائدة الاسراع بمن لا علم عنده
ومن عنده علم من الكتاب وبحركة النبض يستدل على حال القلب
ولولا ادامة الترنح عليه لغم من الكرب ولايتاس موقف المأموم لمقام
الامام واذا كانت الشجاعة في الاقدام كذلك السلامة في الانهزام
وقد جعل الله سبحانه وتعالى الافلاك دائمة الحركات وارسل
الرياح مبشرات وللسحاب مسيرات وبارزاق العباد جاريات
واقسم سبحانه وتعالى بالعاديات وبالمرسلات وللاسراع سخر لمحب الخبر

علي

عليها السلام الريح والطير هذه غدوها شهر ورواحها شهر وهذه تسطاع
له ابنا الملوك فتستنزلهم على حكم الذل والقهر ولذلك درجت الملوك
الحمام ورتبت البريد فبلغت بها في الوقت القريب ما تريد من غاية
المرام البعيد وقربت لهم مستبعدات المطالب واطلعتهم بسرعة
الاعلام على نهايات العواقب فبلغت هذه بسرعة ايصال البطايق
ما لم يكن احد من البشر بطايق وارتفعت محلقة في الهوا وحلقت
مسخرة في جو السما وما خفقت باجنحتها الا وقد وافت بالبشرى
محلقة وما اخفقت وما خضبت كفها وتطوقت الا للسرور
وصفقت وما حفظت العهود من الاسرار وما ردها الحنين
الى الاوكار وما قطعت مسافة ايام في ساعة من نهار وما وما وما
ولا عرجت طايرة نحو السما الا وقد ذكرت عهودًا بالحمى الا ان بطايقها
ربما نقلت من جناح الى جناح وحصل بنقلها اعظم خطر واوفر
جناح وكشف خدرها واذيع سرها فعرفت مذاعة السرائر وكانت
محجوبة عن مقلة كل ناظر وذاك حافظ لما استودع من الامانة
المودات امين على ما حمل من التفاق والمشافهات الى الاحباب
واهل المودات حريص على ايصال كتبها صاين لها في حجرتها
صيانة الصوارم في قربها والعيوب بهدبها يوصلها بطيها مختومة بخاتم
ربها فهو السهم الخارج عن كبد القوس لا يزيغ عن الغرض وتلك ربما
جرحها الجوارح وعرض لها بالبنادق من اعترض وصدها عن
بلوغ المرام غموم الغمام وعموم الظلام وقطع طريقها وحتم تعويقها
وقضى وحكم عليها بالتاخير لانها فيه لا تطير وذاك في الليل والنهار
والصحو والغيم يسري ويسير ولذلك لا تسرح الحمام في المهام
الا ويرسل تحتها البريد مورخ بتاريخها فهو لها وعليها سايق وشهيد

وهي وان شهد لنا المترنم المنتدم بالفضل والتقدم والفضل للمتقدم فربما
تقدمها البريد وسبق وكثيرا ماتوا ما فكانا ماكانا على ميعاد فجا معًا في
طلق كفرسي رهان وشريكي عنان وافترق فيه الناظرون وهو يحضر
فاصبح يومي اليهما وعين تنظر هذا وكم تشابت لتعقعقه لجامه النواصي
وزينت لمقدمه البلاد والصياصي وسري وجنن البرق خوفًا وطمعًا يغامز
ويختلج فلذلك تارةً ترد بما النفوس به تبتهج وتارةً بما الصدور به تنحرج
وتشاهد بما ينزل من السما وما في الارض يلج وسري وعيون القطر
دامعه وسيوف البرق لامعه وسيول العيون للطرف قاطعه ونبال
الوبل في اكباد الارض صادعه وروابي المنازل والحيول بها طالعه
وبعدان اصبحت طايره امست تحته دافعه وكم حال دونه من امه
من اوجال اوجال وعلق لثق ووهق زلق لمنعه في سوقه من استرسال
باوثق شجه وشكال وعام في املاق الى الدقن لا الي الوسط
وتتطرفواني ويديه مغلوله الى عنقه وكانت مبسوطه كل البسط
اوبات بعدان كان راكبًا نازلًا وبعدان كان محمولا لسرجه
وجرابه على كتفه حاملا وسري وطرفه بالسما موكل ونزل بمنزل ليس له
بمنزل وليس به ما يشرب ولا به ما يوكل

بمهمهٍ فيه السراب يلمح ولبله بجو مطرح
يداب فيه القوم حتى يطلحوا ثم يظلون كما لم يبرحوا
كانما امسوا بحيث اصبحوا

يمشي زميلا للظلام وتارةً ردفًا على كفل الصباح الاشهب
ويعدو كالجبال يمشي الى ورا و يغدو فلا يسال عن السليك ولا عن
الشنفري اوجات به عنس من الشام تلق بعدان كان يطوي
الارض بسوقه ويخترق وتدفلا الفلا وقيل له هكذا هكذا والافلا

يومًا

يومًا بحزوى ويومًا بالعقيق ويومًا بالعذيب ويومًا قصر تيماء
وتارةً ينتحي نجدًا واونةً شعب الغوير واحرى بالخليصاء

فكم قطع ارضًا وركب ظهرًا ووجد رفقًا ولم يكن كالمنبت لا ارضًا قطع ولا
ظهرًا ابقى وقلما جهز الا في مصلحه من مصالح المسلمين العامه الشامله
للامه المحمديه من الخاصه والعامه ما ابى من سفر الا الى سفر وما سفر
في مهم الى بلد فقيل انه سفر ولكنه ظفر

كان به ضغنا على كل جانب من الارض او شوقًا الى كل جانب

ورد مبشرًا وللمسار في الوجود مسيرًا فازال العنا وانال المنى وافاد
الغنى وانثالت عليه الجوايز والتشاريف من ههنا ومن ههنا

ما ذرت الشمس الا جا يقدمها ولى المغارب منه قبلها اثر

وكاد لشده احضاره يسبق ادنى جواده في مضماره فتراه لسرعه
سيره لا يرتد طرفه عن امد حتى يتعداه الى غيره فهو ابدًا يسبق طرفه
الى ما يرمق وما يستولي طرفه على امدٍ الا ويتجاوزه ويسبق فيكاد
ياخذ مغربا من مشرق فيبلغ غايه الاقطار ويخترق من الافاق
حجب الاستار حتى يقال انه ما سار ولكنه طار وفي الارض طارد

قال له البرق وقالت له الريح جميعًا وهما ما هما
اانت تجري معنا قال ان نشطت اضحكتما منكما
انا ارتداد الطرف قد فته الى المدى سبقًا فمن انتما

ولم يزل البريد مرتبا فيما تقدم وسلف من الايام ومعاويه اول من احدثه
في الاسلام واحكم امره الذي ملك البلاد شرقا وغربا ونظر الى السحابه
فقال امطري انى شيت فخراجك الى يجي وعلم انه من اعظم مهمات
الملك العظام فقال ربما فسد بحبسه ساعةً تدبير عام
فدانت له الدنيا فاصبح جالسًا وايامه فيما يريد قيام

لا سيما في هذا العصر وعدو الدين قد امر امره واستشرى شره
وامتدت اطماعه في البلاد وسرى بها منه الفساد مسرى السم
في الاجساد وهو اولى الاعدا التي لا يستاذن عليه وقدوا في مسرعا
والذي يقال له لعا اذا قيل لسواه لا لعا

وجامنه بقرطاس يخب به فا وحشر القلب من قرطاسه فزعا

وقد اقام الله لهم للاسلام بالديار المصريه والشام كل شهم امضى من سهم
وابعد غاية من نجم

اذا جارته شهب الافق قالت اعان الله ابعدنا مرادا

محمود الطرايق مقبول الخلايق عند الخلايق خفيف الحركات
مسارع الى الحركات تصيف بريح به طله خفيف على ظهر المطيه
حمله واذا كان الناس ارواحا واجساما فهو روح كله عارف بالاداب
والسلوك للمثول بين يدي الامرا والسلاطين والملوك عذب العباره
خفي الاشاره منجح السفاره كتوم الاسرار موفق الايراد والاصدار
صادق اللهجه ثابت العداله مليء باداء السلام وابلاغ الرساله ليست
معرفته على اداب السفر مقصوره جامع بين ادب النفس وادب
الدرس حسن الاسم ومن الرسم سوي الوسم سريع الى الداعي مبادر
الى امتثال الاوامر والدواعي مايفوه بالجواب الا ورجله في الركاب
ثم متى رسم لهم بالسفر يسارعون والى الاجابه يهرعون وعلى الخدمه انفسهم
يعرضون كانهم الى نصب يوفضون والسابقون السابقون اوليك

المقربون لا يستقر لهم ربع ولا سكن كانهم فوق متن الريح نزال

ما ندب منهم ندب لمهم الا وبادر مطيعا وما غاب الا قاب سريعا فما
ما ثله في السير ذكوان ولا ضاهاه حذيفه بن بدر وقد ساق هجان

النعمان الف النوى حتى كان رحيله للبين رحلته الى الاوطان

والله سبحانه وتعالى يطوي البعيد لمن يشا من خلقه ويسهل العسير وهو
حسبنا ونعم الوكيل نعم المولى ونعم النصير الا ان حضور النيات
التي بها انعقاد الامور الدينيات لا يحصل الا بالثبات والاناه
والطمانينه في الركوع والسجود كمال الفرض فاما الزبد فيذهب
جفا واما ما ينفع الناس فيمكث في الارض وكما ورد في التنزيل النهي
عن التباطي ورد النهي عن التسرع وسببه فقال عز من قايل لا
تحرك به لسانك لتعجل به ونهى عن العجله تارة في الخير وتارة في
الشر قولا جزما فقال سبحانه وتعالى فلا تعجل عليهم انما نعد
لهم عدا ولا تعجل بالقران من قبل ان يقضى اليك وحيه وقل رب
زدني علما ولا ريب ان الثبات من الله تعالى والعجله من الشيطان الرجيم
وان الله عز وجل امتن بالتثبت على النبي الكريم فقال سبحانه وتعالى ومن
اصدق من الله قيلا ولولا ان ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيا قليلا وكذلك
لنثبت به فوادك ورتلناه ترتيلا وان ورد عن سليمان عليه السلام طلب
الاسراع في الكتاب المبين فكذلك ورد عنه التثبت في قوله تعالى
سننظر اصدقت ام كنت من الكاذبين وبماذا يصف الواصف او ينعت
الناعت فرق ما بين العجله والتاني وبين البروج المنقلبه والبروج
الثوابت وبالتاني يحصل التاتي ويكون المرء من امره على بصيره
ويشاهد في مراي مراه فكره صور الخيره ويامن من تردد الحيره
وقد قيل اصاب متان او كاد واخطا مستعجل او كاد وحصل على
انكاد واي انكاد ولولا التاني قبل ارسال السهم لم يحصل به النكايه
ولولا التثبت قبل اطلاقه ما وصل الى الغرض ولا بلغ الغايه فالعجله
والندامه فرسا رهان وشريكا عنان وان حمد المجلي يوم الرهان
وما زالت لمن العجله الندامه وربما كانت الملكه في العجله وفي التوده

السلام وفي الثبات والاناه ما لا يحصى من امر العواقب في ساير الحالات
واسرع السحب في الجهام وما الاقدام في كل امر من الشجاعه ولا الثبات من
الاحجام

والحرب ترهب لكن الاناه لها عند التايد اضعاف من الرهب
لا يامن الدهر باس الحجر لامسه وقد يروح سليما لامس اللهب

والتسرع خرق والاناه حلم ووقار والتثبت دليل القدره من الله عز وجل
مثبت القلوب والابصار وفرق سبحانه وتعالى بين الشجره الثابته
والشجره التي ما لها من قرار وما كان الثبات في شي الا زانه ولا التسرع
في امر الا شانه ومع العجل الزلل ومع الزلل الخجل ومع الخجل الوجل
ومع الوجل الخلل الجلل وللثبات وثبات واي وثبات وقليلا ما
حصل النصر والظفر الا بالكمين والبيات وقد حكم الصادر والوارد
والمداني والشارد واقر المعترف والجاحد واعترف الصديق والعدو
والحاسد وسار في الاقطار والافاق وبلغ من مصر والشام والروم
والعراق

وسار به من لا يسير مشمرا وغنى به من لا يغني مغردا

ما حصل للاسلام والمسلمين من الانتفاع ولعدو الدنيا والدين من
الوهن والضعف والاندفاع بثبات المقر العالي الجمالي كافل
الممالك الشريفه الشاميه اعز الله انصاره ومقامه على المرج مع قوه
الهرج وكثره المرج وانه قام بذلك للدين نصيرا وللملك ظهيرا واحد
هو ومن اقام بخدمته من العساكر الشاميه بقوله سبحانه وتعالى
يا ايها الذين امنوا اذا لقيتم فيه فاثبتوا واذكروا الله كثيرا

سديد الراي لا فوت التاني لم به ولا زلل العجول
بعيب مضاه وقفات حلم كعيب المشرفيه بالفلول

وقد كان العدو المخذول يظن انه يركن الى الاحجام ويتربص الدواير والعرصات
من سهام الايام فاخلف الله ظنه وعجل هلاكه وضعفه ووهنه وتحقق انه

الطود

الطود الذي لا يلتقي والسور الذي احاط بالشام فما ان يتسور ولا
يرتقى فاجفل اجفال الظليم وطلب النجاه لنفسه ولم يلو على مال ولا حريم
وحفظ الله تعالى بثباته الاسلام ورفه خواطر اهل الديار المصريه
وصان اهل الشام وعادت العساكر المصريه الى بلادها وعادت الصوارم
الى اغمادها والاجفان الى ارقادها والجنوب الى مهادها وافدي
بالسلطان الشهيد قدس الله روحه كما مضى وسبق وجاءت النصره
بحمد الله تعالى كما اراد لا كما اتفق واصبح وامسى شي غلبه عدوه فيقول
حاسده صدق وبدل الله المسلمين بالامن بعد الاوجال ورد الله الذين
كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا وكفى الله المومنين القتال وكان من خبر كذا
وكذا قل ______ وللشهاب ابن محمود في معنى ذلك
اما بعد حمد الله ميسر اسباب النجاح وجاعل قوايم العاديات في مصالح
الاسلام كقوادم ذات الجناح فهذه تطوى لها الارض كما تطوى لذي
الصلاح وتلك يتسع لها مجال الفضا كما يتسع لمرسلات الرياح وربما
تساويا في سرعه القدوم وامتازت الخيل في سرى الليل بمشابهه
الفلك ومشاركه النجوم الا ان الخيل يعيبها قوه راكبها وثباته ويغريها
بالسبق حسن عزم راكضها وثباته ويطوي لها شقه الارض حسن
صبر على مواصله السرى ويقرب لها النازح طول هجر لطيب
الكرى حتى ان بعض راكبي بريدها يكاد يعثر طرف ليله بذيل
صاحبه ويلتبس على ناظره مستطرح عدوه في المهمات برواحه والصلاه
والسلام على سيدنا محمد الذي كان الرعب يتقدمه مسيره شهر الى
العدى والوحي ياتيه من السما بخبر من راح لحربه او اغتدى فانه
لما كان البريد جناح الممالك ورايد المهمات الاسلاميه فيما قرب او
ناى من المسالك وبه تنفذ المهمات في اوقاتها وتتوافق الحركات

فما تعين من صيقاتها وتعرف احوال الثغور على اتساع اطرافها واختلاف
جهاتها كان المبرز في ذلك من عرف منه السبق والف وسلم له التقدم
في السرعه من نظرايه فما ارتيب في ترجيحه ولا اختلف وكانه شهاب
يتوقد في سمايه او برق تالق في اديال الغمام لسرعته وميضه وانطوايه
ولما كان فلان ممن جلى في هذه الحلبه وبرز في ارتقا هذه الرتبه
فبلغ اليها غايةً لا يشق غبارها المثار ونشر منها رايةً لا يتعلق منها
الرياح الخوافق بسوي مشاهده الاثار فسار على البريد في قوة
الهواجر المشتطه وشدتها وقصر الليالي المعينه على السوق وتقاذف
مدتها من دمشق المحروسه الى الديار المصريه في يومين ونصف وكان
له بذلك مزيه على اقرانه ودرجه لا يرتقي اليها الامن جاراه في امثلها
في ميدانه وسال من علم ذلك ان يكتب له خطه بما علمه وان يشهد له بما
تحققه من هذه الحركه التي رفعت بين الاكفا علمه • علاني في
ابن العطار ومشـــــه رسالته في البندق اولها اما بعد
حمد الله على ما اسبغ من نعمايه ووالي من الايه واباح الانسان من
شرايه وفسح له فيما يتدرب به ليوم هيجايه ويعده من قوة لدفع الصايل
عليه من اعدايه وصلى الله على سيدنا محمد خاتم انبيايه وعلى اله وصحبه وخلفايه
وحلفايه ما مد الكف الخضيب وتر البرق لقوس الغمام وحلق طاير الفجر
نحو الغرب من وكر الظلام فان الصيد مما اتفقت الشرايع المختلفه
على تحليله ولهجت النفوس الابيه بتقديمه على ساير الملاذ الرياضيه
وتفضيله مع انه الراحه التي لا تنال الا بتجشم التعب والمسره التي لا
تدرك الا بعد النصب واللعب والذ من القلوب موقعا وامكنه من
النفوس موضعا ما ادركه المرء بنفسه واكتسبه لا لمشاركه بزاته وفهوده
وكلابه ولذلك اجهد نفوسهم فيه كثير من الملوك والخلفا ولم يرضوا بالصيد

من وجه

من وجه الارض فعمدوا الى الصيد من كبد السما ولم يجدوا ذلك الا في
صرع الطاير الجليل الذي لا يشترك فيه صغير مع كبير ولا حقير مع
جليل ولو لم يكن فيه مع حصول المراد الا السلامه من المقطوع من
الجياد لكان اولاها بالاختيار واحقها عند الاختبار وانفوا من بقايا
كسايو كا شلا الذياب وفضلات ما اكلته الفهود وولغت به
الصقور وولغت فيه الكلاب فعمد كل منهم الى الانفراد في رمايه وصرع
كل طاير يتخبط في دمايه مخلق بدمايه مراصد بارتقايه لعيون الاوتار
في التقانه وتخليفه جذر في حالتي اجتماعه وتفرقه وتغربه وتشريقه
واذا ذكر اللبيب فيما اودعه البارى جل جلاله من القوى فيها ظهر
له اسرار ما اخفاه من بدايع صنعه بين قوادمها وخوافيها فمنها
الكي الذي هو اتمها صوره واعظمها سوره قد علا على الغيوم لدى تادب
النجوم وخاض بحر الظلام ترغب فيه واخذ منه قطعةً بساقيه وقطعةً
بفيه حتى ورد على جبال من برد فاكتسب منها رياشه واكتسب من بياضها
ارياشه • ثم الكي الذي هو في طيرانه واعتنانه في مضماره واستنانه
كالفارس في ميدانه كانه النجم في حاله الرجم لو عارضه السماك لاقتلعه
او الحوت لابتلعه • ثم الاوز الذي يمشي متبخترا وينفر متحذرا كانما
يدوس على مثل حد السيف ويمتاز على ابنا جنسه برحلة الشتا والصيف
يبيت على فرد رجل واحده ويرمق موهما ان عينه راقده وليست براقده
ثم اللغلغ الذي يوافي من بلاد الخزر ولا يتقي من البندق سهام القدر
ولا يخشى ان يصيبه عين من الوتر لا يحارب الا بسحر الجفون من
حيز العيون ولا يستجز الامن تدبيج الصدر بزرد موضون •
ثم الانيسه تهادي تهادي الطاووس وتختال اختيال العروس
حتى تلتقط حبات القلوب وتصيد سوافر النفوس كم قطعوا في طلبها

من انهار نهار وسمحوا بانفاق اكياس النجوم من خزاين الليل وما فيهما من درهم
ودينار ثم فازوا بوصالها ولا ظفروا الا من على وجه الما بطيف خيالها
ثم الحبرج الذي تهادى في مشيته غير مروع وكانما على كفيه نقايا
من صدا الدروع لم يتدرع لمفاصه الانهار ولا اوى الى ظل الاشجار
بل برز كانه مناجز بتشمير الاهل من مبارز ثم النسر الذي علا عليها
شانا وغدا لها سلطانا وسار فيهما بالعفاف عن دمايها اجلالا لسيره
وتحصن من قنة الجبل بقبة السما فاصبح صاحب القبه والطير
حتى لقد ضج الابد من عمر لبد لما طالت صحبته له على رغمه واستعان به
النمرود في الصعود الى السما على زعمه فما ظنك بفتيه بقصد صرع من
هذه قواه ومن جملة انجم السما اخواه لو صارعه عقاب الجو لصرعه او
عارضه احد النسرين لما قدر ان يطير معه ۞ ثم العقاب التي اشتهر
منها الشهامة والضراوة حتى اشتهر ما بينها وبين الحيه من العداوه
فانها توسد فرخها لحوم الارانب وما عنقا مغرب عندها الا كبعض
الجنادب وطالما حلق ورآ كل جنس عصابه منها تهتدي بعصايب من كل
لقوه ذي ذكنه ونوع تخال العوالي ضحتها بالعوالي او درعتها العوادي
مدرعه الليالي

كان قلوب الطير رطبا ويابسا لدى وكرها العناب والحشف البالي

واما التي تحمل باسبابها ولا تحمل باعنانها فنقول
ثم الكركي الذي فاق العقاب في قوة طيرانه والنسر وام مضو(?) من
الدربندات ولم يبعد على عاشق مصر نجعت من اقصى البلاد وافانها
خوارج في طلب اقواتها وارزاقها ثم العرانيق التي لا تبرز الا بحجرم(?)
الحدق لقوة الغيظ وشد الحنق جذبة من قوس الرامي وبندقه
مدرع كل طاير منها محوك الزرد من معرفه الى معرفه ثم الصوع الذي

زاد

زاد على الطيور طولا وعرضا واعد للدفاع من منقاره ما هو انكى من
السيف والسنان وامضى وطالما رام الرامي الحياته بارسال البنادق ق
وراءه فما تعب حياد القسي وانضى كانه قطعة من الغيم تصرفها الرياح
او بقيه الغلس من الليل على وجه الصباح وكانما ورد من نهر المجرة
ورعى نرجس نجومه كره وخاف ان يكون له اليها كره ثم المسرتم(?) الذي
يبارز بجوشن موزرد وجوجو مزرد كانه صرح ممرد كانما خرج
من الهيجا في طلب النجا وبه رشاش من الدما فتبصر فاذا الطير مبحرات
في جو السما ثم الشبيطوا الذي يبارز مبارزه الشجاع ويلتقم الافعوا ن
والشجاع قد تبدا الرماه بصدقه ونحره وليس جوشنه من جناحيه
الا قدامه وورا ظهره ثم الغنار الذي اشتد باسا واختار شعار
الخلفا لباسا وما سمح باطهار دوايبه واشرافها الا ليعلم انها من عظما
الطير اشرفها قد تخلى من الحدق المراض بالضدين من السواد
والبياض وما منها الا مزاحم النجوم بالمناكب كانه يحاول ثارا عند
بعض الكواكب لا يبرز اليها الا راجلا وهو مشمر للذيل عارفيا(?)
وسطه في وحل وسيل يصرع فارسا من السما على اشهب الصبح
واشقر الشفق وادهم الليل ومنه قوله واعلا
في الخافقين خوافق اعلامه وبسط على البسيطه قوادم عدله
وحواقي انعامه حتى لا تشرق شمس الا على ما ملكت يمينه ولا
تلقاه ملك الا خضع له بالسجود جبينه الملوك يقبل الارض
ويجمع بين الطهورين صعيدها الطيب وسحابها الصيب ونهى وورود
الشمال الشريف فتناول منه كتاب امانه باليمين واعطى مبايعته
اليمين ولثمه وهو موضع رغبات اللاثمين ووردة نزاي العجب انه
البحر العذب ولا يقذف من الدر الا الثمين ومنه قوله

وكانت المملكه الحلبيه من مما لكنا لمن له السود على البلد والروح من الجسد
وقد علم تعلق الروح بالجسد واتفق لها الانتقال الينا ولنا بها سيا ربه
الانتقال واصبحت من يميننا في اليمين وكانت وهي من الشمال في
الشمال ولم نر لها الامن غذي بلبانها وعني بشانها وعد فارس حلبتها يوم
رهانها فطالما طمحت اليه بنظرها واحتمت به من غير الايام وغيرها
وكفاها الامور الجسام وحمى حماها وكيف لا تحمى وهي ذات جوشن بالحسام
ولم يزل طامح نظر حولها يدندن ولجه املها بها يتجلج وعنها لا
لاتزحزح راينا انا لله هذا المطلوب وقضينا له منها حاجة كانت
في نفس يعقوب وحكمناه من ذلك فيما طلب ومثله من حلب الدهر
اشطره ونال الرتبا من حلب وكان الجناب الحسامي هو الجناب
المخصب لراله العالي عن مسامته مساميه وبه نخرج امرنا العالي
ان يفوض اليه نيابه السلطنه المعظمه بالمملكه الحلبيه وقلدناه امورها
ومن احق من الحسام بالتقليد وجردناه للانتصار به وليظهر اثر الحسام
عند التجريد وليتفقد الجيوش ولا يفسح لهم في الركون الى الاعتداد
والميل وليتل عليهم واعدوا لهم ما استطعتم من قوه ومن رباط الخيل
ولا يستخدم الاكل شهم شهد الوقيعه واذا قفل الجيش كان ساقه
واذا توجه كان طليعه والبريد والحمام هما رسل المهام واعلام
الاعلام وارسلهما في كل مهم معا وليجمع بين تجهيزهما وان لم يجتمعا
وليرتب امورهما على اجمل الاوضاع ليتوافيا على انفراد واجتماع فكثيرا
ما سبق البريد السابق وجاءت قبل الطير الطاير فبلغ المرام وعاق
الحمام الحمام ومنه قوله اعز الله انصار المقام
ولا زالت مكارمه كالبحر تقذف لمن جازبه بدره والروض يسابق
من مر عليهم بنشره والمسك يبادر من ذي منه بعطره والغيث

الذي

الذي لا يقتصر على سايله بفيض قطره الملوك بتقبيل الارض التي من حل
بها نال الغنى ومن خيم بدارها نال المنى وما اجتاز بها الامن وافاه
اسعافه واسعاده وما سار احد في الافاق الا ومن انعامها راحلته
وزاده وينهي ورود كتاب فلان يصف احسان مولانا اليه وانعامه
وما تحجل في مقامه الامين من دار الكرامه واقامته به وبعسكره
في حالتي توجهه وعوده وشكر سحابه العميم وجود جوده وشكر الملوك
عنه صدقات ملك لا تخلو انازل من اكرامه ولا راحل من انعامه ولا
يزال في الاقامه والظعن اما يويهم في كنفه او يرسل عليهم ظله
من غمامه وتلك سجيه مولانا التي جبلت على الاحسان الى كل انسان
واصطناع المعروف الى المعروف وغير المعروف والله تعالى يوزع
الدهر شكر مولانا الذي شمل بره الانام وسطرته انامل الحمد في صحايف
الايام ومنه قوله ووصلنا معه طرابلس فنزل بساحتها
وجعلها للعساكر المنصوره موطن راحتها وموطن اباحتها وقد تكفل
البحر لها بالامتناع وضمن لها ما يزيد على حصانه القلاع وامدها من
بلاد الفرنج كل يوم بمدد وواصلها بالمراكب الكثيره العدد بما يزيد
على امواجه في العدد فوصل رسل اهلها وتوسلوا بالذرايع وبذل
الاموال والقطايع وعماره المآذنه والجامع فلم يقنع منهم بغير الاسلام
او تسليم البلد بجملته واعاده القبله من شرق بيعته الى قبلته فاعتصموا
بالاسوار وركبوا للقتال من وراء الجدار واطلقوا نحو كل سهم من
المنجنيق يشير عليهم ببنانه بالايمان ويميل تارة اليهم وتارة الينا
ويبدو كالنشوان فنصبنا منجنيقنا قبالة مجانيقهم التي نصبوها
من وراء اسوارها ولم تزل ترميهم حتى عاد السور رميما والحجر الذي
كان باعلى الابراج في اسفل الخندق هشيما وكثيرا ما كانت

تُتبر مجانيهم تنقضي عليهم ببوارهم وتبشيرهم من اول امرهم بادبارهم وتصييهم
قارعه بما صنعوا او تحل قريبا من دارهم فرجعت عليها العساكر المنصوره
وفي عاجل الوقت ملكوا البا ثموره فعلموا انه لم يبق سوى الاسار او القتل
او الفرار فالتبست على كل منهم مذاهبه فراحوا فريقا في الاسار وبعضهم قتيل
وبعض لاذ بالبحر هاربه فهجمت العساكر المنصوره عليها هجوم الليوث
الضواري وعاجلت اكثرهم عن الالتجا الى المركب والاعتصام بالصواري
وتصرفت فيمن بقي منهم يد القهر وتنوعت فيهم من القتل والنهب والسبي والاسر
ومنه قوله مما كتبه الى ابي الفضل بن عبد الظاهر

سقى وحيى الله طيفًا اتى تممت اجلالا وقبلته
لسله الشوق الذي بيننا قد زارني حقًا وقد زرته

واني من الجناب العالى المحيوي انس الله المملوك بقربه وحفظ عليه
منزلته من قلبه وهداه الى الطريق الذي كان قد ظفر فيها بمطلب
البلاغه من كتبه ولا تشغله سواه حتى لا يسمع غير كلامه ولا يرى
غير شخصه ولا ينطق الا بذكره لغلبه حبه ولا اراه في المنام ولا اراه في
جفنيه واكتتام ولا شاهده بدعوى الاحلام بلى فان المنى احلام
المستيقظ وهو به طول المدى حالم والناس نيام ولا ينكر الاخلال
بالمكاتبه على نايم والقلم مرفوع عن النايم غير ان المملوك الظاهري
اماته الشوق فانتبه بعد ما زاره بعينه وهو لا يتاول ولا سيما في
امر ما اشتبه وما كانت زيارته له الا منافسه لفطنته ان المملوك
علقت به سنه الكرى ومنافسته لطلبه زور الخيال حقيقه
لما سرى لينفي الوسن عن نظره ثم ينصرف على اثره ولما سجدت له
الاجفان ظن بها سنه فزارها منبها وما كان الا ساهيا لمزاره
عن خدمته فلا ينكر على جفنه السجود لما سها ولكن علة الشوق اطغا

حرها بمزاره واعلق به اشراك الاجفان خيفه من نفاره وعقله
بحبايل جفنيه خشيه ان تنزع يد اليقظه حنينه من بين جنبيه
وضمها على خياله ضم المحب للعناق يمينه على شماله ولكن ما فاز بالعناق
الا بيد وبدان وعناق المملوك للطيف من فرط الوجد باربعه ايدٍ من
الاجفان وان لم يوخذ هذه الدعوى منه بالتسليم وقيل ما زاره
بل استزاره فكره في كل وادٍ يهيم فسلى وحقه لقد صدق مرارا
ان الكتم اذا لم يستزد زارا وتالله لقد وافاه ووسده على
حشاه وبناه مبشبشا باذيال دجاه ونحه بوصله على ابرح الوجد
الذي عهده الا ان صنف الطيف ما اهدى الا ابنادا شواته وما
سرى بل سار في ضيا من بارق دمعه وما ورى قد حام من سنا بك
براته وسور اسوار الجفون وخاض السيول من العيون كيف لا وهو
تحقق ان لقاه المراد واذا هو نام زاره طيف كرى في الرقاد ٥
فاجابه ابن عبد الظاهر

في النوم واليقظه لي راتب عليك في الحالين قررته
تفضل المولى اذ زاره طيفي خيالي منه ان زرته

ورد على المملوك ادام الله نعم الجناب العالى الكمالي ولا اسهر جفنه
الا في سبيل المكارم ولا تهجدها الا في تاويل رويا مغارم الفضل
التي يراها من جملة المغانم وجعله تعمر كلمه هفوه الطيف وكيف
لا يحلم الحالم كتاب شريف حبب اليه التشبيه بنصب حبايل
الهدب من الجفون والاستغشا بالنعاس لعل خيالا في المنام يكون
ولعل اجتماعه ولو في الكرى وتصح عينه مدينة وان مضى عليها
زمن وهي من الكرى ونعم طرفه من التلاقي باحسن الطرف ويقول
هذا من تلك السجايا اطرف الهدايا ومن تلك المرايا الطف التحف

ويرفع محل الطيف فيرقيه من المدب في سلالم بل مطيه طرف طرفه
ويجعلها له شكايم لا بل يرخيها لصونه استتارا ولا يصفها بانها دخان اذ
كان محل موطن الطيف الكريم ان يوجج نارا ويعظه عن انه اذا ارسل
خياله رايدا ان تتعبه الما طروان يكلفه مشقه بسلوك مدارج
الدموع اذ هي محاجر ثم عسي انه يحصل نفور من التغالي في وصف
الدموع بانها سيول فيهول من امرها ما يهول ويقول هل الدمع الا ما
يرش به بين يدي الطيف وهل المدب علي تقدير انه دخان الا
ما لعله يرتفع لما يقري به الضيف وعن ايراد الاجفان بهذا واجفان
العيون بهذه هل هما ليلاف الخيال الا ما يقصده من رحله الشتا
ورحله الصيف ثم عتقرا الملوك انسان عينه عن انه يلزمه هذا الا
تكليفا ويتدبر قوله تعالي وخلق الانسان ضعيفا ويقول له لا يطيق
القيام بما لهذه الزوره للنوم من الوظيفه لان النوم سلطان وخليفه
واني بذلك مع خليفه الحبيب ويد الخلافه لانتظار لما يد والعيون
في الصبي زورتها حقيقه ويكن الا توصف الا بانها ضعيفه
فنقول كم مثلي انسان تطاول الاستزاره الطيف حتي طرق وكم
خيال اتي علي اعين الناس فجا محمولا علي الحدق وكم محب درا
عن النوم بشبهه تغميض الاجفان عن غير غمض حد التطلع علي
السرق ثم ياخذ في طريقه غير هذه الطريقه ويري الا كتفا
بالمجاز عن الحقيقه واذا اقامت العين الحجه في تصويب استزاره
الخيال يقول ما هذه من الحجج التي تسمع وتبقه ويري ان لشل الشخص
الشريف في الخاطر قد اغناه عن انه يتقلد منه الكري وكفاه
انه ينشد سرا الخيال بطيفه لما سري ولم يحوجه حاشاه الي انه
يزور له محضرا ولا انه ينشد

ابزي

ابزي ذري ذاك الرقيب بما جري

اللهم الا ان يورد مورد العين انفع ما يدخر والعين الصافيه ما برح
عندها من الخيال الخبر واذا كان القلب متولي الحرب مع الاشواق
فكيف يشاح الخيال علي انه متولي النظر فحينيذ يشتاق الي الوسن
ويلذ له من المدب الوسن ويزور ويستزير ويقصد ويتلو ويعفو عن
كثير ويذهب لاجل ذلك مذهب من يري انه يقدم علي الايام الليالي
ويعظها لانه مطنه هجمه الخيال ويجعل جفونه ارض تلك الحجه التي
تغلب عليها وما برحت تغلب لها ارض الجبال واما السل فكم احتقر
الملوك بالنسبه الي كرم مولانا ونواله وتكرم مذاقه بالاضافه الي
زلاله وحقق ان مقياس راحته هو الذي يستسعد به الامم
وان الاصابع من الاصابع الكريمه والعمود القلم وان طالب ورد
ذاك تعب وطالب جود سيدنا مستريح ويكفي واصف نواله له وهو
غايه المدح واما لابن العطار من شعر فكتب
ابو الفضل عبد الله بن عبد الظاهر اليه

لا تنكرن علي الاقلام ان قصرت له مساع اذا ابصرتها وخطا
فعارض الطرس قد خط الطروس بدا من ابيض الرمل شيب فيه قد وخطا

فقال ابن العطار يجيبه

اقلام فضلك ما شابت ولا قصرت له مساع اذا انصفتها وخطا
بل عارض الطرس لما شاب عنبري بعشبه نيل شيب فيه قد وخطا

ومنه قوله في رثا الظاهر بيبرس البندقداري

بكت النفس لفقده حتي انثنت ولما عليه من الرزين تحسر
وجعلها بيض الصفاح قد انحنت ونبت في غماد ها تتستر
ارخت ذوابله ذوايبها اسي ولذلك وجه عليها اصفر

ولو انه لبس الحداد فهل ترى كان الشعار الشعه يتشعد
ملك بكنه ادابك وترايك وملايك ومماليك لايخص
ولكم بكنه حصنه وحصونه ونزيله ونزاله والعسكر
من للمالك بعده من كافل كم حاط بها لراي منه مسود ل
قد حرك الثقلين هول مصابه فالظاهر المودي او الاسكندر

ومنهم محمد بن عبد الله شرف الدين ابو محمد بن فتح الدين ابي الفضل
ابن القيسراني القرشي المخزومي صدر ايات وعلا وبدر زمان اضا
الظلم وجلا بجميل قداح من الاقلام وبجيد اقداح يشق عن البرق
جيوب الظلام حلف زهد وورع وجد طال به الامام وفرع وكان قرع
علم لم يدعه ادراس وفقه طالما ارتبط عليه ودرس من بيت يتمسح باركانه
ويتمسح من امكانه ولم يزل اهله اهل كتاب واهل سنه وكتاب وخدموا
الدول وختموا بالامانه الايام الاول وكانوا كتاب انشا وحساب
واصحاب ارث واكتساب وارباب فخار بنفوس وانتساب ومنهم
جماعه حلوا الممالك فوشوا حبرا انشا ووشعوا بدايب النضاد اصلها
وبكرانشا وكانوا اهل مدايح علقت كالسحاب وعقت البحر وتعلقت
بالسحاب مع نسب في آل المغيره لا تطلع في سرح كواكبه مواكب
الصباح المغيره وكان يتروى ثم ياتي نثر يعوق كثيرا ويضحي على ورقه
سقيط الطل منثورا مع فضايل يتميز تنبيهها وحي بدايرين في حقيقتها
مع مرموع ما عبنه فيها شريك ولا تنته عنها سطا سلطان ولا مليك
وكان يجلس بين يدي كافل الممالك لقراه قصص المظالم وهو يقرا
القران الكريم فاذا مر بايه سجده استقبل القبله وسجد وربما استدبر
كافل الممالك لاجل ابتاع القبله فوجد عليه لهذا وقال لعني في
الاستقبال به فكان بدرا عنه حده ام بوصيه فلا يفيد الوصايا عنده

بل يقرا

بل يقرا فاذا مر به ايه سجود سجد وما عليه ان لا يجد في نفسه عليه
او وجد مما كان هذا الرجل في امانه الا دين من كبرا شجت بهم المناصب
وشدخت هامه المناصب ومن نثره قوله ـــــــ وبعد فان
اولى ما عظم في النفوس وازدانت به المحافل والطروس الشرع
الشريف وبه زجر اهل الاجترا والاجتراح وتحقن الدما وتستباح
ولهذا تعين ان لاجل ذروته السنيه ورتبته العليه الامر انعقد
الاجماع على انه للولايه متعين وان موجب استخلاصه واختصاصه
للمباشره بين ولما كان فلان هو العالم الذي ليس لفضله جاحد
والفقيه الواحد الذي هو اشد على الشيطان من الف عابد والذي
عادل دم الشهدا مداده وماثل البحر الزاخر مدده في الفضايل واستمداده
وباشر نقضا القضاه وقضا العساكر المنصوره بالشام المحروس مده متطاوله
وشكرت مباشرته المنصبين وحكم باهليته لما قامت البينه من خبره
وخبره بشاهدين وبرات منه عيون الاعيان احكام الاحكام
ولا اثم بعد غيض وابدع في تقريبه المسايل وتقريره والحوم وتخيل
حتى قيل هو في العلو والعلوم شريك القاضي شريك وبانبا
الشريعه المطهره هو الخبير الذي ينبيك وبلغنا انه في هذه المده حصل
له في اثنا البحث ما ازعجه واحرجه وعن حلقته الرضى اخرجه
وامتنع من الحكم اياما ولم يجر له في الامور الشرعيه لسانا ولا اقلاما
فاقتضى اعتناونا بالشريعه المطهره واشخاصه التي بين يدينا واستعلام
سبب ذلك تقينا وان نصرح له بتجديد توليه توليه مناصبه وتاكيد
ونعيد يكف بها مناصبه ومنه قوله ـــــــ وهي ان المشرف
العالي ورد اليه فنسيم ارواح قربه واوجد مسرات تلهيه واعلام مضرات
كربه وانجه الكتاب بعبير رياه وانجه الخطاب بتعبير رقباه فراى

خطه وسنا مرقوما ولفظه رحيقا مختوما وجل مختوما على درر كلاميه
ونشر منابيه وحديث نفس عصابيه نرجو من الله ان نشاهد ذلك ابقاظا
ويكون لا بنا ايه حفاظا ومنه قوله يصف زياده النيل واقبل
يعب عبابه ويكاثر البحر المحيط انسكابه ويطاوله وما يستوي البحران
هذا عذب فرات سايغ شرابه وامر زيادته يعظم عن الشرح ويكبر
ومشاهده لقدرة الله فيه يتلو والبحر يمده من بعده سبعة ابحر
وقد تلقته البلاد تلقي المحب لحبيبه والعليل المرتقب لطبيبه وهو كلما
حل بقعة صد صدا واجدي جدا وكلما حباها اصبع شكرت له يدا وكان
قد وصل في اثنا ذلك المفرد من الاعمال القوصيه مخبرا بوفايه وانتضى مذهبنا
الشريف الحكم بخبر المفرد والعمل بما عنه يروى واليه يسند ومع ذلك
حصل التثبت الى ان نقل هذا الامر من الخبر الى العيان واستحق خليج
مصر ان يفك عنه الحجر ويجري مطلق العنان ومن غرايب هذا البحر
وان كثرت فيه الغرايب ومنه الغرايب انه كلما تكدر تتبسم له الثغور
وتفتر وانه نيل ازرق وبصبغه تزرق البلاد وتخضر وسطرناها
والخواطر الشريفه واثقه بسقيا امنت من نوبها والعيون ناظرة الي
اثر رحمة الله كيف يحيي الارض بعد موتها والديار المصريه قد غدت
للري في اكمل زي وابدت لموج الحلل وتبرج الحلي وزهت جسنا
بالزياده في الحسنى ونادى على ساكنها لسان الرحمة ولنبدلنهم من بعد خوفهم
امنا فالمجلس يحمد الله لما اعاده على الوجود من اشراقه وانسه ويستديم
النعم بالشكر ومن شكر فانما يشكر لنفسه والله تعالى يجعل هذه الرحمه
الي جهاته حسنه التفريج منا ظره بها ناضرة الرياض في التدبيج
مطهر فيهما معنى قوله تعالى ومن اياته انك ترى الارض خاشعة
فاذا انزلنا عليها الما اهتزت وربت وانبتت من كل زوج بهيج

هر

ومنه قوله وينهي ورود المشرف العالي فاطلع من جوا
الالفاظ ما لو شاهده البدر لما اسفر او سمع به عبد الحميد لاحب ان
لا يذكر فتنزه في رياض كتابته التي اينعت اغصانها وابهجت بفنونها
افنانها فلولا حظها وحرمة السحر لقلنا سحرا ولولا انه شغل الاعناق
منته لقلدناها ادهي الدر نحرا ومنه قوله يذكر النيل
وامست النزاع منه نزاع واصبح الجدب معما كان فيه من القوه وقد اخذ
في النزاع وحققت به عروس مصر ان يريد كمقطع في بحرها اذ يزيد
وان ما ناس لا ترفع به خلجانها من راس وان ثورا لو حف به شرب
لما كمل دورا وان كل رابيه منها تنزوي على الربوع والنيرب وكل برق
ما عدي برق سحبها الهامله خلب وانها تخلب القلوب بالملق
وتسلب الالباب بالحدايق لا الحدق وان البسطه في البسطه
والنزهه في ربيعها اذا نسج بسطه وانها عما قليل تتجلى في حللها
النضره وتتيه انها لا ما عداها الدنيا اذ هي الخضره

ومنهم محمود بن سلمان بن فهد الحلبي الكاتب شيخنا العلامه
حجه الكتاب فرد الزمان شهاب الدين ابو الثنا جبل ادب لا مطمع
في ارتقايه وبحر علم لا مطمع الالي ما يوخذ من تلقايه رقي السما وتلقى من
ربه كلمات علم بها الكتاب الاسما ناضلت الدول باقلامه وكملت ملوك
العدي بكلامه فحظي ببرها وخطب لحفظ سرها وتقدم باستحقاقه
واستعبد الكلام الحر باسترقاقه واقام بالشام ثم لمصر فطاب به
الواديان كلاهما واغدق نوءهما وكلاهما وكان كاتبا لا يعرف له نظير
ولا يعرف مثله في الزمن الاخير تعين بدمشق فكان للكتاب
والدا وتفرد بمصر فبقي سيما في الكتابه واحدا وكان بابلي سحر
وعنبري نحر ودعانه مدام وغابه اقدام وغابه اسد ذي ظفر دام لم يزل

نجي ملك همام ورسيل بحر وغمام بكتب طالما اينعت روضه زهر وافق
سماء نرجسه الثريا ومجرته النهر وكان لا يرضي بدارات الا لتماد
لزهو كمامه ولا بالهلال لظفر قلمه قلامه باديب دق علي الادبا ورق
فنسب الجفا الي الصهبا فاشفق الشفق ان يكون لكوس كمله مدامه
ودخان الند ان يكون علي عنبر سطوره غمامه وكان في الديوانين
مصدي لمهمات الانشا فكم اطال لوجوه الايام غررا وقلد اعناق
الممالك دررا من مقاليد لو شيدت العماد لما ماد او حبي ببعضها الفاضل
لانطق الجماد او اثرت ابن الاثير لاستغني مما يثير او بني علي ابكارها
ابن نباتة لما ضم له علي قلم بنان او خلت شيئا لابن الخلال لتاه بكرم الخلال
او خصت ابن ابي الخصال بخصله لطال بها وصال وكسر علي النصال
النصال في انظر وطي باخمصه الطاسين وانف للخلود الذكر من
الخالدين بما اهدي اليه وترك الكندي مضللا وخلي العزيز في
تومه ابن ابي سلمي مذ للاحق لو وسم عبيد بولايه في القريض لما قال
حال الجريض فاما في توليد المعاني ففات ابي هاني ونهض
جله وسقط صريع الغواني فمن نسيب نسي به القدم وغزل ذكر
به كل غزال وريم كل رام ورثا اسكت الناحتين الديلمي وذا النسب
الصميم وتشبيه ثلث الملكين ابن المعتز يتم الي ابناس اوهب العسكري
في الصناعتين ونلك حرص الراغب والجاحظ في البراعتين
وكان في كل منها اماما وسح في كل منهما غماما بسجع كم غازل علي
ايكه حماما واعطي الغواني علي حلي ذماما وشق علي لبه النهر اطواقا
وادرج علي انامل الغصون اكماما ثم ولي بدمشق صحابه ديوان الانشا
واطلع في الصباح نجوم العشا وهو شيخي في الادب وان لم يكن لي
ابا مثل اب لزمته منذ قدم دمشق حتي مات اقرا عليه واقري ما لديه

ومن

ومن حواصله انفقت وجمعت وفرقت وسددت الي الغرض وفوقت
واقول ولا اخشي تهما وصفته به من المحاسن صدقت لان الرجل اشهر من
الشمس وذكره اسير وذكره اسير من قفا نبك قد انجد ذكره واتهم واعرق
واشام وغني به الملاح والحادي وغني به سكان الجبل والوادي
هذا الي ما له من المشاركه في علم الحديث وحفظ المتون والرجال
والاطلاع علي ارا الناس ومذاهب الامم في الملل والنحل وفرق الخلاف
ومواضع الاختلاف وضبط التاريخ واستحضار الوقايع وذكر نوب الدهر
وتصاريف الزمان وايام العرب والعجم ومعرفه النسب ودول الخلفا
والملوك واحوال الوزرا والكتاب والشعرا ومشاهير الامه والاعيان
من اهل كل علم والمقدمين في كل فن والمبرزين في كل صنعه واسما الكتب
المصنفه والمجاميع المولفه واجاده النظر في معرفه الخطوط والالمام بكتابه
المكاتيب الحكميه والشروط في معرفه الامثال الجاهلي منها والمولد
والملوكي والسوقي وامثال الخواص والعوام والعربي منها والعجمي
والاصل في ضرب كل مثل مع اتقان قوانين الديوان مما لم يجمعه سواه ولو تفرد
بواحد منه كفاه وبه انتفع كتاب زمانه وتخرجوا عليه وتدربوا بين يديه
اخذ الفقه عن ابن المنجا والنحو عن ابن ملك والادب عن ابن الظهير وتنقل
في الوظايف وطلبه عمي الي الديار المصريه بعد محيي الدين بن عبد الظاهر
علي معلومه وكتب بين يدي الوزير ابن السلعوس وقيل ان كتب منه مقام
بالحضره مهم جليل الامر انشايه وعين لقضا الحنابله بمصر فامتنع
حتي بعث الي دمشق صاحبا لديوان الانشا واقام بها حتي مات ومن
تصنيفه كتاب حسن التوسل الي صناعه الترسل ومنازل الاحباب
واهني المنايح في اسني المدايح من نظمه في المديح الشريف النبوي زاده الله
شرفا ولم يكن مثله في اعطا كل مقام حقه موفي من غير زياده ولا نقص

رذكر ملاح الحروب على افراط التهويل في رقة الغزل للطف تخيله ورقة تحيله
واستعاراته وغرايب تشبيهاته ومن نثره قوله في توقيع
لابن جماعه بتدريس المدرسه المجاوره للشافعي ره وهو يعلم ان ذكر هذه
البقعه سار في الافاق جار على السنه الرفاق عال على قدر شاميه الشام
ونظاميه العراق وانها جمعت من العلما اعلاما ومن الايمه لولا شرف
البقعه لتفرقوا في الارض هداة وحكاما فلا يقف في العلم عند غاية وليجد
في طلب النهاية وان لم يكن للعلم نهاية وليمثل نفسه ماثلا بين يدي من نسبت
اليه وليقم وجهه مقام من جلس للقراءة عليه وليبث ما استودعه من اسرار
مذهبه ليسير عنه من معدنه وينقله الفضل الى الاوطان من مظنته
وموطنه وليلق بها عصا السري فانها منزلة لا يبوي من بلغها سيرا وليحمد
الله على ما وهبه من بضاعته فانه من يرد الله به خيرا ره ومنه
قوله في تقليد وزير وليبدا بالعدل فان الله قدمه على
الاحسان وحلى بها ايامنا ويجانب الظلم واهله فان الله ارهف لمحوه من
الوجود سيوفنا واقلامنا وتفرد بالاحسان فان الله رفع بهذا منار ملكنا
واعلا بذا اعلامنا وبه خزاين الاموال بتدبيره وبعد لمهمات الدوله القاهره
دخاير تصرفه الجميل وحسن تانيه وليرن ذلك بالرفق فانه مع الحزم
احدى من العنف واجدر واذا رام المنبت بلوغ الغايه فان المنبت اقوى
منه على ذلك واقدر فان التمايع العدل كنزي رهان وليس الخبر من
كالعيان حصل الاموال بالظلم بل من حصلها والحق عزيز والباطل
مهان وليتحر الحق المحض فيما امر باحله رفقا وليناقش على حقوق بيت
المال فانها سوا من اخذ لغيره باطلا او ترك له حقا وليجتهد في عمار
البلاد فانها على الحقيقه معادن الارزاق وكنوز الاموال التي لا ينفذها
الانفاق ومنه قوله وقلدته مهابتنا سيفا بلغ حمايل

بكنوز

النصر

النصر من علمه وتتشوق جواهر الفتح في فرنده واذا سابق الاجل الى
قبض النفوس عرف الاجل قدره فوقف عند حده ومتى جرده على ملك من
ملوك العدى وهنت عزايمه وعجز جناح جيشه ان تنهض به قوادمه
وعلم ان سيفنا على عاتق الملك الا عنز نجاده وفي يد جبار السموات
قايمه ومنه قوله وسرنا بالجيش الذي لا يدرك الطرف
حده ولا الوهم عده وكان ذوايب السحاب عذب بنوده وكان شوامخ
الاكام مناكب ابطاله ومواكب جنوده وما قصد عدوا الا وبات لهم قبل
خيلهم خيالا له وقضى عليهم وعده ووعيده قبل ان ترهف اسنته او تزعف
نصاله واذا لمع حديده وخفقت عذبه وبنوده قيل هذا غمام تلهبت
بوارقه ودمدمت صواعقه او بحر تلاطمت امواجه او سيل غصت
به فجاجه وعكس اشعة الشمس اضطرابه وارتجاجه وما علا جبلا
الا والحق صعوده اليه بجريه بالصعيد وما منع الريح مواجهته الا لتسمع
صهيل خيله باقصى الروم من اقصى الصعيد ومنه قوله
ومادحج العدو المخذول بالحركه ورمي الصيت فان عدة العاجز الصياح
وقوة الجبان في القول والقول يذهب في الرياح وقد علموا انهم ما قدموا
الينا الا وكان احد سلاحهم الهرب ولا طمعوا في النجاح وكان لهم
في غير الحيله ارب يبالغون في الاحتشاد والجزار لا يهوله كثرة
الغنم ويستكثرون من السواد ووجود من لا ينفع اشبه شي بالعدم فقوتهم
ضعيفه ووطاتهم خفيفه وثباتهم اقصر من حل العقال وصبرهم اسرع
من الظل في الانتقال وخيولهم لا تطيع اسراعنتها الا في الفرار
ورماحهم لا تحمل كل اسنتها الا للخور والانكسار وسهامهم لا عهد لها
بالمقاتل وصفاحهم كل شي من القصب غيرها لكن وصفه بانه قاتل فان
دلاهم الشيطان بغروره فنسيبوا انهم سريعا وان اطمعهم في اللقا

فتستردهم كلام سيوفنا كانتسام الكلام الثلاثة هزيما او اسيرا او صريعا
ومنه قوله رسالة طردية لا زال لمه يستنزل العصم
من معاقلها ويبيح السهام الصم ما تحدث به حركات الطير عن مقاتلها
ويلحق صوادي الوحش في سيوف اوليائه لترترق من الفرند فيها بمياهها
وينهي انه سار في ما واجه وجه اقباله متيمنا بسعده الذي ما برح
يعلو بحباله ومعه من الجوارح كل بازي شديد الاسر صحيح على
ما اتصف به من الكسر ينظر من نهار ويخطو في ليل رقم به اديم نهار
ذي صدر مدبج وراس متوج ومخلب خطوف ومنسر كصدغ معطوف
اسرع من هوج الرياح واقتل من عوج الصفاح يخط على الطير من عل
ويسبق في مقاتل الوحش كل رام من بني ثعل ومن الضواري كل حام
اسبق من السهم واخفى في الوثبة من الوهم ذي صدر مجدول وساعد
مفتول وانياب عصل وظفر اقطع من النصل ومن الفهود كل اهرت
الشدق طاهر الحدق بادي العبوس مدبر الملبوس شثن البراثن
بانياب كالمدى ومخالب كالمحاجن قد اخذ من الفلق والغسق اهلا بها
وتقمص من السماح والبخل جلبابا يضرب المثل في سرعته ووثوب الاجل
به وبشبهه وتكاد الشمس مد لفتوها بالغزاله لا تطلع على وجهه لسبق
في الصيد مراى طرفه وبقوت لحظ مرسله اليه فلا يستعمل النظر الا وهو
في كفه وتتقدمه الضواري في الوحش فاذا وثب له تعرت من خلفه
ومعنا غلمة تحن بسهامهم منها اوثق وهم باصابة شوا كل المراد من كل
مادكر احرق اذا اخذ كل منهم حنيته اراناالتمر في القوس وان نظم
رميته قيل هذا حبيب وان لم يكن ابن اوس فما لاح طاير الا وله
من السهام اجل وورآه من رجل الجوارح رجل ان اخطاه هذا اصابه
هذاك وربما كان له وما اسهام في تحصيله واشتراك وان نجح وحش

فالسهام

فالسهام ادنى في وريده من قلادة جيده فان فات فالكلب اعرف
باختلاسه منه بكناسه واسرع في اجتياسه من رجع انفاسه
والا فالفهد اسرع الى لحاقه من اجله والزم لعنقه لو كان يعقل
من غله وظللنا بين قدير معجل وقديد موجل نستشق باعراف الجياد
كفوفنا ونقري من صواف الطير واصناف الوحش ضيوفنا وكنا
بين صيد يحصل وآخر يترقب وغدونا وكان عيون الوحش
حول خبائنا وارحلنا التي لم تثقب وقد ارسلنا اليه من ذلك ما يحقق
به ان لمنه امارنا واوري نارنا ويستدل به على حسن ظفرنا في سفرنا
وانا له توفيقنا في طريقنا والله تعالى لا يخلي منه مكان تاييد يبلغه
من السعادة فوق ما يريد ومنه قوله وان المخذولين
اقبلوا كالرمال واصطفوا كالجبال وتدفقوا كالبحار الزواخر وتوالوا
كالامواج التي لا تعرف لها الاول من الاخر فصدمتهم جيوشنا المنصورة
صدمة بددت شملهم وعلمت الطير اكلهم وحضرتهم في الفضا وطالبت
ارواحهم الكافرين بدين دينها فاسرفت في القضا وحصدت سيوفنا
المنصورة ما يخرج عن وصف الواصف وكانوا كرماد اشتدت به الريح
في يوم عاصف واحاطت بهم كتايبنا المنصورة فلم ينج منهم الا من لا يوبه
له من فريقهم وقسمتهم جيوشنا المويدة من الفلوات الى الفدافد
بين القتل والاسر فلم يخرج عن تلك القسمة غير غريقهم واعقبتهم
تلك الكسرة لمن هلك طاعتهم اسفا وحسرة وحزنا على من قتل
من تلك المقاتلة واسر من تلك الاسرة وامام الرعب من جيوشنا
المنصورة نجاه واستولى عليه الوجل فجاه من امر الله ما جاه ○
ومنه قوله ما كتب بها المهلك سيس وتبادر الى الطاعة قبل ان
بدلها فلا تقبل وتتمسك باذيال العفو قبل ان يرتفع دونه فلا تسبل

وتحجل محل اموال القطيعه والاكان اهله واولاده في جملة ما يحمل الينا ويسلم
ما عدا عليه من فتوحنا والا هو يعلم انها جميع ما تأخر من بلاد في يدينا
ومنه قولـــــه في هذه المكاتبه في فلان لا زال مأمون الفرّ
مأمول الكرّ مجتنيا حلو الظفر من كمام تلك المر المرّ راجيا من عواقب
الصبر ما يسفر له مسّا تلك المساه عن صبح المسرة وانتقام عوايد نصر الله
بإعادته ومن معه في القوه والاستظهار كما بدا ما اول مرة اصدرها
وقد اتصل به نبأ ذلك المقام الذي اوضحت فيه السيوف عذرها وابدت
به الكماه صبرها واظهرت فيه الحماة من الوثبات والثبات ما تحب
عليها وبذلت فيه الابطال من الجلاد جهدها ولكن لم يكن الظفر اليها
وكان عليهم الاقدام على غمرات الحرب الذبون والاصطلا بجمرات
المنون ولم يكن عليهم اتمام ما قدر انه لا يكون فكابرت رقاب الاعداء
في ذلك الموقف السيوف وكاثرت اعدادهم الحتوف وتدفقت بحارهم
على جداول من معه ولولا حكم القدر لانتصفت تلك الاحاد من تلك الالوف
فضاق بازدحام الصفوف على رجاله المجال وزاد العدد على الجلد فلم
يبد الاقدام على الاوجال مع قدوم الاجال واحلى الكماة من بما قد لهم من
الانظار وحصل لهم من الاستظهار وعوضوا بما لم يعرفوه من الاقدام على
ما الفوه من الفرار ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض
وقد قدر انهم ينصرون كما ينصر واذا كانت الحروب سجالا فلا ينسب
اليه امر كانت عليه اذا اجتهد ولم يساعد القدر انه نصر مع انه قد اشهر ما فعله
في مجاله من الذب عن رجاله وما ابداه في قتاله من الضرب الذي ما ترك
فيه خصمه الا بدته باريخا له وان الرماح التي اسندت اليه احرس سنه
السنة اسنتها والجياد التي اقدمت عليهم جعل طعنهم اكفالها مكان
اعنتها نائبت في مستنقع الموت رجله ووقف وما في الموت شك لواقف

يحمي

يحمي خيله ورجله حتى تخير اصحابه الى فيه ما منهم واقام نفسه دونهم درية لمن
يدرس سرعان القوم او طهرمن يمكنهم وهذا هو الموقف الذي قام له مقام
النصر اذا فاته النصر والمقام الذي اصيب فيه من اصحابه احاد يدركهم
ادنى العدد فقد نيه من اعدايه مع ظهورهم الوف لا يدركهم الحصر وكذا
فليكن قلب الجيش كما لقلب يقوى بقوته الجسد واذا حقق اللقا
فلا يفر عن كناسه الا الظبي ولا يحمي عرينه الا الاسد وما بقي الا ان تعفو
الكلوم وتثوب الحلوم وتندمل الجراح وتبرا من قلوب المضارب صدور
الصفاح وتنهض لاقتصاد الدين من غير مايه المعتدين وتبادر
الى استنجاز وعد الله فان الله ليمحص المومنين ويمحق الكافرين والليث
اذا جرح كان اشد لثباته وامد لوثباته والموتور لا يصطلي بناره
والسائر لا يرهب الاقدام على المنون في طلب ثاره والدهر ذو دول
والزمان متلون ان دحت عليكم منه بالقهر ليله واحده فقد اشرقت
لكم منه بالنصر ليال اول فالمولى لا يلتفت الى ما فات ويقبل
بفكره على تدبير ما هو ات ويعد للحرب عدته ويحجل امد الاستظهار
ومدته ولا يوخر فرصه الامكان ولا يعد ذكر ما مضى فانه دخل في خبر
كان ولا يظهر لما جرى عجزا فان العاجز من ظن انه يصيب ولا
يصاب ولا يتخذ غير ظهر حصانه حصنا فلا حرز امنع من صهوة
الجواد ولا اسلم من الركاب وليعلم ان العاقبة للمتقين وليدرع جنة
الصبر ليكون من النصر على ثقة ومن الظفر على يقين فان الله مع
الصابرين ومن كان لسمعه كانت يده الطولى واذا التقى عدو الله وعدوه
فليصبر حملته فان الصبر عند الصدمة الاولى والله تعالى يكلوه بعينه
ويمده بعونه ويجعل الظفر على عدوه موقوفا على مطالبته له بدينه
ومنه قولـــــه في مثله على الطريق المعتاد في ذم المهزوم

هذه المكاتبة الي فلان اقاله الله عثرة زلته واقامه من حفيرة ذلته
وتجاوز له عن كبير فراره من جمع عدوه على قلته بلغنا امر الواقعة التي
لقي فيها العدو بجمع قليل غناؤه ضعيف بناؤه كثيف في راي العين جمعه
خفيف في المعنى وقعه ونفعه اسرع في مفارقة المحال من الظل في
الانتقال واشبه في مماثلة الوجود بالعدم من طيف الخيال يحفون منه
بقلب واجب ويهتدون من تجريبه وتهذيبه براي بينه وبين الصواب
حاجب ويأتمون منه بمقدم يرى الواحد من عدوه كالالف ويتسرعون
منه وراء مقدم يمشي في الزحف ولكن الى خلف جناح جيشه مهيض
وطرف سنانه غضيض وساقة عسكره ظالعة وطلائعه كالنجوم
ولكن في حال كونها راجعة تأسف السيوف بيمينه على ضارب وتاسى
الجنائب حوله اذ تعد لمحارب تعدو لهارب وانه حين وقعت العين
على العين واتقن عدوه لما راه من عدده وعدده بمعاجلة الحين العجل
نصول العدى عن وصوله وترك غنيمة الظفر لعداه بعد ان اشرف
على حصولها تناديه السنة الاسنة الكر الكر ولا يلتفت الي ندائها
ويشكو له سيوفه الظما وقد رات موارد الوريد فيبعدها الى الغمود
بدائها فنح عدوه مقاتل رجاله واباحهم كرائم مال جنده وما له وحلاهم
خزاين بسلاحه التي اعدها لقتالهم فاصبحت معدة لقتاله فنجا منجا
الحرث بن هشام وآب بسلامة اعذب منها لو عقل شرب كاس
الحمام واتسم بين اوليائه واعدائه بسيمة الفرار وكان يقال النار
ولا العار فجمع له فراره من الزحف بين النار والعار وعاد بجمع موفور
من الجراح موفور من الاثم والاجتراء لا علم لنا بما جرى عندنا سيما فهم
ولا شاهد بنا شاهدتهم الوغى غير مواقع الظبى في اكتافهم فبادى
حال يطمع في معاودة عدوه وهذا قلبه وهو لاحربه وذلك القتال

فتاله

قتاله وذلك الحرب حربه وبعد فان كان له حمية ستظهر اثارها او ارنحيه
تتشب نارها او انفة تستحثه على غسل هذه الدنية وتبعثه على طلب غاسل
امانيها دم مرجيه او همته والله تعالى يوقظ عزمه من سنته ويعجل له
الانتصاف من عدوه قبل اكمال سنته ومنه قوله
فكم مل ضوء الصبح مما يغيره وطلائع النقع مما يثيره وحديد الهند مما يلاطمه
والاجل مما سابقه الى قبض الارواح ويزاحمه ومنه قوله
وكفى السيوف فخرا انها للجنة ظلال والى النصر مآل واذا كان من البيان
الحديث سحرا فان بيان حديثها عن كلمته هو السحر الحلال ومنه
قوله في قريب من معناه حسب السنة الاسنة شرفا ان
كشف خبايا القلوب يذم الامينها وان بث اسرار الضماير تكره روايته
الا عنها فكر حديثها في ذلك لا يقتضي الى الملال وان لم يكن حسن
حديثها الذي يسحر الالباب مما يحل فليس في الحديث سحر حلال
ومنه قوله في قريب من معناه الا انه جعله في
البلاغة البلاغة تسحر الالباب حتى تخيل العرض جوهرا وتخيل القول
المدرك بالسمع لا نسجامه وعذوبته في الذوق نهرا لكنه سحر لم يحرز قبل
المسلم المحرز فتتاول في حله واذا كان من الحديث ما هو عقلة المستوفز
فهذا انشوطة نشاطة البليغ وحل عقال عقله ومنه قوله
خطه شرك للعقول وفتنة تشغل المطمئن بملاحة المراى الملتوب
عن فصاحة المسموع المقول ولو لم يكن البيان سحرا لما تجسدت
منه في طرسها هذه الدرر ولو لم يكن بعض السحر حلالا لما انجلى
ظلام النفس عما يهدي به من هذه الاوضاح والغرر ومنه
قوله مما كتب به الى امير سريه ولا زال احفى في
مقاصده من وطاة ضيف واخفى في مطالبه من زورة طيف

واسرع في تنقله من سحابه صيف واروع للعدى في تطلعه من سله سيف
حتى تحجب عدو الدين في الاطلاع على عوراته من اين دهي وكيف
ويعلم ان اول قسمه اللقاحصل عليه في مقاصله الحيف اصدرناها
اليه تحثه على الركوب بطايفه اعجل من السيل واهول من الليل واين
من نواصي الخيل واقدم من النمر واوقع على المقاصد من الغيث المنهمر
واروع في مخاتله العدى من الذيب الحذر على خيل تجري ما وجدت
فلاه وتطيع راكبها مهما اراد منها سرعه او اناه تتسنم الجبال الصم كالوعل
واذا جارتها البروق عدت وراها تمشي الهوينا كما مشي الوجي الوجل
وليكن كالنجم في سراه وبعد ذراه ان جرى فكسهم وان خطر
فكوهم وان طلب فكالليل الذي هو مدرك وان طلب فكالجنه التي
لا يجد ريحها مشرك حتى ياتي على عدو الدين من كل شرف ويرى جمعه
من كل طرف ولا يسرف في الاقامه عليه الا اذا علم ان الخير في السرف
وليحرز جمعهم ويسبق الى التحرز منهم بصرهم وسمعهم وتنظرهم بعين
منها الحزم ان ترى العدد الكثير قليلا وصدها العزم ان ترى العدو
الحقير جليلا بل ترى الامر على فصه وتروي الخبر على نصه وان وجد
مغرورا فليا خذ خبره وان قدر على الاتيان بعينه فلا فليذهب
اثره ولا يبح بما لديه نار حرب الا بعد الثقه باطفايها ولا يوقظ عليه
عين عدوهما طرله ان المصلحه في اغفايها وليكشف من امورهم ما
يبدي عند الملتقى عوراتهم ويحد في حاله الزحف فوراتهم وليجعل قلبه
في ذلك ربيه طرفه وطليعه طرفه وسريه كشفه والله تعالى يده
بلطفه ويحفظه بمعقبات من بين يديه ومن خلفه ۝ ۝

ومما كتبه الى بعض نواب الثغور

اصدرناها ومنادي النفير قد اعلن يا خيل الله اركبي ويا ملايكه الرحمن

اصحى وبابواب الظفر والتاييد اقربي والغرام قد ركضت على سوابق الرعب
الى العدى والهمم قد نهضت الى عدو الاسلام فلو كان في مطلع الشمس لاستقربت
ما بينها وبينه من المدى والسيوف قد انفت من الغمود فكادت تنفر
من قربها والاسنه قد ظميت الى موارد القلوب فتشوقت الى الارتوا
من قلبها والكماه وقد زادت كالليوث اذا دنت فرايسها والجياد قد
مرحت لما عودتها من الاشعال بجماجم الابطال فوارسها والجيوش وقد
كاثرت النجوم اعدادها وسايرتها للرجوم على اعدا الله من ملايكته الكرام
امدادها والنفوس قد اضرمت الحميه للدين نار غضبها وعداها حر
الاشفاق على ثغور المسلمين عن برد الثغور وطيب شنبها والنصر
قد اشرقت في الوجود دلايله والتاييد قد ظهرت على الوجوه مخايله
وحسن اليقين بالله في اعزاز دينه قد اثبات بحسن المال اوايله
والالسن باستنزال نصر الله لجه والارجا بارواح القبول ارجه
والقلوب بعوايد لطف الله بهذه الامه متبهجه والحماه وما منهم الا من
استظهر بامكان قوته وقوه امكانه والابطال وليس فيهم من يسال
عن عدد عدوه بل عن مكانه والنيات على طلب عدو الله حيث كان
مجتمعه والخواطر مطمينه بكونها مع الله بصدقها ومن كان مع الله كان الله
معه وما بقي الا طي المراحل والنزول على اطراف الثغور نزول الغيث
على البلد الماحل والاحاطه بعدو الله من كل جانب وانزال نفوسهم
على حكم الامرين الامرين من عذاب واصل وهم ناصب واحاله وجودهم
الى العدم واحاله السيوف التي ان انكرتها اعناقهم فما بالعهد من قدم
واصطلامهم على ايدي العصايب المويده بنصر الله في حربها
وابتلايهم بجملاتها من حملاتها بريح عاد التي تدمر كل شي بامر ربها
فليكن مترقبا لطلوع طلايعها عليه متيقنا من كرم الله تعالى

استيصال عدوه الذي ان قرادركته من وراية وان ثبت اخذته من بين
يديه وليجتهد في حفظ ما قبله من الاطراف وضمها وجمع سوام الرعايا من
الاماكن المخوفه ولمها واصلاح ما يحتاج الي اصلاحه من مسالك
الارباض المتطرفه ودمها فان الاحتياط على كل حال من اكد المصالح
الاسلاميه واهمها فكانه بالعدو وقد زال طمعه وزاد ظلعه ودم عقبي
مسيره وتحقق سو منقلبه وصميره وتبرا منه الشيطان الذي دلاه
بغروره واصبح لحمه موزعا بين ذياب الفلاه وضبا عها وبين عقبان
الجو ونسوره ثقةً من وعد الله الذي تمسكنا منه باليقين وتحققنا
ان الله ينصر من ينصره وان العاقبة للمتقين ومنه قولـــــــه
هذه المكاتبه الي فلان اتبع الله ما ساه من امرنا مع العدو بما يسره
وبلغه عنا من الانتصاف والانتصار ما يظهر من صدق بالصفاح والسنه
الرماح سره واراه من عواقب صنعه الجميل ما تحقق به ان كسوف
الشمس لا ينافي طلعتها وان سرار القمر لا يضع يوضح لعلمه انه ربما
اتصل به خبر تلك الوقعه التي صدقنا فيها اللقا وصدمنا العدو صدمه
من لا يحب البقا واريناه حربا لو اعانها التايد فللت جموعه
واذقناه ضربا لو ان حكم النصرفيه الي النصل اوجله مصارعه واعدم
رجوعه وحين شرعت رياح النصر تهب وسحاب الدما من مقاتلهم
تصوب وتصب وكرعت الصفاح في موارد نحورهم وكشفت الرماح
خبايا صدورهم ولم يبق الا ان يستكمل سيوفنا الري من دما يهم
ويقف صفوفنا على ربوات اشلايهم ويقبض بالكف من صفحت الصفاح
عن دمه وتكف بالقبض يد من السنته الجراح حله عنده اظهر دا
الحزم في عزايمهم وحكموا الطمع في غنايمهم فحصل لجندنا اعجاب اعجل
سيوفنا ان يتم هدم بنايهم وطمع منع فوارسنا ان تكف عن النهب الي ان

نصير

نصير من ورايهم فاغتنم العدو تلك الغفله التي ساقها المهلكان العجب
والطمع وانتهز فرصه الكره التي عادت علينا المطمعان ابتدا السلب
وتخليه ما جمع فانثنى من جمعنا بعض ذلك العقد المنتظم وانتقض
من حزبنا ركن ذلك الصف الذي اخزنيه الزحام بالكظم وثبت
الخادم في طايفه من ذوي الغوه في يقينهم وارباب البصاير في دينهم
فكسرنا جفون السيوف وحطمنا صدور الرماح في صدور الصفوف
واريناتلك الالوف كيف تعد الاحاد بالالوف وحلنا بين العدو وبين
اصحابنا بضرب يكف اطماعهم ويرد سراعهم ويعمي ويصم عن الاثار والا خباد
ابصارهم واسماعهم الي ان نفسنا للمنهزم عن خنانه وايسنا طالبه من
لحاقه ورددناه عنه خايبا بعد ان كانت يده متعلقةً باطواقه واحجم
العدو مع ما يرى من قلتنا عن الاقدام علينا وراى منا جدا كاد لولا
كثره جمعه يستسلم به الينا وعادوا وكنا في قلوبهم رعب منهم وهم الغالبون
وبدركهم وهم الطالبون ويسلم ردا الامن وهم السالبون واقدم الخادم
شعث رجاله وضم فرقهم بذخاير ماله وامدهم بنفقات حلت احوالهم
واطلقت في طلب عدوهم اموالهم وسلاح جدد استطاعتهم واعان
شجاعتهم وخيول تكاد تسابقهم الي طلب عدوهم وتخصهم على اخذ حظهم
من اللقا كانها تنافسهم في اجر رواحهم وغدوهم وقد نفضوا رد آء
الاعجاب عن اكتافهم واعتصموا بعون الله وتاييده لا يبقوا جلدهم ولا
يجد اسيافهم وسيعجلون العدو ان شا الله عن اندمال جراحه
ويعجلون اليه بجيوش يسوه طلايعها في مسايه وتصبحه كتايبها
في صباحه والله تعالى لا يكلنا الي جلدنا ولا ينزع اعنه نصره من
يدنا ومنه قولــــــه ما كتبه على لسان مولود الي ابيه ولم يكتب به
تقبيل الارض ابتدا بالخدمه من حين ظهر الي الوجود وتشوقا الي

امتطا صهوات الجياد بين يدي سيده قبل المهود ومُنيًا ان يكون اول شي
يقع عليه نظره من الدنيا وجه مولانا الذي تعلو بنظره الجدود وتيمن
برويته كواكب السعود ويهني انه يحجل السوق على صغره وكان كما ل
المسرة به ان يقع نظر مولانا الشريف عليه قبل البشري تحجبه
لتلقي عليه اشعه سعاده مولانا في ساعه ظهوره ويكسي قبل ان يلقي عليه
الملابس من اشراق محياه حلل نوره ويكون اول ما يلج مسامعه صوت
مولانا بحاربه علي الزياده في خدمه وتكثير من يضرب بين يديه في الحرب
بسيفه ويقف في السلم امامه على قدمه فان من يكون نجل مولانا ينطق
بالنجابه مخايله ويدل علي الشجاعه شمايله قبل ان يدل عليها شمايله
والهلال سيصير في افقه بدرًا منيرا والشبل سيعود كابيه اسدًا
هصورا والله تعالي يهب العبد عمرًا يبلغ به من طاعه مولانا ما يجب
عليه ويرزقه عملا صالحًا يتقرب به الي ربه واليه ومنه قوله
رسالة كتبها في البندق الرياضه اطال الله بقا الجناب الفلاني
وجعل حبه كقلب عدوه واجبا وسعده كوصف عبده للمسار جالبا
وللمضار حاجبا تبعث النفس على مجانبه الدعه والسكون وتصونها
عن مشابهه الحمايم في الركون الي الوكون وتحضها على اخذ حظها
من كل فن حسن وتحثها على اضافه الادوات الكامله الي فصاحه
اللسن وتاخذ بها طورًا في الجد وطورًا الى اللعب وتصرفها
في ملاذ السمو في المشاق التي تستروح اليها التعب فتراه تحمل الاكابر
والعظما في طلب الصيد على مواصله السري ومقاطعه الكرى
ومهاجره الاوطان ومهاجمه الاخطار ومكابده الهواجر ومبادره
الاوابد التي لا تدرك حتى تبلغ القلوب الحناجر وذلك من محاسن
اوصافهم التي يذم المعرض عنها واذا كان المقصود من مثلهم جد الحرب

نهده صوره لعب تخرج اليه منها وتارةً يدعوهم الي البروز الي الملق
وتحدوهم في سلوك طريقهم مع من هو دونهم على ملازمه الصدق
ومجانبه الملق فيعتسفون اليها الدجا اذا سجي ويقتحمون جرف
النهار اذا انهار ويتهمون بوعثا السفر في بلوغ الظفر ويستصغرون
ركوب الخطر في ادراك الوطر ويوثرون السهر على النوم والليله
على اليوم والبندق على السهام والوحده على الالتيام ولما عدنا من الصيد
الذي اتصل بعلمه حديثه وشرح له قديم امره وحديثه تقنا الى ان نشفع
صيد السوانح برمي الصوادح وان يفعل في الطير الجوانح باهله
القسي ما تفعل الجوارح تفضيلا لملازمه الارتحال على الاقامه في
الرحال واخذًا بقولهم لا يصلح النفس اذا كانت مدبره الا التنقل من
حال الى حال فبرزنا وشمس الاصيل تجود بنفسها وتشير من الافق
الغربي الي جانب رمسها وتغازل عيون النور بمقله ارمد وتنظر
الي صفحات الورد بنظر المريض الي وجوه العود فكانها كيب اضحى
من الفراق على فرق او عليل يقضي بين اصحابه بقايا مده الرمق
وقد اخضلت عيون النور لوداعها وهم الروض بخلع حلته المموهه
لذهب شعاعها

والطل في اعين النوار تحسبه دمعًا تحير لم يرقى ولم يكف
كلولو ظل عطف الغصن متشحًا بعقده وتبدا منه في شنف
يضم من سندس الاوراق في صرر خضر ويخفي من الازهار في صدف
والشمس في طفل الامسا تنظر من طرف غدا وهو من خوف الفرا اوخفي
كعاشق سار عن احبابه وهفا به الهوي فتراهم على شرف
الا ان نضى المغرب عن الافق ذهب قلايدها وعوضه عنها من النجوم بخدمها
وولايدها فلبثنا بعد ادا الفرض لبث الاهله ومنعنا جفوننا ان ترد النوم

الا تخله ونهضنا وبرد الليل موشع وعقده مرصع واكليله مجوهر
واديمه معنبر وبدره في خدر سراره مستكن ونحن في حسنا مطالعه
مستجن كان امتزاج لونه بشفق الكواكب خليط امسك وصندل وكان
ثرياه لامتداده معلقة بامراس كتان الى اصم جندل

ولاحت نجوم الليل زهرا كانها عقود على خود من الزنج تنظم
محلقة في الجو تحسب انها طيور على نهر المجرة جوم
اذا لاح بازي الصبح ولت يومها الى الغرب خوفا منه وهي نسور

في حدائق ملتفه وجداول مختلفه اذا حس النسيم غصونها اعتنقت
عناق الاحباب واذا ارسل من المياه متونها انسابت في الجداول
انسياب الحباب ورقصت في المناهل رقص الحباب وان لم تغود
نهارها نورها حيته بانفاس المعشوق وان ايقظ نواعس وردتها
غنته بالحان المشوق فنسيمها وان وشيمها لعرف الجنان عنوان
وورد هامن سهر نرجسها غيران وطلها في خدود الورد منبعثة في
وطر الريحان حيران وطايرها غرد وماوها مطرد وغصنها تارة
يعطفه النسيم اليه فينعطف وتارة يعتدل تحت ورقايه فتحسب انها
همزة على الف مع ما في تلك الرياض من توافق المحاسن وتباين الترتيب

اذ كلما اعتل النسيم صح نشر الروض وكلما اخرا لماسح التقضيب
وكانما تلك الغصون اذا ثنت اعطافها رسل الصبا احباب
فلها اذا افترقت من استعطافها ناصح ومن سجع الحمام عتاب
وكانها حول العيون مواثيا شرب وهاتيك المياه شراب
تغدير ها كاس وعذب نطافها راح واضوا النجوم حباب

تحيط بملق بطافها صاف وظلال دوحها ضاف وحصاها لصفا مايها
في نفس الامر راكد وفي راي العين طاف اذا دغدغها النسيم حسبت ماها

بتمايل

بتمايل الظلال فيه يتموج ويميل واذا اطردت عليه انفاس الصبا طننت افيا
تلك الغصون فيه تارة تتموج وتارة تستميل فكانه محب هام بالغصون
هوى فمثلها في قلبه وكان النسيم كلف غار من دنوها اليه فمثلها عن قربه

والسرو مثل عرايس لفت عليهن الملاء
شمرن فضل الازر عن سوق خلاخلهن ماء
والنهر كالمراة تبصر وجهها فيه السماء

وكان صواف الطير المبيضه تلك الملق خيام او ظباء على الرقتين
قيام او اباريق فضة روسها لما فدام ومناقيرها المحمرة اوايل ما انسكب
من المدام وكان رقابها رماح اسنتها من ذهب او شموع لسود روسها ما
انطفى واحمر ما التهب وكتنا كالطير الجليل عده وكطراز العمد
الاول جده

من كل ابلج كالنسيم لطافة عف الضمير مهذب الاخلاق
مثل البدور ملاحة وكعمرها عددا او مثل الشمس في الاشراق

ومعهم قسي كالغصون في لطافتها ولينها والاهلة في نحافتها وتكوينها
والازاهر في تراقتها وتلوينها بطونها مدبجه ومتونها مدرجه كانها الشوله
في انعطافها او اوراق الظبا في التفافها لاوتارها عند القوادم اوتاد
ولبنادقها في الحواصل اوكار اذا انتصبت لطير ذهب من الحياة نصيبه
وان ينصب لرمي بدت لها انه احق لها من نصيبه ولعل ذلك الصوت
زجر لبندقها ان يبطي في سيره او يتخطى الغرض الى غيره او وحشة
لمفارقه افلاذ كبدها او اسفا لخروج بنيها عن يدها على انها طالما
نبذت بنيها بالعرا وشفعت لخصمها التحذير بالاغرا

مثل العقارب اذنابا معقده لمن تاملها او حقق النظرا
ان مدها القمر منهم وعاينه مسافر الطير فيها وانبرى سفرا

نهوا لمسي اخبارا ادنوي سفرًا وقد راي طالعًا في العقرب القمرا
ومن البنادق كرات متفقه السرد متحد العكس والطرد كانما خلطت
من المندل الرطب او عجنت من العنبر الورد تسري كالشهب في الظلام وتسبق
الى مقاتل الطير مسددات السهام

مثل النجوم اذا ما سرن في افق عن الاهله لكن نورها راء
ما فاتها من نجوم الليل اذ رمقت الابنات يري فيها واضوا
تسري فلا يشعر الليل البهيم بها كانها في جفون الليل اغفا
وتسمع الطير اذ تهفو فوادمه خوافقًا في الدياجي وهي صماء

تصونها جراوه كانها درج درر او درج غرر او كمامه ثمر او كنانه نبل او
غمامه وبل حاكها الاديم كانما رقمت بالشفق حله ليلها البهيم

كانها في وصفها مشرق تنبت منه في الدجى الانجم
او ديمه قد اطلعت قوسها ملونا وانبعثت تسجم

فاتخذ كل لها مركزا وتقاضي من الاصابه وعدًا منجزا وضمن له السعد
ان يصبح لمراده محرزا ●

كانهم في بني انعالهم في نظرا لمنصف والجاحد
قد ولدوا في طالع واحد واشرقوا من مطلع واحد

نشرت لباس الليل علينا من الطير عصابه اظلتنا من اجنحتها سحابه من كل
طائر اقلع يرتاد مرتعا فوجد ولكن مصرعا واسف يبغي ماء جماما فورد ولكن
ثمًا منقعا وحلق في السما يبغي ملعبًا فبات هووا شيا عنه سجدًا للفتى
وركعا فتبركنا بذلك الوجه الجميل وتداركنا اوايل ذلك القبيل
فاستقبل اولنا لمّا ثم بدنه وعظم في نوعه قدره كانه برق كرع في
غسق او صبح عطف على بقيه الدجى عطف النسق تحسبه في ايتلاف
المنى عن نجح وتخاله تحت اذيال الدجى طره صبح عليه من البياض حله

وفار

وقاد وله كرع من عنبر فوق منقار من قار له عنق ظليم والتفاته رئم
وسري غيم يصوبه نسيم ●

كلون المشيب وعصر الشباب ووقت الوصال ويوم الظفر
كان الدجى غار من لونه فامسك منقاره ثم فتر

فارسل عن الهلال نجما فسقط منه ما كبر لما صغر حجما فاستبشر بجناحه
وكبر عند صياحه وحصله من وسط الما بجناحه وبلاه كي نقي اللباس
مشتعل شيب الراس كانه في عرانين شيبه لا وبله كبير اناس ان اسف في
طيرانه فغمام وان خفق بجناحه فقلع له بيد النسيم زمام ذو عنبه
كالجراب ومنقار كالحراب ولون يغري في الدجى كالنجم ويخدع في الضحى
كالسراب ظاهر الوم كانما يخبر عن عاد ويحدث عن ارم

ان عام في زرق الغدير حسبته مبيض غيم في اديم سماء
او طار في افق السما ظننته في الجو شيخًا عائمًا في ماء
متناقض الاوصاف فيه خفه الجهال تحت رزانه العلماء

فثني اليه الثاني عنان بندقه وتوخاه فيما بين اصل راسه وعنقه فخر
كمارد انقض عليه نجم من افقه فتلقاه الكبير بالتكبير واختطفه قبل
مصافحه الماء من وجه الغدير وقارنته اوزة حلتها دكنا وحليتها
حسنا لها في الفضا مجال وعلى طيرانها خفه ذات التبرج وخفر
ربات الحجال كانما غبت في ذهب او خاضت في لهب تختال في مشيها
كالكاعب وتناي في خطوها كاللاعب وتعطو بجيدها كالظبي
الغرير وتتدافع في سيرها مشي القطا الى الغدير

اذا اقبلت تمشي تخطو كاعب رداح وان صاحت فصولجادم التقادم
وان اقلعت قالت لها الريح ليت لي خفاذي الخوافي او قوي ذي
فانعم بها في العدنادم مسا فر واحسن بها في الترب تخفه قادم

تلوي الثالث حين اليها وعطف بوجه قوسه عليها نلجت في ترفعها
ممعنة ثم نزلت على حكمه مذعنة فاعجلها عن استكمال الهبوط واستولي
عليها بعد استمرار القنوط وحاذتها لغلغة تحكي لون وشيها وتصف
حسن مشيها وتزري عليها بغرتها وتنافسها في المحاسن كصفرتها كانها
مدامه فطبت بآنيها او عمامه شفت عن بعض نجوم سمائها ●

بغرة بيضا ميمونه تشرق في الليل كبدر التمام
وان تبدت في الضحى خلتها في اكله الدكنا برق الغمام

ننهض الرابع لاستقبالها ورماها عن فلك سعده بنجم وبالها تخدت في
العلو مخده وتطاردت امام بندقه ولولا اطراد الصيد لم تك لنه وانقض
عليها من يلو شهاب حتفها وادركها الاجل بخفه طيرانها من خلفها
فوقعت من الافق في كفه ونفوس في بقايا صفها عن صفه وانت في
اثرها انيسه انسه كانها للعذرا العانسه او الادما الكانسه عليها
خفر الابكار وخفه ذوات الاوكار وحلاوه المعاني التي تجلي على
الافكار ولها انس الربيب وادلال الحبيب وتلفت الزائر المريب من
خوف الرقيب ذات عنق كالابريق او الغصن الوريق قد جمع صفرة
البهار الي حمرة الشقيق وصدر نقي الملبوس شهي الي النفوس كانما
رقم فيه النهار بالليل او نقش فيه العاج بالابنوس وجناح بجماس
العطب يحكي لونه المندل الرطب لولا انه حطب

مدبجه الصدر تفويفه اضاف الي الليل ضوء النهار
لها عنق خاله من راه شقائق قد سيجت بالبهار

فوثب الخامس منها الي الغنيمه ونظم في سلك ربيه تلك الدره اليتيمه وحصل
تحصيلها بين الرماه على الرتبه الجسيمه واتي على صوتها حبرج
يسبق همته جناحه ويغلب خفق فواده صياحه مدبح المطا كانما

خلع

خلع حله منكبيه على القطا سنطرمن لهب ويخطو على رجلين من ذهب

يزور الرياض ويجفو الحياض ويشبه في اللون كدر القطا
ويهوي الزروع ويلهو بها ولا يرد الما الا خطا

فبدره السادس قبل ارتفاعه واعان قوسه بامتداد باعه فخر على
الالاه كبسطام بن قيس وانقض عليه راميه فخصله بحارق وحمله
بكيس وتعذر على السابع مرامه ونبا به عن بلوغ الارب مقامه
فصعد هو وترب له الي جبل وثبت في موقفه من لم يكن له بمرافقها
قبل فعن له نسر ذو قوائم شداد ومنا قير حداد كانه من نسور لقمان
بن عاد تخسبه في السما ثالث اخويه وتظنه في القضا قيته المنسوبه
اليه قد حلق كالمفتقر راسه وجعل ما قصر من الدلوق التركي
لباسه واستعمل من الريائش الغسلي ازارا واختار العزله فلا تجد
له الا في قنن الجبال الشواهق مزارا قد شابت نواصي الليالي
وهو لم يشب ومضت الدهور وهو من الحوادث في معقل اشب

مليك طيور الارض شرقا ومغربا وفي الافق الاعلى له اخوان
له حال فتاك وحليه ناسك واسراع مقدام وفترة وان

فدنا من مطاره وتوخي ببندقه عنقه فوقع في منقاره وكانما هد منه صخرا
او هدم به بنا مشمخر او نظر الي رفيقه مبشرا له بما امتاز به عن فريقه
واذا به قد اطلته عقاب كاسر كانما اضلت صيدا او افلت من المناسر
او حطت فسحاب انكشف وان اقامت فكان قلوب الطير رطبا
ويابسا لدي وكرها العناب والحشف بعيده ما بين المناكب
اذا اقلعت لجت في علو كانما يحاول ثارا عند بعض الكواكب

تري الطير والوحش في كفها ومنقارها ذا عظام مزاله
فلو امكن الشمس من خوفها اذا طلعت ما تسمت غزاله

فوثب اليهما وثبة ليث قد وثق من حركاته بنجاحهما ورماهما باول بندقه فما اخطا
قادمة جناحيهما فاهوت كعود صرع او طود صدع قد ذهب باسها وتذهب
بدمها لباسها وكذلك القدر يخادع الجو عن عقابه ويستنزل الاعصم من
عقابه فحلهما بجناحيهما المهيض ورفعهما بعد الترفع في اوج جوهما من
الحضيض ونزلا اليها الرفقه حد لين برح الصفقه فوجد التاسع قد سربه
كركي طويل السفار سريع النفار شتي العراق كثير الاغتراب يشتو
بمصر ويصيف بالعراق لقوادمه في الجو هفيف واديه لون السما طرئ عليها
غيم خفيف تحن اليا صوته الجوارح وتعجب من قوته الرياح البوارح
له اثر حمرة في راسه كوميض جمر تحت رماد او بقيه جرح تحت ضماد
ونص عنق شقت عنه بقا ثماد دو منقار كسنان وعنق كعنان
كانما ينوس على عودين من ابنوس ●

اذا بدا في افق مقلعًا والجو كالما آتفاوبيفه
حسبته في لجة مركبًا رجلاه في الافق مجاذيفه

فصبر له حتى جازه مجليًا وعطف عليه مصليًا فخر مضرجًا بدمه وسقط
منتثرًا على عدمه وطالما اقلت لذي الكواسر من اطفاد المنون
واصابه القدر بحبيبة من حمار مسنون فكثر التكبير من اجله وحمله
راميه على وجه الارض برجله وحاذاه غرنوق حكاه في زيه وقدره
وامتاز عنه بسواد صدره له ريشتان ممدودتان من راسه الى خلفه
معقودتان من اذنه مكان شنفه

له من الكركي اوصافه سوى سواد الصدر والراس
ان شال رجلًا وانبرى قايما الفيته هيئة برجاس

فاصغى العاشر له منصتًا ورماه ملتفتًا فخر كانه صريع الاجان
او نزيف بنت الجان فاهوى اليا رجله بيده واتنه وانقض عليه انقضاض

الكاسر

الكاسر على صيده وتبعه في المطار صوغ كانه من النضار مضوع تحسبه
عاشقًا قد مد صفحته او بارقًا قد بث لفحته

طويله رجلاه مسوده كانما منقاره خنجر
مثل عجوز راسها اشمطجات وفي رقبتها معجر

فاستقبله الحادي عشر ووثب ورماه حين حاداه من كثب فسقط
كفارس تقطر عن جواده او وامق اصيبت حبه فواده فحمله بساقه وعلاه
به الي رفاقه واقترن به حرزم له في السما سمي معروف دو منقار كصدغ
معطوف كان رياشه فلق اتصل به شفق او ماصاف علق باطرافه
علق ●

له جسم من الثلج على رجلين من نار
اذا اقلع ليلًا قلت برق في الدجى سار

فانتحاه الثاني عشر متيمًا ورماه مصممًا فاصابه في زوره وحصله من
فوره وحصل له من السرور ما خرج به عن طوره والتحق به
شبيطر كانه مديه مبيطر يخط كالسبيل ويكر على الكواسر كالخيل
ويجمع من لونه بين ضدين يقبل منهما بالنهار ويدبر بالليل يتلوى في
منقاره الايم تلوي التنين في الغيم ●

تراه في الجو ممتدًا وفي فمه من الافاعي شجاع ارقم دكر
كانه قوس رام عنقه يدها وراسه راسها والحيه الوتر

فصوب الثالث عشر اليه بندقه فقطع الحيه وعنقه فوقع كالصرح
الممرد او الطراف المهدد واتبعه عناز اصبح في اللون ضده وفي
الشكل نده كانه ليل ضم الصبح اليا صدره او انطوى على هاله بدره ●

تراه في الجو عند الصبح حين بدا مسود اجنحة مبيض حيزوم
كاسود حبشي عام في نهر وضم في صدره طفلًا من الروم

فنهض تمام التوام اليا التتمه واسفرت عن نجاح لجماعة تلك الليله

المدامه وغداد لكل الطير الواجب واجبا وكان به العلاد قبل ان تطلع
الشمس عينا او تبرز حاجبا فيا لها ليله حصرنا بها الصوادح في الفضاء
المتسع ولقيت فيها الطير ما طارت به من قبل على كل شمل مجتمع واصبحت
اشلاوها على وجه الارض كغثا ايد خانها النظام او شرب كان رقادهم
من اللبن لم يخلق لمن عظام واصبحنا مثنين على مقامنا مثنين بالظفر
في امستقرنا ومقامنا داعين المولى جهدنا مدعين له قبلنا اوردنا
حاملين ما صرعنا الى بين يديه عاملين على الشرف بخدمه والانتما اليه

فانت الذي لم يلف من لا يوده ويدعواله في السر او تدعي له
فان كان دي انت توضح طرقه وان كان جيش انت تحمي رعيله

والله تعالى يجعل الامال منوطة به وقد فعل ويجعله كهفا للاوليا وقد
جعله ومنه قولــــــــــــه مما كتبه جوابا عن قبل من ادعي
اليه في البندق ولا زالت قدمة فضله مذهبه الفوالح بالفتوح منبضة
بالنجوم عن قوس عزم مذ تشبه به هلال الافق لم يجسر نسر السما الطاير
ان يلوح منبته عن فتكات اهتمام لا ذو الجناح امامه ناج ولا يسلم منبه
مثار الوحش الجموح مطرزه حله الظلام بردا شفق نشره في الافق
من صوب صابيه دم الطير المسفوح صدرت هذه المكاتبه تلقي بالقبول وجه
قصده الجميل وتقابل سعد طايره الميمون بواجب الود الجليل وتثني
على عزمه الذي ما برح يسري في برد اليمن الى روايته كل نخاد
وتنهي عنه الثنا الى همه التي استخارت التوفيق في الادعا الى
قوم مجدنا الذي تتشرف به الاقدار فخارا وتشكر سداد مقصده الذي
لا تخفى مواقع اصابته الليل واشتداد ساعده الذي اسبل الجناح
على رجل حامله في الافق اسبال الذيل معلمة ان مكاتبته الكريمه وردت
منبية عن طروقه مظان الاستروح وسراه الى مواطن النجح التي كان

فيها عند الصباح في رفقة من اوليا دولتنا ما فيهم الا من حسبه في الولا صميم
وحديث مجده في اصابه مواقع الصواب في الخدمه قديم من هفا عزمه ما
راي بجوم اهلتها النسر الطاير الا اصبح كاخيه واقعا ولا نهضت
الا باسط جناح تمنيه في افق السما الا خر بين يديه متواضعا
وان السعد هيا له مقاما يستنزل فيه عظيم الطير من عواصم الافق
وتسلك فيه رسل قوسه الى ارواح ذوات الجناح المحلقة في الفضا
اقرب الطرق وانه حين مر به من اللغالغ صف تداوق بعضه العقد
واوثق اوله بدء عزمه والبدر لمن بدر ارسل عزه لله عن كبد القوس
انها فاتت وخطب الى نفس تلك العصبه من الطير نفسها فما ضنت
وصرع لغلغة مليحه ملحه فاصابها في اقوي فوادها اصابة صحيحه
صرحكه فاهوت الى بين يديه من مكامن مكانها وحملها القديم الذي اشار
اليه رافعا بالقسم بعلي لسانها فتمنى كل رام لو حصل كما حصلت وود
كل صوع لو صبغت عيونه في جمله حليها التي فصلت وانه ادعى لنا بها
النسبه التي تثنت بالقبول احكامها وتقضي بانتساج الاواصر حكامها
وقد علم بذلك جميعه واقصنا في شكره وانضينا الى غايه الثنا الجميل
عند ذكره وسرورنا ببلوغ الوطر وحصول الظفر وتنفا لنا انه
كذلك ينزل على حكم سيوفنا كل من كفر وقابلنا ذلك بوجه القبول
المبتهج وامضينا حكم هذا الانتما الملتحم والانتساب الممتزج ومن
اولى منه بهذا الفخر الذي انتظمت عقوده وتقابلت في افق مجده
سعوده فليأخذ حظه من بشري هذا القبول وبشره حين خبره
الذي يتضوع الوجود بنشره والله تعالى يجعل مطالبه مقرونه
بالنجاح قادمة اليه بانبا السعود على ارتق قوادم وانبت جناح
ومنه قولــــــــــــه في النبل واجري الخلق على عوايد كرمه

واجري لم بقدرته من حجب الغيب مواد نعمه واعلا لدايم موارد نيلهم حتى ما
كان يشوب معروف ساقه من نيلهم بتناول المنّ بمنه وامر البحر فاقبل
بالفرج القريب من الامد البعيد واذن له في الرفع عن محله فسجد على الترب
شكرا وتيمم الصعيد وان لم يبق به الان على وجه الارض صعيد واقبل بعد
تقصير عامه الماضي بوجه عليه حمرة الخجل وعزم سبق سيفه الي المحل
العدل بالاجل وجزم ادرك الجدب موجه قبل ان يقول ساوي الي
جبل واستظهارا على كل ما علا من الارض حتى ان المرمين باتا منه على
وجل ومهد الارض التي كانت ترقبه فهو لها المنتظر على الحقيقه ووطي
بطن الثرى فنتج الخصب بينهما وذبح المحل في العقيقه وجعد على
الاكام تخيل للعيون انما تسيل وتثبت مفارق الثرى ببياض زنده
وعاده بياض لشيب ان تخضب بورق النيل فيستقبل نعم الله التي
سيسم الارض وسمها ويولي النعم وليها وياتي بالركاب اثباتها حتى
تغص بالنعم تلك الرحاب وتظن لعموم ذي البلاد الشاميه
ان نيل مصر ركب اليها على السحاب ومنه قوله
في مثله صدرت ونعم الله قد عمت والاوامر محقق المزيد قد تمت والسيل
قد بلغ في تتبع بقايا القحط الذي والنيل قد عم بنيله حتى كلل مفارق
الاكام وعم روس الربى وحمى الارض من تطرق المحول اليها فاصبحت
منه في حرم وظهرت به عجايب القدره ومنها ان ابن سته عشر
بلغ بها الهرم وبث جوده في الوجود فلو صور نفسه لم يزدها على ما فيه
من كرم وتلقت منه النفوس ابهج محبوب طرد ممقوتا ورفقت من
حمرته بالغنى والمنى اذلم يدر ابا قوتا تشاهد ام قوتا وجري في الوفا على
اكمل ما الف من عادته وظهر باشراقه وعموم نفعه ظهور الشمس فالقى
على الارض اشعه سعادته وبلغ الله به المنافع فزعزع الجبال الشم ولم

تجا

يتجاسر على الجسور واتطع الخصب الارض كلها فله كل بقعه مثال مراتي
ومنشور منشور وبعث الي كل عارض سرايا جنوده عارضا مغضبا
على المحل ما خطر الا وسيفه مشهور وجري الامر في التحليق على عوايد
السرور وعلقت ستاير المقياس لا للاخفا على عاده الاستتار
بل للاشاعه والظهور واستقر حكم المسر على السنن المعهود وعاد الناس
به عند سرورهم اذ ذلك برحمه الله يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود
وها هو الان يرفع في كل تلعه على جناح النجاح ويحيف السيل وما
عليه جنح ويقطع الطرق وليس عليه جناح ومنه
قوله يبشر بركوب السلطان بعد تقطر كان حصل
له عن جواده ولازال مبشرا منزل النصر بما يقر عين المدي ويكمد قلوب
العدي ويبدد اهل الكفر من ركوبنا اليوم بطلايع ركابنا عليهم غدا
ويسر حزب الايمان من اخبار موكبنا الشريف بيوم كفر الدهر ذنب
اسانه بالامس واعتذي صدرت تخصه ببشري عمت بشايرها
وسرت بالمسرات الكامله بوادرها وتارجت الارجا فلولا امانه
الكتب لقيل نمت باسرار السرور ضمايرها وطارت بنا مخلقات التهاني
في الوجود ووجب بسببها وجوب سجود الشكر على كل مومن تتعبد
عند تجدد النعم بعرض السجود وذلك انه قد علم ما كان حصل من تاخر
ركوبنا هذه الايام بسبب ما كان حصل من التقطر الذي كانت عاقبته
بحمد الله مامونه وكبوه الجواد بحسن المال فيه ميمونه فيه بما الفنا من عوايد
تاييد الله وعونه مضمونه وكان تاخر الركوب في تلك المده اللطيفه
لموافقه آرا الحكما في خدمه المزاج وملاطفه العلاج وقدر الله سبحانه
وتعالى في كمال الصحه وشمول العافيه وزوال الباس وان تعدوا نعم الله
لا تحصوها ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس وسطرناها مبشره

بركوبنا الذي خضعت له اعناق الكفر والشقاق وسارت به ركايب
البشاير ونجايب التهاني في الافاق وضاقت به فجاج الارض باوليا الطاعه
فلولا سلوكهم اداب الخدمه في الترجل بين ايدينا لزلزل ركض خيلهم مصر
اطراف العراق وكان ركوبنا في موكبنا المنصور يوم كذا وكان يومًا
مشهودا ووقتًا من مواسم الزمن معدودا اربت فيه النعم على الحصور ورفل
به الدين في حلل التاييد والنصر وسري الي ارواح العدي رعبه
وعتربه في كل افق دين الاسلام وحزبه وتحقق به العدو الذي املي
له ان حركته حركه الذبيح وجمع الذي الفه الشيطان بغروره
للتكسير لا للتصحيح وتضاعف شوقه الي الجناب العالي في ذلك
الموكب الذي اخذ الاوليا فيه من المسره بادوفي القسم واوفر النعم
ورفلوا فيه في مطارف الجود واتخذوه بينهم عيدًا سموه عيد السرور
وقد عجلنا باعلامه بذلك لعلمنا بمحبته الصادقه وموالاته التي هي محض الصفا
ناطقه ولانا نعلم مضاعفه سروره بها واداية نذور الشكر بسببها فليسر
الاوليا باتباعها وتتقدم بضرب البشاير في وقتها وساعتها والله
تعالي يضاعف ابناله ويبلغه من النعم لمنيته وآماله ٥ ومنه
قولــــه في تقليد لنايب اليمن بالاستمرار وعلم العدو انه الله
الذي كثرت في سبيل الله ايامه وما قصده العدو الا وثني الاهاب
وحث للهرب الركاب وقنع من الغنيمه بالاياب وولي جمعهم الادبار ولم يعد
الي اهلهم سوي الاخبار وما اقدموا عليه الا وقد علموا بما القوه من باسه
انهم لا ينصرون وما نظروا اليه الا وقد جعل الرعب من بين ايديهم
سدًا ومن خلفهم سدًا فهم لا يبصرون وما قاتلوه بعدما قابلوه الا ان
الله طمس على قلوبهم واخوانهم يمدونهم في الغي ثم لا يقصرون وكم ارسلوا
في ايامه الي الثغر السوابق فضرب بينهم بسور وطارت اليهم من كنانه باسه

حمام الحمام باجنحه النسور وسرت سراياه في بلاد العدو فسبقتها الرعب اليهم
واحاطا النهب بالديهم واستولى عليهم الذعر حتى صاروا يحسبون كل صيحه
عليهم واطلع على خفايا احوالهم فما اجمعوا امرًا الا وعلموا به اذ يأتمرون
ولا مكروا مكرا الا اظهره الله عليهم والله اعلم بما يمكرون وكان فلان هو
الذي ما شام معه العدو بارقه ثغر الا وامطرتهم من الوبال بوابل واوقعهم
من النكال في كفه حابل فاقتضت الآرا الشريفه ان يزداد من تمكننا
وقدره محلنا بالنعم وتزينا وسموه استقرارًا بعلو رتبته وتوطنا وتغرم
عسنًا بما اقترن النعم وتحصنا ولذلك رسم بالامر الشريف لا زالت
الثغور لمهابته تبتسم والجنود تحكم بسطواته في ذخاير العدي وتقتسم
ان نجدد له هذا التقليد الشريف باستمراره في النيابه باليمن
على اجمل عوايده واكمل قواعده لينهض في مصالح الاسلام والمسلمين
بما احصا لله ونسوه واجرا عليه بما الفه سلفنا الطاهر من رشده
وكفايته وانسوه ولانه غرسوه في هذا الثغر لتتم به المصالح وتعين ان
يتعاهد بالاحسان سقيا ما غرسوه فليتلق هذه النعم باع الشكر
المديد ويرق بعلو الهمه الي المزيد من فضل الله عليه فان لديه المزيد
ويجرد على من جاوره من العدي سيف عزمه فان نصر الله باسنا فينا
اقرب اليه من حبل الوريد ويجعل سراياه طلايع جيوشنا المنصوره
فانها قد تكون باقصى الممالك وما هي من الطالبين ببعيد ويكون مستيقظا
للعدو في حال سكونه فانه قد يتحامل الجريح ويتحرك الذبيح والحازم
من تراه في الامن في درعه فلا تبدو ليله الا وهو لها متيقظ في العدو
وان غفل مشمرًا له عن ساق العزم وان اسبل ملابس غروره ورفل
فانه اذا فعل ذلك لم يلحقه ندم ولا لوم والخاسر من جلبت عليه تعب
سنه راحه يوم ويكون ولاه من الكشافه في كل فريق فرقه ناحيه ومن

القصاد بكل طريق عصبه باسرار القلوب مناجيه ليعلم ما ياتي وما يذر
واذا لم ياتي بعدو حراك فما يضيع الامن مبنيه على جهاده وليضم
الاطراف التي يطمع العدو بها في فرصه تختلسها او دنيه يفترسها وليتعاهد
منه رجال الثغور بالاحسان الذي يوكد طاعتهم ويجدد قوتهم في الجهاد
واستطاعتهم فانهم رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه وتقربوا بالجهاد
في سبيله اليه ولا يدع بالثغور كاتبا نصرانيا فانه يطلع على الاسرار
ويتطلع الى الكفار ولعبد مومن خير من مشرك اولئك يدعون الى النار
ومنه قوله ونهي انه ارسل طيها قصيده تتوب عن حضوره
وتعتذر لقصوره وتنهي عن مسامحه خاطره الكريم في مساته
وسروره ●

ومن سر اهل الارض ثم بكى اسى بكى بعيون سرها وقلوب

ولما سام الملوك قلم السعي في ذلك تمال الى المغفور حمخ وقال ما
عادتي ان اسعى الا هذا الجناب الشريف الا في التهاني والمدح
فقال له الملوك ان مسا تلك المساة اوجب اجرا واستقبل من
المسا فجرا فكتب مايقف الخاطر الشريف على مضمونه ويتحقق به
ان لمضمار حقه مدى تقف جياد القرايح من دونه ومنه قوله
يقبل الارض رافعا مجاب الدعا ناسجا مجال الولا ناشرا على عطاف
الطروس حلل الثنا مبشرا لنفسه والمسلمين بما من الله به من قدوم
مولانا تحت الويه الظفر والنصر محبوا بيمن العزمات التي اقسم الله
قسمت اعدا الله وبلادهم بين الحصد والحصر متوسلا الى الله
تعالى ان يجعل عزماته المرهفه في سبيل الله حيث سلكت ملكت
وسيوفه المجرده على اعدا الله اين سفرت من الغمود سفكت
ومنه قوله من توقيع حسبه وبعد فان اولى ما انعم نيه

نظر الاختيار وامعن فيه تدبير الارتياد والاعتبار امر تعم الامم منافعه
وتتم ببركات الرزق الذي تدر بالتقوى منابعه ويزال به الغش عن
ازلامه في الملابس والمطاعم ويزداد به النجس في المكيال والميزان
اللذين هما من اظهر المضار واخفى المظالم وتراعى به الهيات الداله
على التمام المروه واكالها وتدحض به النقايص التي تنتقد على ارباب
المكانات في اقوالها واعمالها ولما كانت الحسبه هي الامر الذي اشترك
عموم نفعه والمعنى الذي نبه على حصول الاضطرار اليه في اباحه
الشي ومنعه والسبب الذي يحسم به مواد الاذى في التعرض لبيع البيوع
الفاسده والاقدام على منح الافواق النافقه بالكاسده والتحرز من
الغش في الاشيا التي لا يترك صانعها هو وامانته ولا يقنع منها بسوى
اليقين وان غلبت على واضعها عفته وصيانته فان البلوى بها قد تعم
والحرم بها في ترك التقليد واذا كانت الافراد لا تطهر مع التنبيه الاجتماعيه
فيمن يتحراها بالمباشره وبين من يتلقاها بالقبول بون بعيد
فلذلك يتعين ان يكون مباشرها ممن هدته العلوم الدينيه الى ما
يعتمد من مصالح لا تخرج فيها عن حكمها وحدته القواعد الشرعيه
الى ما تستند اليه فيها من عوايد لا يعدل بها عن وسمها الشريف ورسمها
وكان فلان هو معنى هذه الالفاظ المجمله وسر هذه المقاصد التي كان
يحتاج ايضا حها من ذكره الى التكمله وتجاربه للفضايل توم في الحق لا
تستفزها الرقى واستقامه في الانصاف لا تميلها الاهوا عن سنن
التقى ورسم بالامر الشريف ان يفوض اليه نظر الحسبه الشريفه
تفويضا يمضي حكمه في مصالحها ويحل نظره في داني الامور ونازحها
فليفعل في ذلك ما تقتضيه هذه الرتبه من منع احتكار وقطع اسعار
وتفقد ما يصنع من منسوج ومرقوم ومشروب ومطعوم ومجلوب ومخزون

ومكيل وموزون ومعدود ومذروع وباق على هيئته ومصنوع ويجعل لذلك
حدًّا في الجوده معلوما وقدرا في القيمه مفهوما ووصفا في العلو والدنو
والتوسط بينهما مرسوما ومنه قوله توقيع خطابه
وبعد فان صهوات المنابر لا تستقل بكل راكب ولا تستقر الا تحت كل فارس
يزاحم شرف علمه الكواكب بالمناكب ولا يذعن الا لمن اذا امتطى اعوادها
اطال في المعنى واطاب واذا قال اما بعد لم تختلف الآرا في انه دل على
الحكم بفصل الخطاب واذا ذكر بامر الله اصحب كل قلب جامح
وغض كل طرف طامح ورد كل عبد عن طاعه ربه نازح واصغى من صغى منه الى
قول مشفق في الله ناصح وخرجت الموعظه منه عن لسان صادق فلم تعد
حبات القلوب ويتبع كلامه اذوا الضماير فشفاها ولادوا اوجع من الذنوب
ووثقت النفوس في انه قول امام معصوم فتلقته بالتسليم وجلست العلما
تحته للاقتدا بفوايده فكان على الحقيقه فوق كل ذي علم عليم واحق
المنابر بارتياد من يصلح لاقتعاد غاربها واولاها بالصعود عمن برز في
صون خطبها ما كان من اعظمها رفعه واكرمها بقعه وانجحها جماعه
وجمعه وافدمها شهره في الافاق وسمعه واعجبها بناً وابناً وانماها
عن ايه الامه اثقالا واعبا واكثرها زجلا بالتلاوه والاذكار
واعمرها بالقانتين والمتقين والمستغفرين بالاسحار ولما كان المسجد
الجامع بدمشق المحروسه هو الذي زاحم الارض المقدسه بمنكبيه فلو كان
لمساجد الثلاثه رابع لشدت اليه الرحال وتحقق بالرفعه التي لا تسامى
ان نور المشكاه تشرق من ارجايه في بيوت اذن الله ان ترفع ويذكر
فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والاصال رجال تعين ان تختار لها من
هو رجل المنابر وبطل المحاريب وهو فلان الذي سفت مواعظه القلوب
والمرت بالتقى واستلت سخايم الصدور واستفرقت من المصلي على التقا

ورسم بالامر الشريف ان يفوض اليه الامامه بالمسجد الجامع بدمشق
المحروسه والخطابه بمنبره الكريم عملا بالاولى في التقديم واحتياطا
للامامه التي هي اثبت دعايم الدين القويم فليحل هذه الرتبه التي لم
تقرب لغيره جيادها وليحل هذه العقيله التي لا تزان بسوى العلم
والعمل اجيادها وليرق هذه الهضبه التي يطول الا على مثله صعودها
وليلق تلك العصبه التي تجتمع للاقتدا به حشودها وليعلم انه في موقف
الابلاغ عن الله تعالى لعباده والانذار لما ورد عن الله ورسوله على مراد الله
ورسوله لا مراده وتحت منبره من الاعيان من ان يلقي غيره القول بتقليده
تلقاه بانتقايه وانتقاده فيعتصم بالله في قوله وفعله وليتيقن ان الكلمه
اذا خرجت من القلب لا تقع الا في مثله وليجعل خطبه كل وقت مناسبه
لاحوال مستمعيها متناسبه في وضوح المقاصد بين ادراك من يعي غوامض
الكلام ومن لا يعيها وليوشح خطبته بالدعا لامام عصره ومالك امصار
الاسلام مع مصره وللامه بعموم تخصيصه وحصره وهو يعلم انه يكون
في المحراب مناجيا لربه واقفا بين يدي من يحول بين المرء وقلبه
فليلجا الى الله تعالى في الاعانه بالاخلاص على هول مقامه ويسال
التثبيت بالعصمه في مستقره ومقامه وليراع من وراه من اهل التكليف
وتكثر جماعتهم بتجنب ما نهى النبي صلى الله عليه وسلم معاذًا من ترك
التخفيف ولينظر في عموم استطاعتهم دون خصوصها فان فيهم
العاجز وذا الحاجه والضعيف وليحافظ على فروض الكفايات
الوازعه والسنن التي ينادي لها الصلاه جامعه وليغرس في كل قلب
حبه ليقوموا الى الايتمام به وهم فارهون وليعمل في البدله في ذلك بصلاح
نفسه فقد جعل صلى الله عليه وسلم ممن لا يجاوز صلاتهم اذانهم من ام قوما
وهم له كارهون وله مما كتبه على قصيده فلبس فيها بيت

دخل في شفاعة اخيه ولا معنى يثبت على غير قواعد الصحة او اخيه ولا
كلمة يصلح في مكانها سواها ولا قافية او هي السناد ركنها او اضعف الاقوا
قواها وكل بيت منها بيت قصيد يعقد بالخناصر عليه او سلك فريد يشار
ببنان البيان اليه او مقر معنى رئيس تجلس نفايس المعاني بين يديه
واما نظمه فمنه قولـــــه

هذا ولم يبق بي في لذة اربٌ الا اجتماعي باصحابي والزامي
واين هم خلفوني مفردًا ونأوا فبت اسهر اجفاني لنوام
واين نيل مرامي من لقايهم ضاق الزمان وهيأ سهمه الرامي

ومنه قولـــــه

ملك لو طلد ركنه من ملحدٍ او معندٍ بحدا له وجـلاده
الف الوقايع والسرى دون الكرى فتصعد لذته طعنه جياده
يروي لسان سنانه في حربه خبرا لمدع عن صميم فواده
يتيقظ العزمات يحجل باسه حشر العدو بما عن استعداده

ومنه قولـــــه

بانوا بقلبي وقلبي سار يتبعه فلست اطمع منهم في خيال كرى
ويح المحب الذي سارت احبته عنه ولم يقض من توديعهم وطرا
وخلفوه يناجي الركب بعدهم فلا يبلغه عن ركبهم خـبرا
بانوا فصوح نبت الروض بعدهم هذا وقد غادروا دمعي به غُدُرا

ومنه قولـــــه يعزي ببنت

وكم اوجُـه قد غيبت في ظلمة الثرى ولم ير ها في ظلمة الليل كوكب
ولا كالتي في المجد خالاتـــها امها رقية بنت الهاشمي وزينب

ومنه قولـــــه

رأتني وقد نال مني النحول وفاضت دموعي على الخد فيضا

وقالت

وقالت بعيني هذا السقام فقلت صدقت وبالخصر ايضا

ومنه قولـــــه

ورايته في الماء يسبح مرةً والشعر قد رفت عليه ظلاله
فظننت ان البدر قابل وجهه وجه الغدير فلاح فيه خياله

ومنه قولـــــه

وسرت به في البحر جارية سودا يسبق سيرها الشهبا
لو ان حكم البحر طوع يدي لاخذت كل سفينة غصـبا

ومنه قولـــــه

اقول له والغصن يشبه قده اذا عبه والظبي يحسب ابداه
ايك سوى ذا الوجه يسبي به الورى فقال وهل في البدر الا محياه

ومنه قولـــــه

مضوا فما استرد الدهر انسي الذي مضى كان له عندي بقربهم قرضا
وبانوا فمالي اللبان لا مال بعدهم ولا عانقت اغصانه بعضه بعضا

ومنه قولـــــه

هنيت بالطفل الذي استرجعت به العلى ما ضاع من دينها
تكاد تخفى الشمس ان قابلت طلعته خوفا على عـينها

ومنه قولـــــه

دع فوادي والصبا ان الصبا عاجت سكر فوادي فصحا
واعد لي ذكر من حل الحمى نفسي يرجع قلبي فرحا
يا اخلاي ومن حسن يا كلفي فهو الذي قد نصحا
ارشدوني هل قضى حق الهوى من يبذل الروح فيه سمحا

ومنه قولـــــه يرثي شيخه مجد الدين بن الظهير

بكته معاليه ولم يرو قبله كريم مضى والمهلكات نوادبـه

ولا عزو ان تبكي المعالي بشجوها علي المجد اذ اودي وهن صواحبه
اما والذي ارسى ثبيرا وحلمه لقد طاش حلمي يوم زمت ركايبه
وقفنا وقد جد الوداع عشية فلم نمسك دمع يوم ذاك وساكبه
انودع نفس المجد بيتا مصرعا طويلا على زواره متقاربه
ظننت باني مخلص في وداده واخطا وهمي اسوا الظن كاذبه
رجعت وامسى الجود يصحب نفسه الى رمسه فالجود لا انا صاحبه

ومنه قولــــــــه

قل لي عن الحمام كيف دخلتها يا صاحبي لتسر خلا مشفقا
ادخلتها واوليك الاقوام قد شدوا المازر فوق كثبان النقا

ومنه قولــــــــه يصف قناة احتفرت وانبط ماوها التربة المعيصم

اعرتها نطرة عنا لو لمحت سحايب الصيف لانهلت عواديها
فاصبحت مثل ظهر الارض باطنها نورا كان الثريا ركبت فيها
يكاد يقطعها الساري على فرس ركضا وليس تدانيه اعاليها
تبدو على الترب من بطن الثرى فترى تقبل الارض اجلالا لمنشيها

ومنه قولــــــــه

اذا دغدغتني ايدي النسيم فملت وعندي بعض الكسل
فسل كيف حال قدود الملاح وعن حال سمر القنا لا تسل

ومنه قولــــــــه يمدح المنصور لاجين ايام نيابته بالشام
ويذكر احراقه نصرانيا تعرض الى مسلم في رمضان ●

يا من به وبرايه ورواية بلغ المراد الدين من اعدايه
يا كافل الاسلام قبلك لم يتم هذا المقام سواك من كفلايه
ارسلتها بالعدل احسن سيرة بك يقتدي من كان من اكفايه
وغضبت للاسلام غضبة ثاير لله غير مشارك في رايه

وحميت سرح الدين من متخلس رخص بسن الغدر في استخفايه
اخفى سراه الى الحتيم ومادري ان الاله وانت من رقبايه
جمع الخيانة والخنا في الارض والاشراك بالرحمن فوق سمايه
فامرت امرا جازما بحريقه ورايت ان القتل دون جزايه
طهرت من رجسه الثرى وقذفته في النار اذ هي منتهى نظرايه
ورفعت قدر السيف عنه وانه ليجل عن تنجيسه بدمايه
ارعبت اهل الشرك منه فكلهم يلقى خيالك واقفا بازايه
وسلبتهم طيب الحياة لمن غدى الفي دبيب النار في اعضايه
او لو تخيل في المقام بحرمه خشي الحريق ومات في اعقايه
صفعاته
باداعي الاسلام صنت السرب ان تدنوا كلاب الشرك من
ما غرت الا للاله وخلقه من فتك شو عبيده باما يه
واستشهد الشهر الشريف فانه يثني لما ابديت في اثنايه
عظمت حرمته واهلكت الذي لم يرع حق الله في اناية
فاسلم لهذا الدين تحرس سربه وتغض جفن الشرك منك عنايه
واشكر الهك بالذي الهمته لما فعلت يزدك من نعمايه

ومنه قولــــــــه يهني بابلال من مرض

صحت بصحتك الاماني وضفت بها حلل التهاني
وجري شفاوك والسرور كما جرى فرسا رهان
برو اتى وضنى مضى لما علينا نعمتان
ولكل يوم بعده الشكر لابل سجدتان

ومنه قولــــــــه في وداع الحجرة الشريفة على ساكنها
افضل الصلاة والسلام ●

يا سيد الثقلين دعوة من اتى يسعى اليك ولو على الاجفان

فارقت ربعك اولا لاداء ما كتب الاله علي في القراب
ورجعت اضحك للتواصل مرة اخري وابكي للفراق الثاني

ومنه قوله وقد اشرف على مكه المعظمه

اقول لصحبي والفيافي كانها صحايف خطت بالمطي سطورها
دعوا طي عرض البيد بالسير والسري فهذا حمي ليلي وهاتيك دورها

ومنه قوله

قاتل الله ربقا بالحمي انفد الادمع واستبقي الغراما
عاد من برق الثنايا مستقي وجنه الصب ولم يسق البساما
وكئيب في الحمي تحسبه ظله الناحل وجدا وسقاما
يرقب الارواح ان هبت صبا عليها ان تبلغ الحي السلاما

ومنه قوله

كاني بكم والبيد تطوي لديكم وقد نزلتم دون المتيم باللقا
وقد عبرت عن وجدكم عبراتكم اذا الدمع منكم ثم افصح منطقا

ومنه قوله

سلوا الركب هل مروا بجرعا مالك وهل عاينوا قلبا تركت هنالك
واحسبه ما بين سلع ليا بنا اقام والا فهو ما بين ذلك

ومنه قوله

اذا البرق من تلقا كاظمة عنا اذاب الحشا منا وذاد الكري عنا
حسبناه ايماض الثغور على النقا وليس به لكنه قارب المعنى
متى قال حادينا رويدا فبينكم وبين الحمي مقدار يومين اوادني
وهبنا له شطر الحياه فان اي ولم ترضه ما قد وهبنا له زدنا

ومنه قوله

هل لحي ليا اللقا سبيل وجيوش الفنا فينا تجول

اويلذ

اويلذ المقام ثاو بدار ليس يدري متى يكون الرحيل
منزع للمسير عنها ولا زاد وان كان فهو نزر قليل
شغلته وفرغت من لما هاله فهو فارغ مشغول

ومنه قوله

ولي الدجي وكانكم بسنا الصباح وقد تنفس
وغدا ردا ادجي تدثر بالكواكب وهو اطلس
علق الظلام بذيله فكانه ثوب مدنس
والشمس تبدو في المورد اولا ثم المورس
كالخود تجلى في الثياب تطل تخلعها وتلبس

ومنه قوله

تبدي السما لنا معني لحي بسنا ناء قريب سفور الوجه محتجب
اذا اطمينا توهمنا مجرتها نهرا طفت فيه اكواب من الشهب
كانها روضه حفت ازاهرها بجدول من نمير الما ذي شعب
او حله من بديع الوشي معلمة بالنور معقوده الازرار من ذهب

ومنه قوله

عسى وقفه بالركب يا حادي الركب لاسل ما بين المحامل عن قلبي
فعهدي به لما استقلت ركابكم وقد قال لي للسار الي طيبه سربي
وقد تقعد الاقدار من قبل حطه عل انه واني الهوي واقرا الحب
ولكني لم اتهم في تاخري على كثره الاسباب شيا سوي ذنبي

ومنه قوله

اسروا الي ليلي سراهم فما انجلا وبات كطوفي يحمه وهو حيران
كلانا غريق في الدموع وفي الدجي كان الدموع العين والليل طوفان

ومنه قوله كان الدراري والنجوم ود ان حوته وقد زان الثريا التياما

حباب طفا من حول زورق فضة بكف فتاة طاف بالراح جامها
كان سهيلا والنجوم وراه صفوف صلاة قام فيها اما مها

ومنه قوله في الزنار

انجرا الذي طود المعالي وانه ليغني عن التصريح باسمه من يكني
حللت بزعمي في الرغام وانه لمن تحته يبلي ومن فوقه يضني
امر على مغناه كي يذهب الاسي كعادته الاولى فيغري ولا يغني
واقسم ان الفضل مات لموته ويخطر في ذهني احو فاستثني

ومنه قوله

شربت بكاس ما راها اخو اسي ولا داقها قبلي محب ولا بعدي
فكري بسمعي ذكر سفح طويلع وبان المصلي منعما واحد في وجدي

ومنه قوله

بانوا وخلفني الاسي في ربعهم ابكي الطلول مصرحا ومعرضا
ولو استطعت فراقها لتبعتهم فزمامها بيدي وما ضاق الفضا

ومنه قوله وهو من باب المغايرة

ولقد ذكرتك والفوارس نحونا تترى مدرع واخر حاسر
فنسيت حبك عند ذاك مخافة ووددت اني لم يمه طائر

ومنه قوله

من حاتم عند واطرح فيه في الجود لا بسواه يضرب المثل
ابن الذي بت الالاف يتبعها كرايم الخيل ممن بس الابل
لو مثل الجود سرجا قال حاتمه لاناقة لي في هذا ولا جمل

ومنه قوله

يا راكب الناقة الوجنا مشتملا ثوب الظلام كنجم لاح في افق
يوم قبل ازدحام الركب طيبة كي يطفي الجوى او تروى غلة الحرق

كن يا رفيقا لاسعي نحوها عجلا اما على صحن خدي او على حدقي
عساك تحيي ما تولته من كرم روحي وتدرك ما تلقاه من رمقي
وان ابيت فقل خلفت من تهنا بالسوق يا تيك ان طال المدى

ومنه قوله

بلغت مرادي ونلت المنى وزاد سروري وزال العنا
فما ذا الذي ارتجي بعد ذا وهذا الرسول وهذا انا
فبشراك بشراك يا ناظري تملي واياك ان تغبنا
فحيث التفت رايت الرسول واثار من ههنا او هنا
تملى فهذا مكان الحبيب وهذا التواصل قد امكنا
وخل الدموع بها وقتها وان حسن الدمع عند الهنا

وختمت ذكر شيخي رحمه الله بهذه الابيات المتضمنة للمدح الشريف ليختم بالصالحات عمله واني لاومل ان يحسن به في دار الكرامة نزله وان لا يخيب في الله وفي رسوله صلى الله عليه وسلم امله ختامه مسك وفي ذلك فليتنافس المتنافسون ●

ومنهم علي بن محمد بن سلمان بن حمايل الشيخ الامام جمال الدول علاء الدين ابو الحسن اهل هذا البيت بحمد الله من بيت صلاح ما فيه شبهه لمن يذم وكتب الانشا منهم جماعة وتعلقوا بالقطع من هذه الصناعة فتقلدوا لسلطان البراعة ونفثوا سحر البيان في عقد اليراعة وكان هذا الرجل شيخ وجه في العوارف الحسان ونسيب جلة اعني عالما عاملا للاحسان مع ملابسته للدول في امورها وما رسته لها في احوال حزنها وسرورها الا انه كان يحرز دينه ويحيه يقينه وكان اقوم اهل بيته برياسة لا كبر فيها وريا لا كدر لصافيها ومروة كانت تلذ له ولو ادت الى الخطر وابدت

الاهوال دون الوطر ووقع على القصص فاولى مننا واجرى الله
به الخيرات زمنا ولم يقصد الا وجه الله بفعله ولا اسدى المعروف الا
لاهله ثم مات غالب من جرى لهم به ذلك المعروف وبقى في بقايا همم
وحصل به الملوك الذين كتبه عنهم الاحن بعض ذنباهم ولم يكن اسرع
منه الى اداء حق واجب ولا ادعى لصحبه صاحب ولا اسبق الى اعياد
مريض ولا اشيع وتشييع جنازه وتوديع كرام وعزاء مع ملازمه الصلاه
في الجماعه وتعهد المسجد لو تدد لما غاب عنه ساعه ومداومه تلاوه لا يفتر
من ترداد ها وصلوات لا يخل باورادها هذا وبابه مفتوح وسحابه ممنوح
وتحشم مع جلسائه مطروح ووجهه بالتبسم الى عينه خفه روح لبشاشه
وجه تروى غله الصادي وسعه صدر يفيض على رحاب النادي
وسرعه اجابه تعاجل صوت المنادي مع يد في هذا الشان
لا يجوبها بنانها بل يزيدها بيانها ۝ ومنه قوله ومن نشر ما تعب القراح
في اثر قوله يصف قلعه ذات اوديه ومحاجر لا تراها
العيون لبعد مرماها الا شزرا ولا ينظر ساكنها العدد الكثير الا نزرا
ولا يظن ناظرها الا انها طالعه بين النجوم بما لها من الابراج وللماس
الفرات خندق تحتها كالبحر المحيط الا ان هذا عذب فرات
وهذا ملح اجاج ولها وادي لا يتم لنجعه الرضا ولا يجرا لهواجره وقد توعرت
مسالكه ولا يداس فيه الا على المحاجر يتفاوت ما بين مراه العلى وقراره
العميق ويقتحم راكبه الهول في هبوطه وكانما خر من السما فتخطفه الطير
او تهوى به الريح في مكان سحيق ومنه قوله ولقد
احسن في وصف القلم فقال القلم الذي كم اعان من هو قارى للحروف
ومن هو لصنوف الضيوف قارى وهو الراكع الساجد في ملازمه
الخمس طاعه للبارى شق لسانه فنطق وانار صباحه وعليه جلا بليل

الغسق ثم خضع له السيف وزاد معنى بحليه لما مد وهكذا في الظلام زود
الطيف ولم يزل يعظم ويسود ويحكى الرمح فيتخطر والغصن فيتاود
وينقم فلا يتقيات ويسافر فيتزود ومنه قوله فسارعوا
الى الجهاد من نازله العدو من اخوانكم المسلمين وقاتلوا المشركين كافه
كما يقاتلونكم كافه واعلموا ان الله مع المتقين وامضوا عليهم بعد ذلكم
واقدامكم وانصروا الله بجهادكم واجتهادكم فانكم ان تنصروا الله ينصركم
ويثبت اقدامكم وكتاب الله اولى ما عمل به العاملون قال الله
تعالى انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا باموالكم وانفسكم في سبيل الله
ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون ومنه قوله تجردوا عن
العلايق واشتغلوا بخدمه المخلوق عن الخلايق وبرئوا من التكلف
وزهدوا في عرض الدنيا فهم من الذين تعرفهم بسيماهم ويحسبهم الجاهل
اغنيا من التعفف ۝ ومنه قوله يصف الكره وانتهى الى
حديث الرغبه في تلك اللعبه وهي الجاريه التي لم تزل بالضرب دانيه
شاسعه مستمد له من الطراد والابعاد دايبه في ارض الله الواسعه
فلم تزل ايدي الايدين وحملات المويدين خافضه لها رافعه تاليه
في مجال القتال الى النجم فاذا وقعت الارض تلالاها ادا رقعت الواقعه
من الشجر الاخضر كونها واذا سال عنها سايل قيل صفرا فاقع لونها
لا تزال الفوارس اليها كالجهاد بالجياد تتعادى وعليها مع المرافقه
والمصادقه بالتنافس تتعادى تشبه الهامه الملقاه بين ارجل
الجياد في الحرب ولا تزال هاربه من طالبيها لكثره ما يقع فيها من
الضرب تنفر من الابطال نفور حمر مستنفره فرت من قسوره
وتتوائب عليها الرجال توائب الليوث الضاريه الضاريه فلم من
الكره على تلك الكره ۝ ومنه قوله في توقيع رجل يعرف

بآل ابرهيم فليعلم بتقوى الله في هذه الاعمال آتيا فيها من حسن التاني
كلما يليق ان تشاهده العيون من الجمال وهو ادرى بما يعتمده هو الصدر
الذي كل احد يعلم عليم والرئيس الذي لا يخفى بين الرؤسا وهل
يخفى مقام ابرهيم ومنه قوله من كتاب كتبه
يقبل اليد لا زالت بينهما مواسيه ولكلوم القلوب بطب كلامها اسيه
وللعهود محييها على ممر الايام وان نسيها من نسيها غير ناسيه وينهي
ورود الكتاب الكريم فتسلى عن كل من حجبه النوى وتملى بنضارته
ومحاسنه عن وجه بالجفا قد جف وعصر بالذم قد دوى وعلم الاشاره
العاليه الى امر الحبيب النازح والذي جد في الصد وكان غير مازح
وانه استدل من كلام المملوك على شدة موجدته لبعده وعدم صبره عن استجلا
وجهه واعتناق قده وقد وعد بعوده ذلك الغايب قبل ان يذوى عوده
ورجوعه قبل ان تنطفي بطلوع الدفن سعوده وقد تحقق تفضله وهو
نعم من امه الشاكي وامله

ولابد من شكوى الى ذي مروة يواسيك او يسليك او يتوجع

ومنه قوله في كتاب الى قاضي القضاه امام الدين
القزويني ادام الله الانس بقرب الجناب العالي القضائي الامامي
وجعله للمتقين اماما ورايه للصواب زماما ولقاه منه حيث يحل تحية
وسلاما ورد المشرف الكريم الذي تلقاه بقلبه قبل يده وحل منه محل
روحه من جسده وناظره من اسوده وسر لما تضمنه من اخبار قربه
وما دل عليه من فنون فضله الذي المملوك منه على بينة من ربه وتحقق الاشاره
الكريمه في تفويض قضا القضا الى نظره الكريم وحصول التعويل
في ذلك على مقامه الذي يتشرف به كل عظيم ولقد نال هذا المنصب
من جلاله قدره ما سر به واغتبط وتحقق نصه اليه انه على الخبير

به سقط ووصل التقليد الشريف وقبل وقوبل بالامتثال وحصل
السرور به وعم وكل به هنا القلوب ولم وعرض له من الارتياح الى
لقايه ما سلبه القرار وعظم به الشوق عنده واعظم ما يكون اذا دنت
الديار من الديار ولولا ما يعلمه المولى من التصدي لمهمات الاسلام لما ثابت
في قصد لقايه الاقلام عن الاقدام ولله تعالى يقدمه قدوم البدر بروج سعوده
ويديم في المعالي سموه الى الغايه التي لا مزيد على غايتها في صعوده
ومن شعره قوله

بكيت بدمع فاق دمع الغمايم وناحت لنوحي ساجعات الحمايم
على جيرة جار الزمان لفقدهم ومن بعدهم جاورت غير ملايم
مضت لي بهم ايام انس حميده تقضت بها دهرا كاحلام نايم
واني بارض الشام للشتاق ارضهم اذا لمع برق لاح منها لشايم
فلله ايام الصبى حيث لا نرى وقارا لنا الا بخلع العمايم

ومنه قوله

وكم سحر لي في الربى زمن الصبى اشاهد مرأى حسنها متمليا
ويسكرني عرف الشذا من نسيمها فاقضي هوى من طيبه حتف انفيا
واسال فيها مبسم الروض قبله فيبرز من اكمامه في ايديا
فلله روض زرته متنزها فابدى لعيني حسن مراى بلا ريا
غدا الغصن فيه راقصا ونسيمه بكر على من زانه متعديا
ترحل الانجاد والمكاحراد بسليم الصبى اضحى متمسيا
بعثت لديه الورق والغصن راقص فيعرق وجه الارض من كثرة الحيا

وهذه ابيات لله من سمع مثلها لو حصلت لابن خاقان لجعلها واسطه
قلايده او ابن بسام لاتخذها من افضل ذخيرته ومنه قوله

نعد نفسك من اهل القبور بما فعن قليل اليها سوف تنتقل

واذكر مصارع قوم قد قضوا ومضوا كانهم لم يكونوا بعد ما رحلوا
يا ليت شعري ما قالوا وقيل لهم وما الذي قد اجابوا عند ما سئلوا

ومنه قوله

سلب المهجة مني بالجفون الفاترات
لو يزور البيت لم يرم الحشا بالجمرات

وكنت قد بعثت له درجين احمرين من الورق ثم لم اعد احمل له بعدهما شيئا فكتب الي

يا من مكارمه عمت فكم شملت ذا فاقة ما بقي منه سوى الرمق
قد كنت ارسلت لي درجين لونهما من حمرة مثل لون الشمس في الافق
وبعد ذلك لم افرح بمثلهما من سيدي لا ولا اني من الورق

فبعثت اليه درجين احمر وابيض وكتبت اليه معهما

امسك سحابك لا يفضي بنا الغرق فقد كفى منه صوب الوابل الغدق
بدايع من علا الذي بت بها الذي طب تقبيل ومعتنق
مطلوبه ورق مني ويا عجبا من الغصون اذا احتاجت الى الورق
وقد بعثت به كلي الخدود له في احمر شرق او ابيض يقق
وما علي اذا ارسلت رايه وعاد بالشهب محوا من الافق
هذا علي وهذا جود راحته يا من راى البحر والانوا في نسق

ومنهم عبد الباقي بن عبد المجيد بن ابي المعالي متى بن احمد بن محمد ابن عيسى بن يوسف القرشي المخزومي ابو المحاسن تاج الدين المعروف باليماني المكي مولدا احد مشاهير الادبا واحد جماهير الاوليا سرحة فضايل ودوحة علم تنفيا ظلالها عن الايان وعن الشمايل بحر يوخذ منه در البلاغة وروضا تحمله روح الرحمن من قبل اليمن قدم مصر قديما ثم الشام واقام بدمشق مدة ثم هفت به ريح بانه وذهب بلبه برق علانه

فسلت قرارا وغلب استقرارا وعاد الى وطنه آيبا وعاود سكنه لا ذاما ولا عايبا واتصل بالملك المويد داوود ووصل منه بثقة ودود فعول عليه وقلده كتابه السر لديه وبقي حتى امحى من اديم السما هلاله واضحت في تلك الافيا ظلاله فتقرب قربه الملك الظاهر وربا حقده الملك المجاهد ابن الملك المويد فاخذ امواله واحتاجها ونزف امواهه وامتاحها وتطلبه ليردي به فغر وسكن مصر ثم ما استقر فقصد دمشق ثم الى القدس الشريف واستوطنه واتخذ المسجد الاقصى موطنه ورايته به بين علوم ينشر جناحها وتعبدات يفضي في حندس الليل صباحها ● ومن نثره قوله من رقعة كتبها الي قال فيها وكتبها الملوك في يوم توقدت جمرته وطالت في نهار القيظ حجوله وغرته ونار على الاكباد موقدة لو لم يكن الا ان المملوك فارق سيده ونسيم المملوك سموم وسربه يحموم وحشاه تكاد تذوب وجفنه كراه في نهار وليله مسلوب وهيهات ضعف الطالب والمطلوب فكتبت عنها اليه جوابا منه وكتبتها واليوم قد طار في افقه جناح الشعاع واوهم الصاد عن برقه اللماع وصر الجندب في نواحيه وسكت الطير بعد تلاحيه وغرق في آله الليل وعرف بسواده في كف ماحيه والشمس في كبد السما ترمي بشرر كالقصر والاصيل قد آلى ان لا يبدو ولا يجنح للعصر ● ومن نثره اعني اليماني قوله ويعني انه بلغه وفاة الولد وان لله نقله اليه ولم يعلق شي من الذنوب وجعله ذخيرة وفرطا لمولانا يوم يجازي كل امري بما قدم من سالف العمل المحسوب فلقد جرع الاحشا صابه وجرح القلب ساعة التفريق مصابه وقطع الاكباد فقده واورث الاحزان بعده فيا له من قرة عين اورثها القدر قذى الاجفان وغصن سودد اقتطفه قبل الازهار يد الاحزان وهلال جسن

اعتور نوبه الحدثان وثمره جود اودعت مدارج الاكفان وربع انس امسى
صاحبه بالخطوب خلالا وقادح امر اضحى بيان امره جللا على ان
الخطوب لاتزاحم الا ثبيرا ولا تعاند بورودها الا كبيرا وفي سجاياه الكريمه
حلا لا قل ان يكون غيره من الناس وصفات تفردها وهي الثبوت عند
هجوم الباس ولين غاب من سما علايه هذا النجم الزاهر وذهب اثره المنير
الباهر فكم في فلك محامده من نجم سيادة بانوار الرياسه سواطع
وكوكب فضل ما يقال له هذا غارب حتى يقال لاخيه هذا طالع
ومنه قولـــــــــه من كتاب كتبه اليه وينهي انه لما
كان من حدم هذا البيت الشريف ودا لعني بسمه ولا به سما ولباسه عن
التعريف وقد سارت مدايحه في هذه البقيه العمريه مغربه ومشرقه
ومنجده ومعرقه بحيث و حمته لبعده عن باب سيده لايذوق غمضا ولا
يعرف ليلا اقبل او ينقضي وقصاري مناه ان لا يقبل فيه قول حاسد
او جاهل جاثي المجلس الشريف او عالم معاند ومولانا يعذر المملوك
فانه كتب هذه الصراعم والليل قد اسفر دجنه والسهر قد ترسم المملوك
حتى تغير ذهنه والملوك ما تغير في هذا البيت المعمور العمري طنه
وكتبـــــــــــــــــه جوابا منه وانتهى اليها هنا والنسيم في السحر
قد هلهل ثوب الظلام وسحب رداه على اعقاب ذيول الغمام والجوزا قد
انتشرت تحت مسح السرطان وشعاع الشمس المحمر قد عرف في
مقله الاسد الغضبان والديك قد طلع على شرف الجدار وصاح في الليل
منه جاويش النهار والمصابيح قد فرغ سليطها وكثر في صور الصباح
تخليطها نوقف المملوك وقفه الحيران وتململ تململ الغيران واراد ان يطيل
القول بقدر ما يدعوه اليه رايد الشوق وحمله على ان يحمل السمع الكلام
فوق الطوق ثم رجع فعاينه فكره الطليح وجادبه قلم الطليح وابنه ادبه

وقالـــه له قد آن لك ان تريح الرجل من نطويلك وتستريح ومنه
قولـــــــــــــه اعني العماد في كتاب ترجمه في معنى الكتاب
الفاضلي بفتوح القدس هذا وعلوم الديوان العزيز محيطه
باستيلا اهل التثليث على البيت المقدس والمسجد الذي هو على التقوى
موسس وانهم جعلوه مفزع طريدهم ومفترشو نديهم ومعقل رهبانهم
ومعلم اديانهم ومفترطانهم ومنتجع هاديهم ومنهج شرعتهم وعمود بيعتهم وعكاظ
نفاقهم وموسم شقاقهم وبادي سمادهم ومظهر شعارهم ومنار منادهم وملتقط
اخبارهم ومنزل احبارهم مع ان طوايف الفرنج ببيعتهم طايفه وامم النصارى
على دين الصليب به عاكفه لا يعرفون من الانجيل غير ما بدلوه ومن القرب
غير ما مثلوه فنهض اليه الخادم في جحفل من اوليا الدوله القاهره يرون
الموت مغنما والسلامه مغرما والمريه عارا والادبار نارا ما طوا بارض
الا وانبتت من ساعتها قنا ولا نازلوا حصنا الا بلغوا من شامخه المنى بايعوا
الله على احماد الكفر جهارا وعاهدوه على ان لا يذر ماضي سيوفهم على وجه
الارض من الكافرين ديارا فلما شاهد نار رفعتها ومنزنا علوها ومنعتها وابنيه
معهدا اخذ الشيطان على اهله ان لا يخفر لهم عهدا وعلما امسى لدين النصرانيه
علما ادعوه فرضا فردا قد كلوا عُددتها وعديدها واستخدموا للمحاربه شقيها
وسعيدها واداروا على ارجايها حفيرا اصبح لها سوارا وحمايتها من الطرق
سلا منار عه نزعها اسوارا بنا ولكن بيقصر عن ما ثلته يدان واتقان هو بلا
شك من صنعه الجان وعمان ولكن من ساحر عنيد وتدبير ولكن عن
راي شيطان مريد وتماثيل تخيل الناس بسحرهم انها تسعى وصحرا ارض
ليس لمن اقام بها طل هناك ولا مرعى فاسترتينا مكانا دلنا عليه حسن
الايمان نصنا على ارجايه منجنيقا هدر بازله وهتم ثغر تلك الابنيه نازله
وتحسدت عصيه حيات تلقف ما صنعوا وفرقت ما جمعوا وطل لنا

ولم يوم ولا كيوم ذي قار وحرب ولكن ابن حزب اهل الجنه من حزب اهل
النار سيوف مخروطه وايدٍ منا ومنهم بالدعا مبسوطه وعجاج انعقد
متانه وقسطل ولكن استعر بحوافر الصوافن اوانه قد بذلوا انفسهم دونها
وراموا ولو هلاكهم صونها وعلا شرفا تتامنهم امم لا تحصى وجمع التي بالمنيه
لعددهم لا بد تستقصي ولم نزل المنايا سحبٍ بقوة الله ذلك الحفير وتورد
سكان تلك البقاع بعون الله شر المصير ثم سارت رحافتنا وجال
النقب في ارجايها وبلغت الاماني من النصر غايه رجايها وصيرناها
بالجديد والطلل الدارس بعد المشيد وحملنا عليهم بقلب رجل واحد
فانطمس معكم التثليث واستبان طريق الواحد وتفرق من بها بين اسير
اثقلته اغلاله وقتيل غرته بالاقدام اماله وطريد لا يعرف له مكانا
وخايف كلما تبدا له مرائي طنه انسانا وفتحناها بكرا لجمعه وعدت اعلام
الخلافه المعظمه على بقايا شرفاتها خافقه واطلاب الاسلام الاستيصال
شانيهم متلاحقه وقام خطيبنا على صهوه المنبر الاقصى مرتجلا وصاع
اوصاف المواقف المعظمه والمواطن المكرمه حليه حلي وذكر الحرب
وكان ناسيا والان له بالمواعظ قلبا كان لعدم الدكار قاسيا واعدنا اليه
ماكان يعهده من الجمع وتقدمنا بهدم ما استحدث من البيع وشيدنا ما دثر من
كل مشهد اعتمدوا تخريبه وعبدوا ستنقذنا معالم الصخره الشريفه من الاشراك
فعادت الى اخيها الحجر الاسود وهذا الفتح وان كان المقصود منه مكانا
مخصوصا فهو فتح يشتمل على مدن عامره ورباع غير عامره وقلاع مرفوعه وفاكهه
لا مقطوعه ولا ممنوعه وقرى طاهره وركبان وارده وصادره وهذا
المسجد شقيق الحرمين وثالث الرحلتين ومعبد الانبيا وموطن بركه الاوليا
فلله در فتحًا اقر نور الدين في ناظره واسعد الاسلام في مشاعره
قلت وقفت له على رقعه ذكر فيها يومًا الصبح والثريا فيه كانها

في بروج المطالع كف خود تختمت في روس الاصابع والصباح حام يحن ملاته
اشعه الشمس حمرا والمجره بحر مزبد يقذف الفواقع درا والنسر قد صحر مما
حام وسهيل قد تقدم خوفا من الزحام وقد عارضت وسط السما الشعري
كانها ياقوته في مدرك والجوزا قد مالت كشارب فهو لم يمزج او حسنا تنفست
في المراه اذ نظرت محاسنها ولم تتزوج والرقعه هذا مضمونها
وهو اسعد الله مولانا بهذا اليوم الذي تمثلت ثرياه صوره كاس يطاف بها على
الجلاس واي نسر لما المجره حايما على الورود دارئا كانه مجهود والجوزا
مسبله الذوايب وسهيل لما خاطب والشعري شعرها وعدايرها الغياهب
ومد الله عمر مولانا ومتعه بشرف المناقب وهذا ذكره قولي
من قصيده وهو شق الصباح غلاله الظلما وجلا النهار غدير كل سما
لولا كواكب لي الصباح تاخرت بالحمايم مشوبه في سار بصبيحه رقت حواشي
هدبها ووشى النسيم بهليا الانوا حتى تجلت مثل خود ختمت بالنجم تحت مظلم
الجوزا وبدا سهيل ثم والشعري يلي الياقوته الصفرا بالحمرا وكانما زهر المجره
روضه قد كللت بجواهر الانداء والنسر في شفق الصباح مشمر كيلا يحل لبابه
بدمايه عدنا لما اليمني ومن شعره قوله يذم مدينه عدن

عدن اذا رمت المقام بربعها فلقد نعيم على لهيب الهاويه
بد خلا من فاضل وصدور اعجاز نخل اذا ترا ها خاويه

وقوله

اذا احلت ايادي البرق رمزا على كنز الغمام سقين حرزا
وامطرت الغيوم خيول سيل على وجه الثرى يحزن حمزا
اثرن بياته نكسا ربوعًا تغرقت عن ملابسهن خزا
وباع المشتري لما توالى محبته بكف الارض بزا
واطلعت الرياض نجوم نور فتغريها ايادي الشرب جزا

قابل الله كاتبه

وولي عسكر الظلما هزيمًا اخافت من سنان البرق وخزا
فجنيد توي عقد الثريا على جيد الخمايل قد تجزي
فيا هذا التاي يا نديمي لقد خافت اذ حالفت عجزا
وجام الشرب ينسب للثريا وشمس الراح نحو الكرم تعزي
فواصلني بها فلعل داي يزول اذا شربت الخمر مزا
على نهر المجرة والدراري عيون حولها يبدين غمزا
نجرد جيش لهوك يا خليلي لغزو غنمه من قبل تغزى

ومنهم

عبد الله بن علي بن محمد بن سلمان عرف بابن جمال الدين ابو الفضل
غانم المقدسي شاب برع وبهر وطلع مثل الكواكب وظهر وما عرف في
اي وقت اشتغل ولا متى الهب سعفه واشتغل كانما لقن سحر البيان
من حين ولدته امه وبزغ في الافق نجمه واتى بلطايف الشباب وبلالم في الكوس
حايل الحباب هذا الى حسن خط كانما نمنمه عذاره وقيام حسنه عند المحبين
باعذاره وهذا كله في مده اقصر من رجع النفس واسرع من قدح الزناد
للقبس في زمان اعجل من اما المليح واقل من مقام الضيف عند الشحيح
لكنه لما جا بالالفاظ بهر حسنها وبرح وزنا ظن انه قد انتهى وتناول
باحدي يديه القمر وبالاخري السهى فترك الطلب وقد كان له انتصب
واستنزف ثلة البلي حتى نضب وكان يشغله ما يشغل الشباب ويصرفه
عن الثبات على حال ما يصرف النسيم الهاب فكان لا يري مستقرًا لقدر دقيقه
ولا ارجع طرف حقيقته فكان يعيبه الهود ويزينه كثر النصور وما سلم حتى
ودع ولا تلقته القوابل حتى شيعه من شيع ومن نثره قوله
في جواب كتبه عن نايب الشام تنكز الى نايب طرابلس في معني الحريق الذي
حصل بدمشق في سنة اربعين وسبعمايه اعز الله انصار المقر الشريف وحرس
برح الذي تحري وحبه الذي يتسرع الى القلوب ويتسري وامره الذي

يبرد بنداه كل كبد حري وسره الذي اذا ناجته خواطر الاشفاق
والارفاق انشدهما قفا نبك من ذكري الملوك يقبل البا سطه
الشريفه تقبيلا يبرد به الغليل ويداوي بطبه الفكر العليل وينهي
ورود مشرفه بتضمن امر الحريق الذي حصل بدمشق في هذه المده حتى
احرقها بناره وحف جنتها بالمكاره وسل عليها سيف الضرام وحكم عليها
حكم الدهر على الكرام واطلع في وجه شامها لغير الحسن شاما وكاد
ياتي عليها لولا تدارك لطف الله يا نار كوني بردا وسلاما وهجم على جيرون
فغير دهشتها وعلى الخضرا فرمي فرشتها وعلى اللبادين فكسر قلبها لانه كان
زجاجا وعلى الوراقين فما تعرفت حتى صار باللهب كل وراق سراجا وكل
طلحيه وقد تفرق طلحها المنضود وكل كراسه وقد ازدها وجوهها البيض وهي
سود واضحى فم الفواره يصاعد جمرات انفاس وسوق النحاسين يرسل
منه الى سور الجامع شواظ من نار ونحاس وكل محجوبه بالطرايفيين وقد
رات مكروهها وكل براعه دهما وقد ابيض بالنار فودها فلذلك سودت
الدوي وجوهها وغادر كل دكان دكا فاوسع قوام العمد واطلاع السقوف
كسرًا وفكا واقعد بيت الساعات الى بيام الساعه ودخل الى باب
الجامع لكن لغير طاعه وكاد يصلي به من تصلي ويقبل على صف العابدين
فيولي واهترت المادنه كمي نافض وتشعث وجه المشهد الابي بكري فكانما
اصابته عين الروافض وترقرقت عيون العابدين من الالم ورق صحن الجامع
لمالم هداة الساجدين من المادنه بنار على علم ومار التمر اراه اللهب حتى خرب
المنار وصف بعد ذلك في صحن الجامع ما فضل عن اكل النار فيا لها داهيه
عمت المسلمين ومصيبة سودت وجه الدنيا فبيض الله وجه الدين وواقعه
لما اقتربت الساعه وقارعة لولا المعوذات لما تبلت فيها شفاعه وبالها عينا
دخلت على هذه الاسواق فخلت ويدا استجدت منها محاسنها فاعطتها وما تخلت

كانت لعمارتها رمانه فاصبحت جلنار وكانت محاسنها ليس عليها غبار فاصبحت
لا تعرف من العباد وما سكت لهذه النار لسان ولا خفي لها شخص ولا عيان
ولا نسفت الدموع التي اطفاتها ولا بردت طلوع القياسير التي دفاتها
حتى طلعت شمس الفتنة من غربها وتعالت ~~اصواتها~~ اصوات النايبة عن قربها
واتى النقص من جهة الزيادة وسعى الدابما وسع العبادة فصار سوق الكفت كفاتا
وسوق الخام رفاتا وخرجت قيسارية القاس عن القياس وتوارد الاياس والرجا
في امر البلد مجموعه ولكن غلب الاياس فركب المملوك بنفسه ومن عنده من الامرا
وبايديهم اسلحة المعاول وعلموا انهم لقطع عنق النار سيوف الجداول فكم من
راس جد استه النار دوسا وكم من قد وقوس تصرفت فيهما فصار القوس قدا
والقد قوسا وكم من اوتار احترقت منها الاوتار وكم من سهام نفذت لها في قلب الا
كما تنا الكفار وكم من حلقة انقضت وكم من عين بيضا اسودت وعين سودا
ابيضت وكم من لجام دخل فيه لسان النار فالاكه وكم من بحر سرج ركب عليه
اللهب شبكة فاكل اسماكه ونقى المملوك كلما دار بها دار سبقه اليها المقدار او
اشار بها دكان تداعت منها الاركان هذا والصاغة تعوذ عين ذهبها من
عين لهيبها والمادنة ترجف فرايص تحتها من مصرع اختها وتدارك لهم الحال
بلطفه ومن باطفا ذلك الحريق ولولاهم لم نطقه ولم نطفه ولم تقتصر
الحال على هذين الحريقين بل تتابع بعدهما امثال وما يشك المملوك في
صدق ما اشار اليه مولانا من تلك الحكايات وضربه من الامثال فانه ما يسعر
هذه النار الا عدو ازرق ومن احرق قلبه يحرق جانب من يعبده فلا غرو اذا
احرق ٥ ومنه قوله

يا سادة نزحوا دموعي عندما نزحوا وعهدي منذ ذلك عام
اوما وجدتم ري دموعي عندما وافاكم من ناظري غمام
كيف اعتقدتم سلوتي عن ذكركم ايطيب الا بالكمال كلام

هذا انتم يا ناظري ما دمت يقظانا وتجلوكم لي الاحلام
اشجى نواتكم دمشق وغصنها قلق اذا ناحت عليه حمام
ونزلتم الشهبا فاحتالت لان علمت بان النار ليس كرام
طابت بكم وبطيب كل حمى غدا يعزى لابرهيم فيه مقام

وينهي ورود مثاله الكريم بعد ان وجد عن بعد ريحه وشام برقه العالي
قبل ان ياتي قميصه بالبشرى الصريحة واحسن الخاطر بسروره
الزايد وان كان ما كل روايات الخواطر صحيحة فلما راه مستقرا لديه
عنه قال هذا من فضل ربي وصدقت ظنون حبي ويا ايتها الايام التي
قد طال بيني وبينها عتب النوى حسبي ثم عطف على الكتاب الكريم يغازله
ويضاعف فيه نظر اللوم وينازله ويقول له اين لطف الترسل اذ عدمنا لطف
الكلام قد احرقتنا بنار ابرهيم ولا برد ولا سلام قد اخذ بفراقه لنا ايامنا
بها وقد كنا نحن بالشقرا لا نطيق حماه فكيف وقد ركب علينا الشهبا
وشرع في فنون العتب بنسقها وفي حمول الشكوى يوسقها الى ان فض
لطيمة الطرس ففاح عبيره ولاح حبيره وباح بالبيان صغير لفظه وكبيره
وكل زهر حرف عليها للحسن ندي وكل غصن سطر ظفاحت القلوب
عليه سقطا وبدا يود ابن هلال لو استعار منه معنى الكلام الكالي ويتطلع
ما توقيا ان يكون نصا كالماء الذي ختم به على هذا السحر الحلال ويتهافت
المسك على ان يكون به تحرير ذلك الجديد ويخلع صوف ذلك الغزال
فلما راى المملوك نسمات تلك المحاسن قد ناوحت الهبوب وتراوحت
بالشمال والجنوب وانشد لسان حالها ومن اين للوجه الجميل ذنوب
قبل نشفاعة حسنه الاعذار ونادى حرب العتب ضع الاوزار وعاود
وصف الشوق فيقول ما الربيع على نشر البلاد به وتحلى عاطل الروض بذهبه
واستطال صاح الطير بخاتمه المصروبه حيث حبا له الشمس من طنبه

باشد من شوق المملوك الى تلك المحاسن التي من راي خط شبابها تحقق
انه ما محاه آنس وقرآن المملوك ان يهرب من الاستهداف لهذه الاوصاف
والا ينسبه الى انحراف كل قليل الانصاف وما اكثر القليل ذكر مولانا المقام
ومقاميه فشوق وما ذوق وعرض بيتين انشدا من لسان المملوك وقلمه
متين نحذا حذوهما في اللفظ وتصرف في المعني وقال في معني ما مولانا
بصدده من ملازمة الاشتغال

اقمت مجاورًا في كسر بيتي لان تنقلي داء عقام
اذا رزق الفتى عقلاً ودينًا ودنيا ما طلب المقام

آخر تمه

ملكت من المقام على جحول وحل من الهموم بي انتقام
ولواني سعيت لكسب مال حلال طاب لي فيه المقام

واذا وصلت المقامة تمت المقامة والا فكلام المملوك خبط عشوا في هذه
الحاله شق المملوك من كتاب عرف الادب الوردي فتنهد وانصاح الى ذلك
الدين الذي عري المملوك من فضله مع انه ما برح حتى للرياض بالكسوة
يتعهد فيا شوقي الى دنانيره وقد القاها الشرق في بناني وديا
وحياته الوردية وقد وقفت نصب عياني ولكن ما افعل في سوء الحظ
غاتي ان الوهم ومولانا يعرض عليه لمعاني وما يخفى عنه طرق اكرومه
ومنه قوله ويهني ورود البشرى التي ملأت الوجوه بشرا
والوجود نشرا واقامت بالسرائر سوقًا اصحت تباع به البشاير وتشرى
بما حصل لمولانا من الاقبال الشريف الذي تحركت تشاريفه وتحادت
تكاليفه وتريلت على وسع المعال مصاريفه من تيجان عام اعتدلت فوق
مفرقه والوان فراج احرق في سمو سجفها زركش النجوم فلاحت تلك
اللمع من مخرقه ومن هالات طرحات كانما كن لشبهها به المشرق فلك

تدوير

تدور ومن ابدان سحاب حكت ببياض البطون وزرقة الظهور طلوع الشمس في
يوم مطير فقابل المملوك وسايلاً لا ليك المحبين هذه النعم بحقها من الشكر
واوفاق سبوب نسيمها وان كان عزامه في هذه المدة بمطالعه مسا اكل الا بصادر
لا يدعه يفيق من السكر فلله هذا الحبيب المتشنف والغريب المصنف
والممنوع الممنود والدهر الذي هو بها هل من لدن آدم مصور حرس الله
هذا الجمع الصحيح وهذا الفضل الذي نثر من الدر في جود التراجم كل
مليح وهذا السيات الذي سير الشموس من الطروس على نجايب وهذا
الوفاق الذي حصله بين البر والبحر وحدث عن العجايب بعجايب فما كان
للمملوك دأب في هذه المدة الا التقاط دره من اصداف الاوراق واجتنا ثمره
من غصون تلك السطور وكله قد راق فان اعترضته عنه ثناء فيها
على جمر الشوق فتًا او عارضته عرايس تصانيف الاولى اتام تلك المجلدات
الخمس تتصبر ستا والمرجو من الله تعالى رويه ذلك الوجه الكريم على
ما يسر الاولياء ويسو الاعداء وحاشاه ان يكون له اعدا
ومن شعره قوله في مليح نظر الى الشمس عند غروبها
مضمنا

وغزال غازل الشمس وقد وقفت فوق ثنيات الاصيل
فتعوضناه منها بدلاً وتفارقنا على وجه جميل

ومنه قوله غير مضمن

وردي دلا احسنه وافر تقصر الاوصاف عن كنهه
رنا من الشمس وقد غربت بناظر اللحظ الى شبهه
تعوضت في الحسن من بعدها ولاح للعهد الى وجهه

ومنه قوله مضمنًا

ورب ظبي مخضر شاربه رطب حواشي اللمى موردها
قال والشمس للاصيل قد وقفت على ثنايا الاصيل تنشدها

كعاشق سار عن هواه فمقلته دمعه يردد ها
فقلبها قليلا على ولا اقل من نظرة ازودها

ومنه قوله

نعس الحبيب فقيل ماذا شانه فاجابهم بالحاجب المقرون
وبطرف اشرت وطرف ادعج كالنون فوق العين تحت السين

فهو لاعيان كتاب المشارقة ممن مات وفات وبقي منه ما ينشر العظام الرفات واكثرهم قد جهل قبره وفني وما فني ذكره ولابن خالة عمي الصاحب شرف الدين ابي محمد عبد الوهاب رحمه الله فانني ذكرته في كتاب فواضل السمر في فضائل آل عمر اذ لم يكن بد من ذكره هناك مع اقاربه وسلف اهل بيته واباه وكذلك والدي تغمده الله برحمته وان كان دون اخيه قدر ما لا لامقام ودر نظام لانتظام وسياتي ذكر جماعة من اهل هذا البيت في الكتاب المذكور ومنه يعرف خبر كل معروف غير منكر على انني بشهادة الله لا انف لي ولسلفي ان نتحاز الي هذه الفئة اذ لم تكن بعيو نها المغفيه ولله المعري حيث يقول

دع اليراع لقوم يفخرون به وبالطوال الردينيات فافتخر
فهن اقلامك اللاتي اذا كتبت يومًا اتت بداد من دم هدر

فاما الاحياء فالكاتب الشرقي ممن يطلق عليه هذا الاسم بالاستحقاق تمامًا

ومنهم زين الدين الصفدي ابو حفص عمر بن داود بن هرون بن يوسف الحارثي من بيت قضاة وخطابة ببلاد صفد والساحل من زمان الفتوح وهم اهل قرى لا يغلق بابهم المفتوح وفيهم نبهاء من يضيف الوارد والصادر ويطيف كرمه بالعاجز والقادر على قلة يساره وخطة اعساره وبرع هذا الرجل فيهم وتادب وتهذب ادبه وتهذب واتقن علم العربية وتم له تمام الفضائل الادبية الي فنه درسه وفصل نوعه وجنسه وعلم معقله

ادركه

ادركه بمجرد التصور ووازع ايمان منعه فيه من التهور واطلاع اشرف من يفاعه واطل عليه من شرف ارتفاعه كل هذا الي ذكاء يتدفق سيله ويعرف من بين النجوم سهيله وتفرد بمعرفة التنفيذ للمهمات قل من يحسنها او يخبر جوابًا حيث ينطق السنها هذا مع خط كانما الحف جناح الطاوس او تلالات تحت جنحه اشعة الشموس وحسن مصاحبة تطمئن بها النفوس ومواظبة على غلاة ليسود بها ويسوس صحبته من قدم وعرفه اوليا الامر وتنبه ذكره ثم رقد وذهب لب صيته ثم خمد وجرى ما حفظه يتدفق ثم جمد ورتب في كتابة الدرج في عدة مواضع من الممالك في اقرب مدة من الزمان واشتهر رجاحة العقل والكتمان ووفور الفضل والادب ثم كتب الانشا بدمشق ثم بمصر فانشا غرر القلائد ورقم برودها ونظم ما استجدت منه اجياد الحسان عقودها وحضر بين يدي المقام الشريف وكان عندي موضع الثقة وقدمته لاهليته ثم بعد ان رفعت ذلك الشعار وخلعت ذاك الرداء المعار وقلت الموت ولا العار لبث قليلا ثم قمعته عوادي الضرا وروعته في وسط السراب ثم كان في صفد بين قومه الا انه لا يجد قوت يومه وبقي حيًا ميتا لا يملك بيتا ثم انفرجت حلقة ضايقته وعادت لوامع شارقته وفسح له في سكنى دمشق فعاد الي صدور مجالسها ثم كتب في ديوان الانشا بها وحل مفاخر رتبها فتبلل عودها باندايه واشرقت سعودها باستظهاره على اعدايه ثم طلب الي مصر ورفع بالدست وهو الآن جمال الاوان وكمال الديوان وبيده الازمة واليه الامور المهمة وفضله يستحق التيه ومن نثره قوله في ورقة كتبها الي والدي ويهني انا احسان مولانا وصل الي ذلك الفقير الصالح الذي من قرية نبي وهي قرية الملوك التي اخرجته وانما ضمنته للبيت العمري هي التي خرجته والي طبقات الناس درجته وقد بقي يعوزه كتاب كريم الي مشد صفد نظرًا للكتاب الكريم الذي

صار في يده الى نايبها والملوك يسال الصدقة عليه بالمطلوب وان يكون كتابا
حسنا بعين مولانا سماحة كرمه وقلمه ولطيفه جناح جاهه وكله صدقة على الملوك
دونه وبدا تقبلها وتقبلها ممننه غير ممنونه والوجا الوجا وقد ضجرا الملوك
وهو استحي والله يرفع درجه مولانا حتى يكون على الكواكب مستفتحا ولنظم في
حديقه النجوم منزها ويعرف نرجسها منزنجا ومنه قوله
في تهنيه بعود الركاب السلطاني من الحج وجمع الحجيج في سنتهم الواحده
بين حجتين وكتب لمناسكم بيمنه اجر مصلي القبلتين ولم لتوجهم بانوار
الهدى والغر وحصلوا من صفقته الرابحه على تجاره لن تبور وقد الهم لفح
الهجير تطوفهم بالكعبتين ذات المقام وطله وامنهم العقبى تمسكهم بالعروتين
من البيت العتيق وفضله وغشوا في اصوبين من ناره التي هي ام القرى
ومكه المسماه في الذكرا لقدم ام القرى فهذه المهاجره التي جددتا السنه
بمجدها والمتابعه التي اعلنت الالسنه بمدح سوددها وهو الحدير بان
يوفيهما من استبشاره وسكره اكمل وظيفه وان يقدر موقعها حق قدره وان
كان ما لا يطيق الامه تكليفه ومنه قوله وقد اهدي اليه
صاحب له طبق مشمش مع غلام مليح وصل البر الذي زاد على منتهى الطلب
واشهد النواظر بين يدي قضيب البان كرات الذهب وجابا البدر وقد
اتسق والنجوم وقد ركبت في دارة الطبق فبهت لرؤية صور الكواكب من الملس
وتسيير القمر في منازل الارض وهو الذي لا ينبغي ان يدركه الشمس ثم تامل
وتلى واستجلى وقال شكرا للمرسل والرسول ويا حسن الحامل
ويا لله المحمول اهلا بما لم اكن اهلا لموقعه ومرحبا بكرم جمع بين تنوعه
وتسرعه اين الامل من هذه الغايه وكيف غفل الدهر حتى تباهى في الاحسان
الى هذه النهايه مولى يسعى الى عبده وغصن يجني ثمر شمس في اوراقه من برده

ومنه قوله في ذكر الدواه وقد ارسلها مشتعله بالسنه مفارق
راسها مستعد به على وضعها الذي انتزع روحها باستمداد انفاسها واستحال
عليها مع الدهر حتى عكس النقش في روعها من قرطاسها في بيضا الا ان السواد
كان انقى لسانها وناجيه عندها ان العرق اسكن لروعتها من نجاتها واملها
ان يسودها في ذلك لا تسود الا من النفس وان تديل لها من سالب صبغتها
وهو الطرس فيطل لسان فمها وهو القلم يمج على حواشيه لعاب الظلما في لوا
الشمس ومنه قوله في امروفنا السيل وذلك انه عند تسطيرها
ورد المثال الشريف يتضمن نباه سطوه الى كان ناجدا وله وانه جاد لموصله
بنفسه التي ليس في يده غيرها فكان المسول لا شك سايله وما اظنه الا حينا
نزل دون تلك الديار مهابة لمن حلها من مطايا الغمام واحلها من احله
ان يلم بها ركبا لمنشي على وجهه اليها تناهيا في الاكرام ولم يزل يجري لمستقر
له ويضم شيا فشيا الى ان ادرك اخره اوله ووارده في كل ساعه يشهد
بحاج راي الرايد على التحقيق ومخلفه المتواري بحجاب الماء يومي باصبعه
الى احسن العاقبه على انه في حاله الغريق ولو قدر على المقال لظهر خافيه
ونطق بتوفيه عوايده واي نطق والمكامل نيه حتى اذا تكلم سموا مواجه حالا
على حال وتنور اقاصي الارض من ثنيه المقياس فاذنا ها النظر العال
لم يملك طبعه السيال ان غطى مساويها البادية وراى ظماها اليه القصوه
عنه فنفع بانتقاله اليها غله كبدها الصاديه وكان له الفضل على الثرى
والورى في ذلك المسعى وقالت الطاف الله المتتابعه هذا الماء وسيتلوه
المرعى وكان هواه المعتدل على اعتلاله عد لا فطل قلب كل غدير
اطاف ولم يبق عين بقعه كانت فارغه الا وكلها عند نظره الدمع ما قد
ومنه قوله ونبهي انه لو امكن دفاع القضا او قبل غريم الموت
المتقاضي اخذ الفدا لحمى هذا المحترم بانصار الرجال لا بجواري العيون المحزونه

وتصرفت عنه المهج يد المنون ببدل نفوسها المصونة فقد كان والله شقيق
الشمس رفعة وهدى ومباري غرة البدر في الفلك ورسيل الغيث في
الفلك وان امسى الزمان لتواري شخصه ايه ليل ما محيت وظله غيم رايت
عليها لمحه بارق لمعت ثم زويت فلعهدي وهو بارية نهار حياته المبصر لحسن
احسن احتلالا واني واهو بين المشاهد في المعنى والصورة رويه ورو ا
طوى له حل في امنع جوار وحصل على سعاده في دار القرار يفرح بها من
ارث سقوم الحزن في هذه الدار والملوك مندمج نعته كسد صم الرماح
ويتردد من سواد مقلته ودمعها في ظله باكر من فقد نورها على الصباح
وما ادعوا لمولانا وجله الى سنه العزا المشروط ولا اقول له مهلا لتذهب
بك فرط الجزع على اخيك مذهب القنوط وانما اشرك نفسي معه في التعزية
والتسليم والتجلد وان كان لا اجلد على نفوده هذه الرتبه المصمية فاتعلل
والمثل بقول الاول

ولو لم اكن منكم لعزيتكم بكم ولكن حظي في المصاب جليل

الا ان احصه لاختصاص نسبه وافرده بجامع ادبه فلا اجمع لاقسام
الكمال من ادبه واستشهد بان انشد

ومن يك ذا نفس كنفسك جره فقيه لها معن وفيها له مسلى

ومن قوله وهني ورود المشرف الكريم ووقت الصوم قد حاب
وهلاله في عنان السما مرخا العنان يشار اليه البيان بالبنان كانه الطليع
وهي الرامز اول رمضان او لتساقد هي النون من اخر شعبان او الخايف
اختفى عن العنان وترامته الابصار فاستعان او طالب حاجة الشمس
ادركه الليل فوقف وقعد الحيران او كوة في غار فغار او رقيب وقد اختبي
ليطلع عن مغيبات الاسرار او الحاجب لا جرم انه حجب عن الافطار
او كانه ما انهادم من جرف النهار او المخلب الصايل على النظار الصايد ما

جاونة

جاونه من النجوم لتتكمل فيه الانوار وتتم باجتماعها اليه في صورة الاقمار او المنجل
الحاصد للاعمار القاصد حتى ما علا ثمر النجوم من الازهار او طوق لم ينضم او
مبدا عامية لمعم او قرط خانته العلاقة فانقطع او ما انحرم معه في سمع الاذن
لما وقع او علامة عضه او قلامة مبيضة او قطعة من سوار فضة او تشوف
نوالي عضه او شفه نتاه بضه او حافر جواد جلا ارضه او وطيه
حاف خلا من اثر كعبه بعضه او درهم فيه ثلمه او دينار محسوف الجانب
محكم او لمثال عشرين في خمسة ونصف دايرة من خط بيكار تمامه او عرجون
قديم او ما مال من كاس نديم او شطر من كرة مقسومة او ضاحك اسنانه
مهتومة او هاله والتي تطرا منها غير مركومة او لثام على حنك او زورق من
ورق حمولته من عنبر الحلك او محجل نزع من ساق او روق راجع من
الاوراق او ما انحل من الخصر من النطاق او وقف من عاج او صدع
في زجاج او جدول منعطف او قفل في فلاة قد حذف او لبة فواد او
غصن اثقله الثمر فاماد وعقد سماه بارضه او كاد او ثغر في سود
او ثم قدح مكسور او نوي محفور او فخ منصوب على طول الدهر او عرق
مغروس او بعض ما في ريش الطاوس من المنقوش او حلقة منقوصة
او اذن زنجي مقصوصة او ظفر معقوصة او خاتم زال نصفه فتقعر او
ما اندرج من رسم في صفحة المحجر او طية من اعكان او سم محققة
في كشح ريان او ذوابه مردوده او حزمة من بطيخة مقدودة او خيزرانة
ملتقيه غير معقودة او قوس محني القرى او عروة منفكوكة من العري او نثر
مرفوع او طيلسان مقور مقطوع او قبضه ابريق مخلوعه او اله للطبيب
مصنوعه او يد التفت على عاتق حبيب او شعر مشيب فضلت من خضيب
او ما احاط من الاكليل بالجبين او محراب لبعض المصلين او سالف
محسن او مشقه قاف او سين او ما اندفع في جوجو السفين او احد

الجفنين او عذار حول الخدين او راس من كتابه صاد لم يلتحم او عين
او دال منقلب او طا منفصل الطرفين سقط الفه المنتصب او
معصم مسعوب او تعريقه جيم مكتوب او عقرب شايله او شعله نار لعبت
بها الرياح لحايله في مايله او حيه ملتويه او صولجان معصوف لم يبق منه سوى
الحنيه او برقوع بدا عطفها او طايره غرض حرق هبابها سهمها او فلكه مغزل
مشنطاه او دف امسكت كف سودا على اعلاه او ما تحت تنفس المراه
او قنطره منكوسه الوضع في البنيان او طبق قايم احد من حافته شي فبان
او عنق في ادهم من الخيل صاغت بها الشمس عن نفسها كما طف الليل
او رِدا اسبله الشرق فكف الغرب منه الذيل او صعد او مكان ورقه
من ورده او قفل على تجليد او احدي المطففين بالوريد او لب سركب
او كور مرتب او قتب مجرد او سرج موكد او قربوس منه مفرد او را حد من
خشكنان او حدقه تخلا من انسان او طعنه مثلها بسنان او سيف لان
في يمين ضارب او مطرح الغلاله من ترايب الكواعب او المهلوك ما شعته
الاشواق وصنعته به عوادي الفراق او ما حده في حد الدمع المهراق
وكان للناس اشتغال باستقبال الهلال وقلب المملوك في اشتغال ما
عنده من البلبال ومن ضنى جسده البال وحالات الاحوال وما استحال
وبات وطرفه يتملى من المشرف الكريم خطاً ما له مثال ويتامل منه لفظاً
معانيه تضرب الامثال ويتقلب وجهه في افقه الدال على رد صح فليس
به اعتلال ومنه قولــــه وعلمنا ما ذكره من امر الصقر الذي وقع
له وما لحظ فيه من القبول فارسله وحمله الى حيث حمله ووصل وقد طرز
رقوم المحاسن حلله وزانته بديباجه مكمله وحليه مكلله خالصاً كالذهب متوقداً
كشرار لبه موشي الصدر كما طفت على الكاس فواقع الحبب او كروضه منها
ما لم يخرج من الاكمام ومنها ما هب مع النسيم حين هب حسن الاستعداد

للذريب

للذريب مدركاً فاذا دعي يجيب مظفراً لجد مهديه فلا يخيب وقد قبلناه بركابها
بهديه واشتغلنا به اشتغالاً لا حقق ما لحظه من القبول فيه ورفعناه من يدنا
الشريفه الى رتبه لا يصل معها وان كان بعيرها اسمه وقدمناه على ما عندنا من
الجوارح على كثره عددها وعزان مددها كتقدم المقام على الملوك الصايله
في عديدها وعددها فلو راه وله في طلاق القلب الا لتتابات تشوف الدم
وفي طلاق الانصات دل الاغيد الرخيم ولما اعراض مرسله تشوف
الواله اذا طل بهيم واصابه ابلاغ المستفيد بالسهم المستقيم وعلى
الصيد حرص الغريم على الغريم وفي طلبه سوره الظالم وثوره الظليم
ان عطي الكم لحليم وان كشف عنه غطاو فبصر حديد ورايه حكيم
فاقترب قد تطلقه واحرى يختطب وسابق يحصل ما يختنب ويجتلب
وسابقاً يفد ثقه بعوايده ولا يرتقب يهفو بفوادم اقوى من قوايم وعرايم
على البحر علايم كانه كبير قوم او ممسك لصوم يعفو عما كسره ويعف عن شره
اذا افترس حرس واذا احرز حرز واذا ادرك ترك ولكن من نحا له
في شرك كانه يعرف التحليل فيبقي للتذكيه او يحب الثنا فيعمل على التزكيه
حتى اذا ادي الامانه وقضى ادمانه وسطا في صيانه نحى جانبا واحمى مجانبا
واحتشم هايبا انطوى على الطوي واعرض مع الخوى على ما حوى فاذا
اباحه محصله ما ياكله واطلقه عما اوثقه وحكى ما بينه وبين ما صاد
باسه باقتصاد كان عليه رقيباً بمرصاد وتناول قدر الحاجه بشهوه مهاجر
ورجع الى الكم بطرف غضيض وبطش غير مهيض وثبات بعد وثبات
كطرفي بغيض نصره ثم تصرفه بين ايدينا في صيده وحسن تلقفه لما يعن
لجنبابه كسه وريشانه ايده ولا يثني عليه ثنا من انهب سعيه ورام وري فتم
مرامه وصح زميه ونحن نشكر مكارمه التي ملات الحقايق والحقايب
ومدت عصايب جنود وجود بينهما من الطير والعفاه عصايب

ومن نظمه قوله

اقول وقد سالت قصاص نبلى تقام لنا الكرى بالاعتذار
كفاني من توفاكم بليل ويعلم ما جرحتم بالنهار

ومنه قوله

وما مثل هذا اليوم يخلف دره فيخلفه بالدر بيض الغمايم
وقد عكس التشبيه فيه فعهنه جبال لصلع الارض مثل العمايم

ومنه قوله وقد اهدي اليه حلوا

ولما جاني منك انتقاد حلا يحكي ثناك حين يجري
حصلت بالتي وحصلت مني على الحلوين من بر وشكر

ومنه قوله

اتى زبد الى الحمام يثني معاطفه كما مال الرديني
فكان الماء وهو عليه جار يرينا لولوا فوق اللجين

ومنه قوله

ولما اراد الصب خطا تسابقت مدامع عينيه كاول محو
كان بعينيه من الخط عنبر على وجه محبوبي اذا سار نحو

ومنه قوله مما يكتب على عصابة ذهب لامراة حسنا

تامل هذه الوجنات ترهى وقد حلي تجليها الدلال
ترى شمس الضحى منها ومن يتوجها على الراس الهلال

ومنه قوله

انزلت من اهواه في مقلتي صونا له من اعين الحسد
لجا قلبي من طريق الكرى يسرقها منها فلم ترقد

ومنه قوله

تبسم ثغرها والخال يبدو عليه كقلبه ظمان اليه

قلت الصحيح ان كتب بان كل ما على الخال بدا عليه

وكتب اليّ

انا لنملكنا من هيبة حرس في حبكم وعلينا منكم حرس
وان خلونا وخلنا وحشة عرضت عدنا باسمايكم فاعتادنا الانس
فنحن منكم وفيكم لا يزال لنا من غيبه حرس من هيبه خرس
حالان في حبكم ما حال بينهما عهد الهوى وعليكم ليس تلتبس
وهل علمتم وحكم الحال واحدة انا على النأي للادكار نختلس
اذا مرضنا تداوينا بذكركم ونترك الذكر اجلالا فننتكس
ومن لنا لو لثمنا تربكم فبها شفا اكبادنا والبرود يلتمس
ارض لها قبس من نوركم وكذا من وطي اقدامكم ندى بها اليبس
نفديكم انفس منا تحبكم حياتها منكم في موتها نفس

فكتبت اليه

مرت على عجل والركب محتبس فاشككت بها والامر ملتبس
وبان بان الحمى واهتز اذ خطرت ولاح ضوء هلال او بدا قبس
وفاح من مسك دارين لنا سحرا نشر الخمايل الا انه نفس
وبت والليل يرميني بانجمه مثل العيون ومنها اعين نعس
فقمت في غفلة النوام اشربها صرفا من الراح الا انها لعس
وما توهمت ان الليل منصرم حتى تجرد من جلبابه الغلس
وانت تذكر بالعهد القديم وما نسيته وهو في وحشتي انس
نفى سليمى بود لا يغيره نأى الديار ولا يذكى له الجرس
بل ما تحرجوي منه القلوب ولا يبدي هواه ومنه الجمر يقتبس
يا جيرة القدس ما قلبي كصخرته وليس في عين سلوان فتلتمس
لم نعتقد بعدكم والله يعلم ذا الا الوفا لكم والحجر محترس
قول ابن زيدون من جر الصبابه في نعم وبنا وسوف البين ينعكس

عتبًا وصلحًا ولا يدري بنا احد والود يبدا احيانًا وينتكس
نسر عادلنا لاكان عادلنا وكان افصح نطق العاذل الخرس

ومنهم خليل بن ايبك الصفدي ابو الصفا صلاح الدين هو خليلي الذي انادي وصاحبي اذا شكرت الايادي والذي انادي منه خليل الصفا وصديق الوفا والذي ارضاني عن صنيع الليالي لما اتاني بنجومها قليلا والذي لم اخالل سواه الا قلت ليتني لم اتخذ فلانا خليلا والذي صحب ابا الصفا من وده الذي لم يشبه الشوايب والخليل الا انه كان لاحد اكثر ما كان عنده ابنه في النوايب والذي عاقدني منه خليل صدق فادمت له ذماما واوقدلي من حميته نارًا خليلية كانت بردًا وسلاما موسومة فلهذا ما تركت ظلاما والذي لم يزل يرشد من خاطري مضللا ويريني في صفاته ما اردت ممثلا وتغنيني ان اقف عند سوى تصانيفه واقول خليلي هذا ربع عزة فاعقلا وملا مسمعي بادبه حتى قلت يكفيكما واغنى ناظري بكتبه فقلت خليلي هبا بارك الله فيكما وقررت له واقررت انه امام المحسنين وبايعته واتبعته وانا من الموقنين وبسطت يدي فبايعت ملك البلغا خليل امير المومنين ورتعت في مراد تصانيفه استنزيرها وقنعت بداكرته ولم اقل خليلي هل من رقده استعيرها اقسم بالله وهو اكد الايمان واوثق ما يقف معه اهل الايمان ما ان رايت منه ادب ولا معناه عن التحصيل اداب ولا اظن مثله اجمع المدحه وابدع واخباره ام باقيه ومابيه لديها واقله ولا معقل الفرائد عن التطلع الى هذا وما كسا الزمان مثله ثوبيه ولا احد الوجود حفيا شبهه بين جنبيه فهو يحدث يحدث بالصحيح ويروي عنه العجايب والمعروف وكله غرايب كم قال وكم احكم الحصر كل لسن وقام بالسنه وكل سنده على وحديثه حسن هذا على انه حامل فقه لا ينقل الى اوعى منه ومتقن علم لا يوخذ القدم والحديث الا عنه نعم وانعم به من مورخ يبني الامم وينشر الرمم وينشد ضوال الانبا وقد

اماتها اليكم واقبرها الصم فشق اصداف اللحود عن درريهم وكشط جلد الدهما عن غررهم واوجدهم فاكتب من التاريخ وجودًا ثانيا فاقاموا به ارواحا وشيدوا فقالوا فصاحا ساقهم في تاريخه فكانما قاموا في صعيد واحد لديه واي بهم من عهد آدم وهلم جرًا اليه اجل وهو اجل كاتب تخضع لطرسه مهارق السحايب وتخشع لقلمه سيف البرق المسنون ويسقط قلبه الواجب واضا ايضًا له نور حكمه يغاب فجرها الطالع مسارق الانوار ويغل فكرها السابق بدا الفترواي ان نظمت ابكار الافكار ويذهب التحصيل ولبس من يديه المنير درهم ولا من شمسه المشرقه دينار وينبو دونه مضرب السيف ولوان الامدي ذا الفقر دو الفقار فاما ابن سناه فيخفي في طي البرق اساراته والرازي برزاكسته ويخف في لسان القلم عباراته وقل ان وجد في علم اقليدس مثله من كل اشكاله وكل اشكاله ويغدو من قل علم الافلودي للارض مقسما والمقادير الكواكب متوسما بل لو وصل الى ابن واصل علم تقنع بما تفضل او ابن العلاتم جمال الدين عدم ما تعني اليه وما وصل وكل هذا عوله على ادبه الذي هو اغض من ورق النبات واحسن من تذهيب الحيا نضم خدود النبات بقرحه اصفى من الما واورى من النجوم في الظلما واغرب من عنقا واطرب من ورقا وكتب الانشا مصرًا وشاما فكتبت وجرت معه القرايح الا انها السوابق فكبت وطاب به الواديان وطال الناديان وقلد الممالك ما هو اعلق بها من اطواق الحمايم واعبق بها جنوب الغمايم وله التصانيف الكثيرة الكبير نفسها الابكار التي ما اوت الاسرار ونفسها وما كتب يامن نشر واتبعه من شعره قوله ـــــــه من ذلك كتاب كتبه بشارة بوفا النيل وهو ضاعف لسرنعم الجناب العالي وسر نفسه بانفس بشرى واسمعه من انبا الهنا كل اية اكبر من الاخرى واقدم عليه من المسار ما تحرز ناقله ويحري وساق اليه كل طليعه اذا تنفس صبحها تفرق الليل وتفرى

واورد لديه من اخبار الخصب ما يتبرم به محل المحل ويتبرى هذه المكاتبة الى
الجناب العالي تخصه بسلام يرق كالمدامة انسجاما ويروق كالزهر ابتساما
وتحفه بثنا جعل المسك له ختاما وتضرب له على الرياض النافحة خياما
وتقص عليه من نبا النيل الذي خص البلاد المصرية بوفاده ووفايه واغنى به
قطرها عن القطر فلم تحتج الى مدكافه ووفايه وتنزهه عن منة الغمام الذي
ان جاد فلابد من شهقة رعد ودمعة بكايه في الارض التي لا يذم للامطار في
جوها مطار ولا يرم للقطار في بقعتها قطار ولا ترمد الانوا فيها عيون النوار
ولا تشيب بالثلوج مفارق الطرق ورووس الجبال ولا تبيت البروق ساهرة
لمنع العيون من تهجد الخيال ولا تفقد فيها حلي النجوم لاندراج الليل تحت السحب
بين اليوم والامس ولا يتمسك المساكين في شتايها كما قيل بحبال الشمس
واين ارض تكلحها بالبحر العجاج وتزدحم في ساحاتها افواج الامواج
من ارض لا تنال السقيا الا بحرب لان القطر سهام والضباب عجاج قد انعقد
ولا يعم الغيث بقاعها لان السحب لا تراها الا باسراج البرق اذا اتقد
فلو خاصم النيل مياه الارض لقال عندي قبالة كل عين اصبع ولو فاخرها
لقال انت بالجبال اثقل وانا بالملق اطبع والنيل له الايات الكبر
وفيه العجايب والعبر منها وجود الوفا عند عدم الصفا وبلوغ الهرم اذا احتد
واضطرم وامن كل فريق اذا قطع الطريق وفرح قطان الاوطان اذا اكسر
وهو كما يقال سلطان وهو اكرم منتمي واشرف منتدي واعذب مجتني واعظم
مجتدي الى غير ذلك من خصايصه وبركاته مع الزياده من نقايصه وهو انه في
هذا العام المبارك جذب البلاد من الجدب وخلصها بذراعه وعصمها
بخنادقه التي لا تراع من تراعه وحصنها بسواري الصواري وما هي الا
عدة قلاعه وراعى الادب بين ايدينا الشريفه بمطا لعتنا كل يوم بخبر
قاعه في زياده حتى اذا اكمل الستة عشر ذراعا واقبلت سوابق الخير سراعا

ومن

وفتح ابواب الرحمة بتغليقه وجد في طلب تخليقه تضرع بمد ذراعيه الينا وسلم
عند الوفا باصابعه علينا ونشر علم ستره وطلب لكرم طباعه جبر العالم بكسره
فرسمنا بان يخلق ويعلم تاريخ هنايه ويعلق بكسر الخليج وقد كاد يعلو فوج
موجه ويهيل كثيب سده هول هيجه ودخل يدوس زرابي الدور المبثوثة
ويجوس خلال الجنايا كان له فيها خبايا موروثه ومرق كالسهم من قسي
قناطره المنكوسه وعلا زبد حركته ولولا ظهرت في باطنه من بدور انا سه
اشعتها المعكوسه وبشر ببركة النيل بركة الفال وجعل المجنونة من تيار
المحمدي في السلاسل والاغلال وملأ اكف الرجا باموال الامواه وازدحمت
في عباره شكر افواج الافواه واعلم الاقلام بعجزها عما يدخل من خراج البلاد
وهنات طلايعه بالطوالع التي نزلت بركاتها من الله تعالى على العباد وهذه عوايد
الالطاف اللايقة بنا التي لم نزل نجلس على موايدها ونا خذ منها ما ننبه لرعايانا
من فوايدها ونخص بالشكر فوادها في تدب حولنا وتدرج ونخص فوادها
بالثنا والمدح فهي تدخل الينا وتخرج فليا خذ الجناب العالي حظه من هذه
البشرى التي جادت بالمن والمنح واملت اياديها المغدقة بالسح والسفح
وليتلقاها بشكر يضي به في الدجى اديم الافق وتحدها عقدا يحيط منه
بالعنق الى النطق وليتقدم الجناب العالي بان لا يحرك الميزان في هذه
البشرى ما لجبايه لسانه وليعط كل عامل في بلادنا يد كل امانه وليعمل بمقتضى هذا
المرسوم حتى لا يرى في اسقاط الجبايه خيانه والله تعالى يديم الجناب العالي
لنقص الانبا الحسنه عليه وينعم بجلا عرايس التهاني والافراح لديه بمنه وكرمه
ونرد لك جواب كتبه عن النايب بالشام الى الملك
الافضل صاحب حماه وقد ارسل مشمشا كافوريا لا ازال احسانه كالعلم
المشهور وجوده المنظوم يهدي من الثمرات ما هو كاللولو المنثور وبرح يتحف
بما هو كالشهد في الطعم واللون وكالنجم في التشكل والنور وكرمه يتضوع نشرا

وكيف لا وقد جاد بما ينسب الى الكافور وينهي ورود المشرفة العاليه قرين ما
انعم به مولانا من المشمش الكافوري فوقف عليها وقابل احسانه بشكر يشرق نورا
وثنا يدير على الاسماع كاسا كان مزاجها كافورا وواجه جوده بما يتلوه منه ج
الروض بمنثوره وتجد الالسنه لمنظومه لله تنسي الاسماع ما قاله ابو الطيب
في كافوره
ومتع ناظره بتلك الكواكب التي اتسقت من العلب في افلاك
وتنسقت كالدرر وما لها غير حسن الرصف اسلاك
وتالله هي كرات بلور اكتنفها الاصيل والشفق وركبت حين ملات الصدور
طبقا عن طبق فاكرم بها هدية كانت بحلل الاشجار ازرارا وبجنات الاوراق
نارا كيف مكنت فروعها يد قاطفها من السلب وكيف اقبلت في حله الروح والوجل
وهي طيبه القلب كانها لم تكن لتسمي الغصون بنادق ولا في رقع الاوراق
بيادق فالله يشكر لمولانا هذا الاحسان العلوي الذي جاد بالنجم زهرا
والجود الروضي الذي ملى العيون حسنا وملا الصدور درا وادام لله
ايامه التي تسبق فيها الغرايب وتستبق الى مكارمها الرغايب بمنه وكرمه
ومن ذلك جواب كتبه اليه ايضا وقد اهدى اليه رخاما
ملونا وينهي وصول الرخام الملون الذي فتح به عين هذه الدار المكونه
واهدى الى روضها الذاوي ازهاره الملونه ولا غرو فان العيون تو تظها
الشموس بل لا شعه من المنام والازهار توجد بالرياض من جود الغمام ولو لم يكن
كرم مولانا سحابا لما جاد بالوان قوس قزح ولو لم يكن علوه كالشمس لما انبعثت
عنه انوار تلهب شعاعها في هذه الدار وتدح وكان لي المملوك تشبيه ذلك بالزهر
فان هذا ابدا يانع وذلك يودل الى الذبول او التمثيل بالاشعه فان هذا ابدا
مشرق وذاك بذهاب يحول ويزول وهذه معجزة كرم لمولانا فان ريش الطاوس
صار له جلدا وقوس السحاب تحسد له على طول المدى فلونا ظن مباه بمحاسنه
لكان له الفخر ولو حاولت المياه ان تبليه لما بالى بانها عليه من الحجر ولو احرت

دموعها عليه لما لا تبك فما كل باك حيث شا ولا كل جماد صخر ولو راته العيون
لبسحت الالسن من رائع له صانعا ولو اراد بليغ ان يتوم بحقه وصفا لوجده
مانعا والله يشكر لمولانا هذا الاحسان المديد الوافر والفضل الافضلي الذي
انبت في الروض ازاهر ومن ذلك مقامه انشاها في
الحريق الذي اتفق بدمشق سنه اربعين وسبعمية وسماها رشف الرحيق في وصف
الحريق وهي حكى شعله ابن ابي لهب عن ابي الزناد شهاب انه قال
لم تزل اذني متشنفه باوصاف دمشق متلقفه ما الاقلام في ذكر محاسنها من
التعليق والمشوق حتى رايت الحزم سد الكور اليها والحزم فان معت السير
ولم ازجر الطير وقطعت اديم الارض بالسير وركبت اليها مطا الشوق قبل
مطايا السوق ولم يلتفت القلب الى الوطن ولا حن النجيب الى العطن
حتى بلغتها بعد مكابده السرى واثاره العجاج من الثرى فلما حللت مغناها
وجدتها بلدا اعارته الحمامه طوقها وكساه حله ريشه الطاوس
وكانما الانهار فيه سلافه وكان ساحات الديار كوس
فالقيت العصا في ساحتها والقيت زوال التعب في مصافحه راحتها فلما سرت
فيها الى روض الا واجلسني من النرجس على احداقه وقام السرو من السرور بين يدي
على ساقه وجرى الما في خدمتي لكرم اخلاقه وظللني الدوح لطيب اعراقه
ومد الغصن الى ستور اوراقه وغنى الى الحمام على عوده ولو ناى او ثاني جر
باطواقه قال فشفيت سقمي بنسيمها العليل واسترحت الى ما نقله
عن بانه وبنفسجه لا الى ما تحمله من الاذخر والجليل وخلت انه بلطف
مسه يلين له الجندل وحننت بعرفه المندلي وما راى الناس من حنن
بالمندل وبردت بانفاسه حر الصبابه والجوى وقلت
اضحى نسيم دمشق حيا ها الحيا يمشي الهوينا في ظلال حماها
فكانه من مابها وهضابها ما داس الا اعينا وجباها

وتقطعت بها رمتنا الأنس وصال الحبيب واشتهى الى النفس من التشفي بادي الرتيب فلا ابعد الله ما في بساتينها من شجرات ولا اقذر الكسوف على ما فيها من كواكب الثمرات ولا دك هضبات ازهارها التي تضوع بطن نعمان برياها لابن مشى به من الخفرات فانها

تشوقنا الى الجنان فزدنا في اجتناب الذنوب والآثام

قال ولازمت جامعها الذي تحيرت العقول في تكوينه وكنهه وحسنه الذي لم يكن فيه عيب سوى انه لم تقع العين على شبهه ولله من نظم در فيه حين قال فيه

دمشق لها منظر رايق وكل الى وصلها تايق
وكيف يقاس بها بلدة اما الله والجامع الفارق

فانه يوقظ النايم بحسن رخام القايم ويخلو بهيم الدجى حصته المجرمن حصيه وترى لك زخرفته حديث الحسن بفصه كم زهرت فيه ليلة النصف من ذباله هي نجم تتوقد وكم داره دولاب كانت قناديله تدور مثل الفرقد وكم طلع في سماء صحنه من ثريا وكم تمنى القمر لو كان بين نجومه فما اتفق له ذلك ولا تهيا وكم جليت عروسه في عقود دود وكم متعت الابصار فيه بوجوه تخجل البدر في ليالي السعود وكم فيه من عمود قام على قاعده وكم به من منجور كغصون اوجه المجاز وازراره ناهده وكم من اعطاف رويت في صحنه مايله وكم من طاير رايع نسر مخفوض وكم حسن باري عند بنايه يعرب انه مرفوض كم اظهرت الصناع فيه بدايع لا يدعيها غيرهم ولا يتعاطى وكم ابرزوا فيه من محز لانهم جعلوا المحان اوراقا والرخام احتياطا تدعمر الله تعالى اوقاته بالذكر واراح قلب من يراه من الهم واراح عنه الفكر قال فلما رايت مجموعه المختار وان العيون تود لو نسج له من شعر جفونها استار قلت

تقول دمشق اذ تفاخر غيرها بجامعها الزاهي البديع المشيد
جرى لتناهي حسنه كل جامع وما قصبا السبق الا المعبدي

قال فبينا نحن ذات ليلة وقد وردنا حمى المضاجع ودخل ضيف الطيف على مقلة الماجع واذا بالاصوات تعج والدعوات تلج ابواب السما وتلج

فلو نشدت نعشا هناك بناته لمات ولم يسمع لها صوت منشد

فسالت عن الخبر ممن عبر فقال ان الحريق وقع قريبا من الجامع وانظر الى نبح الجو كيف انتشرت فيه عقايق اللهب اللامع فبادرت الى صحنه والناس فيه تقطع تحم والقلوب دايبه بتلك النار كما يدوب الشحم ورايت النار وقد نشرت في حداد الظلما معصفرات عصايبها وصعدت الى عنان السما عذبات ذوايبها

ذوايب لجت في علوكانها تحاول ثارا عند بعض الكواكب

وعلت في الجو كانها اعلام ملايكة النصر وكان الواقف في الميدان يراها وهي ترمي بشرر كالقصر فكم زمن اضحت لذلك الدخان جاثية وكم نفس كانت في النازعات وهي تتلو هل اتاك حديث الغاشية ولم تزل النار تاكل ما يليها وتفني ما يستقلها ويعتليها الى ان ارتقت الى المآذنة الشرقية ولعبت السنتها المسوده في اعراض احتشابها النقية وثارت اليها من الارض لاخذ الثار واصبح صخرها كما قالت الخنسا كانه علم في راسه نار فنكست وكانت للتوحيد سبابه ولمعبدها المطرب شبابه وابتلي راسها من الهدم والنار بتشقيقه وادار الحريق على دايرها رحيقه

وبالارض من جسمها صفرة بما ينبت الروض الا بهارا

وترقى اليها اولو العزم من النظاره وصبروا على النار والشعث بعد النعيم والنضاره وكادت نارها تكون كنار القيه وتودها النار والحجاره هذا وبنفسج الظلام يذوي ولينوفر النار يشب على الماء وينتوي حتى ترقت غصون ذوايب النار شررها في النواحي وظننا الدخان روضه

سوسن تخللها نرجس واقاحي وعقد الدخان سماً اخرى واطلع الشرار
فيها كواكب زهرا وكان اهل دمشق دعوا طارق النيل والفرات ليقري
وخافوا ضلالة لم ترفعوا له من النار في الظلما الويه حمرا فيا ان اتاها البحر
لا زال نصره عجاجا ولا برحت سيوفه تكاثر البحار امواجا فانكشفت لما ان رات
من وجهه سراجا وهاجا وطفيت لما ان رات جوده عذبا فراتا وباسه
ملحا اجاجا وكاثرها بهم اسرابه فاحكم اخمادها وتلقى بصدره من خطب
الزمان ما دهى ولما طلع في روض السما ياسمين النهار وعاد هليجا ما روى
بالليل من الجلنار وقف النادبون على الرسوم وراوا اصنع النار التي عكست
نار الاخرى فكان لكل مكان منها جزء مقسوم

فلم يدر رسم الدار كيف يجيبنا ولا نحن من فرط الجوى كيف نسأل

واصبح باب الساعات وهو من آيات الساعة وخلت مصاطب الشهود
من السنة والجماعة وعادت الدهشة وقد آل امرها الى الوحشة وحسنها
البديع وقد تلت النار عرشه كان لم اره سميرا ولا شاهدت من بنايه
وقاشيها جنة وحريرا قد سلط الله عليها النار التي لما لم يرده واحرق
ازهار ثيابها الملونة بورده ونظرت الى الوراقين وقد زال ما بها من
الطرايف وطاف عليها من الدثور والخراب طايف فيا ضياع ادضاعها
المكونة ويا سواد وجوه اوراقها الملونة ولمحت اللبادين وقد صارت كالعهن
المنفوش ومحيت بايدي النار سطور كل خاتم منقوش واصبح اهلها
كالحايم تنوح على اقتناصها وتود اللالي انها لم تخرج اليهم من مغاصها فانهم فقصها
الادب نعم اسلبت اصبح بعد الجديد في خلق او غني امسى بعدما ضم
يكدي في الحلق وكادت الخضرا تذهب بالنار الحمرا قال فلما رايت
تلك الاطلال الدائرة ونسخ هاتيك الظلال المتصلة بالنار ج وخطوطها
وروايا ها كيف احاط بها سور الدايرة قلت عند مشاهدة

تلك

تلك الحال في الحال

حريق دمشق قد بدا لعياني ليظهر لي عند البيان معاني
غدت نار في الجو تعلو وترتقي كان لها عند النجوم اماني
لقد ضوا الافاق لامع برقها وما كل برق سمته بيماني
وقد كاد يمحو آية الليل ضوها ويبدي نهارا بعد ذلك ثاني
ونالت عنان الجو حتى رايتها يصرفه من تحتها بعنان
وطالت الى نهر المجرة في السما لتتصدى الحوت والسرطان
فابصر اهل النيل لما ترفعت نجوم شرار في سماء دخان
كان دخان النار عثير معرك وكل شرار فيه مثل سنان
ولو لم يكن نار الاعادي لما غدت وجناتها وهي باد بكل بنان
ولا صبغت بالزعفران قميصها سرورا ولا طالت بكل لسان

قال وما نفض الناس غبار ذلك الهدم ولا رماد ذلك الصدع الشديد
الصدم حتى وقع بالمدرسة الامينية حريق ثان ودهمت شقرا النار دهما
الظلام ولم يوجد لعنانها ثان فجمعت بين عين الوداع وسين السلام وكانت
كحي الى الطيب فليس تزور الا في الظلام فيا لسوق الكفت كيف باد وفتت
الاكباد علت النار جبهته وكسفت بحجة اين باسه الشديد ومنافعه التي لا
تبيد سكت نبض وربح خبير ويا لسوق الخيم كيف ذهب وعدم النصر على
الكافرين فتبت يدا ابي لهب لقد تمسكت النار باطنابه وتخلد لما والنار
تحت ثيابه واسى وكل عمود غصنه مهصود وكل خام وهو على البلى
مقصود كان الشاعر قديما تخيل ما يحصل لها من الاوام فقال سقيت الغيث
ايتها الخيام ويالسوق القسي كيف محي من الوجود ونسي لم يبق لقوس
قبلها ولم يعطها لباريها ربما كانا كان للنار عند القسي اوتارا وكان سحها
كان محققا لجآها بقلم الطومار اوكان آتتها نها كان معلقا ثلث الليل

بعد مارقت حواشيها ولم يقع عليها غبار لكم تبتي تونر من النار سهما وعظم بو هنها
وهمها واقامتها النار بعد ما كانت حنايا وافنت ترنها وما اختلط بعظم اد
الحوايا لم تبطش ولما ايد ولم تهرب ولما ارجل ولم تات وهي مرنان ولم تدفع
الاذي عن نفسها ونفشها بقتل ولم ينبسط لماليا الدفع تبضه ولم تصل سبيا
عرض ولم ينبض لعرق وترها نبضه قد قال لما لسان النار هل سمعت بهذه
الحادثة في ملحمة ابن عقب او اتصل بنا وها بقوس السحاب فانتطح وارتقب
كيف غفلت عن هذه النازله وانت عده قوم قليلا من الليل ما يهجعون
وكيف نمت ولا عجب لمن نعس وهود وقرون قال نبينا صلى الله عليه وسلم في المناجاه
وتكرار المحاجاه اذ جا النار خبر مالك واشرف من زهقت به الدول والممالك
فجاس خلال ضرامها ودخل لظاها فتلقته ببردها وسلامها وتتبع اثرها
الذي اثر اقتلاعه واتجهها فتعلقت اذ تالقت في الجو والفرار قدام الملوك
طاعه ولم ير تلك الساعه احدا اقرب منه اليها ولا اسلط سطا منه عليها
وثب في حماتها ما ليكه وامراه وصغار بنيه وكبراه فهم قوم
اذا ركبوا ازادوا المواكب بهجة وان جلسوا كانوا صدور المجالس
فلم يا سهل من خمودها ولا اسرع من ابطال حركتها وخمودها ونصرا عن الله
انصار هذه المله المحمديه وحازبهذه المنقبه الكرامه الاحمديه ولما رايت مسك
هذا الختام وان الجيش تعالي والخط التام قلت

حاليطفي النار من اسمه بحر فاخفي زندها الواري
ومن يكن بحرا فلا غرو ان تطفي لظي منه بنيار
وقام في الله لدفع الاذي موئدا بالنذر الجبار
وغير بدع ان يرد الردي من هف الحتف بتيار
لانه سيف ولم يدخر الا لخطب طارف طار
وانتجم النار بوجه حكي بدر الدجي اذلاح للساري

فانظر

فانظر اليه وهو في وسطها تشاهد الجنه في النار

قال ولم يزل الناس من امر هذه النار في قلق وحس نفي عن
قلوبهم القرار وري جفونهم بالارق وحتي تود الصبح لو تنفس والفجر معه لو انفلق
حتي اظهر الله تعالي ان النصاري قصدوا الجامع بذلك وتخيلوا ان النار تلعب
جواب دمشق وما الناس الا هالك وابن هالك وتوهموا ان فعلا تم الذموميه
تغطي مساويها الليالي الحوالك فعل من صور الصور بيده وعبدها وكفر بالوحدانيه
وجحدها وعكف علي الخيانه والخنا واعتمد علي عقل اداه ليا ان الواحد تعالي
ثلاثه فتهيب بعض الناس رميهم بهذا الفجور واعظم نسبه هذا الفعل اليهم وتحرج
وخوف بانتصار الفرنج لاهل ملتهم وازاح علتهم وكشف غمتهم والاخذ بثار
رمتهم فقال من صدق في ايمانه وكان من انصار الاسلام واعوانه

اعباد المسيح يخاف صحبي ونحن عبيد من خلق المسيحا

فما كان الا ان صممت العزمات السيفيه وعمت باحسانها الشامل حتي خلصت
النفوس البريه من هذه البريه وايقظت عين حزمها الراقده واستبدت من ما
واحده ورسم باامساك من ابرم هذا الامر وحرره وبيت علي فعله وقرره فاقروا بما
فعلوا ووجدوا ما عملوا فضربوا ببسياط كشطت غلظ الغلظ من جلدهم
واوهنت قوي شجاعتهم وجلدهم كم فيهم من اسود اللمه فتق جلده الشيب وخط
وخطه علي جنبه ما كان مخبوءا له في الغيب واقبل بعضهم يوبخ بعضا فيما
اشاد وينبرهم هذا اذ تبرا دلك من هذه الاثار وبينما يبرون فيها بينهم ان ذلك
لحق تخاصم اهل النار ولقد قلت فيهم عند التشفي والانكفا
عن عقابهم بما يكف الخنق ويكفي

حرقت جنوبهم وشقت ارضها ليلا لجاد نباتها بشقيق
واريد تاريخ الحريق فخطه الوالي علي اصلاعهم بعقيق

ولما اخذ بحت اموالهم وصرف في ايجاد ما اعدموه بفعالهم نظر في سوء منقلبهم

ومكائدهم وتمام المقابلة على تجنيس اعمالهم وورد المرسوم الشريف بتسميرهم على الجمال
واظهار ما لله الملك القاهر من العز والجلال فقضى الله تعالى فيهم امره وجعلهم
اية لاهل الصليب وعبده واخرجوا وطباع الورى على عدم رحمتهم مجبوله وقدموا
في حلقة الناس فخرج كل واحد منهم بجمل وستة حوله واقيموا ارقابا للشمس كالحربا
فليس لهم من دونها ستر منسبل وتنوع الناس في شتمهم فقال اشبعتمونا نيا
ورحنا بالابل

انظر اليهم في الجذوع كانهم قد فوقوا يرمون بالنشاب
او عصبة عزموا الرحيل فنكسوا اعناقهم اسفا على الاحباب

وطيف بهم بياض يومين ثم انزلوا ليجعل كل سطل منهم دلوين فجردوا من
ثيابهم وجمع شمل السرور بتمزيق اهابهم

سالتم البغي الى اصرعه للحين لم تخطر على بالكم
كم اشتكوا المكروه في غيرهم فنالهم مكروه اعمالكم

وسبق السيف فيهم العذل ونال كل مسلم لمصرعهم تركتني اصحب الدنيا بلا امل
وبقيت اشلاوهم طريحة للحفير والقوا في جهنم وبيس المصير

ومن شعره قولـــــه

ادعوك يا موجد الاشيا من عدم وصانع العالم العلوي والارضي
ان كنت تعرض يوم الحشر يا عملا فلا تقدر له طولا على عرضي

وقولـــــه

يارب ان لم الق منك الرضا عمري وحاشى فضلك الغامر
فعند حفرا لقبر لا تنسني يا حسنه نقدا مع الحافر

وقولـــــه

يقول الفكر لي دنست ثوب الشباب في غداة الشيب تتعب
وتغسله بدمعك كل وقت وما ينقى لان الطبع اغلب

وقولـــــه

لا تسال الناس فاني امرؤ ما طاب لي عرف من العرف
واقنع ولا تجمع حطاما فكم في الدهر للدنيا من صرف

وقولـــــه

لا تجمع الدينار واسمح به ولا تقل كن في حمى كنفي
ما الدهر يحوي فيمحوا المدى ويمنع الجمع من الصرف

وقولـــــه

يا زمنا ارفعنا شومه في محنة ليس لها كاشفه
الفضل محتاج الى عارف والحال محتاج الى عارفه

وقولـــــه

لا ترع للملاق عهدا ولا تصغ لما نمقه واختلق
فانت تدري ما جنته يدا لراي على الطير برعي الملق

وقولـــــه مضمنا

يقول لنا المقياس والنيل هابط لتقطع امال المنى والمطامع
ومن يامن الدنيا يكن مثل قابض على الماء خانته فروج الاصابع

وقولـــــه

لا تنطع تلك الشركا لنيل اذ طغى وزاد الامر في هيجه
كم جاه بالشر شرد يا الى ان كسر الاضلاع من موجه

وقولـــــه

لم لا اهيم بمصر وارتضيها واعشق وما ترى العين احلى من مليها ان تلتق

وقولـــــه

لقد رايت بمصر مذ حللت بها عجايبا ما راها الناس في جيل
تسود في عيني الدنيا فلم ارها تبيض الا اذا ما كنت في النيل

وقوله

قالوا علا نيل مصر في زيادته حتى لقد بلغ الاهرام حين طمي
فقلت هذا عجيب في بلادكم ان ابن سته عشر يبلغ الهرما

وقوله

قد زاد هذا النيل في عامنا فاعرق الارض باغرامه
وكاد ان يعطف من مايه عرقي على ازرار اهرامه

وقوله

قد حارت الريح نيل مصر وعض من غيظه الاصابع
فجات الريح بانزعاج كسته من موجه الاضالع

وقوله

وعين ماوها صاف كمثل الشمس في الاوج
ولم ارقبها عينا حواجبها من الموج

وقوله

ركبت في البحر مع اخي ادب فقال دعني من قال ومن قيل
شرحت يا بحر صدري اليوم قلت لا تنكرا الشرح يا نحوي للنيل

وقوله

لك ان تغب شخص وذكرا صحا ملكين في ذاتي وذلك لايق
فخيام جفني فوق ذا مضروبه وتوا قلبي فوق هذا خافق

وقوله

كانما الليل اذا ما دجا وصد من قبلي به معشري
صحيفه سودا وشخصي به من انحالي الف صفرا

وقوله

اتاني وقد اودي السهاد بناظري ليرق جنح الليل بارق فيه

تقلت لما طلب الاصل هكذا اعرب الى الكرى ... عني نبيه

وقوله لما رقدت اتاني خيالك بغتة فغدا فوادي خافقا يتموج
لو ان صحبي شاهدوني في الكرى والقلب يرقص في الخيال تفرجوا

وقوله

ضممت خيالك لما اتي وقبلته قبله المغرم
ولمت من فرحتي باللقا حلاوه ذاك اللمي في فمي

وقوله عجبت اذ زارت على خفية من اعلم الواشي بمسراها
هذا فضول من نسيم الصبا فهو الذي ينقل رياها

وقوله

قلت له زرني فلا بد ان يدرك بنا الواشي ويغري العذول
فالريح ما يكتم سرا وما يبرح رياك يعاني الفضول

وقوله

قالوا ثني الحلي بها اذ مشت اليك من قبل ابتسام الصباح
فقلت لا خلخالها صامت ثم تذكرت فضول الوشاح

وقوله علم الوشاه بان رقه معذبي راح يعبد الصب بعد هلاكه
اما انا لم يبد هنا من فمي لكن هذا من فضول سواكه

وقوله

يقول لما قلت هذا اللمي اسكرني لما ترشفت فاك
سواك ما ذاق لمى مبسمي استغفر الله ذكرت السواك

وقوله

اذا شئت حليك ان لا يشي وقد زرت في الحندس المظلم
فردي السوار مكان الوشاح وخلي سوارك في المعصم

وقوله

قال لي لا تنفه بميل قوامي ان تثني واستتر خوف العيون

قلت الصبا الى قد اتا عنك هذا الحديث بين الفصول

وقولـــــه

اقول يا غصن هلا ملت نحو فتىً فواده طارحتى ليس يالفه
فقال من قال تدي مثل غصن نقاً قلت النسيم الذي ما زال يعطفه

وقولـــــه مضمنا

اقول لغصن البان ان كان لم يمس قوامك الا بالصبا في التنسم
معارض حبي حين يثني قوامه وقف وقفه قدامه تتعلم

وقولـــــه

يوهمني من لين اعطافه بانه لم يقس يوماً علي
ويخدع البند بان غدا يربطه الخصر على غير شي

وقولـــــه

لم انسه في روضه والطير يصدح فوق غصن
تا علم الورق البكى ويعلم الغصن التثني

وقولـــــه يهتز قدك لينا وفي الحشا منه غصه
يغيب عني حينا وان اتي جا برقصه

وقولـــــه

ايها الاهيف الذي قد تثنى عطفه وانثني من اللين غصنه
لك ردف من وافر وبسيط لا ترى في الربا ولا الكثب وزنه

وقولـــــه يقول ردف حبيبي وعطفه المتثني
ما انت يا غصن تدي ولا كثيبك وزني

وقولـــــه

لقد اضعفني حزني وضاعف خالقي حسنك
فها انا لم ازن وجدي لاني لم اجد وزنك

وقولـــــه البستها من عناقي وهي نايمه ثوباً يزر بلثم غير منفصل

ما كلفتني غير ما اذا اعرض عن ... ما ازددت فيك

وقولـــــه يا برق بلغ رسالتي لها ان انكرتني فصف لها عللي
لان بيني وبين مبسمها ليله زارت علامه القبل

وقولـــــه

قلت له ان بعدت عني تقولت بيننا العوادل
اما ترانا لما اعتنقنا ما دخلت بيننا الغلايل

وقولـــــه

نظرت الى الرياض وفي المجاز يودي الى المعنى الحقيقي
فكم ابصرت من آس تبدي وما اندملت جراحات الشقيق

وقولـــــه

عذارك والطرف يا قاتلي يحاكيهما الآس والنرجس
وقد صار بينهما نسبه فهذا يدب وذا ينعس

وقولـــــه

ان عيني مذ غاب شخصك عنها يامر السهد في كراها وينهى
بدموع كانهن الغوادي لا تسل ما جرى على الخد منها

وقولـــــه

املت ان تتعطفوا بوصالكم فرايت من هجرانكم ما لا يرى
وعلمت ان بعادكم لا بد ان يجري له دمعي دماً وكذا جرى

وجاتـــــه شتوه رشعت بروقها حاشيه السحاب ووشمت الجبال الشايبه توشيه الخضاب وهدرت رعودها الصايله ووفت عهودها السايله وتوالت مده لا تكشط فيها سما ولا يكشف بايام الثلوج المصحه ظلما ودامت اياماً لا تنفصل نصالها عن سحاب ولا تولد بكر يوم الا وهي في طفولتها شايبه النواصي والذوايب هذا ولا تصبح صبيحه ضاحكه الا ووجه الارض عبوس ومعطف السما في لبوس بوس وقوس السحاب ترمي بقسي ما لها

وتر وغدا الثلج الصافيه كالبلور وكلما كدر وا لسقوف قد ارقها المطر فانبرها
والطرق قد عرفها الملثق ونكرها وا لبرد قد اشتد كلبه ولهذا عظى حده الماء
ولم يشتف حتي شرب العذب البارد ممزوجا بمثل الدماء ●

وكتبت اليه كيف اصبح مولانا في هذا الشتا الذي اقبل
يرعب مقدمه ويرهب تقدمه ويريب اللبيب من برقه الموحض تبسمه وكيف حاله
مع رعوده الصادحه ورياحه النافخه ورجوم ايامه الكالحه وسرر لياليه
التي لا تبيت منها بليله صاكمه وسحابه وامواجه وجليده والمشي فوق زجاجه
وتراكم مطره الحثيث وتطاول فرع ليله الاثيث ومواقده السودا المقوته
وذاب جمر المجمر واهون بها ولوان كل جمرها ياقوته وتخدر نويه المتصبب
وتحيرهم المتصوب وكيف هو مع جيشه الذي ما اطل حتى نصب مضارب
غمامه وظلل الجو بمثل اجنحه الغواخت من اعلامه هذا على انه عري الابنيه
وحللها تلف دمه سالف الاشتيه فلقد جا من البرد مارض العظام وانحرها
ودق نخارات الاجسام ونحرها وجمد في الفم الريق وعقد اللسان الا انه
لسان المنطيق وبس الاصابع حتى كادت اعضاها توقد حطبا وقيد
الارجل فكانت لا تمشي الا تتوقع عطبا واي الزمهرير بجنود ما للقوي
بها قبل وحمل الاجسام من ثقل الثياب ما لا يعصم منه من قال
ساوي الي جبل ومد من السيل ما استبكى العيون اذا جري واجحف
ما اتي عليه واول ما بدا الدمع بالكري فكيف انت يا سيدي في هذه الاحوال
وكيف انت في مقاساة هذه الاهوال وكيف رايت منها ما تشيب لجه
نواصي الجبال وجاز البحر فتلقف ثعبانه ما القته هراوات البروق
من عصي وخيوط السحاب من حبال اما الحق فبين افواج من السحب
تزدحم وفي راس جبل لا يعصم فيه من الما الامن رحم وكيف سيدنا
مع مجامر كانوف وشرار برقها القادح وهم ودقها الفادح وقوس قزحها

المتلون رد الله عليه صوايب سهامه وبدلنا منه بوشايع حلل الربيع ونضارة
ايامه وجعل حظ مولانا من لوافحه ما يذكيه ذهنه من ضرامه ومن سوانحه
ما يولده فكره من توامه وعوضنا واياه منه بالصيف اذا اقبل وازاحنا
من هذا الشتا ومشى غمامه المتبختر بكمه المسبل ●

وكتبت الي جوابا ويهني وررود
هذه الرقعه التي هي طراز في حلة الدهر والحديقه التي تذكر بزمن الربيع
وما تهديه ايامه من انواع الزهر فوقف منها على الروض الذي تهدلت فروع
عضونه بالاثمار ونظر منها الى الافق الذي كل كواكبه شموس واقمار
فانثنات له اطرابه واعلمته ان قلم مولانا يفعل بالالباب ما لا تفعله
نغمات الشبابه وارشفته سلافا كووسها الحروف وكل نقطه حبابه
وشاهد اوصاف هذه الايام المباركه القدوم المتصله الظلام فلا اوحش
الله من طلعة الشمس وحواجب الاهله وعيون النجوم فالنا ولهذه
السحايب السحابه والرعود الصخابه والبروق اللهابه والغمايم السكابه
والثلوج التي اصبحت بحصبايها حصابه والبرد الذي امست ابر
لغصون الجلود قطابه والزمهرير التي لا تتروى عن اخذ الاوبر وي
الغيث عن الي قلابه كلما انبلت فحمه ظلام قدحت فيها البوارق جمرتها
وكلما جات سحابه كحلت الجفون رجعت وهي برها لما اسبلت
من عبرتها فما هذا طوبه ان هذا الاجبل ثلاث رما هذا كانون ان
هو الا تنور الطوفان التي متى قطن هذه الثلوج يطرح على جباب الجبال
والي متى تفاض دلاص الانهار وترشقها قوس قزح بالنبال والي متى
تشقق السحاب ما لها من الحلل والحبر والي متى ترسل خيوط المزن من
الجو وفي اطرافها على الغدران ابر والي متى تحمل عيون الغمام وتلحظ
البروق بالنار والي متى نثار هذه الفضه وما يري للنجم دينار والي متى

نحن نحنو على الناد حنو المرضعات على الفطيم ولياتي تبكي هذه الميازيب
بكا الاوليا بغير حزن اذا استولوا على مال اليتيم ولياتي هذا البرق
تتلوى بطون حياته وتتقلب حمالق العيون المحمر من اسود غاباته
والى متى يزمجر عتب هذه الرياح العاصفه ولياتي يرسل الزمهرير
اعوانا تصبح بها حلاوة الوجوه تالله اترى هذه الامطار تقلب من ازباد
ام ترى هذه المواليد تنتهي فيها الاعمار كم من جليد يذوب له قلب الجليد
ويرى زجاجه الشفاف اصلب من الحديد وكم من وجل لا تنتهي هربه
فيه الوحي وكم من برد لا تستطيع فيه نوم الضحى اللهم حوالينا ولا علينا
لقد اضجرنا تراكم الثياب ومقاساه ما فيه الرحمة من العذاب والجاع كل
عن الفه واغلاق باب القباب وتخلل الصباب زوايا البيوت والاطفال
ضباب الضباب كل ضب منهم قد لزم باطن نافقايه وقدم بين يديه الموت بدايه
بدايه قد حسد على النار من اسي مذنبا واصبح عاصيا وتمنى ان يرى من
نواكه الجمرات عنابا او قراصيا فان كانت هذه الامطار تكاثر فضايل
مولانا فيا طول ما تسنح وان كانت العواصف تتشبه بباسه فيا طول ما
تلفح وان كانت البروق تحاكي ذهنه المتسرع فيا طول ما تتالق وان كانت
قوس قزح تلون تخجلا من طروسه فيا طول ما تتانق وان كانت الرعود
تحكي جوانح اعاديه فيا طول ما تفهق وتنشهق وان كانت السيول تجري
ورا جوده فيا طول ما تجري على طول المدى وما تلحق والاولى بهذا النوء
الباكي ان لا يحاكي والاليق بهذا الفصل المبغض الا يتعرض ورحم الله
من عرف قدره وكفى الناس شره وتحقق ان مولانا في هذا الوجود اندره
فاجبته ــــــــــــ وقف لمواقع القلم الشريف ووقف عليه وتيمن
بمجرد اقباله اليه وقبله لقرب عهده بيديه وعده لجلا الهموم لما اشرق على عينيه
لا برح التشهد من جنى رقيه المعلل والطرب بكاس حقيقه المحلل والتيه

وحاشاه منه في سلوك طريقه المذلل والجهد ولو كلف لا يجي بمثل سيين المذلل
والسحاب لا يطمى الا بجناح كرمه المبلل والروض لا يبرز الا في ثوب
زخرفه المجلل والبرق لا يهتز الا في مثل رداء به المسلسل والنصر يقضي
لمواضيه على حد حسامه المفلل والفجر لولا بيانه الوضاح لما ارشد
دليله المضلل والبحر لولا ما عرف من عبابه الزاخر لما دام على غزير
المادة نواله المقلل والفخر ولو تشحج بانفه لا اينا فس عقده الموشح ولا
يتطاول الى تاجه المكلل وفهمه نمام وعلمه نزاد صقال الافهام وتصدعن
معرفته فما شك انه امام وانتهى في الجواب الى وصف انوا تلك الليله
الماطره وما موهت به السحب من ذهب برقها وقبلته الانوا من
خيوط ودقها ونفخت فيه الرياح من جمر كانونها واظهرت حقيقته الرعود
من سر مكنونها وما بثته عارضه ذلك العارض الممطر الذي هو اقوى
من شآبيبها واوقى مما ارقته السما من جلابيبها واسرى من برقها الموض
في غرابيبها واسرع من سرى رياحها وقد جمعت اطواق السحب واخذت
بتلابيبها وسبح الملوك من عجب الله البلاغه التي كملت الفضايل وفضلت
عن العلم وفي الرعيل الاول علم الاوايل وفضلت مبدعها وحق له
التفضيل وآيته جمله الفضل وفي ضمنها التفضيل وانطقت لسان
بيانه واخرست كل لسان واجرت قلم كرمه واحرزت كل احسان
وتشرف علم علمه وادخلت تحته كل فاضل وارهفت شبا حده
وقطعت به كل مناظر وكل مناضل وقالت للسحاب اليك وقد طبق
اليك فان البحر قد حاك وللنوء وقد اغرق تنح فان الطوفان قد ضيق
ارجاك وللرعد وقد صرخ اسكت فقد آن لهذه الشقاشق ان تسكت
وللبرق وقد نسخ آيه الليل استدرك غلطك ليلا تبكت اما ترى هذه العلوم
الجمه وقد زخر بحرها واثر في الالباب سحرها وهذه الفضايل وكيف

وكيف تفننت فنونها وفتنت عيونها وتهدلت بالثمرات افنانها وتزخرفت
بالمحاسن جنانها وهذه الا المعيم وكيف ذهبت الاصايل وهذه اللود عتيه
وما ابقت مقالا لقايل وهذه البراعه التي راضت وكل منها سكران طافح
وهذه الفصاحه وما غادرت بين الجوانح وهذه البلاغه التي سالت
باعناق المطي بها الاباطح وهذه الحكم البوالغ وهذه النعم السوابغ
وهذه النعم التي ترقت بتوجهها الى السما فكشفت غيابه عارضها وكفت
غوايه البرق وقد ولع وخط مشيبه بخط عارضها حتى جلاها واضحاها
واعطش ليلها واخرج ضحاها وجلا صدا تلك الليله عن صفيحه ذلك اليوم
المشمس وبدل بذلك الصحو المطمع من ذلك الغيم المونس وانتزع غدير ذلك
النهار خالصًا من الرنق وضوع عنبر ذلك الترب خاليًا من اللثق واطلع
شمس ذلك اليوم يوشع جانب مشرقها ويوشي بذايب الذهب ردا افقها
كما قلت

كانما اليوم وقد موهت مشرقها الشمس والاجاجد
ثوب من الشرب ولكنه طرز منه كمه الواجد

استغفر الله بل ذلك بشر ذلك البشر بل الملك الكريم وصفيحه وجهه
المتهلل الوسيم لا بل صفيحه علمه وصفيحه امله وانموذج رايه الثنا عليه
وصنو يده البيضا وصنع يديه فلله تلك اليد المقبله ولله تلك اليد
المومله ولله تلك المواهب الجزله ولله تلك الراحه التي لانقاس بانامله
ولله ذلك البنان الساحر ولله ذلك البيان الساخر ولله ذلك
اللسان المدرب وذلك البحر الزاخر ولله ذلك الانسان الذي
طال باع علمه وطار نار وقد ضرام ذلك الصحو شعاع فهمه وطاب جني
ثمر وجناب حلمه وطاف الارض صيته ونفق كما سد الفضا بل
باسه لقد البس الملوك ردا الفخار وعرفه العموم وكان لا يطمع ان

يشق نحوه الزخار ومحى عنه صبغ دجنه تلك الليله وفرج عنه لباس تلك
السحب وقوض عليه ذيله وفرق ذلك النور المعتلج وقوبجاراه جفنه
واجري مثله سيله واطلق لسانه من الاعتقال وانطق بيانه نقال وحمي له
هجير الذكا فقال ووقفه ولولا ايقا فه له لعثر على اثاره في وجه من سبق

فكتب هو الجواب

جا الجواب يرف منه فواضلا ويرف في روض البيان خمايلا
اعرقت غرا السحب حين وصفتها يا من غدا بحرا يموج فضايلا
لولم تكن يمناك بحرا زاخرا ما ارسلت تلك السطور جداولا
ضرب من السحر الحلال متى تشا اخرجته فيعود ضربا داخلا
ما ان جلى راويه بحر ببانه الاوزان مستنا هدرا ومحا فلا
فتى يروم به اللحاق مقصر والنجم اقرب من مداه تناولا
ابرزته انقا نكل قرينه برج حوي معناه بدرا كاملا
فكانما تلك الحروف حدايق امست معانيها تصيح بلابلا
وكان ذاك الطرس خد رايق والسطر فيه غدا عذارا سايلا
مهلا ابا العباس قد احجمتني وتركتني بعد التحلي عاطلا
بالله قل لي عندما سطرته هل كنت تحسب ان تجيب الفاضلا
اقسمت لوجاراك في انشايه ما كان ضم على اليراع انا ملا
حركت منك حمية عربية ملات فضا الطرس منك جحافلا
كم فيه من لام كلامه فارس قد هز من الفات خطك ذابلا
هل ثبت ان تثني الجواب سحابة تبدي لجات منك سيلا سايلا
يا فارس الانشا رفقا بالذي نازلته يوم الترسل راجلا
لورام ان يجري وراك خطوة نصبت له تلك الحروف حبايلا
فاحبس عنانك قد تجاوزت المدى وتركت سحبان الفصاحه باقلا

والفاضل المسكين اصبح فنه من بعد ما قد راح فننا خاملا
فاسلم لتبليغ النفوس مرامها فالدهر في ابواب فضلك ماثلا
كم فيك لي امل يروق لانني ادري بانك لا تخيب آملا

وكتبت انا الجواب اليه

واني الكمي بها ينزمناصلا ويرم صبغا للتشبيه ناصلا
سبق الظلام نهارنه ليله ولوانه في النحر حلي العاطلا
حمرا فانه يذوب شعاعها وترى حصى الياقوت فيها سايلا
حمرا فانه تحت كووسها وقع الصوارم والوشيح الدابلا
دهبية ما عرق عانه كرمها لكنها كف الكريم شمايلا
كف كمنبجس النوال كانما دفع السيول تدمنه نايلا
كرم خليلي يد سماطه ويثب نارا للقرى ونواضلا
واهيب نكو لو تطير شرارة منه لما بل السحاب الوابلا
يذكي به في كل صبحه قومها لنيران القرايح اكلا
تحبا له من سابق متاخرفات الاواخر ثم فات اوايلا
دانوه في شبهه وما قيسوا به من ذا تراه للغمام مساجلا
ماثل به البحر الخضم فانه لا يرتضي خلقا سواه مماثلا
وانت عقيلته ولو بدا المرء فيها استقل من البروج معاقلا
جاءت شبيه الخود في حلل لها حمر بتذهيب الخدود لها حلى
قد خضبت بدم الحسود اما ترى اثر السواد بها عليه دلايلا
جلت على تجان تسحب ذيلها وتجر من طرف الذيول الفاضلا
خلت الهلال بلوح طلع نقابها حتى نضت فرايت بدرا كاملا
بنت القريحة ما رنت في خدرها حسن المليحة ان تواصل عاجلا
جاءت تصوغ من العناق اساورا لا بل تخوض من السيول خلاخلا

قبلتها واعدت تقبيلي لها ان المتيم لا يخاف العاذلا
وانت وجيش النور مرهوب السطا ملا الوجود له قنا وقنابلا
والبرق مشبوب الضرام لانه صاد الغزالة حيث مد حبايلا
وانت ورأس الطود يشكو لمة قد عممت بالثلج شيبا شاملا
وكانما نثرت قراضة فضة ايدي البروق وقد خرقن انا ملا
ملات به كل الفضاء فلا ترى الا لجينا جامدا او سايلا
والافق كالكاس المفضض ملؤه صهبا قد عقدت حبابا حايلا
ابنا يوم قد تهقر ضوؤه ويداذ بالا في الاصايل ناحلا
والجو مخرق القميص كانه حنق يقد من السحاب غلايلا
والسيل منحدر يسيل مهندا افرنده ذهب به سلاسلا
لله انت ابا الصفا فانني الفي طليلا منك في دمخا للا
انت الذي حلقت صقرا اجدلا وضممت في بردتك شبابا سلا
يا من يفوق سوق كل فضيلة اسادنا فما ابقيت بعدك فاضلا

يا فريدا الفاظه كالفريد ومجيدا قد فاق عبد المجيد
وامام الانام في كل علم وشريكا في الفضل للتوحيدي
عرف العالمون فضلك بالعلم وقال الجهال بالتقليد
من تمنى بان يرى لك شبها رام نقضا بالجهل حكم الوجود
طال قدري على السماكين لما جاني منك در نضيد
شابه الدر في النظام ولما شابه السحر شاب رأس الوليد
هو لغز في ذات خدر منيع نزلت في العلى بقصر مشيد
هي ام الامين ذات المعالي من بني هاشم ذوي التأييد انت
كنت الهادي لمعناه حقا حين لم يخف لي بذكر النشيد

وهذا آخر من ختمنا به اهل قطرنا احياً واموانا ولاحفله
بمن تخطيناه فواتا اذ كان هولاء هم اعيان القوم من اول هذه المله والى
اليوم ممن اشتهر لعلو قدره او لعلو دينه وثم بقايا ما طوامح احد هذين
ولا كانوا في قسيمها اللذين وهذه جمله كافيه في الكتاب
المشارقه وانما اطلعنا من شموسهم شذرات وهي داله على ما بعدها من
نهار يطنب في الخافقين ويطيب ملا الى النيرين الشارقين

آخر السفر الثاني عشر من مسالك الابصار
في ممالك الامصار ويتلوه ان شا الله تعالى في السفر
الثالث عشر فاما الكتاب المغاربه وما لهم من نجوم غير غمه
الحمد لله رب العالمين والصلاه والسلام على سيدنا محمد
خاتم النبيين وعلى اله وصحبه الطيبين الطاهرين
حسبنا الله ونعم الوكيل

تم